موسوعة

بطل العلقمي

العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام

إن لعمي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء

الإمام زين العابدين عليه السلام

تأليف

سماحة آية الله المحقق الكبير

الشيخ عبد الواحد المظفر (قدس سره)

الجزء الأول

مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية
العراق - النجف الأشرف

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جميع حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة المظفر الثقافية في النجف الأشرف ويحظر طبع أو نسخ أو إعادة صف حروف هذا الكتاب إلا بإذن وموافقة خطية مسبقة من الناشر.

عنوان الناشر: العراق - النجف الأشرف - مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية
ثريا (٠٠٨٨٢١٦٢١٦٦٨٤٨) / نقال (٠٧٨٠١٢٨٦٢٩٨) (٠٧٨٠١١٢٠٣٩٩)
(٠٧٧٠٦٨٢٢١٢٥) (٠٧٨٠٨٩٣٨١٦٢)
الموقع على الانترنت:
E-mail: Al-Mudhafar@hotmail.com

طبع على مطابع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120
E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

الأهداء

إلى من ضم روح الحفاظ إلى روح الإيمان...

إلى من مزج حماس النفس بحمية الدين...

إلى حامل لواء التبشير والإصلاح حيث يقول: ‹ما خرجت أشراً ولا بطراً، إنما خرجت للإصلاح في أمة جدي محمد ﷺ› . . .

إلى محرر الأمة الإسلامية من رق الاستعباد...

إلى منقذ أحرار المسلمين من ضغط الاستبداد...

إلى مؤسس النهضة الفائزة بقمع الاستعمار...

إلى ناصر الحق والشريعة والعدل...

إلى سيد أهل الحفاظ ورأس المصلحين...

إلى قدوة الأحرار الأغيار على حفظ نظام العدل والإنصاف...

إلى قائد الأخيار إلى الفوز الخالد...

إلى سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكسا...

إلى إمام الحق والعدل وريحانة سيد الأنبياء...

سيدي أبا عبد الله مولاي سيد الشهداء...

أهدي إليك صفحة من تاريخ حياة أخيك أبي الفضل العباس ‹بطل العلقمي›
سيدي إن صغرت الهدية فالمهدى إليه كبير النفس والهمة والشأن...

بذلت أبا الأئمة كل جهدي بهذا السفر في قمر العشيره
فإن تقبله منا كان فخراً لنا ونعده أسنى ذخيرة
تقبّل يا ابن خير الناس منّا هديتنا وإن كانت يسيره
فلا يدّعي المظفر غير شخص قبلتم منه خدمته الصغيره

ولست أطيق تحديد المعالي لأهل البيت ذي المنن الخطيره
أراهم صفوة الرحمن حقاً وأعرف أنهم لله خيره
وفي القرآن قرّظهم وأثنى سل الأحزاب والسور الكثيره

عبد الواحد المظفر

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والأحياء، والآخر بعد فناء الأشياء، والصلاة والسلام على أفضل خلقه المصطفى الأمجد المحمود الأحمد أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الغر الميامين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين وإلى قيام يوم الدين.

وبعد:

ملحمة كربلاء ملحمة عظيمة وفاجعة مزرية، ويا لها من فاجعة ورزية، فقد قضت على كل سرور لشيعي، فاجعة من أعظم الفواجع المحزنة وأمض الفوادح المؤلمة منذ أول الأزمنة وبدء عصور حدوثها حتى اليوم، إن فاجعة الطف العظمى ورزية أهل البيت «عليهم السلام» المطهر قد تركت العيون دامية، والأكباد متفتتة كمداً وحزناً، وليست هذه الفاجعة كبعض الفواجع، إنها رقرقت عبرات الرسول المختار على وجناته، وأجرت مدامع السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ووصي المصطفى، كرشّ المطر بحرقة حزن ولذعة أسى...

وسط هذا المعترك، ومن سماء هذه الملحمة، بزغ ذاك النجم في سماء كربلاء، بطل كربلاء الخالد، وحامل لواء أخيه الحسين «عليه السلام» أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام»، فهو الذي آثر وأوفى بكل ما ملك للذود عن حياض هذا الدين والدفاع عن أخيه الحسين «عليه السلام» بساحة الشرف والشهادة في كربلاء...

فالعدو كان يحسب للعباس صلة قرابة مع قبيلة كلاب من جهة أُمه «فاطمة بنت حزام الكلابية»، فلقد رد العباس «عليه السلام» طلبين وصلا إليه من شمر بن ذي الجوشن للْالتحاق بمعسكر بن زياد، فقال «عليه السلام»: «أتأمنوني وابن رسول الله لا أمان له»، إنه عين الإيثار والوفاء والخلق الأنساني والشجية الأخوية، وغيرها من صور الإيثار والوفاء التي شهد بها له حتى العدو.

حيث قال «يزيد» لما عرضت راية أبي الفضل العباس «عليه السلام» على

يزيد بن معاوية «عليهما اللعنة» حينما دخلت سبايا أهل البيت «عليهم السلام» عليه، قام اللعين ثلاث مرات لها وجلس، ويزيد في ذلك اليوم جبار متغطرس طاغ، فقال يزيد وهو ينظر إلى الراية: «هكذا فلتكن مواساة الأخ لأخيه»، وقال الشاعر:

أخـاك أخـاك إن مـن لا أخـاً لـه كـساعٍ إلـى الـهيـجـا بـغـيـر سـلاح

العباس غصن من أغصان تلك الشجرة الطيبة والدوحة الهاشمية المباركة الذي أدخره الله تعالى لنصرة الدين وإحياء قواعده الرصينة جنباً إلى جنب مع أخيه الإمام الحسين «عليه السلام» في ملحمة العشق الإلٰهي ملحمة إنتصار الدم على السيف، ملحمة كربلاء الخالدة...

ولقد كان للعباس «عليه السلام» منزلة عظيمة عند أخيه الحسين «عليه السلام» ووقع كبير في قوة بأسه ورباطة جأشه، فهو صاحب لوائه ومركز ثقله، وهيبة عسكره، ومستشاره، ونخوته في الملمات، فكان كثيراً ما ينتدبه لمهماته العائلية والعسكرية منذ خروجه من المدينة إلى كربلاء، وإلى آخر لحظة من حياته المقدّسة...

ففي اليوم السادس من المحرم، حينما يعقد الأجتماع بينه وبين ابن سعد في جوف الليل وبين العسكرين لا يرافقه أحد من أهل بيته وأصحابه سوى أخيه العباس وولده علي الأكبر «عليهما السلام»...

وفي اليوم السابع من المحرم كان العباس «عليه السلام» هو المضطلع بجلب الماء من الفرات إلى المخيم، بعدها ضيّق ابن سعد على المشرعة غاية التضييق، فكان العباس «عليه السلام» هو المنتدب لهذه المهمة العظيمة، وفعلاً قام بها أحسن قيام...

وعصر يوم التاسع من المحرم، حينما زحف الجيش على مخيم الحسين «عليه السلام» ندبه الحسين «عليه السلام» للتفاوض مع القوم في تأخير المناجزة إلى غداة غد، حيث قال له: «أركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم»...

وليلة العاشر من المحرم ـ بل في كل ليلة من ليالي كربلاء ـ كان هو المضطلع بأمر أخيه الحسين «عليه السلام» بحراسة المخيم ورفع الوحشة والرعب عن عائلة النبوَّة والإمامة.

وكان العباس «عليه السلام» يوم عاشوراء المنتدب الوحيد لأخيه الحسين

«عليه السلام» في الملمات، وكلما أُحيط بأصحابه المبارزين يندبه لأنقاذهم من أيدي القوم...

وكلما سمع الحسين «عليه السلام» بكاء العائلة ولمس أضطرابهم من تأزم الموقف يوم عاشوراء، كان يرسل إليهم أخاه العباس وولده علياً «عليهما السلام» ليطمئن نفوسهم...

ولقد كانت راية العباس «عليه السلام» «طوال أيام كربلاء» مركوزة أمام المخيم لتلقي الأوامر من أخيه الحسين «عليه السلام» فيما يهمه من المهمات...

فليس عجباً أن يكون العباس آخر قتيل من أهل بيته وأصحابه، إذ لم يسمح له الحسين بالرخصة للمبارزة، وكان يقول: «كلما تقدم لطلب الرخصة منه»: «أنت حامل لوائي فإذا مضيت تفرّق عسكري»...

فلإجتماع هذه المزايا والخصال لأبي الفضل العباس «عليه السلام» حاز شرفاً شريفاً، وفخراً فاخراً، وحاز على مرتبة عالية عند أخيه الحسين «عليه السلام»، وفاق أكثر الشهداء، ناهيك عن المحن التي شاهدها وهي مما يؤلم مهجة الغيور، ويقرح قلب الأبيّ المتحمس صراخ العائلة وهتاف العقائل المخدرات ينادين: «أبا عبد الله: ردنا إلى حرم جدنا، وهو يقول لسيدتهن الحوراء زينب: هيهات جرى القضا، وجف القلم»...

فهذه المحن مع تلك الخصائص والخصال قد أوجبت له زيادة فضل على الشهداء، فكان له من مجموع أجر الشهادة وأجر الصبر على الابتلاءات العظيمة درجة يغبطه بها جميع الشهداء، كما أخبرنا بذلك الإمام زين العابدين علي بن الحسين «عليهما السلام» حيث يقول: «إن لعمي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء»...

ومن كان يغبطه جميع الشهداء على درجته ومنزلته فهو المقدم بلا ارتياب ولا تشكيك «على حد تعبير المؤلف «قده» بنص الحديث المتقدم»...

وقد جاء في معالي السبطين[1] نقلاً عن الكبريت الأحمر: أن العباس «عليه السلام» كان يقاتل في صفين أهل الشام مع أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: قد روى بعض من أثق به بأن يوماً من أيام صفين خرج شاب من عسكر أمير المؤمنين «عليه السلام» وعليه لثام وقد ظهر منه آثار الشجاعة والهيبة والسطوة

---

(١) معالي السبطين/ الكربلائي ص ٦٧٢/ ج١.

بحيث أن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون، وغلب عليهم الخوف والخشية، فما برز إليه أحد، فدعى معاوية رجلاً من أصحابه يقال له ابن الشعثاء وكان يُعَد بعشرة آلاف فارس، وقال له معاوية: أخرج إلى هذا الشاب وبارزه، فقال له: يا أمير إن الناس يعدونني بعشرة آلاف فارس فكيف تأمرني بمبارزة هذا الصبي؟! فقال له معاوية: فما نصنع؟ قال: يا أمير إن لي سبعة بنين أبعث إليه واحداً منهم ليقتله، فقال له: إفعل، فبعث إليه أحد أولاده فقتله الشاب، وبعث إليه بآخر فقتله الشاب، حتى بعث جميع أولاده، فقتلهم الشاب، فعند ذلك خرج ابن الشعثاء وهو يقول: أيها الشاب! قتلت جميع أولادي، والله لأثكلن أباك وأُمك، ثم حمل اللعين وحمل عليه الشاب، فدارت بينهما ضربات فضربه الشاب ضربة قدّه نصفين وألحقه بأولاده، فعجب الحاضرون من شجاعته، فعند ذاك كبّر أمير المؤمنين «عليه السلام» ودعاه وقال له: أرجع يا بني، فإني أخاف أن تصيبك عيون الأعداء، فرجع وتقدم إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» وأرخى اللثام عنه وقبّل ما بين عينيه، فنظروا إليه، وإذا هو قمر بني هاشم العباس بن علي «عليهما السلام». . .

نبذة عن الكتاب

قال الشيخ المظفر في مقدمته لهذه الموسوعة «بطل العلقمي»: «لم يختلج في الفكر ويخطر في الذهن إفراد ترجمة هي أوسع ما ترجم به المترجمون «أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»»، ذاك البطل المجاهد، والسيد العظيم المتفادي عن الأنقياد للمذلّة آنفة وإباء، الناهض بالدفاع عن الدين والمجد معاً غيرةً وحماساً، الذي أحيا مآثر العروبة الصحيحة، وأسس للدفاع عن القومية أُسساً محكمةً رصينةً، وأعطى للمتدينين في الدفاع عن الدين دستوراً صحيحاً وقانوناً واجب الأتباع، وعلّم البشر كيفية الأخلاص للعظماء المحقين، ونهج لهم سبل التفاني أمام أئمة الدين الراشدين، فرأينا من واجب حقه علينا وعلى عموم المسلمين، وخاصة الأحرار المشجعين للشعوب على النهضات المحرّرة لها من الأستعباد، خدمته وخدمة كل بطل ضحى نفسه للشرف، وسمع بحياته لرفع ضغط الأستبداد العارم، فأبرزنا تأدية لحقه ترجمة حافلة جامعة بين التاريخ والفلسفة والأداب والفقاهة، تؤلف كتاباً ضخماً حاوياً لجميع ما يحتاج إليه المؤرخ والفلسفي في ما يختص بهذه الفصول المدرجة فيه، وأنتزعنا اسم الكتاب من ألقابه المختصة به، فسميناه «بطل العلقمي»، ورتبناه على فصول ثلاثة يكون كل فصل منها جزءاً من الكتاب...

وللتعريف بهذا السفر الكبير نتحدث فيه إجمالاً كالآتي:

إن كتاب «بطل العلقمي» هو أنفس هدية قدمها شيخنا «ره» إلى الإسلام بصورة عامة، وإلى رواد العلم وطلاب الفلسفة والتاريخ بصورة خاصة، وهذا الكتاب الضخم يقسمه الشيخ «ره» إلى ثلاثة أقسام تقع في ثلاثة أجزاء كل جزء يضم ناحية من نواحي التاريخ المهمة، «فالجزء الأول» تاريخي من جهة إيراد أنساب العباس «عليه السلام» من جميع أطرافه، فيذكر أجداده وآباءه إجمالاً إلى آدم، وتفصيلاً بوضع تراجم من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى عدنان، ويذكر أعمام العباس وأعمام أبيه وأخوته وأولاده وأحفاده وأخواله، ويذكر ما يقرب من ستين من أبطال بني كلاب في الجاهلية وصدر الإسلام...

وفلسفي من ناحية ذكره أسرار النهضة وسياسة أمير المؤمنين «عليه السلام»

وإنها هي السياسة التي لا يجوز العدول عنها، وسياسة الحسن والحسين «عليهما السلام»، واختلاف سياستهما وسر ذلك، وإن الحسين «عليه السلام» قصد الكوفة مضطراً لا مختاراً، وبيان أساليب خطابه وتفننه في الخطاب بحيث أنه يضع الكلم في مواضعه بحيث لو أُزيلت لاختلّ نظام الكلام، وشرح خطبه، وأمثال ذلك...

و«الجزء الثاني» يتضمن ما للعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» من الكُنى والألقاب القديمة والحديثة ـ العامية ـ وبيان صفاته ومزاياه الجسمية والأخلاقية نحو البطولة والجمال والشجاعة والسخاء، وأمثال ذلك، وهذا السفر أيضاً تأريخي من حيث إنه يتطرق إلى ما للعرب من المآثر الجميلة نحو الشجاعة والإيثار والمواساة وما شابه ذلك، وفلسفي من حيث إنه يشرح الأخلاق ويميز بين الأخلاق الغريزية والمكتسبة وما للتهذيب من أثر، وإن التربية والتعليم لهما مفعولهما في الإسلام وفي تقدم الإنسان...

و«الجزء الثالث» يشتمل على منزلة العباس عند الحسين «عليهما السلام»، والوظائف التي وظفه لها الحسين «عليه السلام» كالسفارة وقيادة الجيش، وأنه ركن وعميد، وأمثال ذلك. وفي هذا الجزء أنظمة الحرب القديمة والحديثة وبيان الكرامة والمعجزة والفرق بين المعجزة والسحر والاختراع، وفيه التعريف بكربلا القديمة، ومراثي العباس، ومراثي العرب لأبنائهم وإخوانهم وآبائهم، وتأبين العظماء للعظماء من العرب، وغير ذلك، وقد بذل المؤلف «قده» في ذلك الوسع خدمة للدين والعلم، وقضاءاً لحق واجب لهذا البطل العظيم الذي كانت له مرتبةً ساميةً ومكانةً مكينةً عند الله ورسوله وأئمة أهل البيت «عليهم السلام» لا من حيث ضحى نفسُه في سبيل الدين خاصة وجعل حياته الثمينة ثمناً لشرع سيد المرسلين فقط، وفدا بروحه إمام الحق المفترضة طاعته على الخلق أجمعين فحسب، بل لما كان فيه من السجايا الحميدة والمزايا الفاضلة، والخصال المحبوبة، فقد قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القين: «فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»...

فإذا عرفت أن خصلتين من خصال الكمال أوجبتا لهذا الصحابي محبة الله ورسوله، فما ظنك بمن جمع خصالاً كثيرة من خصال الفضل وكلها توجب له محبة الله ورسوله ﷺ مثل الزهد والعبادة والحلم والشجاعة والحزم والثبات والبصيرة في الدين والشهامة والسخاء وحسن الإيثار والوفاء والفصاحة والصباحة، ولا شك أن الصباحة أول مراتب الخير كما سيفصّل المؤلف «قده» ذلك في كتابه...

فهو مادة دسمة وخصبة للباحثين والمتخصصين في التاريخ الإسلامي عامة ولطلاب العلوم الدينية وخطباء المنبر الحسيني خاصة، فليتعرف الجمهور على عظمة ومقام هذا البطل الهاشمي والقائد الميداني لمعسكر الإمام الحسين «عليه السلام» بكربلاء، بطل العلقمي أبي الفضل العباس «عليه السلام»...

ولا يعرف قدر هذا الكتاب إلاَّ من وقف على فصوله، وأنا أُلفت نظرك إليه ولك أن تقدِّر وتحكم، فجزى الله شيخنا المظفر خير الجزاء في خدمته لأهل البيت العلوي الطاهر...

وقد طبع هذا الكتاب في عهد المؤلف «قده» في المطبعة العلمية بالنجف الأشرف سنة «١٣٧٤ هـ» ولشدة الطلب والإلحاح المتزايد على إعادة طبعه أُعيد طبعه عدة مرات من قبل دور النشر، ولكن نحب أن نشير إلى أن أحد تلك الدور «انتشارات المكتبة الحيدرية» في مدينة قم المقدسة، قد قامت بطبعه مؤخراً وسبقتنا بفكرة نقل أخوة العباس «عليه السلام» الذين ذكرهم المؤلف في نهاية الجزء الثالث إلى آخر الجزء الأول حيث موضع تسلسلهم، وبالأصل هذه هي فكرتنا عندما قررنا إعادة طبع هذه الموسوعة «بطل العلقمي»، وهذا الشيء من خصوصيات أُسرة المؤلف وهم وحدهم لهم حق التصرف في الكتاب من حيث التقديم والتأخير، وننبه مرة أُخرى إلى أننا لا نجيز لهذه الدار ولا لغيرها طبع أو التصرف في مؤلفات الشيخ المظفر من دون الرجوع إلينا وأخذ الإذن منا، فضلاً عن سرد بعض المعلومات أثناء ترجمة المؤلف وهي غير صحيحة كوفاته في «الدير»، والصواب إن وفاة المؤلف كانت في «المعقل» وغيرها، فنحن لسنا بصدد بيان تفاصيل ذلك، بل أردنا الإشارة فقط، وهذا ما وجدناه في غير هذا الكتاب من مؤلفاته «قده»، مضافاً إلى الأخطاء الكثيرة الواردة في طباعتهم للكتب، فلهم أن يلتفتوا إلى خطأهم هذا، والله الهادي إلى الصواب...

ويتلخص عملنا في هذا الكتاب كالآتي:

(١) قمنا بنقل المصادر الواردة في المتن التي أعتمد عليها المؤلف إلى الهامش.

(٢) أضفنا إلى عنوان الكتاب كلمة «موسوعة» فأصبح عنوان الكتاب: «موسوعة بطل العلقمي» لأنها بحق تعد من أكبر الموسوعات التي أُلفت بحق أبي الفضل العباس «عليه السلام»، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجدنا الشيخ المظفّر في بعض كتبه يعبر عن هذا الكتاب بالموسوعة، فيقول: ذكرنا ذلك في موسوعتنا

بطل العلقمي، فرأينا من المناسب أن نضيف هذه الكلمة إلى الكتاب.

(٣) قمنا بتصحيح الأخطاء الواردة في الطبعة الأولى قدر الإمكان.

(٤) نقلنا أخوة العباس الذين ذكرهم المؤلف في نهاية الجزء الثالث إلى آخر الجزء الأول حسب تسلسلهم من البحث.

(٥) وضعنا مقدمة وافية للكتاب.

(٦) قمنا بإخراج فهارس الآيات والسور من القرآن الكريم.

هذه مجمل الخطوات التي قمنا بها في هذا الكتاب.

إلى هنا نمسك زمام القلم مكتفين بهذا المقدار من الحديث عن هذا السفر التأريخي للفقيد «قده»، ألا وهو «بطل العلقمي»...

وإليك أخي القارىء هذه الأبيات التي تؤرخ العام الذي شرع فيه الشيخ الفقيد «قده» بتأليف موسوعته القيمة «بطل العلقمي» وهي من نظم الأستاذ الماهر والمؤرخ الشهير الشيخ علي البازي «قده»، فقال:

الواحد الفذ حليف الحجى ... المجد منه وله ينتمي

جاء بسفر للملأ آية ... مضمونها في سيرة الهاشمي

ساقي عطاشى كربلا ليثها ... من فيه إن خطب عرى نحتمي

من رام أن يعرف ما فضله ... وكيف أضحى مفرداً عالمي

فلينظر السفر وتأريخه ... «سار فهذا بطل العلقمي»

١٣٦٩ هـ

نبذة عن المؤلف «قده»

نسبه الشريف وألقابه:

هو الشيخ عبد الواحد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن الشيخ جواد بن الشيخ حسين بن الشيخ باقر المظفر[1].

ومن خلال اطلاعنا على سلسلة نسبه نستدل على أن شيخنا المحقق «قده» نشأ وترعرع في أحضان البيوتات العلمية الطاهرة، مما يعني أنه ترعرع في أرض وبيئة علمية خصبة، وأنحدر من طرفين كريمين نسباً وعلماً.

لقد تتلمذ المحقق «قده» على أيدي كبار العلماء «الذين سيأتي ذكرهم» فنبغ نبوغاً قلّ أن نجد له مثيلاً في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حي فاق أقرانه، وبرز على علماء عصره، فصار العالم الأوحد والفطحل المتفرد في زمانه، حتى حاز على ألقاب وأوسمة علمية أخذها بحق وجدارة.

فأما أشهرها، فإنه كان يلقب «قده» بـ«المحقق» كما حاز على لقب «أوحد زمانه» و«المدقق»، وذلك لأنه كان بحق وبإذعان في طليعة العلماء الأعاظم بما جمع من علوم وكمالات شتى.

ولادته ونشأته العلمية

ولد المحقق الكبير الشيخ عبد الواحد المظفر «قده» في قضاء المدينة من محافظة البصرة في شهر محرم الحرام عام «١٣١٠ هـ/ ١٨٩٠ م»، فتلقى بدايات علومه من مبادىء العربية ومبادىء العلوم العقلية والنقلية على يد أمس الناس وأقربهم رحماً به، وهو والده المعظّم الراحل العلّامة الحجة الشيخ أحمد المظفر «قده»، الذي يبدو أنه كان من القمم العلمية الشامخة التي أخفتها حوادث الزمان، فلم يصل إلينا من آثارها ما كان يجب أن يصل إلينا.

والذي يؤيد صحة هذا الأدعاء هو ما جاء في عبارة أحد العلماء مخاطباً إياه برسالة طويلة منها: «العالم العامل الفاضل الكامل حجة الإسلام وقرة عين الأنام مولانا الأستاذ السند الشيخ أحمد المظفر»...

---

(١) ونسب آل المظفر، أنهم من حرب آل علي المضريين القاطنين في أرض العوالي بالحجاز، وقد ساق بعض أفراد أسرة آل المظفر سلسلة النسب إلى أطول من ذلك، للمزيد راجع كتب التاريخ والنسب.

فهذا المدح والأطراء من مثل عالم من علماء الطائفة يعتبر وثيقة صريحة ودليل قاطع بأعلمية وأفضلية والد المترجم له «قده».

ولسنا بصدد الحديث عن والد المترجم له «قده» وإلاَّ لأحتجنا إلى كتاب مستقل للترجمة عنه، ولعلنا نوفق في المستقبل «إن شاء الله تعالى» للكتابة عنه مفصلاً، ونجمل الكلام فنقول: لقد نشأ شيخنا المظفر «قده» نشأة علمية بتوجيه من والده «قده» وأحتضان أعلام أسرته له.

وبعد ذلك «بعد تلك المرحلة» تتلمذ «قده» على عدّة من علماء الطائفة من ذوي العلم والأدب والفقه والدراية وروى عنهم وحاز درجة الأجتهاد من بعضهم.

أساتذته:

وهم عدد كبير، نذكر أبرزهم في هذه العجالة:

آية الله المدقق الأصولي الكبير الميرزا محمد حسين النائيني.

آية الله المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني.

آية الله الأصولي الشهير والنقاد القدير الشيخ آغا ضياء الدين العراقي.

آية الله الحجة الأكبر المجاهد شيخ الشريعة الأصفهاني.

آية الله الإمام الأعظم الشيخ محمد كاظم الخراساني «صاحب الكفاية».

آية الله البحر الخضم المجاهد السيد محمد كاظم اليزدي «صاحب العروة».

وغيرهم من جهابذة الفكر والعلم «قدّس الله أسرارهم أجمعين».

الثناء عليه:

أثنى عليه كل من عاصره من فقهاء الطائفة، وأجمعوا على جلالة قدره وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب والتأريخ، ونظرة أجمالية في كتبه يهدينا إلى أنه واقع في الطليعة من الفقهاء الأعلام وأنه عظيم من عظماء الشيعة.

ومما قاله عنه أستاذه الكبير المحقق الأصولي الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني «قده» ـ تقريضاً لتقريرات الشيخ المظفر الأصولية المخطوطة ـ: «... لقرّة عيني العالِم العَلَم العلَّام والفاضل البارع الهمام، الفائز بأسنى درجات الصلاح والسداد بجهده، والحائز رتبة الأستنباط والأجتهاد بجدِّه، صفوة المجتهدين العظام، وركن الإسلام المؤيد المسدّد التقي الزكي...».

وقال عنه أحد علماء عصره: «... وكان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً عابداً، أديباً شاعراً بارعاً، مثالاً للأباء والعز والشرف والنبل، وكان أُصولياً منطقياً تأريخياً متتبعاً للتأريخ الإسلامي...».

زهده وورعه وتقواه:

كان «قده» عابداً زاهداً شديداً في أعماله، وكان قليل الأكل مكثر الصيام، وكان عنده أدعية وأحراز مجربة خاصة به، وكان الناس يقصدونه ويلجأون إليه من مختلف البقاع لأخذ بعض الأحراز لقضاء حوائجهم وتسهيل مطالبهم.

وكان «قده» عالماً فاضلاً ضعيف الجسم قوي البنية والإيمان، وكان يحيي الليل بين العبادة والكتابة «أي التأليف»، وقبيل الفجر يقوم فيتوضأ ويخرج إلى الحضرة العلوية المطهرة لأداء الصلاة فيها.

باشر «قده» بشراء الكتب المهمة والتراث الإسلامي من جميع مطبوعات العراق وإيران ومصر والهند ولبنان وغيرها في جميع الحقول التأريخية والأدبية واللغوية والتفاسير والأحاديث والتراجم وغيرها، وجمع القسم الكبير من المخطوطات النفيسة والآثار القيمة حتى أشتهرت مكتبته بأنفس المكتبات الخاصة في وقته، والتي ناهزت العشرين ألفاً، وكانت تؤمه أكبر الشخصيات والمؤلفين والكتّاب أمثال الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والخطيب السيد جواد شبر، والشيخ كاظم الحلفي، والسيد عبد الحسين الحجار، والشيخ يونس المظفر، والشيخ جعفر محبوبة، والشيخ محمد جواد الأنصاري، والشيخ علي الخاقاني وغيرهم من طلابه ومريديه لمراجعة بعض المصادر، وكان من ضمن هذه المخطوطات دورة وسائل الشيعة المخطوطة النفيسة للحر العاملي «قده»، وبقيت هذه المكتبة في محلة العمارة قرب العتبة العلوية المطهرة، إلى سنة «١٣٩٩ هـ» أي بعد وفاته بتسع سنوات، حيث صدر قرار من الحزب البعث الحاكم في العراق حينذاك بمصادرة جميع المكتبات وخصوصاً المخطوطات منها وتمّ نقلها من قبل أُسرته إلى داره الثانية والواقعة في الحنانة، ولكنها بمرور الوقت أُتلفت معظم ما فيها بسبب إهمالها وتركها.

إجازاته:

مما يبعث على الأسف إننا لم نعثر على جميع إجازات شيخنا المظفر «قده» - ولعلها محفوظة في مكتبته الخاصة[1] - بإستثناء إجازتين الأولى من أُستاذه الكبير المدقق الأصولي مقرض تقريراته الأصولية الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني، وهي بتاريخ شهر ذي القعدة «١٣٥١ هـ»، فعلى هذا التأريخ نقول: إن شيخنا قد

(١) توجد هناك عدّة مشاريع بخصوص مكتبة المُترجَم له وآثاره المخطوطة ستتعرف إليها في المستقبل القريب إن شاء الله.

حصل على الإجتهاد المطلق بعد تسعة وعشرين عاماً (٢٩) من دراسته في الحوزة العلمية الشريفة[١]، حيث دخل الشيخ «ره» ميدان حلقات الدرس وهو له من العمر أثني عشر عاماً (١٢)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على النبوغ الفطري المبكر الذي يتمتع به المحقق المظفر «ره».

أما الثانية فهي من أُستاذه المرجع الديني الشهير آية الله السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني «ره»، وهي بتاريخ شهر محرم الحرام ١٣٥٣ هـ، أي بعد عامين من سابقتها وله من العمر حينئذ إحدى وثلاثون عاماً (٣١).

مؤلفاته:

ترك لنا المترجم له آثاراً قيمة «حيث كان معروفاً بكثرة التصنيف والتأليف والتحقيق» قسم منها طُبع في حياته، والقسم الآخر لم يُطبع لحد الآن محفوظ عندنا مع مكتبته الخاصة به والتي تضم نفائس المصنفات من مخطوط ومطبوع، وهي لا تزال خالدة خلود ذكراه[٢].

مؤلفاته المطبوعة:

(١) بطل العلقمي «حياة العباس ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» وهو هذا الكتاب الذي نحدد بصدد التقديم له»، ويقع هذا السفر في ثلاث مجلدات، والذي وصفه الأديب الكبير والمؤرخ الشهير الشيخ علي البازي «ره» بقوله:

خير سفر به أتانا المظفَّر فيه فضل العباس للناس ينشر

.... الخ

(٢) توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض ـ جزئين ـ الأول مطبوع، والثاني مخطوط[٣].

(٣) سفير الحسين «عليه السلام» مسلم بن عقيل «عليه السلام».

(٤) الأمالي المنتخبة في العترة المنتجبة ـ ويقع في ثلاث أجزاء ـ طُبع منه الجزء الأول فقط.

---

(١) ولكن هذا التأريخ على فرض عدم وجود إجازة أخرى سابقة على هذه الإجازة، إذ من الممكن أنه «قده» قد حصل على الإجتهاد قبل هذا التأريخ، فنحن ـ كما عرفت ـ لم نقف على جميع إجازاته بأستثناء اللتين ذكرناهما، فتأمل.

(٢) بعد فراق طال أكثر من ثلاث عقود ستخرج تلك الآثار القيمة لترى النور بعد تلك الحقبة المظلمة الطويلة الأمد، ومن الله التوفيق والتسديد.

(٣) هذا الكتاب طُبع مؤخراً بجزئيه «الأول والثاني» في مطابع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت.

(٥) البُشرى ببعثة البشير محمد ﷺ، يقع في ثلاث مجلدات، الأول والثاني مطبوعين، والثالث ما يزال مخطوطاً، أحدها يختص بإعجاز القرآن فيما أكتشفه العلم الحديث من أسراره.

وهذه بعض منها إذ لا مجال لذكرها جميعها في هذه العجالة.

من مؤلفاته المخطوطة:

١ ـ السياسة العلوية: وهو شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي «أعلى الله مقامه».

٢ ـ أعلام النهضة الحسينية «يقع في ست أجزاء» يتحدث فيه عن أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام».

٣ ـ الميزان الراجح «ويختص بعلم الرجال» وهو كتاب ضخم.

٤ ـ المستدرك على مقاتل الطالبيين، يقع في جزئين كبيرين.

٥ ـ الدرة البهية في نسب الأُسرة المظفرية.

٦ ـ كشف المستور «في الرد على بعض العقائد الفاسدة» وهو كتاب كبير لم يكمل، نتج منه أربعة أجزاء.

٧ ـ ردع الناكب عن فضيلة المواكب.

٨ ـ شبيه رسول الله ﷺ علي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام».

وغيرها لا يسع المقام لسردها.

من مؤلفاته المطبوعة بعد وفاته:

أما المطبوعة في حياته فقد أُعيد طبع البعض منها، وأما المخطوطة فقد طبع منها وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام» من قبل مؤسستنا «مؤسسة المظفر الثقافية»، وسفير الحسين مسلم بن عقيل «عليهما السلام» وتوضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض بجزئيه «الأول والثاني»، وقائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي «رضوان الله عليه»، ونحن في الطريق سائرون في طبع بقية مخطوطات المترجم له، نسأل الله أن يأخذ بأيدينا لإكمال طبع مؤلفات الشيخ المظفر «قده» المخطوطة التي أتت يد الزمان لتحرمنا منها ومن معينها الصافي.

وقد أستعرض الأديب الراحل الشاعر الحاج محمد علي الراضي المظفر «قده» مؤلفات شيخنا المظفر «قده» بأرجوزة غاية في الروعة، وإليك مطلعها:

يا صاحب التوضيح والأعجاز يا صاحب المستدرك الممتاز

يا صاحب البشرى وردع الناكب والراجح الميزان في المكاسب
يا صاحب الأعلام والسياسة والبطل العباس في الحماسة

. . . الخ، وهي أرجوزة طويلة، للمزيد راجع ديوان القلائد للشاعر المتقدم/ مخطوط.

وبالجملة، إن شيخنا المظفر «قده» هو أحد تلكم الشخصيات العلمية البارزة ذات الفكر الثاقب والرأي السديد والتي زودت المذهب وعامة الطوائف الإسلامية بالبحوث المبتكرة والتصانيف المتنوعة. . .

مختارات من شعره:

طُبْع شيخنا المظفر «قده» على نظم الشعر فأجاد فيه وبلغ الغاية القصوى، وعد في طليعة شعراء عصره، فكان «قده» حاضر البديهة مكثر الشعر، وشعره طافح بحبه لآل الرسول ﷺ وينم عن مذهبه الذي هو مذهب أئمة أهل بيت النبوة، فتراه يقول فيهم مدحاً وثناءً ورثاءً وتظلماً لهم بحسب ما يقتضيه المقام، له عدة دواوين من الشعر مخطوطة إلى هذا التاريخ بالإضافة إلى إرجوزته المخطوطة الموسوسة بـ«أرجوزة كربلاء» في مقتل أهل البيت «عليهم السلام»، ناهيك عن باقي مصنفاته التي طفحت بالشعر، حيث كان يطرزها بالشعر كما تطرز الأزهار الحقول، وإليك بعضاً من تلك الأشعار.

توفى رسول الله في أرض طيبة فطابت به أرجاؤها والمنازل
وقد شرفت فيه على الأرض كلها وفي كعبة الإسلام قد قال قائل
حوت هيكل التوحيد والقدس فأعتلت على كعبة الإسلام فالشك زائل
وللبعض آراء سخاف ضعيفة يلفقها من رام جهلاً يجادل

وله من قصيدة طويلة في مدح الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، هذا مطلعها:

عرفنا الله ليس له شريك وأحمد خاتم الرُّسل الكِرام
وأن المرتضى من بعد طاها إمام الحق من بين الأنام

وله مخاطباً ونادباً سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان، الإمام الثاني عشر، محمد المهدي «عجَّل الله فرجه» بقصيدة عصماء غاية في الروعة تظم مائة وخمسين بيتاً من الشعر، نقتطف منها هذه الأبيات:

إلى متىٰ معز الدين عنا يغيب وحتى متى شمس الهداية تُحجب
وكم يستتر بدر الرشاد وقد دجا من الريب في ليل الظلالة غيب

حتى يقول:

فقال لها يا نفس صبراً على الردى فموت الفتى في العز أحلى وأطيب
إذا كان أمر الله جار على الورى فأين يفر المرء منه ويهرب

وله مخاطباً أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» بقصيدة هذا البيت مطلعها:

أبا الفضل قف لي في القيامة موقفاً يسر صديقي والعدو يساء

إلى أن يقول:

أرى كل داء مزمن لا يزيله سوى حبكم إن الولاء شفاء
دواء الموالي والمحب بحبكم وهيهات يرجى في سواه دواء

وله راثياً الإمام الراحل المرجع الديني السيد محسن الطباطبائي الحكيم «قده» بمرثية طويلة، هذه الأبيات منها:

دون شك ودون أدنى أرتياب خسر الدين بالحكيم عميدا
وبه الشرع شرع أحمد أضحى فاقداً جهبذ الزمان الفريدا
فالإمام الحكيم في العلم فرد فيه عزى الإسلام والتوحيدا
فاندبي يا شريعة الحق فرداً في بيان الحق الصريح وحيدا

وله راثياً الحجة المحقق العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني «ره»، وواصفاً موسوعته الشهيرة «الغدير» في قصيدة فريدة وطويلة، إليك بعضاً منها:

أبو الهادي تنقل عن خلود من الذكر الحميد إلى خلود
له في جنة الفردوس مثوى بأعلى الخلد في القصر المشيد

إلى أن يقول:

فدائرة المعارف في «غدير» أرتنا كل مبتكر فريد
ومهما نذكر التأليف يوماً فهذا عندنا بيت القصيد

حتى يختمها بهذا البيت:

أبوكم ملهم والكل منكم عباقرة وترقى في الصعود

إلى هنا نكتفي بهذا المقدار من الحديث عن الجانب الأدبي في سيرة المُترجَم له في هذه العجالة، وعلى العموم فإن شيخنا المحقق «قده» قد بلغ في فن الأدب مبلغاً عظيماً ومقاماً كريماً، وأقرت له به أدباء عصره وعظماء دهره. . .

النبأ المفجع الذي هزّ العالم الإسلامي إلى جنّة المأوى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[1]، صدق الله العلي العظيم.

لم يزل شيخنا المحقق المظفر «قده» مشغولاً بالتدريس والتصنيف والتحقيق والإرشاد وترويج الأحكام الشرعية حتى أدركته المنية ووافاه الأجل المحتوم وخسره العالم الإسلامي، فكانت وفاته كارثة حقيقية على الأمة الإسلامية عامة والشيعة خاصة، فقد فَقَدُوا بموته عماد الإسلام، بل ركن الإسلام القويم.

وإذا به يلبي نداء ربه في «المعقل» إحدى ضواحي محافظة البصرة، مساء يوم السبت المصادف «١٩/ ج٢/ ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٨/ ٦/ ١٩٧٥ م» عن عمر ناهز الثمانين عاماً، وكان لوفاته رنة أسى ولوعة حزن عميقين في صفوف المؤمنين، ولا سيما رجال الدين، وخرجت سائر الطبقات لتشييع جثمانه المقدّس، وتمَّ تشييعه في البصرة بكل تبجيل وإعزاز، ومن ثم جيء بنعشه إلى كربلاء ثم إلى مثواه الأخير عاصمة العلم والدين النجف الأشرف، ولمقامه العظيم ولمنزلته العلمية خف لأستقبال جثمانه الطاهر عدد كبير من زعماء الدين في ذلك الوقت وكان في طليعتهم صاحبه مرجع المسلمين سماحة آية الله العظمى زعيم الحوزة العلمية الإمام الراحل السيد أبو القاسم الخوئي «قده» حيث قام الإمام الخوئي «قده» بأجراء مراسيم التشييع للفقيد «قده» وصلّى عليه بنفسه.

وبعد إتمام مراسيم التشييع، نُقل إلى مقبرته الخاصة به و الواقعة في الغري بأمتداد شارع شيخ الطائفة الطوسي «قده» بالقرب من مقاميّ صاحب الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف» والإمام الصادق «عليه السلام»، وأُدخل ضريحه ليلة الاثنين، وأُقيمت له عدّة مجالس تأبينية في أنحاء عديدة من مدن العراق والدول الأخرى، ونعاه عدد كبير من الشعراء بقصائد مؤلمة حزينة تعبر عن مدى الخسارة التي ألمت بالمؤمنين بفقده وتأسفه كثير من أهل الفضل والدين لفضله وقدسيته ومنزلته العلمية.

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

وممن رثاه الشاعر القدير والناظم الشهير الشيخ محمد جواد فرج الله «ره» بقصيدة طويلة، إليك بعضاً منها:

ألمٌ موجع وخطب جليل وبكاء جم وحزن طويل
والقوافي الحسان تبكيك ثكلى والمعالي لها صدى وعويل
يا فقيد الكمال يا واحدا ليس لنا عنه في الزمان بديل

حتى يختمها بهذا البيت:

فعليك السلام منا جزيلاً ما شدا بلبل ورقّ هديل

أعقب شيخنا المحقق المظفر «قده» من الذكور ثلاثة، هم: حسن ورضا وشقيقهم الأكبر صاحب الفضيلة سماحة الأستاذ الشيخ عبد الرسول المظفر «دام موفقاً»، والذي حل محله، حذا حذو أبيه، ونهج منهجه، مد الله في عمره ومتعنا بطول بقائه.

أقول: إن الفقيد المحقق الشيخ عبد الواحد المظفر «قده» وإن رحل عنا إلاَّ أنه يبقى وسيبقى فينا حيّاً وذكراه لا تُمل ولا تُنسى لما سطّر وقدّم في حياته الشريفة من آثار ومشاريع في مختلف المجالات.

فسلام عليه يوم وُلد، ويوم قضى نحبه، ويوم يُبعث حياً.

هذا آخر ما أردنا تسطيره في هذه العجالة مع ضيق الوقت وتشتُّت الذهن، والمأمول من الأخوة الفضلاء أن يلاحظوا ذلك بعين الرضا راجين منهم تزويدنا بوجهات نظرهم القيمة «وسبحان من كتب الكمال لنفسه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

بقلم حفيد المؤلف

صفاء نجل الشيخ عبد الرسول نجل الشيخ عبد الواحد المظفر

مؤسسة المظفر الثقافية

النجف الأشرف

١/ رجب/ ١٤٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

وبه نستعين ونحمده على ما ألهمنا من حسن الثناء عليه وأكرمنا بمعرفته ومعرفة نبيه والحجج من آله الميامين، وبصرنا فأبصرنا طريق الحق فأتبعناه، وأوضح لنا منار الرشد فقصدناه، وأبان لنا صراط الهدى فسلكناه، فنحن نحمده حمداً كثيراً، ونشكره شكراً دائماً متواصلاً على اختصاصه إيانا بالتصديق بنبيه المصطفى، والاعتصام بكتابه وسنة رسوله الغراء، وموالاة آل رسوله الذين أفترض على الأمة طاعتهم، وأبان على لسان رسوله فرض ولايتهم، فأوجب لهم على البرية الانقياد، وألزم كافة الأمة بالإذعان لموالاتهم والاعتصام بهم والتمسك بحبلهم حيث جعلهم بمنزلة باب حطة وكسفينة نوح من ركبها نجا ومن حاد عنها غرق.

ونصلي على نبيه محمد ﷺ خاتم الأنبياء وخيرته وصفوته من جميع خلقه، أختصه برسالته، وبعثه إلى خلقه داعياً إليه بالحق والصدق بشيراً ونذيراً، فأوضح مناهج الحق، وأبان طرق الخير، ودل على سبل النجاة.

ونسلِّم كثيراً على الصالحين من أصحابه، وعلى أهل بيته الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعل أجر مودتهم عديل أجر رسالته إذ يقول في محكم كتابه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

فلك الحمد ربنا إذ جعلتنا لهم تابعين وبإمامتهم معترفين:

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أُضيف اليها ألف آمينا

لم يزل يختلج في الفكر ويخطر في الذهن إفراد ترجمة هي أوسع مما ترجم به المترجمون «أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما

---

(١) الشورى: ٢٣.

السلام» ذاك البطل المجاهد، والسيد العظيم المتفادي عن الانقياد للمذلة إنفة وإباء، الناهض بالدفاع عن الدين والمجد معاً غيرةً وحماساً، الذي أحيا مآثر العروبة الصميمة، وأسس للدفاع عن القومية أسساً محكمةً رصينةً، وأعطى للمتدينين في الدفاع عن الدين دستوراً صحيحاً وقانوناً واجب الاتباع، وعلم البشر كيفية الإخلاص للعظماء المحقين، ونهج لهم سبيل التفاني أمام أئمة الدين الراشدين، فرأينا من واجب حقه علينا وعلى عموم المسلمين وخاصة الاحرار المشجعين للشعوب على النهضات المحررة لها من الاستعباد، خدمته وخدمة كل بطل ضحى نفسه للشرف، وسمح بحياته لرفع ضغط الاستبداد الصارم، فأبرزنا تأدية لحقه ترجمة حافلة جامعة بين التاريخ والفلسفة والآداب والفقاهة تؤلف كتاباً ضخماً حاوياً لجميع ما يحتاج إليه المؤرخ والفلسفي في ما يختص بهذه الفصول المدرجة فيه، وأنتزعنا اسم الكتاب من ألقابه المختصة به، فسميناه «**بطل العلقمي**» ورتبناه على فصول ثلاثة يكون كل فصل منها جزءاً من الكتاب:

الفصل الأول: في نسبه من جهة الآباء والأُمهات والأعمام والأخوال والأخوة والأحفاد مع الاقتصاد في التراجم.

الفصل الثاني: في ولادة العباس «عليه السلام» ومقدار عمره وكناه وألقابه وصفاته النفسية والبدنية وما يناسب ذلك.

الفصل الثالث: في مقتله «عليه السلام» وفي ذكر وظائفه والخطط الحربية ومدفنه وكراماته والتعريف بكربلا القديمة وما يلحق بذلك، باذلين في ذلك الوسع، مؤدين الجهد خدمة للدين والعلم، وقضاء حق واجب لهذا البطل العظيم الذي كانت له مرتبةً ساميةً ومكانةً مكينةً عند الله ورسوله وأئمة أهل البيت الهداة «عليهم السلام» لا من حيث ضحىٰ نفسه في سبيل الدين خاصة وجعل حياته الثمينة ثمناً لشرع سيد المرسلين فقط، وفدى بروحه إمام الحق المفترضة طاعته على الخلق أجمعين فحسب، بل لما كان فيه من السجايا الحميدة والمزايا الفاضلة والخصال المحبوبة، فقد قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس: «فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة».

فإذا عرفت أن الخصلتين من خصال الكمال أوجبتا لهذا الصحابي محبة الله ورسوله، فما ظنك بمن جمع خصالاً كثيرة من خصال الفضل وكلها توجب له محبة الله ورسوله ﷺ مثل الزهد والعبادة والحلم والشجاعة والحزم والثبات والبصيرة في الدين والشهامة والسخاء وحسن الإيثار والوفاء والفصاحة والصباحة،

ولا شك أن الصباحة أول مراتب الخير كما سيأتي تفصيله، قال الشاعر العربي:

أنت شرط النبي إذ قال حقاً أُطلبوا الخير من صباح الوجوه

وقال آخر:

لقد قال الرسول مقال صدقٍ وخير القول ما قال الرسول

إذا الحاجات فرت فأُطلبوها الى من وجهه حسنٌ جميل

وقد وسمه الله أيضاً بسمات بدنية كمالية غير الصباحة كالقوة والبسطة في الجسم فإنه «عليه السلام» كان أيداً قوياً مديد القامة، طوالاً عظيم الهامة، وهي سمة السيادة اتفاقاً عقلاً ونقلاً، وقد أمتن الله تعالى على من حباهم هذه الصفات وأختصهم بها فقال تعالى ممتناً على قبيلة عاد العربية الشهيرة بقوله: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾[١]، وقد أمتن على طالوت ملك بني إسرائيل بقوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾[٢]، وقد أمتن على نبيه موسى بن عمران حاكياً ما أقتصه من خبره عن ابنة العبد الصالح شعيب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٣]، وقوله في أمين الوحي جبرائيل «عليه السلام»: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[٤] فسروها بالقوة.

فلاجتماع هذه المزايا والخصال «لأبي الفضل العباس «عليه السلام» حاز شرفاً شريفاً وفخراً فاخراً، وفاق أكثر الشهداء وأمتاز على ما عدا أهل العصمة في الدنيا والآخرة، أما الدنيا فهذا مرقده الشريف وقبته المنيفة مقصد الزائرين، وملجأ ذوات الحاجات تقصده الناس من البلاد النائية والأقطار الشاسعة للزيارة وطلب الحوائج في السنة مرات عديدة، فإليه وإلى أبيه وأخيه تشد الرحال من الشرق الأقصى والأدنى: (الصين والهند والحجاز واليمن والافغان وإيران وتركستان وغيرها من الأقطار العربية والهندية والفارسية والتركية).

وأما في الآخرة فقد أخبرنا بمنزلته السامية ومرتبته العظيمة الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين «عليه السلام» حيث يقول: «إن لعمي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء» الحديث الآتي، ومن كان يغبطه جميع الشهداء على درجته ومنزلته فهو المقدم بلا أرتياب ولا تشكيك بنص هذا الحديث، وإنما غبطه جميع الشهداء لعلو درجته، وأستوجب علو الدرجة عليهم بأمور انفرد بها عنهم

---

(١) الأعراف: ٦٩.
(٢) البقرة: ٢٤٧.
(٣) القصص: ٢٦.
(٤) النجم: ٦.

منها إنه قاسى أكثر مما قاسوه عناء وكابد أشد مما كابدوه محناً وقد جاء في الأثر: «الأجر على قدر المشقة» وقد أختص «عليه السلام» بالإيثار الذي سنذكره وبتضحية أشقائه نصب عينيه الواحد تلو الآخر، وكانوا ثلاثة لأمه شباب لا أعقاب لهم وبتضحية ولديه نصب عينيه أحدهما عقيب الآخر ولم نعلم أن هذين الأمرين أجتمعا لواحد من الشهداء سوى أخيه الحسين «عليه السلام».

أما المحن التي كابدها دون الشهداء فالعطش الذي أصابه يوم القتال، ومداراة نساء مذعرات ترهب هجمات الأعداء آونة فآونة، وترتقب الأسر ساعة فساعة، ومداراة أطفال صغار أرعبهم ضجيج الأعداء ووقع سنابك الخيل، وأرهبهم ومض الأسلحة وبريقها ولمعانها المدهش.

وكابد من المحن أن شاهد مصارع الأحبة من إخوته وذوي قرباه الذين لم يسمح الدهر لهم بنظير.

ومن المحن التي شاهدها وقد غطت على كافة المحن أن شاهد وحدة أخيه الحسين «عليه السلام» وندائه: «وا قلّة ناصراه! وا غربتاه!».

ومن المحن التي شاهدها وهي مما يؤلم مهجة الغيور، ويقرح قلب الأبي المتحمس صراخ العائلة وهتاف العقائل المخدرات ينادين: «أبا عبد الله! ردنا إلى حرم جدنا»، وهو يقول لسيدتهن زينب الحوراء: «هيهات، جرى القضاء وجفّ القلم».

فهذه المحن مع تلك الخصائص والخصال قد أوجبت له زيادة فضل على الشهداء، فكان له من مجموع أجر الشهادة وأجر الصبر على الابتلاءات العظيمة درجة يغبطه بها جميع الشهداء.

ومن جهة ثانية إن الشهادة ذات نوعين: شهادة للدعاية في سبيل إشادة الدين والدعوة إلى الإسلام وذاك سبيل الغزاة والمجاهدين، وشهادة للدفاع عن حشاشة المعصوم والمدافعة عن حياته، وهذه سبيل الخلص والخواص وهي بلا ريب أفضل الشهادتين، لأن حفظ النبي والإمام «عليهما السلام» أفضل من جلب رجل إلى الإسلام، ولذلك كانت وقعة بدر أفضل الوقائع، والبدري أفضل من غيره وشهيد بدر أفضل من سائر الشهداء، لأنها لم تكن غزوة في سبيل توسعة الإسلام بل كانت دفاعاً عن حشاشة رسول الله ﷺ، ووقاية له، ثم وقعة أُحد وهي دونها رتبة في الفضل وإنما كانت دونها في الفضل وقد أشتركتا معاً في الدفاع عن حشاشة النبي ﷺ لأنها كانت أكثر عدداً وأحسن عُدداً، فإن من شهد بدراً أقل

ممن شهد أُحداً من الصحابة بالضعف أو أقل منه، ومن شهد أُحداً أكثر عدداً وأكمل عُدداً وبالقرب منهم المدينة، وهي حصن حصين وفيها جمع تخلفوا عن الحرب فكانت محنة أهل بدر أعظم وموقفهم أشد حراجة، فإذا كانت المحنة أقوى والشدة أعظم كان الجزاء أوفر والحباء أكبر.

ومما لا يستراب فيه أن محنة شهداء كربلاء أعظم المحن، وبلائهم أشد البلاء من حيث قلة العدد وأنقطاع المدد، وبُعد الأهل والوطن وهم في حصار شديد في فلاة قاحلة وبادية جرداء عُدم فيها الماء وعزت الأقوات وأدهشهم مع ذلك البلاء المبرم صراخ النسوة وصياح الصبية، كل هذا ونحوه مما لم يُبتلى به أهل بدر لإمكان مجيء المدد إليهم لو طلبوه، وحصول النجدة إن أرادوها والأهل والوطن منهم قريب لو أرادوا انسحاباً ووجود الماء عندهم وحصول الأقوات لديهم، فمن أجل أجتماع هذه المحن لأهل كربلاء نالوا بذلك الدرجات العُلى، وقد أصاب الشاعر نعتهم بقوله:

هم خير أنصار براهم ربهم ... للدين أول عالم التكوين

وقوله:

هم أفضل الشهداء والقتلى الأُولى ... مُدحوا بوحي في الكتاب مبين

إنتهى بقلم المؤلف

عبد الواحد آل مظفر النجفي

الفصل الأول
في نسب العباس الأكبر
بن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب «عليهما السلام»

وفيه ذكر آبائه تفصيلاً من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى عدنان، وذكر أُمهاته وأخواله وأعمامه وإخوته وأولاده وأحفاده.

سلسلة آبائه الكرام إلى عدنان

أتفق علماء الأنساب وقالوا قولاً واحداً في أتصال نسب رسول الله ﷺ إلى عدنان، وأختلفوا فيما بين عدنان وآدم «عليه السلام» ونحن نورد ما أتفقوا فيه ونترك ما أختلفوا فيه.

قد ذكر ابن إسحاق برواية ابن هشام في سيرته، والسيد الداوودي في عمدته، وابن قتيبة في معارفه، والمسعودي في مروجه، والقلقشندي في نهايته، وابن واضح في تاريخه، والطبري في تاريخه، والحلبي والدحلاني في سيرتيهما، وغيرهم من النسابين، وجميع ما ذكرنا ينسبون رسول الله ﷺ ونحن نوصله بالعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» فنقول:

هو أبو الفضل العباس الأكبر بن وصي رسول الله علي بن أبي طالب بن شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضير بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا نسب اتفق عليه النسابون، ولكل واحد من هؤلاء الآباء الكرام شرف ورئاسة ومجدٌ ضخمٌ، وكل واحد منهم في عصره سيد قومه وزعيمهم المقدم عليهم بما أمتاز به من كرم الأصل، ومكارم الأخلاق، لأن كل فردٍ منهم لا يشبهه من في عصره لا عربي ولا أعجمي في جميع المكارم وسائر السجايا والشيم فهو الممتاز من حيث الصفة البدنية كالصباحة وحسن الملامح والسيماء التي يتفرس منها كل خير وكما كساه الله الجمال والبهاء كساه المهابة والجلالة وحسن الهيئة وبجله في

أعين الناظرين وجعل له رهبة في قلوب المنائين، أما من حيث الصفات النفسية النفيسة فقد أربى عليهم وفاقهم كمالاً كما راقهم جمالاً فلا يدانيه رئيس ولا متوج في جل محامد العرب كالبطولة والنشاط النفسي لاقتناء المكارم نحو الشجاعة والسخاء والفصاحة وسائر المفاخر المنتخبة والمكارم المتخيرة عند عامة العقلاء وكل واحد منهم قاد قومه في الحروب وكان مع تفوقه بفن القيادة مظفراً منصوراً، ونحن نختصر لكل عظيم منهم ترجمة مختصرة من مطولات آثاره، ونورد موجزاً من المبسوط في أحواله مما به الكفاية.

(١) عدنان بن أد:

الجد الأعلى لرسول الله ﷺ وإليه ينتهي النسب المتفق عليه.

قال مفتي الشافعية في مكة زيني دحلان في سيرته عن الزبير بن بكار: إن أول من وضع أنصاب الحرم عدنان، قيل: هو أول من كسى الكعبة أو كُسيت في زمانه.

وجاء: إنما سمي عدنان من العدن وهو الاقامة، لأن الله أقام ملائكة لحفظه، وسبب ذلك أن أعين الأنس والجن كانت إليه مصروفة وأرادوا قتله وقالوا: لأن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدارك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس، فوكل الله به من يحفظه الخ.

وذكر مثله الديار بكري في تاريخ الخميس والمسعودي في إثبات الوصية وزاد بعد قوله «من يحفظه»: فنشأ أحسن أهل زمانه خَلقاً وخُلُقاً.

وفي تاريخ الخميس: إن الملك الموكل بحفظه علّمه ملّته، وأن فيه نور رسول الله ﷺ.

وذكر ابن واضح شرفه وأنه أول من وضع أنصاب الحرم وكسى الكعبة.

وذكر هؤلاء كلهم أن عدنان أصل القبائل العدنانية كلها، ومنه تفرقت شعوبها وقبائلها، وولد له ولدان: عك بن عدنان، وأختلط باليمن فأنتسب إليهم، ومُعد بن عدنان وهو الأصل الثاني للقبائل العدنانية الأسماعيلية.

ويقال: إنه الذي حمله أرمياء على البُراق، ففي تاريخ الخميس[١] ذكر الزبير بن بكار أن بختنصر لما أمر بغزو بلاد العرب وإدخال الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاص الله وأستحلالهم محارمه وقتلهم أنبيائه وردهم رسالاته،

---

(١) انظر تاريخ الخميس ١/ ٦٦.

أمر أرمياء بن حلقيا - وكان فيما ذُكر نبي بني إسرائيل في ذلك الزمان - أن ائت معد بن عدنان الذي من ولده محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين فأخرجه عن بلاده وأحمله معك إلى الشام وتولى أمره قبلك، ويقال: بل المحمول عدنان، والأول أكثر.

ذكر ابن خلدون في تاريخه العبر[١] ما لفظه: قال الطبري: لما قتل أهل حضورا شعيب بن ذي مهدم نبيهم أوحى الله إلى أرميا وبرخيا من أنبياء بني إسرائيل بأن يأمرا بختنصر بغزو العرب ويعلماه أن الله سلطه عليهم، وأن يحملا معد بن عدنان إلى أرضهم ويستنقذاه من الهلكة لما أراده الله من شأن النبوة المحمدية في عقبه - كما مر ذلك من قبل - فحملاه على البُراق ابن اثنتي عشر سنة وخلصا به إلى حران، فأقام عندهما وعلماه علم كتابهما وسار بختنصر إلى العرب فلقيه عدنان فيمن أجتمع إليه من حضورا وغيرهم بذات عرق فهزمهم بختنصر وقتلهم أجمعين ورجع إلى بابل بالغنائم والسبي والقاهم بالانبار ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خراباً حقباً من الدهر حتى إذا هلك بختنصر خرج معد في أنبياء بني إسرائيل إلى مكة فحجوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم وتعطف عليهم أهل اليمن بولادة جرهم فرجعتهم إلى بلادهم وسأل عمن بقي من أبناء الحارث بن مضاض الجرهمي فقيل له: بقي جرهم بن جلهمة فتزوج بابنته معانة فولدت نزار بن معد.

وذكرها الحافظ ابن كثير في تاريخه[٢] كذلك عن الطبري وذكر أن معداً تزوج معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان برخيا كاتب أرميا قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرميا فيحفظ نسب معد كذلك.

وفي قصيدة الناشيء الشاعر الشهير وذكرها جماعة من المؤرخين منهم ابن كثير في البداية، يقول فيها:

وما زال عدنان إذا عد فضله توحد فيه عن قرين وصاحب

قال ابن الاثير في الكامل[٣] في أخبار بختنصر ما لفضه: وسار إلى العرب بنجد والحجاز فأوحى الله إلى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا إلى معد بن عدنان

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون - الطبعة الثانية - ٢/ ١٠١٢.
(٢) البداية النهاية ٢/ ١٩٤.
(٣) الكامل في التاريخ ١/ ١١٦ الطبعة الأولى.

فيأخذاه ويحملاه إلى حران، وأعلمهما أنه يخرج من نسله محمد ﷺ الذي يختم به الأنبياء فسارا تطوى لهما المنازل والأرض حتى سبقا بختنصر إلى معد فحملاه إلى حران في ساعتهما، ولمعد حينئذٍ اثنتا عشر سنة، وسار بختنصر فلقي جموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم، وسار إلى الحجاز فجمع عدنان العرب فالتقى هو وبختنصر بذات عرق فأقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزم عدنان وتبعه بختنصر إلى حصون هناك وأجتمع عليه العرب، وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه، فكمن بختنصر كميناً - وهو أول كمين عمل - وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل، ونهى عدنان عن بختنصر، وبختنصر عن عدنان فأفترقا، فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الأنبياء حتى أتى مكة فأقام أعلامها، وحج، وحج معه الأنبياء ثم أتى معد ريشوب وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي، فقيل له: بقي جوشم[1] بن جلهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد إنتهى.

ولد عدنان معد وعك

وعن السهيلي: الحارث بن عدنان أيضاً والمذهب بن عدنان.

وعن غير السهيلي: الضحاك خامساً، وعدن وأبين ابنا عدنان، نسب هذا القول للطبري، كل هذا حكاه ابن كثير في تاريخ البداية والنهاية على خلاف في الأربعة وأتفاق في معد وعك.

(٢) معد بن عدنان:

أشهر العرب في عصره وأعظمهم فخراً، وهو الأصل الثاني للعرب العدنانية حتى كان يقال في تقسيم العرب هكذا: قحطاني ومعدي، وأكثر العرب العراقية اليوم من نسله، فأفتخارهم بالمجد اليعربي تبعاً لمصر، ناشئ عن الجهل والغباوة، وأنا اقول:

أيها الفاخر بالمجد افتخر ... بأبي المجد معد ذي الفخار

إنما المجد تراث جاءنا ... من معد وابنه السامي نزار

قد ذكرنا في ترجمة عدنان حمل أرمياء النبي لمعد على البراق حتى نجا من تلك الحرب الطاحنة بين العرب والكلدان التي شبها نبوخذ ناصر المجرم.

---

(١) في نسخة: جوشن.

ذكر الحلبي والدحلاني والدياربكري وغيرهم أن معد بن عدنان كان صاحب حروب ومغازي لكن ياقوت الحموي في معجم البلدان يذكر[١] أن غزو بختنصر للعرب كان في زمن يوحنا بن اختيار بن زربابل ابن شليشل من ولد يهوذا بن يعقوب.

وقد ذكرنا أن يوحنا هذا كان بنجران ولعله الأنسب بالمقام حيث أن أرمياء كان بعد زمن موسى بن عمران وقد ذكروا أن معد بن عدنان كان في زمن موسى «عليه السلام» وأنه كان يغزو بني إسرائيل، صرح بذلك جماعة حتى الحلبي نفسه وهذا لفظه في سيرته: في الطبراني: عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلاً وقعوا في عسكر موسى «عليه السلام» فأنتبهوا فدعى عليهم موسى، فأوحى الله إليه لا تدع عليهم فإن منهم النبي الأمي البشير النذير، إنتهى.

وأتفق أهل السير أن الذي أغار على عسكر موسى «عليه السلام» هو معد نفسه سوى الديار بكري فإنه قال: ابنه الضحاك بن معد وهذا لفظه في تاريخ الخميس: الزبير بن بكار عن مكحول قال: أغار الضحاك بن معد في أربعين رجلاً من بني معد عليهم دراريع الصوف خاطمي خيولهم بحبال الليف فقتلوا وسبوا وظفروا، فقالت بنو إسرائيل: يا موسى! إن بني معد أغاروا علينا وأنت بيننا فأدعوا الله عليهم، فتوضأ وصلى وكان إذا أراد حاجة من الله صلى، ثم قال: يا رب! إن بني معد أغاروا بني إسرائيل فقتلوا وسبوا وظفروا فسألوني أن أدعوك عليهم، فقال الله تعالى: لا تدع عليهم فأنهم عبادي وإنهم ينتهون عند أول أمري وإن فيهم نبيّاً أُحبه وأُحب أُمته، قال: يا رب! ما مبلغ محبتك له؟ قال: أغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: يا رب! وما بلغ من محبتك لأُمته؟ قال: يستغفرني مستغفرهم فأغفر له، ويدعوني داعيهم فأستجيب له، قال: يا رب! فأجعلهم من أمتي، قال: نبيهم منهم. قال: يا رب! فأجعلني منهم، قال تقدمت واستأخروا.

قال الزهري: لما بلغ بنو معد عشرون رجلاً أغاروا على عسكر موسى «عليه السلام» فدعا الله عليهم فلم يجب فيهم ثلاث مرات، فقال: يا رب! دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيءٍ فقال: يا موسى دعوتني على قومٍ منهم خيرتي آخر الزمان، إنتهى.

ورواية مكحول أقرب إلى العقل من رواية الزهري لأن في رواية الزهري رد

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٧٧.

لدعاء النبي «عليه السلام» ورواية مكحول سالمة من ذلك لأنه أراد أن يدعوا عليهم فنهاه الله وهذا لا يستلزم رد دعاء النبي ﷺ ولا يحتاج لجواب لو صدر بأعتراض معترض، وقال: ما المانع من قبول دعوة موسى في غير من يكون من صلبه النبي محمد ﷺ؟ ومع رواية مكحول يسقط هذا الأعتراض.

قال ابن واضح في تاريخه[1]: كان معد أول من وضع رحلاً على جمل وناقة، وأول من زمها بالنساع، إنتهى.

كان معد بن عدنان شريفاً زعيماً، قائداً مضفراً منصوراً، وبطلاً شجاعاً، وسخياً جواداً، ومؤمناً موحداً ذا عفه وشهامة وجد وصرامة، مرهوباً مهاباً مسدد الرأي، مجدوداً موفقاً، ذا غارات ومغازي يصاحبه فيها النصر والظفر وكان سر تلك الغلبة هو التأييد الرباني، ومن لحظته العناية الربانية أستعلى، وكان نور النبي ﷺ يتلألأ في غرته، وتسطع أنواره في جبينه.

ولما مات أبوه عدنان أحتوى على ميراثه المجدي وحاز تراثه الشرفي من لواء وقوس وأفراس وأسلحة وغيرها وذاك اللواء هو لواء شيث بن آدم أو لواء الخليل إبراهيم على الرأيين التاريخيين، والقوس هي العربية قوس إسماعيل «عليه السلام» وإنما حاز ذلك معد لأنه أكبر إخوته وأنبلهم وأسيرهم ذكراً وأبعدهم صيتاً ومغاراً وأكثرهم مآثراً وأثاراً، فله الصوت الأول في أندية مجد العروبة والصيت الذائع في أرجاء الجزيرة العربية وليس بمستعرب كما يزعمون دون بني يعرب لأمور:

أحدها: إن كان العربي المحض فطر على العربية بتعليم إلٰهي فقد كان إسماعيل ذلك النبي الذي فتق لسانه بالعربية، ومجاورة العرب له لا تجعله تلميذاً لهم، وأختلاف اللغتين دليل على نفيه.

ثانيهما: إن العربي المحض إن كان شرطه أن لا يسبق بأُمة من العرب فهذا لا يخص بني إسماعيل بل بنو يعرب كذلك وعليه يصح رأي بعض النسابين في انقسام العرب المستعربة إلى قسمين هما عدنان وقحطان.

ثالثها: إن علماء الأنساب ذكروا أن العرب العاربة هي البائدة خاصة والتحقيق على اثبته أهل العلم من أن الله تعالى فطر لسان إسماعيل بالعربية، وإن أبيت إلَّا جنوحاً لرأي من لم يحقق فقل الباقي من العرب هو القسم المستعرب،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٣ طبعة النجف.

سواء في ذلك القحطاني والعدناني، ولهذين الشعبين اليعربي والمعدي تصاول في الشرف ونضال في اكتساب الفضائل، التصاول الحقيقي والنضال الجدي قولياً مرةً وفعلياً أُخرى، وما أكتسب أحد المتناظرين مكرمة إلَّا وقام الآخر في تحصيلها.

ولم تزل الشعوب العدنانية تتقدم التقدم المدهش تجري أمام مجدها الخالد جري السيل المنحط من الهضبات الشامخة ومنذ استقل معد بالزعامة مع ما فيه من الكفاءة وأجتماع غرائز الفضل الطبيعية نهض بأعباء الزعامة أحسن نهوض، وقام بشؤون الرئاسة القيام المرضي، فحمل اللواء ونشر علمه المظفر الخافق بالنصر والغلبة، وقاد جيشه المؤلف من أربعين جندياً من ولده وأُسرته، فكان يلقى بذلك الجيش الصغير الجيوش الكبيرة ويصدم بذلك العدد النزر الأعداد الكثيرة، فحارب الشعوب القحطانية والإسرائيلية فيكون له الظفر في جميع المعارك الدامية، والمعامع الحربية التي خاضها وأصطلاها بنفسه.

وليس من السهل في أحظار الفكر وأستحضاره لمثل هذه الكتيبة الخشناء النزرة العدد أن تلاقي جيوش التبابعة التي دوخت الأمم من أقصى أفريقية الغربي إلى تخوم الصين الشرقي، وأن من الصعب تصور أن مثل هذه الفئة القليلة أن تخاطر بنفسها على اقتحام مثل هذه الأخطار، وتقتحم أيضاً على جيش موسى بن عمران الذي تفوق بأستيلائه على أُمم العمالقة والأنباط السائدة في ذلك العصر، لولا أن التاريخ أوقفنا على رمز هذه القضايا ليعلمنا كيفية التجاسر والاقدام على المخاطرة في سبيل إحياء مجدنا، لقلنا أن مثل هذه الحكايات من أساطير الأولين، وغرائب التأليف، وأن عدداً مثل هذا العدد أستدعى بهمته أن يلوذ قائد الأُمم الإسرائيلية الراجح في ميزان الحرب كفتها وذلك ببركة قائدها النبي العظيم بالالتجاء إلى الدعاء، والاعتصام بالاستغاثة، إن مثل هذا مما يعلمنا قوة اعتضاد القومية وائتلاف الجنسية مما يكشف لنا بغير أرتياب أن الإخلاص في التعاضد والنصح في التعاون القومي من أسباب الانتصار الوحيد.

قال المسعودي في إثبات الوصية[1]: **إنما سمي معداً لأنه كان صاحب حروب وغارات على يهود بني إسرائيل، ولم يواقع أحداً إلَّا رجع منصوراً مظفراً، فجمع من المال ما لم يجمعه أحد في زمانه، إنتهى.**

---

(١) إثبات الوصية: ص٧٣ طبع النجف.

نشأ معد بن عدنان في عصر كيخسرو ملك الفرس وأفريقس الحميري ملك العرب، قاله أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال[١].

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس[٢] بعد أن أُمه تسمى الأمينة، قال: وأما معد ابن عدنان ففيه نور رسول الله ﷺ ولم تعرف ملته، وإنما سمي معداً لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل لم يحارب أحداً إلَّا رجع بالنصر والظفر... الخ.

وقد تمحل هذا المؤرخ في قوله: «ولم تعرف ملته» وقد صرحوا إنه كان على دين إبراهيم «عليه السلام»، نص عليه الطبري، ورواه عنه الدحلاني[٣] ولفظه: روى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلَّا بخير، الخ.

ولو أستوفينا الأقوال في إثبات إيمانهم لخرجنا عن الموضوع، وفي بائية الناشئ:

وكان معد عدة لوليه ... إذا خاف من كيد العدو المحارب

أما ولد معد بن عدنان منهم نزار وقضاعة وقنص وأياد، قاله ابن إسحاق[٤].

وتفصيل أحوالهم يستدعي تطويلاً، فراجع كتب الأنساب على أن ابن عبد البر في كتاب الإنباه وإن ذكر أنهم ثمانية وسمى بعضهم فقد أنكر أن يكون له غير نزار.

(٣) نزار بن معد بن عدنان:

قد كان نزار من سادات العرب وحكمائهم، وقد فاق أهل زمانه جمالاً وكمالاً، ففي بائية الناشئ:

وحل نزار من رياسة أهله ... محلاً تسامى عن عيون الرواقب

قال ابن واضح في تاريخه[٥]: كان نزار بن معد سيد بني أبيه وعظيمهم، ومقامه بمكة.

زاد في تاريخ الخميس[٦]: إن قبره وقبر ابنه ربيعة بذات الجيش قرب المدينة.

---

(١) الأخبار الطوال: ص١٦ الطبعة الأولى بمصر.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٦٦ طبعة الأولى بمصر.
(٣) السيرة الدحلانية ١/ ١٣ بهامش السيرة الحلبية.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٠، طبعة أولى.
(٥) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٣.
(٦) تاريخ الخميس ١/ ١٦٧.

وفي السيرة الدحلانية[١]: إن نزار لما ولد نظر أبوه إلى نور النبي ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم، وقال: إن هذا كله نزر أي قليل في حق هذا المولود فسمي نزارا وكان اجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلاً.

وفي السيرة الحلبية[٢]: إنه أول من كتب الكتاب العربي.

وقال الماوردي في أعلام النبوة[٣] بعد أن ذكر أباه معداً: ثم ازداد العز بولده نزار، وأنبسطت به اليد، وتقدم عند ملوك الفرس وأجتباه بشتاسف ملك الفرس، وكان اسمه خلدان، وكان مهزول البدن، فقال الملك: مالك يا نزار؟ تفسيره في لغتهم يا مهزول، فغلب عليه هذا الأسم فسُمّي نزاراً، وفيه يقول قمعة ابن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان:

جديساً خلفناه وطمساً بأرضه ... فأكرم بنا عند الفخار فخارا

فنحن بنو عدنان خلدان جدنا ... فسماه يستشف الهمام نزارا

فسمي نزاراً بعدما كان إسمه ... لدى العرب خلدان بنوه خيارا

وقال ابن خلدون في تاريخه[٤]: فأما قنص بن معد فكان له الإمارة بعد أبيه على العرب، وأراد إخراج أخيه نزار فأخرجه أهل مكة وقدموا عليه نزاراً، ولما احتضر قسم ماله بين ولده، الخ.

وقال الأب لويس اليسوعي[٥]: نزار بن معد بن عدنان هو من العرب المستعربة، ولد له أربعة أولاد وهم مضر وربيعة وأياد وأنمار، تفرع منهم قبائل كثيرة، وقيل: إن نزاراً كان في أيام موسى الكليم، وكان رجلاً حكيماً عاش ٩٠ سنة، إنتهى.

وأتفق علماء النسب إنه لا عقب له غير هؤلاء الأربعة، نزار هو الأصل الثالث للقبائل العدنانية، فيقال: عدناني ومعدي ونزاري ولا جامع لهم بعد نزار.

وقال الطبري في التاريخ[٦]: قيل إن نزار كان يكنى أبا أياد وقيل: بل كان يكنى أبا ربيعة، أُمه معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو، وإخوته لأبيه وأُمه قنص وقناصة وسنام وحيدان وحيدة وجنيد وجنادة والقحم وعبيد الرماح والعرف وعوف وشك وقضاعة، وبه معد كان يُكنى وعدة درجوا، الخ، وفصل أخبارهم البكري.

---

(١) السيرة الدحلانية ١/ ١١ هامش الحلبية.
(٢) السيرة الحلبية ١/ ١٩.
(٣) أعلام النبوة: ص١١٨.
(٤) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١١٣ الطبعة الثانية.
(٥) شرح مجاني الأدب ١/ ٣٣.
(٦) تاريخ الطبري ٣/ ١٩٠.

(٤) مضر بن نزار الملقب بمضر الحمراء:

وجدير بالذي أفتخر به أن يعطس شامخاً، ويتنحنح باذخاً، ويلمس السماء قاعداً، ويتناول الثريا ساجداً.

قال ذلك العربي الشاعر، بل الاديب الساحر الذي خلب بعذوبة شعره وسلب العقول برشاقته، ومهما بالغ في الأفتخار فالشعر أعذبه أكذبه:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصري حازم وابن حازم
عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

وفي بائية الناشئ:

وفي مضر يستجمع الفخر كله إذا اعتركت يوماً زحوف المقانب

لا غزو لو أستجمعت المفاخر كلها في مضر، وهل المفاخر إلَّا مواهب يفيضها الله تعالى على من يشاء من عباده؟ إنّا على أي الحالين قلنا على رأي الأشاعرة ومن أستمد من آرائهم الحجرية التي جمدت على قلوب معتقديها بحصر الأفعال كلها بالإرادة وإحالتها جميعاً على القضاء وعليه فلا مانع دون الفيوض الإلٰهيّة والمواهب الربانية، أم على رأي المعتزلة وانحرافهم عن الجادة السمحاء بمنع آثار القدرة وما أخالها إلَّا عقائد مادية ونزعة فلسفية تبتني على مذهب النشأ والارتقاء بإحالة صدور الأفعال من الفيض الأعلى بدعوىٰ استقلال العبد بأيجاد عامة الأفعال، . . . وهذا مع كونه بديهي الفساد إذ عليه أن لا ينبغي للإنسان الوقوع بالخطر، وعلى كل فلا مانع من وجود استعداد عظيم وقابلية مهمة تبعث صاحبها على الإتيان بصالح الأعمال وعلى رأي الإمامية وهو الطريق المعتدل والواسطة بين التفريط والإفراط بأن الإنسان بين الاختيار المطلق والجبر المطلق، وعلى هذا المذهب الصحيح الذي يعضده الحس ويشهد له الوجدان أن مضر بن نزار تفرد من ناحية الفيض الرباني عن أقرانه بما حباه الله به من الخصال الحسنة، وتميز على معاصريه بما أكتسبه من الفضائل التي دلته عليها الغرائز الفطرية فأصبح بمعونة هذين الأمرين فريد وقته ونادرة عصره، وإليهإنتهى مجد العدنانية وفخر المعدية، فكانت له الرئاسة والزعامة على كافة ولد عدنان وله أعظم مكرمة وأجل منقبة نال بها شرف المحيا والممات ما حواه صلبه وتلألأت به غرته الغراء من نور سيد البشر وخاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ.

ففي السيرتين الحلبية والدحلانية[1] فلفظ الأخير جاء: أن مضر إنما سمي

(١) ١/ ١٣ هامش السيرة الحلبية.

مضراً لأنه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله، ولم يره أحد إلَّا أحبه وكان يشاهد في وجهه نور النبي ﷺ ومن كلامه: خير الخير أعجله فأحكموا أنفسكم على مكروهها وأصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلَّا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين، وهو أول من حدى لإبل وكان من أحسن الناس صوتاً، ويقال له: مضر الحمراء، وقبره بالروحاء.

وقال ابن واضح[١]: وأما مضر بن نزار فسيد ولد أبيه وكان كريماً حكيماً.

وقال الفيروز ابادي في القاموس مادة مضر ومعناه اللبن الحامض ما لفظه: ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء، سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر.

وقال في مادة حمر: ومضر الحمراء لأنه أُعطى الذهب من ميراث أبيه، وربيعة أُعطي الخيل أو لأن شعارهم في الحرب الرايات الحمراء، إنتهى.

فذكر لتسمية مضر وجوهاً أربعةً أشهرها عند المؤرخين إختصاصه بالحمر من الأموال.

قال المسعودي في إثبات الوصية[٢]: إنما سمي مضر لأنه أخذ بالقلوب فلم يره أحد إلَّا أحبه، وكان صاحب قنص وصيد، وكان كل واحد منهم - يعني أجداد النبي ﷺ - يأخذ على ابنه أن لا يتزوج إلَّا أطهر النساء في زمانه، وكانت الكتب تعلق في البيت الحرام فلم تزل معلقة من لدن إسماعيل إلى أيام الفيل.

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس[٣]: وتزوج نزار امرأة يقال لها عبيدة فولدت له مضر، وكان مسلماً على ملة إبراهيم وفيه نور رسول الله ﷺ وإنما سمي مضر لأنه أخذ بالقلب، ولم يكن يراه أحد إلَّا أحبه، يقال: إنه هو أول من سن الحداء للابل، وكان من أحسن الناس صوتاً، وقيل: بل أول من سن الحداء للابل عبدٌ له ضرب مضر يده ضرباً وجيعاً، فقال: يا يداه يا يداه، فشرع يحدو وكان حسن الحداء.

وفي الاكتفاء: ولد نزار بن معد أربعة بنين: مضر وربيعة وأنمار وأياد، وإليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكره الزبير، وأمهم سودة بنت عك بن عدنان، وقيل: هي أُم مضر خاصة، وأُم إخوته الثلاثة شقيقتها بنت عك بن عدنان، وقيل: إن أياداً شقيق لمضر، أُمهما معاً سودة.

وقد ذكر هو والحلبي وغيرهما أحاديثاً من طرقهم تصرح بإسلامه.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٦.
(٢) إثبات الوصية: ص٧٤.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ١٦٧.

وهنا قصة نزفها للقراء وإن طالت لما فيها من الفوائد على دلالة صدق الحدس وإصابة حسن الفراسة، وإنها تدل على نباهة مضر وإخوته وذكائهم المفرط، وهي مشهورةٌ عند المؤرخين ذكرها الميداني والماوردي والدياربكري والدميري وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهم، ونصها:

أنه لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم أربعة مضر وربيعة وأياد وأنمار، وقال: يا بني! هذه القبة وهي من آدم حمراء وما أشبهها من المال لمضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، وهذه الخادم وما أشبهها من المال لأياد وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه.

ثم قال لهم: إن أشكل عليكم الأمر في ذلك وأختلفتم في القسمة فعليكم الأفعي بن الأفعي الجرهمي.

وإنه لما مات نزار توجهوا إلى الافعي وكان ملك نجران فبينما هم يسيرون إذ رأى مظر كلاء قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعي هذا أعور، فقال ربيعة وهو أزور، وقال أياد: هو أبتر، وقال أنمار: هو شرود، فلم يسيروا إلّا قليلاً حتى لقيهم رجل فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو أعور؟ قال نعم، فقال ربيعة: أهو أزور؟ قال نعم، وقال أياد: أهو أبتر؟ قال: نعم، وقال أنمار أهو شرود؟ قال نعم، هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أُصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته، ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالأفعي الجرهمي.

فنادى الشيخ صاحب البعير: هؤلاء أصابوا بعيري فإنهم وصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره أيها الملك.

فقال الافعي: كيف وصفتموه ولم تروه؟

فقال مضر: رأيته رعى جانباً وترك جانباً، فعلمت أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لأزوراه.

وقال أياد: رأيت بعره مجتمعاً فعلمت أنه أبتر ولو كان ذيالاً لمصع به.

وقال أنمار: رأيته رعى الملتف نبته ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه فعلمت أنه شرود.

فقال الأفعي للشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فأطلبه.

ثم سألهم من هم؟ فأخبروه، فرحب بهم ثم قال: أتحتاجون إليّ وأنتم كما

أرى؟ فدعى لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا.

فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها نبتت على مقبرة.

وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أجود لولا أنه رُبّي بلبن كلبة.

وقال أياد: ولم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه ليس بابن الذي يُدعى إليه.

وقال أنمار: لم أر كاليوم خبزاً أجود لولا أن التي عجنته حائض.

وكان الأفعي قد وكل بهم من يستمع كلامهم، فأعلمه بما سمع منهم، فطلب صاحب شرابه وقال له الخمر ما قصتها؟ قال: هي من كرمة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب منه.

وقال للراعي: اللحم ما أمره؟ قال: من لحم شاة أرضعتها بلبن كلبة ولم يكن في الغنم أسمن منها.

فدخل داره وسأل الأمة التي عجنت العجين فأخبرته أنها حائض.

ثم أتى أُمه وسأل منها عن أبيه، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فمكنت رجلاً نزل بهم من نفسها فوطأها فأتت به.

فتعجب من أمرهم ودس إليهم من سألهم عما قالوا، فقال مضر: علمت أنها من كرمة غرست على قبر لأن الخمر إذا شربت ازالت الهم وهذه خلاف ذلك لانا لما شربناها دخل علينا الغم.

وقال ربيعة: إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من كلبة لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم إلّا الكلاب فإنها عكس ذلك فرأيته موافقاً له في الصفة فعلمت أنها لحم شاة رضعت من كلبة فأكتسب اللحم منها هذه الخاصية.

وقال أياد: إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذي يُدعى له لأنه صنع لنا طعاماً ولم يأكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لأن أباه لم يكن كذلك.

وقال أنمار: إنما علمت أن الخبز عجنته حائض لأن الخبز إذا فت انتفش في الطعام وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض.

فأخبر الرجل الأفعي فقال: ما هؤلاء إلّا شياطين، ثم أتاهم فقال: قصوا قصتكم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم عند أختلافهم.

فقال: ما أشبه القبة من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهي حمر، فسمي مضر الحمراء.

ثم قال: وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة الفرس.

ثم قال: وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال لأياد فصارت له الماشية البلق من خيل وغيرها.

وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده، إنتهى.

أولاد مضـــر

لم يكن لمضر غير رجلين أحدهما إلياس والثاني الناس وهو عيلان عند ابن إسحاق، وعند غيره عيلان هو قيس بن الناس بن مضر وهو المشهور عند عموم العرب.

(٥) إلياس بن مضر:

رأس العدنانية بعد أبيه مضر وزعيمها المطاع، في بائية الناشئ:

وللـيأس كـان إلـيأس منـه مـقـارنـاً لأعـدائـه قـبـل اعـتـداد الـكـتـائـب

كان إلياس بن مضر مطاعاً في العرب لا يرد له رأي، ولما استلم زمان الرئاسة بعد أبيه مضر نهض بأعبائه نهوضاً حسناً، وازداد مجده، وتضاعف سؤدده، وهابته العرب وعظمته، وألقت إليه أزمة الطاعة، وأعترفت له بالسيادة، وأذعنت لجودة رأيه فأستكانت خاضعة، فجدد لها سنن إبراهيم الخليل «عليه السلام» بعد أن تركتها حقباً، وبلغ من شرفه عند العرب أن سمت داء الحبن أو داء الاستسقاء داء إلياس لأنه توفي فيه.

قال ابن واضح في تاريخه[١]: كان إلياس بن مضر قد شرف وبان فضله، وكان أول من أنكر على بني إسماعيل وما غيروا من سنن آبائهم، وظهرت منه أُمور جميلة رضوا به رضاً لم يرضوا بأحد من ولد إسماعيل «عليه السلام» بعد أدد، فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سننهم تامة على أولها، وهو أول من أهدى البُدن إلى بيت الله، وأول من وضع الركن بعد هلاك إبراهيم «عليه السلام» فكانت العرب تعظم إلياس تعظيم أهل الحكمة.

وقال علي دده الحنفي في كتاب محاضرات الاوائل والاواخر[٢] ولفظه: وأول من أهدىٰ البُدن إلى بيت إلياس بن مضر، وكان يسمع تلبية النبي ﷺ في

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٧.

(٢) محاضرات الأوائل والأواخر: ص٦٠.

صلبه، وهو أول من وضع مقام إبراهيم للناس بعد الطوفان ولم تزل العرب تعظمه، وقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا إلياس بن مضر وهو من مؤمني أهل الفترة.

وذكر الحلبي والدحلاني الشافعيان، ولفظ الأخير[١]: وتواتر أن جده ﷺ إلياس كان يسمع من صلبه تلبية رسول الله ﷺ المعروفة في الحج وكان كبيراً عند العرب يدعونه سيد العشيرة، ولا يقضون أمراً دونه، وهو أول من أهدى البُدن، وجاء في الحديث: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً»، وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قوله.

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس: وتزوج مضر خزيمة فولدت له إلياس بكسر الهمزة عند ابن الأنباري، وبفتحها عند قاسم بن حبيب، وإنما سمي إلياس لأن مضر كان قد كبر ولم يولد له ولد فولد له على الكبرو إلياس فسماه إلياس، ثم ذكر مثلما ذكروا، وقال: إن العرب كانت تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه، وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته، ولا يُقطع أمرٌ ولا يُقضى دونه.

وفي الاكتفاء: فولد مضر بن نزار إلياس بن مضر وعيلان بن مضر، قال الزبير: أُمهما الخشفاء بنت أياد بن معد، وقال ابن هشام: أُمهما جرهمة، ولما أدرك إلياس ابن مضر أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم وبان فضله عليهم، وألان جانبه لهم حتى جمعهم وردهم على سنن آبائهم وهو أول من أهدى البُدن إلى البيت أو أُهديت في زمانه، وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وأنهدم زمن نوح «عليه السلام» فكان أول من سقط عليه إلياس أو في زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس، ومن الناس من يقول إنما هلك الركن بعد إبراهيم وإسماعيل وهو الأشبه إن شاء الله.

قال الطبري في تاريخه[٢]: أُمه الرباب بنت حيدة بن معد، وإن أخاه لأُمه الناس وهو عيلان.

وقال ابن واضح[٣]: كان إلياس قد أصابه السل، فقالت خندق أمرأته: لئن هلك لا أقمت ببلد مات فيه، وحلفت أن لا يظلها بيت، وأن تسيح في الأرض، فلما خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً، عليه وكانت وفاته يوم الخميس، فكانت تبكيه، وإذا طلعت الشمس في ذلك اليوم بكت حتى تغيب، فصارت مثلاً.

---

(١) السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ١/ ١١.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٩ طبعة أولى. (٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٧.

قيل لرجل من أياد هلكت أمرأته: ألا تبكيها؟ فقال:

ولـو أنـه أغـنـى بـكـيـت كـخـنـدق على إلياس حتى ملها السر تندب

إذا مـونـس لاحـت خـراطـيـم شـمـسـه بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

مونس: يوم الخميس عند العرب القدماء.

وفي حياة الحيوان[١]: أسفت عليه زوجته خندف أسفاً شديداً، وحرمت الرجال والطيب، ونذرت أن لا تقيم ببلدة مات فيها، ولا يأويها بيت، فلم تزل سائحة حتى هلكت حزناً.

وكانت وفاته يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلع الشمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس، إنتهى.

والرباب زوجة الحسين بن «عليهما السلام» وإن لم تسح في الأرض لكنها أبت أن يظلها ظل في حرٍّ وفي بردٍ وتنوح كل يوم تطلع في الشمس إلى أن تغيب.

للمؤلف:

فإن تـك لـيـلـى بـنـت حـلـوان فـاتـهـا من إليأس نجم من نجوم المكارم

فـإن ابـنـة الـكـلـبـي فـي يـوم كـربـلا لقد فقدت شمس الضحى بابن فاطم

فإن تك ساحت في البسيطة خندف وناحت لفقد إليأس نوح الحمائم

فـإن ابـنـة الـكـلـبـي طـول حـيـاتـهـا أليـفـة نـوحٍ وانـعـقـاد مـآتـم

أولاد إلياس ثلاثة بأتفاق النسابين وهم: مدركة وطابخة وقمعة، وهذه ألقاب لهم، وستعرف أسمائهم في ذكر مدركة.

(٦) مدركة بن إلياس بن مضر:

كان مدركة واسمه عمرو على الراجح ويقال عامر من سادات العرب وأشراف أهل اللسان الفصيح، وكان جواداً شجاعاً فصيحاً حسن الوجه، حلو الشمائل كريم السجايا والطباع، جم الفضائل ممدوحاً عند العرب، في بائية الناشيء:

ومـدركـة لـم يـدرك الـنـاس مـثـلـه أعـف وأعـلـى عـن دني الـمـكـاسـب

وفي السيرة الحلبية[٢]: قيل له مدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه، وكان فيه نور رسول الله ﷺ.

---

(١) حياة الحيوان للدميري ١/ ١١٢.

(٢) السيرة الحلبية ١/ ٢٨.

وقال ابن واضح[١]: كان مدركة ابن إلياس سيد ولد نزار قد بأن فضله وظهر مجده.

وفي تاريخ الخميس[٢]: فتزوج إلياس بن مضر أمرأة يقال لها مخة.

وفي حياة الحيوان[٣]: (خندف) فولدت له مدركة، وكان اسمه عامر.

قال ابن إسحاق[٤]: ويقال عمرو، وإنما سمي مدركة لأنه أدرك كل عز آبائه، وفيه نور رسول الله ﷺ.

وقال الطبري في التاريخ[٥]: اسمه عمرو وأُمه خندف، وربيعة ليلى بنت حلوان ابن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وأُمها ضرية بنت ربيعة بن نزار، قيل: بها سمي حمى ضرية.

وإخوة مدركة لأبيه وأُمه: عامر وهو طابخة وعمرو وهو قمعة.

ويقال: إنه أبو خزاعة.

فعن ابن إسحاق إنه قال: إن أُم بني إلياس خندف وهي أمرأة من أهل اليمن فغلبت على نسب بنيها فقيل: بنو خندف.

قال: وكان إسم مدركة عامراً وإسم طابخة عمراً.

ثم قال عن الكلبي: خرج إلياس في نجعة له فنفرت إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وأخذها عامر فطبخها، فسمي طابخة وانقمع عمير في البخاء فلم يخرج فسمي قمعة، وخرجت أُمهم تمشي، فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فسميت خندف، والخندفة ضرب من المشي.

وقال قصي بن كلاب:

أُمـتـي خـنـدف وإلـيـاس أبـي

قال: وقال إلياس لعمرو ابنه:

إنـك قـد أدركـت مـا طـلـبـتـا

ولعامر:

وأنـت قـد أنـضـجـت مـا طـبـخـتـا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٨.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٦٩.
(٣) حياة الحيوان.
(٤) سيرة ابن هشام.
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٩.

ولعمير:

وأنـت قـد أسـأت وانـقـمـعـتـا

... إنتهى.

وقريب من هذا في تاريخ ابن الأثير[١]، وقال إسمه عمرو ويكنى أبا هذيل ويقال: أبا خزيمة.

أولاده[٢]: عند ابن إسحاق إنه له ولدين أحدهما خزيمة والثاني هذيل.

وذكر ابن عبد البر في الإنباه على أسماء الرواة[٣]: إن أُمهما هند بنت وبرة أُخت كلب بن وبرة.

(٧) خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر:

كان خزيمة عظيم الرياسة ضخم الشرف محكم العقل ذا حنكة وتجارب ورفق وأناة وكان من حكام العرب والقضاة المشهورين فيهم لا تُردّ له قضية قضاها، ولا يخالف له حكمٌ حكم به، وكان من الأجواد الكرماء والخطباء ذوي اللسن والفصاحة، وأحد الشجعان الأبطال، وكان ظاهر الوسامة باهر الجمال، في بائية الناشيء:

ومـن قـبـلـه أبـقـى خـزيـمـة حـمـده تـلـيـد تـراث عـن حـمـيـد الأقـارب

قال المسعودي في إثبات الوصية[٤]: إنما سمي خزيمة لأنه خزم نور آبائه.

وقال ابن واضح في تاريخه[٥]: كان خزيمة أحد حكام العرب ومن يُعدّ له الفضل والسؤدد.

وفي السيرتين الحلبية والدحلانية - ولفظ الأخير -: وخزيمة قيل إنه تصغير خزمة وإنما سمي ذلك لأنه خزم أي جمع فيه نور النبي ﷺ الذي كان في آبائه.

وفي تاريخ الخميس[٦]: فولد مدركة ابن إلياس بن مضر نفراً منهم خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وأُمهما امرأة من قضاعة. قيل: هي سلمى بنت سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة، وقيل إسم أُم خزيمة قزيمة، وإنما سمي خزيمة لأنه خزم نور آبائه وفيه نور رسول الله ﷺ فبقي سنين لا يدري كيف يتزوج حتى أُري

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٣ الطبعة أولى.
(٢) الإنباه على أسماء الرواة: ص٧٣.
(٣) إثبات الوصية: ص٧٤.
(٤) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٩.
(٥) السيرة الدحلانية ١/ ١٢ بهامش الحلبية.
(٦) تاريخ الخميس ١/ ١٧٠.

في منامه أن تزوج برة بنت طابخة فتزوجها، وكانت يومئذٍ سيدة قومها في الحسن والجمال فولدت له كنانة.

وفي الاكتفاء: فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسداً وأسدة والهون، أُم كنانة منهم عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، وقيل: هند بنت عمرو بن قيس ابن عيلان، وأُم سائر بنيه برة بنت مر أُخت تميم بن مُرّ بن أد بن طابخة.

وفي تاريخ الطبري[1]: أُمه سلمى بنت أسلم بن إلحاف بن قضاعة، وأخوه لأبيه وأُمه هذيل، وأخوهما لامهما تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وقد قيل: إن أُم خزيمة وهذيل سلمى بنت سعد بن ربيعة.

وقال ابن الأثير[2]: خزيمة يكنى أبا أسد، وأُمه سلمى ابنة أسلم بن إلحاف بن قضاعة وأخو خزيمة لأبيه وأُمه هذيل، وقيل: أُمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة، وخزيمة هو الذي نصب هبل على الكعبة فكان يقال له هبل خزيمة، إنتهى.

وهذه إحدى سيئات التاريخ وأغلاطه الباطلة ليس في سلسلة آباء النبي ﷺ غير موحد وكلهم من أهل الايمان كما أثبتنا ذلك في كتابنا «السياسة العلوية شرح عهد أمير المؤمنين للأشتر» وفي كتابنا «الميزان الراجح» وليس هذا موضع ذكره.

قال البوصيري في الهمزية:

لم تزل في ضمائر الكون تختار ... لك الأُمهات والآباء

فكيف يختار الله لنبيه أباً عابد صنم؟.

وقال ابن ناصر الدمشقي الشافعي:

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدينا

تنقل فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا

أترى الساجدين الذين تنقّل فيهم ساجدين للأصنام أُم ساجدون لرب الأنام؟

للمؤلف:

ألا إحذر غلطة التاريخ وأنظر ... الى التاريخ في عين البصيره

فرب خطيئة صغرت ولكن ... إذا ما حققت كانت كبيره

ومهما تركب الأخطار فأحذر ... فما يدري مخالطها مصيره

وليس بعاقل من رام سيراً ... بلا هادٍ ببادية خطيره

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٨.

ذكرنا ولد خزيمة طرداً ولا حاجة إلى التطويل، وراجع كتب الأنساب في تفاصيل البطون والقبائل، وخزيمة هذا إسمه لا خلاف في ذلك.

(٩) كنانة بن خزيمة بن مدركة:

حاز كنانة شرفاً أربى على كل شرف، وأمتاز بمآثر مجد جديدة أبقاها لأعقابه مفخراً، وقد أكتسبها بجده ومساعيه وحصلها بجهوده العظيمة، فضم إلى كرم الآباء ومآثر الأسلاف فضائل النفس ونتائج الأعمال الصادقة والأفعال الصالحة، فأصبح محبوباً للعرب بإخلاصه وتفانيه في سبيل تخليد مجدهم، وبما منحه الله تعالى من صدق الفراسة والحدس وحسن الذكاء والفطنة أصبح حكماً وحكيماً للعرب تقصده خاصتها وعامتها للاستفادة من فضائله وفواضله، فمن راغبٍ في الحكميات، ومن طالب لفصل الخصومات، ومستجدٍّ للنوال، ومستجير من عاديات الرجال، في بائية الناشئ:

لعمري لقد أبقى كنانة قبله محاسن تأبى أن تطوع لغالب

ذكر الحلبي والدحلاني في سيرتيهما ـ ولفظ الأخير[١] ـ: ومن ذلك ما نقل عن جده ﷺ كنانة بن خزيمة أنه كان شيخاً عظيماً تقصده العرب لعلمه وفضله، وكان يقول: قد آن خروج نبي من مكة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله وإلى البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق فأتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم، ولا تفندوا ما جاء به فهو الحق.

وقال ابن واضح في تاريخه[٢]: وظهر في كنانة بن خزيمة فضائل لا يحصى شرفها وعظمتها، فروي أن كنانة أُتى وهو نائم في الحجر فقيل له: تخيّر يا أبا النضر بين الصهيل والهدر أو عمارة الجدر أو عز الدهر، قال: كل هذا يا رب فاعطنيه.

زاد في تاريخ الخميس[٣]: فصار كل هذا في قريش.

وذكر قبل هذا[٤] ما لفظه: وفي كنانة نور رسول الله ﷺ، وإنما سمي كنانة لأنه لم يزل في كن من قومه، تزوج كنانة ريحانة فولدت له النضر ابن كنانة.

وقال ابن الأثير في التاريخ[٥]: يكنى أبا النضر، وأُم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس عيلان، وقيل: هند بنت عمرو بن قيس، وإخوته لأبيه أسد وأسدة،

---

(١) السيرة الدحلانية ١/ ١١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩١.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ١٧١.
(٤) تاريخ الخميس ١/ ١٧٠.
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢.

ويقال: إنه أبو جذام والهون وأُمهم برّة بنت مرّ وهي أُم النضر، خلف عليها بعد أبيه، إنتهى.

وهذه أيضاً إحدى خطيئات المؤرخين وتبع على هذا الغلط الفاضح ابن قتيبة في المعارف[1] ولا يصح هذا لأمور:

أولاً: لما ثبت وصح عن عائشة وغيرها أن أقسام النكاح في الجاهلية أربعة واحد منها كنكاح الإسلام وهذا خاص بآباء النبي، ذكرنا ذلك في بعض كتبنا.

وثانياً: لما صح وتواتر من قوله ﷺ: «ولدت من نكاح ولم يصبني سفاح أهل الجاهلية»، ونكاح المقت هو أن يخلف الرجل على زوجة أبيه من أقبح نكاح الجاهلية.

وثالثاً: لما ذكر سابقاً من توصية الآباء للابناء وحثهم على الاحتياط في التزوج بالعفاف مبالغة في طهارة المولد وهذا الاحتياط والتشدد لا ينبغي أن يكون بحسب الفطرة والارتكاز الجبلي، فإن العرب لا تنفر من أكثر من ذلك النكاح وإنما تشددوا في الاحتياط لعلمهم بأن النبي المبعوث آخر الزمان من سلالتهم فأحتاطوا لذلك السبب.

رابعاً: الإلهامات والمنامات التي أيد بها هؤلاء الآباء الكرام تمنع من ارتكابهم لهذه الانكحة الفاسدة ويكفيك ما سمعته من هذه التراجم.

خامساً: نشأ هذا القول الفاسد من الارتباك في فهم الروايات لأنه ورد في أزواج خزيمة برة، وفي أزواج كنانة أيضاً برة، وخلط بعض إدراك فظن بعض من لا إدراك عنده أنها واحدة فترسل في الأخبار عن ذلك، وتصدى بعض من لا تحقيق له فقال: إنه خلف على زوجة أبيه ونكحها نكاح مقت لكنها ليست أم النضر، وغرضه بهذا سلامة نسب النبي من نكاح المقت وهذا الجواب لا يشفي الغليل.

بل الجواب الفصل أن الامرأتين اشتركتا في الاسم وأختلفتا في الذات فكانت العمة وهي برة بنت مر تحت خزيمة، وابنة أخيها برة بنت تميم بن مر تحت كنانة، وهذا الجواب حكاه في تعليقة المعارف عن الجاحظ في كتاب الأصنام، ولكنه شوهه بالاعتراف في تزويجه زوجة أبيه ووهو خطأٌ لا شك فيه للعلم بأن هؤلاء الآباء الكرام على دين إبراهيم، وليس من دينه نكاح المقت، فأفهم.

---

(١) المعارف: ص٣٠.

أما أولاد كنانة فأربعة على المشهور: النضر ومالك وملكان وعبد مناة.

وذكر ابن عبد البر في كتاب الإنباه[١] عن ابن الكلبي: أنهم أكثر من عشرة ولكن لم يذكر أسمائهم.

(٩) النضر بن كنانة:

اعتلا شرف النضر على شرف آبائه اعتلاءً مفرطاً وفاق كل عربي في عصره بجميع سمات الفضل ومزاياه، وبلغ من السؤدد المرتبة السامية حتى أن عظماء الملوك تسعى في توطيد رئاسته وتوكيد وثائق سيادته، في بائية الناشئ:

وللنضر طول يقصر الطرف دونه بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب

والنضر هو قريش على الراجح من الأقوال.

قال الداوودي في عمدة الطالب[٢]: النضر واسمه قيس، وإنما سمي النضر لجماله ووضائته.

وقال المسعودي في إثبات الوصية[٣]: وإنما سمي النضر لأن الله تعالى اختاره وألبسه نضرة وسمي النضر قريشاً، فكل من ولد النضر قرشي وهو الذي قال: رأيت كأنما خرجت من ظهري شجرة خضراء حتى بلغت عنان السماء، وإن أغصانها نورٌ في نورٍ، فلما انتبهت أتيت الكعبة وأخبرت من فيها بذاك، فقالوا: إن صدقت رؤياك صرف إليك العز والكرم، وخصصت بالحسب والسؤدد، فأعطاه الله تعالى ذلك، ونظر الله تعالى نظرة إلى الأرض فقال لملائكته: أُنظروا من أكرم أهل الأرض اليوم عندي وأنا أعلم وأحكم، فقالت الملائكة: ربنا وسيدنا! ما نرى أحداً يذكرك بالوحدانية مخلصاً إلَّا نوراً واحداً في ظهر رجل من ولد إسماعيل، فقال الله تعالى: إشهدوا اخترته لنطفة حبيبي محمد، قال: فبسط له الحرم بالعز والشرف.

وقال الدياربكري في تاريخ الخميس[٤]: إسمه قيس، وإنما سمي النضر لنضارة وجهه وجماله.

وفي المنتقى: هو الذي اختاره الله بالسبط وسماه وكل من ولده النظر فهو قرشي ومن لم يلده النظر فليس بقرشي، الخ.

وفي السيرتين الحلبية والدحلانية - ولفظه[٥]-: والنضر إنما لقب به لنضارة

---

(١) الإنباه: ص٦٧.
(٢) عمدة الطالب: ص١١ طبع الهند.
(٣) إثبات الوصية: ص٧٤.
(٤) تاريخ الخميس ١/ ١٧٠.
(٥) السيرة الدحلانية ١٢/ ١.

وجهه وإشراقه وجماله من نور النبي ﷺ.

وقال أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال[١] في أخبار الاسكندرية ما لفظه: وسار إلى تهامة وسكان مكة يومئذٍ خزاعة قد غلبوا عليها، فدخل عليه النضر بن كنانة، فقال له الاسكندر: ما بال هذا الحي من خزاعة نزولاً بهذا الحرم؟ ثم أخرج خزاعة من مكة وأخلصه للنضر ولبني أبيه، وحج الاسكندر بيت الله الحرام وفرق في ولد معد بن عدنان القاطنين بالحرم صلات وجوائز.

وقال ابن الأثير في تاريخه[٢]: يكنى أبا يخلد، كني بابنه يخلد[٣] وإسم النضر قيس، وقيل: إن النظر بن كنانة كان إسمه قريشاً، وقيل: لما جمعهم قيل لهم قريش، والتقرش التجمع، وقيل: لما ملك قصي الحرم وفعل أفعالاً جميلة قيل له القرشي وهو أول من سمي به، وهو من الأجتماع أيضاً، أي: لأجتماع الخير فيه، وقد قيل في تسمية قريش قريشاً أقوالاً كثيرة لا حاجة إلى ذكرها، وقصي أول من أحدث وقود النار في المزدلفة وكانت توقد على عهد رسول الله ﷺ ومن بعده، وإنما قيل له النضر لجماله، وأُمه برة ابنة مر بن أد بن طابخة أُخت تميم بن مر، الخ.

ولم ينفرد ابن الأثير بالقول بأن قصياً هو قريش، هذا ابن عبد البر يذكر في الإنباه[٤] ما نصه: وأختلفوا فيمن سميت له قريش قريشاً، فقال قوم: إنما سميت كذلك لتجمعهم بمكة والتجمع التقرش، دليل ذلك قول أبي خلدة[٥] اليشكري:

أخـوة قـرشـوا الـذنـوب عـلـيـنـا فـي حـديـث مـن دهـرنـا وقـديـم

وقال حذافة بن غانم العدوي:

أبـوكـم قـصـي كـان يـدعـى مـجـمـعـاً بـه جـمـع الله الـقـبـائـل مـن فـهـر

قال أبو عمر بن عبد البر: قصي إسمه زيد، وإنما قيل له قصي لأنه كان قاصياً عن قومه في قضاعة ثم قدم مكة، وقريش متفرقون فجمعهم إلى الكعبة فسمي مجمعاً.

ثم ذكر قولين أحدهما التسمية بقريش بن الحارث بن مخلد بن النضر بن كنانة، والثاني التسمية بالنضر نفسه.

ثم قال: قال اخرون: قصي كان يقال له القرشي، ذكر الواقدي أن عبد

(١) الأخبار الطوال: ص٤٣. (٢) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢.
(٣) عامة النسابين يذكر مخلد، فلعله هنا كان تصحيفاً.
(٤) الإنباه: ص٦٨. (٥) أحسبه تصحيف أبي حلذة.

الملك بن مروان سأل محمد بن جبير بن مطعم: لم سميت قريش قريشا؟ قال: لتجمعها إلى الحرم بعد تفرقها، فقال عبد الملك: ما سمعت بهذا ولكني سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم تسمى قريش قبله.

ذكر الواقدي أيضاً عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: لما نزل قصي الحرم وغلب عليه فعل أفعالاً جميلة، فقيل له القرشي فهو أول من سمي بذلك.

وقال الواقدي: عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: كان النضر بن كنانة يسمى القرشي.

وقال أبو اليقظان: سميت قريش قريشاً لأنهم يقترشون في البياعات.

وعن أبي اليقظان أيضاً قال: جاء النضر بن كنانة إلى قومه فقالوا: جاء كأنه جمل قرش، والقرش الشديد.

وقال العدوي التجمع أصح ما فيه عندنا.

وقال أبو عمر: هذا هو المعول عليه، الخ.

وما صح لقريش تجمع إلَّا مع قصي بن كلاب فكان هو قريش على هذه الأقوال.

أولاد النضر بن كنانة

قال ابن الأثير في التاريخ[1] بعد قوله «أمه برة»: وإخوته لأبيه وأُمه نضير ومالك وملكان وعامر والحرث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وجدال، وأخوهم ولأبيهم عبد مناة وأُمه فكيهة وهي الذفراء ابنة هنى بن بلى بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، وأخو عبد مناة لأُمه علي ابن مسعود بن مازن الغساني، إلى آخر ما نذكره في ترجمة مالك.

(١٠) مالك بن النضر بن كنانة:

وقد ساد مالك بن النضر بني إسماعيل وترأس على سائر ولد عدنان، فعظم شرفه في العرب فأنقادوا به وأطاعوه، وكان جواداً كريماً ملك القلوب بمكارمه وجودة أخلاقه، وهو قريش على بعض الأقوال التي ذكرها صاحب عمدة الطالب، وفي بائية الناشئ:

وما زال منهم مالك خير مالكٍ وأكرم مصحوبٍ وأكرم صاحب

قال الحلبي في سيرته[2]: قيل له مالك لأنه ملك العرب، ومثله في إثبات

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢.

(٢) السيرة الحلبية ١/ ١٨.

الوصية للمسعودي[١] وتاريخ الخميس للدياربكري[٢].

وقال ابن واضح في تاريخه[٣]: وكان مالك بن النضر عظيم الشأن.

وقال الطبري في تاريخه[٤]: وأُمه عكرشة بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان في قول هشام، قال ابن إسحاق: أُمه عاتكة بنت عدوان، وقيل: إن عكرشة لقب عاتكة بنت عدوان، وقيل: إن أُمه هند بنت فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، وكان لمالك أخوان يقال لاحدهما يخلد فدخلت يخلد في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرجوا من جماع قريش، والآخر منهما يقال له الصلت لم يبق من ذريته أحد، ثم ساق الكلام إلى سبب تسمية قريش قريشاً.

وقال ابن الأثير في التاريخ[٥]: وكنيته أبو الحارث وأُمه عاتكة بنت عدوان وهو الحرث بن قيس عيلان ولقبها عكرشة، وقيل غير ذلك.

وساق كلاماً أوردناه في ترجمة النضر وقال وأخوهم لأبيهم عبد مناة وأُمه فكيهة وهي الذفراء ابنة هنى بن بلى بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، وأخو عبد مناة علي بن مسعود بن مازن الغساني، وكان قد حضن أولاد أخيه عبد مناة فنسبوا إليه، فقيل لبني عبد مناة بنو علي، وإياهم عنى الشاعر بقوله:

لله در بـــنـــي عـــلـــي أيـــم مـــنـــهـــم ونـــاكـــح

وقيل: تزوج أمرأة عبد مناة فولدت له وحضن بني عبد مناة فغلب على نسبهم، ثم وثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود فقتله فواراه أسد بن خزيمة، إنتهى.

وفي الكلام سقطٌ ظاهرٌ فهو مالك بن النظر بن كنانة.

(١١) فهر بن مالك بن النضر بن كنانة:

وهو الأصل الثاني لقريش قبل أن تُسمى قريشاً، فيقال لهم بنو فهر وبنو النضر، أو هو قريش - على قول مشهور - ترأس فهر بعد أبيه مالك رياسة عامه وأزداد ملكه ضخامة واعتلا مجده وشرفه سناءاً ورفعة، وإليه تُنسب أعظم القبائل العربية فيقال الفهرية، وتوسمت سمات الخير والفضل عليه، وعرفت سجايا المجد منه في حياة أبيه فتوسم منه الخير في زمن الطفولية:

إن الـهـلال إذا رأيـت نـمـوه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

(١) إثبات الوصية: ص٧٤.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٧١.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٣.
(٤) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٧.
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢.

والفهر في لغة العرب: الهاون من الحجارة، سمي به الرجل ولأسباب أختارت العرب هذه الاسماء وذكرها هنا يؤدي بنا إلى الشذوذ.

وكان الفهر من العلماء والاجواد والشجعان الأبطال، وكان مظفراً في حروبه، منصوراً على الخصماء، خدمته السعادة في حياته حتى مات، وهو قريش في أحد الأقوال، في بائية الناشئ:

وكانت لفهر في قريش خطابة يعوذ بها عند اشتجار المخاطب

قال ابن واضح في تاريخه[١]: وظهر في فهر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه، فلما هلك أبوه قام مقامه، فيروى أن فهر بن مالك قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة: أي بني! أن في الحذر انغلاق النفس وإنما الجزع قبل المصائب فإذا وقعت مصيبة ترتجز لها، وإنما القلق في غليانها فإذا قامت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك، وما ترى في آثارها من محق الحياة ثم أقتصر على قليلك وإن قلت منفعته، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك أن صار اليك.

وقال الماوردي في أعلام النبوة[٢]: كان فهر في زمانه رئيس الناس في مكة، وقصدها حسان بن عبد كلال في حمير وقبال اليمن ليهدم الكعبة وينقل أحجارها إلى اليمن ليبني بيتاً في اليمن يجعل حج الناس إليه، فنزل نخلة وأغار على سرح مكة فسار إليه فهر في كنانة وأحلافهم من قبائل مضر فأنهزمت حمير وأسر الحارث بن بهر حسان بن عبد كلال فبقي في يد فهر ثلاث سنين أسيراً بمكة حتى فدا نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن، فعظم بهذا الشأن فهر، وعزت قريش حين حمى مكة ومنع من هدم الكعبة.

وفي لفظ الحلبي بعد سياق القصة[٣]: فهابت العرب فهراً وعظموه وعلاَ أمره.

قال في تاريخ الخميس[٤]: فتزوج مالك بن النضر جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض الجرهمي فهي جرهمية وحادية عشرة من الجدات النبوية فولدت له فهر بن مالك وهو جماع قريش عند الأكثر.

وفي الاكتفاء: إن قريشاً هو إسمه الذي سمته به أُمه و لقبته فهراً.

---

(١) أعلام النبوة: ص١٢٣.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٣٣ «ط دار صادر».
(٣) السيرة الحلبية ١/ ١٨.
(٤) تاريخ الخميس ١/ ١٧٢.

ومثله في تاريخ الطبري[١]: وأزداد قول أبو عبيدة معمر بن المثنى فيما ذكر عنه أن أُمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وقيل: إن أُمه جميلة بنت عدوان من بارق من الأزد، وكان فهر في زمانه رئيس الناس بمكة، ثم ذكر قصة حسان الحميري لكنه ذكر أن حفيد فهر وهو قيس بن غالب بن فهر قتل فيها.

وذكر ابن الأثير أنه كان يكنى أبا غالب، وأنه ناهض حسان الحميري بقريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم، الخ.

أولاد فهـــر

قال الحافظ بن كثير في البداية والنهاية[٢]: وولد فهر غالباً ومحارباً وحارثاً وأسداً، وأُمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة، قال ابن هشام: وأُختهم لأبيهم جندلة بنت فهر.

(١٢) غالب بن فهر بن مالك:

ساد غالب بعد أبيه فهر وترأس بمكة ونال شرفاً ومجداً، وكان من رجال العرب المبرزين وذوي النباهة والصيت، وكان من المبجلين المحترمين عند ملوك عصره، وهو الأصول الأول لقريش البطاح، وكان مفخرهم وعزهم ويجدون في الانتماء إليه مفخرة ويجدون في الحرب تحبساً إذا تنادوا يا آل غالب، وفي بائية الناشئ:

وفي غالب بأس أبي اليأس دونهم يدافع عنهم كل قـــرن مغالب

قال ابن واضح في التاريخ[٣]: فلما مات فهر، شرف غالب بن فهر وعلا أمره، الخ.

وكان خالد يكنى أبا تيم، نص عليه في سبائك الذهب.

وفي سيرة ابن هشام وتاريخ الخميس: فولد فهر مالك غالباً ومحارباً والحارث وأسداً وأُمهم جميعاً ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة.

وفي تاريخ الطبري: وأُم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ابن مدركة، وإخوته من أبيه وأُمه الحارث ومحارب وأسد وعوف وجون وذئب، وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح.

وأقتصر ابن الأثير على هذا اللفظ في تاريخه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٦.
(٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٠٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٢.

وفي تاريخ ابن كثير: قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فهرلؤي بن غالب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدرم، وأُمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام: وقيس بن غالب وأُمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي.

(١٣) لؤي بن غالب بن فهر:

كانت ملامح لؤي بن غالب ترجمان شرفه ولسادير غرته عنوان مجده، فكان يتوسم فيه الخير في عهد أبيه لذكائه وفطنته وجودة حدسه، ولما توفي أبوه وساد قومه لم يقتصر على مآثر الأسلاف ومفاخر الآباء التالدة، بل ضم إليها فضائل نفسية عصماء، وخير الفضائل المكتسبة بالمساعي الجليلة والمحصلات النبيلة، وفي بائية الناشئ:

وألوى لؤي بالعداة فطوعت له همم الشم الأنوف الأغالب

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: وأما لؤي بن غالب فإليه ينتهي إليه عدد قريش وشرفها.

وقال ابن واضح في تاريخه[٢]: قد كان لؤي بن غالب سيداً شريفاً بيّن الفضل، يروى أنه قال لأبيه غالب بن فهر - وهو غلامٌ حدث - يا أبت! ربّ معروف قلّ أخلاقه ونصر، يا أبت! من أخلفه أخمله وإذا أخمل الشيء لم يُذكر، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره، وعلى المولى تصغير كبيره وستره، فقال أبوه: يا بني! إني أستدل بما أسمع من قولك على فضلك، وأستدعي به الطول لك في قومك، فأن ظفرت بطول فعد به على قومك، وكف غرب جهلهم بحلمك ولم شعثهم برفقك فإنما يفضل الرجال الرجال بأفعالهم فإنها على أوزانها وأسقط الفضل ومن لم تعلو درجته على آخر لم يكن له فضل، وللعليا أبداً على السفلى فضل، فلما مات غالب بن فهر قام لؤي بن غالب مقامه، إنتهى قوله.

«وعلى المولى تكبيره وعلى المولى تصغيره» والمولى الأول بصيغة إسم المفعول وهو الذي يأخذ عطاء المعطي فإنه يجب عليه عقلاً تعظيمه ونشره حتى يرغب أهل الإحسان في الإحسان، والمولى الثاني بالكسر بصيغة إسم الفاعل وهو الذي يعطي ويبذل معروفه لغيره، ويجب عليه عقلاً أن لايعظمه ولا يبالغ في نشره فإنه يجر إلى المن، والمن يفسد الإحسان ويفوت بسببه المأمول من المدح والثناء

(١) المعارف: ص٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٣ (١/ ٢٣٤) «ط دار صادر».

إن كان الغرض من البذل السمعة الدنياوية أو الأجر الأخروي، وقول الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[١].

قال الطبري في التاريخ[٢]: وأُم لؤي فيما قال هشام عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة وهي أول العواتك التي ولدن رسول الله ﷺ من قريش، وله أخوان من أبيه وأُمه يقال لأحدهما تيم وهو الادرم - والدرم نقصان في الذقن، قيل: إنه كان ناقص اللحي - وقيس، قيل: لم يبق من قيس أخي لؤي أحد، وإن آخر من بقي منهم هلك زمان خالد بن عبد الله القسري فبقي ميراثه لا يدرى من يستحقه.

وقد قيل: إن أم لؤي وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة وهو لحي بن خزاعة.

وفي تاريخ الخميس[٣]: فتزوج غالب وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناة ابن كنانة فهي كنانية وتاسعة الجدات النبويات فولدت له لؤيا تصغير لُؤي وهو الثور.

وفي الاكتفاء: فولد غالب بن فهر لؤيا وتيماً وهو الادرم وكان منقوص الذقن، وأمهما في قول ابن إسحاق سلمى بنت عمرو الخزاعي، وفي قول الزبير عاتكة بنت يخلد بن النضر.

وما زاد ابن الأثير على ما في الطبري سوى الكنية فإنه قال: يكنى أبا كعب.

أولاد لؤي بن غالب

قال ابن كثير في البداية والنهاية: قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعباً وعامراً وسامة وعوفاً، قال ابن هشام: ويقال: والحارث وهم جشم بن الحارث في هزان من ربيعة، وسعد بن لؤي وهم بنانة، وهم في شيبان بن ثعلبة، وبنانة حاضنة لهم، وخزيمة بن لؤي وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة، الخ.

تكرر ذكر يتيم الأدرم ورفعاً للالتباس نذكر أن تيماً هذا غير تيم بن مرة الآتي، فإن الأخير رهط أبي بكر والأول ابن خطل الذي اهدر النبي ﷺ دمه ودم قينتيه اللتين تغنيان بهجاء النبي ﷺ فقتل ابن خطل وإحدى القينتين، هكذا رأينا ابن خلدون يذكر في تاريخه العبر.

---

(١) البقرة: اية ٢٦٤.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٦.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ١٧٢.

وفي مناهج الالباب المصرية[١] ما لفظه: قد كان لماوية أمرأة لؤي بن غالب أولاد منه، فقالت يوماً: أي بنيك أحب اليك؟ قال: الذي لا يرد بسط يده بخل، ولا يلوي لسانه عجر - بالراء المهملة أي لكنة - ولا يلون طبيعته سفه، وهو أحد ولدك بارك الله فيك يعني كعب بن لؤي أحد أجداده ﷺ.

١٤- كعب بن لؤي بن غالب:

كل وصف ربما يتجاوز الواصف فيه قدر موصوفه في المدح والتفريط مبالغة وإغراقاً في الإطراء والثناء إلّا ما كان من وصف آباء النبي ﷺ فإن الواصف لهم يقصر وإن ضنه السامع مبالغاً في الثناء وغالياً في الاطراء، ولا إغراق في قولنا أن كعب بن لؤي إن لم يكن ملكاً سياسياً فإن له عظمة الملوك وقدر السلاطين، لأن رياسة عظيمة في مكة وظواحيها تشكل مملكة حاطها بالعدل والإحسان وحصنها بالمعروف وحماها بالعزم من كل معتدٍ، ومنعها من الغزاة والطامعين، وضم إلى أخلاقه النفسية ومزاياه الغريزية مجد الأسلاف ومآثر الآباء، فقل بلا تحاش أنه أجود العرب نائلاً وأعظم العرب وأكثرهم فواضلاً وفضائلاً، في بائية الناشئ، وما أبعدها قصيدة وأفحله شاعراً:

وكعب علا عن طالب المجد كعبه فنال بأدنى السعي أعلا المراتب

قال الماوردي في أعلام النبوة[٢]: وأفضت معالم الحج من أوزاع مضر إلى قريش فوليها منهم كعب بن لؤي بن غالب فكان يجمع الناس في كل يوم جمعة ويخطب فيه على قريش، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقول: حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتي له جلي نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، وهو أول من أفصح بالنبوة حين شاهد آثارها، وعرف أسرارها من إنقياد العرب إليه تديُّناً بحرمهم، وإعظاماً لكعبتهم، وكان ذلك إلهاماً هجست به نفسه، وتخيلاً صدق به حدسه، لأن لكل خطب نذير، ولكل مستقبل بشير، إنتهى.

نحن لا ننكر عليه صدق الحس بالفراسة، وتطبيق الحدس الصادق على ما يجب الإذعان به والتصديق له، لكن المخيلة الصادقة والشعور الوهمي والهواجس الحدسية إنما تصب كليات الاشياء، وتخطئ جزئياتها، وتفوتها المعرفة بالدقائق التي يقع بها الفصل، وهذه إنما تكون بأسباب العلم وحده، والحمل له من ينابيع الوحي المشافة به الأنبياء والرسل، وما جاء عن كعب بن لؤي من التنصيص على

---

(١) مناهج الالباب ٢/٢٠٣.
(٢) أعلام النبوة: ص١٢١.

صفة ذلك النبي الكريم وذكر إسمه محمداً تصريحاً وكيفية بعثته وموضوع البعثة كلها من الامور التي تدل على غزارة علمه، واطلاعه على علوم الأنبياء السالفين، وإنها ليست من هواجس الخواطر ولا تخيلات الأفكار وحدها.

ذكر أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة[١] وآبن واضح في تاريخه[٢] - ولفظ الاخير-: فأما كعب بن لؤي فكان أعظم ولد أبيه قدراً وأعظمهم شرفاً، وكان أول من سمى يوم الجمعة بالجمعة وكان يسمى عروبة فجمعهم فيه، وكان يخطب عليهم ويقول: إسمعوا وتعلموا أو أقيموا وأعلموا أن الليل ساج والنهار ضاح والأرض مهاد والسماء عماد والجبال أوتاد والنجوم أعلام والأولون كالآخرين والأنباء ذكر، فصِلُوا أرحامكم وأحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع أو من مات نشر الدار أمامكم والظن غير ما تقولون وحرمكم زينوه وتمسكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول:

نهار وليل كل أوب بحادث ... سواء علينا ليلها ونهارها
يؤبان بالاحداث حين تأوبا ... وبالنعم الضافي علينا ستارها
صروف وأنباء تغلب أهلها ... لها عقد ما يستحل مرارها
على غفلة يأتي النبي محمد ... يخبر أخباراً صدوقاً خبارها

ثم يقول:

فيا ليتني شاهد فحواء دعوته ... وإذ قريش تبغي الحق خذلانا

لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل لتنصّبّ إليه تنصب الجمل، ولا رقلت إليه إرقال الفحل، فرحاً بدعوته، وجذلاناً بصرخته، فلما مات كعب أرخت قريش بموت كعب، إنتهى.

وفي دلائل أبي نعيم أن بين موته ومبعث النبي ﷺ أو مولده ستمائة وستون سنة، وكذلك في السيرتين الدحلانية والحلبية.

وفي الحلبية: إنه قيل له كعب لعلوه وأرتفاعه لأن كل شيء علا وأرتفع فهو كعب، ومن ثم قيل للكعبة كعبة، ولعلوه وأرتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل أرخوا به، وبعد عام الفيل أرخوا بموت عبد المطلب.

قال الطبري في تاريخه[٣]: وأم كعب ماوية فيما قال ابن إسحاق وابن

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٢ طبع حيدر أباد. (٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٤ طبع النجف.
(٣) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٥.

الكلبي: ماوية بنت كعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وله أخوان من أبيه وأُمه أحدهما يقال له عامر، والآخر أسامة وهم بنو ناجية[١]، ولهم أخٌ قد انتمى ولده إلى غطفان، وكان يقال له عوف، وأُمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان، ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بأبنها عوف إلى قومها، فتزوج بها بها سعد بن ذبيان.

ولكعب أخوان أيضاً من أبيه أحدهما خزيمة وهو عائذة قريش، وعائذة أُمه وهي عائذة بنت الخميس بن قحافة بن خثعم، والآخر سعد ويقال لهم بنانة وبنانة أُمهم فأهل البادية منهم اليوم فيما قيل في بني أسعد ابن همام في بني شيبان وأهل الحاضر ينتمون إلى قريش.

ومثله ذكر ابن الأثير[٢]: وزاد إنه يكنى أبا هصيص، وكان عظيم القدر عند العرب فلهذا أرخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرخوا بالفيل، الخ.

وفي تاريخ الخميس[٣]: وأما كعب بن لؤي وعامر بن لؤي فهما أهل الحرم، وصريح ولد لؤي وكان كعب منهما عظيم القدر في العرب، وأرخوا بموته إعظاماً له إلى أن كان عام الفيل فأرخوا به، وكان بين موته والفيل فيما ذكروا (٥٢٠) سنة، وقيل: بين موت كعب ومبعث النبي (٥٦٠) سنة.

وفي محاضرات الاوائل والأواخر: أول من ولد بمكة كعب بن لؤي، وأصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكان شريف أهل مكة لاينازع فيها، إلى آخر كلامه، وفيه خبطٌ ظاهر لمن تأمله فإنه جمع بين ما كان للكعب من المآثر وما كان لقصي بن كلاب.

أولاد كعب بن لؤي

وهم ثلاثة مرة وعدي وهصيص، قاله في البداية والنهاية عن ابن إسحاق.

(١٥) مرة بن كعب بن لؤي بن غالب:

كان رجلاً شريفاً سيداً مطاعاً مسموع الكلمة عند العرب، نافذ الأمر عند عشيرته، انتقلت إليه الزعامة العدنانية وولاية الحرم الشريف بعد أبيه كعب، وإن

---

(١) بنو ناجية أدعياء لا يصح انتسابهم الى قريش، صرح به المسعودي وغيره.
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ١١.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ١١٨.

هذه النفسية التي حواها مرة لتمثل الآباء الحر والمجد الصميم، وإن الروح العربية المحضة التي فيه لجديرة بأكتساب كل خصال الكمال، فأصبح في عاصمة العروبة أم القرى مثالاً للكمالات، فرحمة الله على تلك الروح العربية الساذجة ماذا أبدعت بفطرتها من المزايا والأخلاق المميزة للشخصيات النابهة، ومنها تلك الشخصية العربية التي تميزت نفساً ومنتمى، وتقدمت أثراً ومأثرة.

للمؤلف:

ومن بنى على أساس محكم وأتقن الصنعة فهو الحاذق

وفي بائية الناشئ:

ومرة لم يحلل مريرة عزمه سفاه سفيه أو محوبة حائب

قال ابن واضح[1]: كان مرة ابن كعب سيداً هماماً، الخ.

ويكنى أبا يقظة، قاله في سبائك الذهب.

قال في تاريخ الخميس[2]: وتزوج كعب وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، فهي فهرية أيضاً، وسابعة الجدات النبويات، فولدت له مرة.

وفي الاكتفاء: فولد كعب بن لؤي مرة وهصيصاً وعدياً وأُمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، وقيل: إن أم عدي وحده أمرأة من فهم وهي حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن بن عمرو وبن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وقال الطبري في التاريخ[3]: وأُم مرّه وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأُمه عدي بن كعب وهصيص بن كعب.

وقيل: إن أم هؤلاء الثلاثة مخشية، وقيل: إن أم مرة وهصيص مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، وأُم عدي رقاش بنت ركبة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن أسعد بن فهر بن عمرو بن قيس بن عيلان، إنتهى.

أولاد مرة:

قال ابن كثير في البداية والنهاية: وولد مرة ثلاثة: كلاب بن مرة، وتيم بن مرة، ويقظة بن مرة، من أُمهات ثلاثة.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٥.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٧٣.
(٣) تاريخ الطبري ١/ ١٨٥.

ويذكر ابن الأثير في تاريخه أن أم كلاب هند بنت سريربن ثعلبة بن الحارث ابن فهر، وأن يقظة وتيم أمهما اسماء بنت حارثة البارقية، وقيل: يقظة لهند بنت سرير أم كلاب.

(١٦) كلاب بن مرة:

واسمه حكيم وقد قرر قواعد الزعامة تقريراً متقناً وقد أقامها على أُسس محكمة، وكان مع شرف الأُرومة ومجد المحتد كسوباً للمكارم، فعالاً للفضائل، وقد ساد العدنانية بعد أبيه، وهابته القبائل العربية، واعترف له بالرئاسة.

وقال ابن واضح[١]: وشرف كلاب بن مرة وجلّ قدره وأجتمع له شرف الأب والجد من قبل الأم لأنهم كانوا يجيزون الحج ويحرمون الشهور ويحللونها، فكانوا يسمون النسأة[٢].

وقال السيد الداوودي في العمدة[٣]: كلاب واسمه حكيم، وإنما سمي كلاباً لأنه كان يحب الصيد فجمع كلاباً يصطاد بها، وكانت إذا مرت على قريش قالوا: هذه كلاب بن مرة يعنون حكيماً، فغلب عليه، وفيه يقول الشاعر:

حكيم بن مرة ساد الورى ببذل النوال وكف الأذى
أباح العشيرة إفضاله وجنَّبها طارقات الردى

وفي تاريخ الخميس: فتزوج مرة نعمى بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة فهي كنانية، وسادسة الجدات النبويات، فولدت له كلاباً واسمه حكيم، وقيل: عروة، وهو إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلاباً أو من الكلاب جمع كلب لأنهم يريدون الكثرة كما يسمون بسباع.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٥.

(٢) نسأة الشهور وهم البسل عند العرب، قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ١/ ٩٩) عن ابن إسحاق: وفيهم كان البسل، والبسل فيما يزعمون نسئهم ثمانية أشهر، حرم لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسيرون به الى بلاد العرب حيث شاؤوا لا يخافون منهم شيئاً، قال زهير:

بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تقويا منهم فإنهم بسلم

أي حرام، يقول: ساروا في حرمهم، الخ. والنسأة بمعنى آخر ذكره في غير موضع وذلك ان الناس إذا احتاجوا الى قتال بعض الاشهر الحرم يقوم فيهم فيخطب ويقول: قد أحللت لكم أحد الشهرين الحرامين إما ذا الحج أو المحرم، وحرمت مكانه صفر، وإياه عنى الله تعالى بقوله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٣٧].

(٣) العمدة: ص١١.

وسئل أعرابي: لم تسمون أولادكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورياح؟

فقال: إنما نسمي أبنائنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا.

يريد أن الأبناء عُدة للأعداء، وسهام في نحورهم فأختاروا لهم هذه الاسماء.

وفي الاكتفاء: فولد مرة بن كعب كلاباً وتيماً ويقظة، قال ابن إسحاق: فأُم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، وأُم يقظة البارقية أمرأة من بارق من الأرد من اليمن، وهي أم تيم، ويقال تيم لهند بنت سرير.

(١٧) قصي بن كلاب:

إن أثر قصي في تأسيس الدولة القرشية الباقية إلى اليوم ظاهر لا يستراب فيه، كانت قريش متفرقة في الأقطار ليست لها جامعة ولا رابطة، فمن قطان الحرم ومن سكان الضواحي ومن أعراب رحالة كمنتجعة تسكن خيم الشعر وتنتقل في طلب المراعي، فشب قصي وقريش أشتاتاً والسيطرة والسلطة لخزاعة، ومآثر الشرف مقسومة بين بعض القبائل المضرية من كنانة وتميم وعدوان وغيرهم، فشمر قصي عن ساعد الحزم واستجاش قومه ومعارفه من العرب، وإخوته وأخواله من قبائل قضاعة، فصمد نحو خزاعة فصدمها صدمة قاضية أخرجها إلى الضواحي وانتزع جل المآثر التي كانت لأسلافه، وكانت تفرقت في بطون العرب، فجمعها في قريش، وأسس له حكومة جعل عاصمتها مكة وخطط خططها، وأنزل قبائل قريش فيها وبضواحيها حوله، فكانت على ذلك قريش البطاح وقريش الظواهر، وأشترع لقريش مشاريع بقيت متبوعة حتى جاء الإسلام فمحا كل عادة جاهلية ودامت هذه السلطنة حتى أتصلت بالإسلام، فقام النبي ﷺ بتشييدها، ثم تحولت خلافة ثم انقلبت سلطنة، وهي حية إلى اليوم باقية إلى آخر الدهر إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات.

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: وأما قصي بن كلاب فأسمه زيد وكان يسمى مجمعاً، وذلك أنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة، وبنى دار الندوة وأخذ المفتاح.

وقال الداوودي في العمدة[٢]: قصي واسمه زيد، وإنما سمي قصياً لأن أمه

---

(١) المعارف: ص٣٢.

(٢) العمدة: ص١٠.

فاطمة بنت سعد بن شبل الازدية من أزد شنؤة تزوجت بعد أبيه كلاب ربيعة بن حزام بن سعد بن زيد القضاعي، فمضى إلى قومه وكان زهرة بن كلاب كبيراً فتركته عند قومه وحملت زيداً معها لأنه كان فطيماً فسمي قصياً لأنه أُقصي عن داره وشب في حجر ربيعة بن حزام لا يدري إلَّا أنه أبوه إلى أن كبر فتنازع مع بعض بني عذرة، فقال له العذري: إلحق بقومك فأنك لست منا، قال: وممن أنا؟ قال: سل أُمك تخبرك، فسألها، فقالت: أنت والله أكرم منهم نفساً ووالداً ونسباً، أنت بن كلاب بن مرة آل الله وعند بيته، فكره قصي المقام دون مكة فأشارت عليه أُمه أن يقيم حتى يدخل الشهر الحرام ثم يخرج مع حجاج قضاعة، ففعل، فلما سار إلى مكة الشريفة تزوج إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبى، وكان حليل يلي أمر الكعبة، وعظم أمر قصي حتى استخلص البيت من خزاعة وحاربهم وأجلاهم عن الحرم وصارت إليه السدانة والرفادة، وجمع قبائل قريش وكانت متفرقة في البوادي فأسكنها في الحرم ولذلك سمي مجمعاً، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وبنى دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة فلم يكن يعقد أمر تجتمع فيه قريش إلَّا فيها، فصار له مع السدانة والرفادة والسقاية الندوة، إنتهى.

دار الندوة كسراي ومحكمة سياسية تفصل الدعاوى والخصومات، وبها تشهر الحرب ويعقد الصلح والهدنة، وتقع المشاورة، وتعقد الألوية، وتنفذ سائر الاحكام.

قال الماوردي في أعلام النبوة[1] بعد أن ذكر إجلاء خزاعة عن مكة وجمعه قبائل قريش: وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وصارت سنته في قريش كالدين لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الألوية وجدد بناء الكعبة وهو أول من بناها بعد إسماعيل «عليه السلام» وبنى دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور وهي أول دار بنيت بمكة.

أما الباقون كالطبري والدياربكري واليعقوبي والسير الثلاثة فقد أطنبوا في ذلك حيث أنا ترجمنا له في الميزان الراجح «المخطوط» ترجمة حافلة تركنا الاطالة هنا إذ المقام لا يحتملها، ونذكر ما يتعلق بنسب أُمه لأن الموضع يقتضيه.

ذكر في تاريخ الخميس[2]: فتزوج كلاب فاطمة بنت سعد من أزد السراة

---

(١) أعلام النبوة: ص١٢١.

(٢) تاريخ الخميس: ١/ ١٩٣.

فهي أزدية وخامسة الجدات النبويات، فولد له قصياً واسمه زيد، وقال الشافعي: يزيد، وفيه نور رسول الله ﷺ.

وفي الاكتفاء: فولد كلاب رجلين قصياً وزهرة، وأُمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدرة من خثعمة الأزد من اليمن، وإسم سيل خير، وإنما سمي سيلاً لطوله، وسيل إسم جبل،وهو خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمر بن خثعمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن الأزد، وسمي عامراً الجادر لأنه بنى جدار الكعبة وكان وهى من سيل أتي في أيام ولاية جرهم البيت، وكان عامر تزوج منهم بنت الحارث بن مضاض، وقيل لولده الجدرة لذلك، وذكر الشرقي بن القطامي أن الحجاج كانوا يتمسحون بها ويأخذون من طينها وحجارتها تبركاً بذلك، فإن عامر هذا كان موكلاً بأصلاح ما شعث من جدرها فسمي الجادر، وسعد بن سيل جد قصي بن كلاب هو أول من حلى السيف بالفضة والذهب، وأهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين محليين فجعلا في خزانة الكعبة.

ثم قال[١]: قال ابن إسحاق: فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة، فملكوه، فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة أرباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم الناس أن قريشاً هابوا قطع الشجر من الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعاً لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره، فما نكحت أمرأة ولا تزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم إلَّا في داره ولا تدرع أمرأة من قريش إلَّا في بيته، ولا يخرج عير من قريش فيرحلون إلَّا من داره، ولا يقدمون إلَّا نزلوا داره فكان أمره في حياته وبعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره، وأتخذ لنفسه دار الندوة.

قيل: كانت في جهة الحجر والميزاب عند المقام الحنفي اليوم، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلَّا ابن أربعين سنة، وكان يدخلها ولده كلهم وحلفائهم، الخ.

مات قصي عام أربعمائة وثمانين ميلادية مسيحية، قاله مير علي في تاريخ العرب[٢].

---

(١) الاكتفاء: ص. ١٧٥ (٢) تاريخ العرب: ص٦.

(١٨) عبد مناف بن قصي:

انتهى شرف القرشي والمجد العدناني إلى عبد مناف بن قصي، وحاز مآثر أبيه أخوه عبد الدار بوصية أبيه قصي في ذلك حين رأى ولده الأكبر عبد الدار يتقهقر بمقدار ما يتقدم عبد مناف في السؤدد، فخصه بمآثره ليساويه في المجد، فما ساواه وما داناه بل تقدم عبد مناف السريع المدهش في المكارم والمفاخر، جعله ممن لا يقرن فيه أحد وبعد وفاة قصي أنتزع عبد مناف من أخيه عبد الدار أكثر ماثر أبيه بالقهر والغلبة كما سنذكر ذلك في السقاية من هذا الكتاب، فأستحق أن يقال فيه:

كانت قريش بيضة فتغلقت فالملح خالصة لعبد مناف

قال الحلبي والدحلاني في سيرتيهما - ولفظ الاخير[١]-: وعبد مناف واسمه المغيرة، وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله، قال: ووجد كتاب في حجر: أنا المغيرة بن قصي أُوصي قريشاً بتقوى الله جل وعلا، وصلة الرحم.

وقال الداوودي في العمدة[٢]: وعبد مناف إسمه المغيرة وكان يدعى القمر لجماله، ويدعى السيد لشرفه وسؤدده، ومثله ذكر الطبري[٣].

وقال الماوردي في أعلام النبوة[٤]: ثم أفضت رياسة قريش بعد قصي إلى ابنه عبد مناف، فجدّ وزاد وساد، حتى قال فيه الشاعر:

كانت قريش بيضة فتغلقت

وكان إسمه المغيرة، وكان سمي القمر لجماله، واستحكمت رياسته بعد أبيه لجوده وسياسته، ثم بنيه.

وقال ابن واضح[٥]: وكان يدعى القمر وهو السيد النهر واسمه المغيرة، ثم قال: ورأس عبد مناف بن قصي وجل قدره وعظم شرفه، ولما كبر أمر عبد مناف بن قصي جائته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الاحابيش، وكان مدبر بني كنانة الذي سأل عبد مناف الحلف عمرو بن هاني بن معيص بن عامر وكان تحالف الاحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الاحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان، وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق

---

(١) السيرة الدحلانية ١/ ٧.
(٢) العمدة: ص١٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/ ١٨١.
(٤) أعلام النبوة: ص١٢٣.
(٥) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٩٩.

جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد والتعاون على كل من كادهم من الخلق جميعاً، ما بل بحر صوفه، وما قام حراء وثبير، وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة.

ونقل السويدي عن ابن الأثير أنه قال: كان له الشوكة في قريش.

وقال القلقشندي في نهاية الارب[١]: كان يسمى فخر البطحاء، وكان له الشوكة في قريش.

وفي تاريخ الخميس[٢]: فتزوج قصي عاتكة بنت فالج بن مليك بن فالج بن ذكوان من بني سليم فولدت له عبد مناف، وقال أبو اليقظان: أمه حبى بنت حليل الخزاعي، فأم عبد مناف سلمية، وقيل: خزاعية.

وفي الاكتفاء: فولد قصي بن كلاب أربعة بنين وبنتين: عبد مناف واسمه المغيرة وعبد الدار وعبد العزّى وعبداً وتقصر وبرة أُمهم جميعاً حبى بنت حليل ابن حبشية، وساد عبد مناف في حياة أبيه، وكان مطاعاً في قريش، وهو الذي يدعى القمر لجماله، واسمه المغيرة، وكنيته أبو عبد شمس، ثم ذكر حديث الحجر، وقال عن الواقدي أنه قال: مات قصي بمكة فدفن بالحجون، فتنافس الناس بعده على الدفن بالحجون وكان نور رسول الله ﷺ في عبد مناف، وكان في يده لواء نزار وقوس إسماعيل.

وفي شفاء الغرام: فلم تزل السقاية والرفادة والقيادة لعبد مناف بن قصي يقوم بها حتى توفي، قال ابن هشام: هلك عبد مناف بعزة من أرض الشام تاجراً.

(١٩)هاشم بن عبد مناف:

إن هاشم بن عبد مناف شهرته تغني عن توصيفه، لم يلد إسماعيل في هذه السلالة الكريمة أجل ولا أعظم من هاشم ولا أفخر، ولا أذكر، ولو كان يستغني أحد عن شرف الآباء ومجد الأسلاف لاستغنى عنه هاشم بنفسه، لأن نفسه ذات الشمائل الكريمة والسجايا الفاضلة، قد ابتدعت له مجداً لا يُدرك، وعزاً لا يُنال، من حيث تمامية الخلقة كالجمال، واعتدال القامة، وحسن التشكيل، والتخطيط البدني، ومن حيث تمامية الأخلاق كالكرم والشجاعة والفصاحة وما لا أستطيع له عداً، ولست أُغالي لو قلت أنه أفضل عربي ولدته تلك العصور منذ فتق اللسان العربي إلى وقته.

---

(١) نهاية الارب: ص٢٨٠.

(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٧٦.

فإذا أُضيفت هذه الأخلاق إلى كرم النجار ومجد الأرومة كان سيد العرب غير مدافع، ولست أقول أن هاشم فخر قريش على العرب خاصة بل أقول فخر العرب على الأُمم قاطبة، وهو الذي سن الرحلتين، وكان هو الأصل في الانتساب الفارق بين الأشراف وسائر قريش، فإذا قيل هاشمي فقد بلغ المنتمي إليه أقصى الفخر، وولد في قلب كل قرشي حسرة إذا لم ينتمي اليه.

وسر آخر لم تصل إليه أفكارنا أن الانتساب إليه باقٍ ما بقي الدهر على أنك لم تعرف قرشياً بعينه في الدنيا غير قبيلته، والاموي يكتم نسبه حذراً من الوصمة التي تلحقه من أعمال بني أمية الفاجرة.

وفخرٌ آخر لهاشم هو أعظم من كل ما ذكرنا أنه والد الذرية الطاهرة، فالنبوة والإمامة جعلهما الله في ولده.

قال الداوودي في عمدة الطالب[١]: هاشم إسمه عمرو، ويقال عمرو العلا، ويكنى أبا نضلة، وإنما سمى بهاشم لهشمه الثريد للحاج، وكانت إليه الرفادة، وهو سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، ومات بغزة من أرض الشام، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان هاشم يدعى القمر، ويدعى زاد الركب.

أزواد الركب أربعة من قريش: هاشم هذا، وأبو طالب، وأبو أُمية المخزومي والد أم سلمة زوجة النبي، ومسافر بن أبي عمرو الأموي، وقد سُمّي بهذا آخرون.

وفي نهاية الأرب[٢]: وإسم هاشم عمرو، وسمي هاشماً لهشمه الثريد لقومه في شدة المحل، وذلك أنه كان إليه الرفادة والسقاية بمكة، وأنتهت إليه رياسة قريش، فكان إذا قدم الحجيج في الموسم جمع لهم من ماله ومال قريش ما يكفيهم، ويهشم الثريد ويطعمهم، ثم ذكر البيت المتقدم.

وذكر الماوردي[٣] والطبري - ولفظ الأخير[٤] -: وإسم هاشم عمرو وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه.

وقال[٥]: ذكر أن قومه من قريش كانت أصابتهم لزبة وقحط شديد، فرحل

---

(١) عمدة الطالب: ص٩.
(٢) نهاية الارب: ص٢٤٩.
(٣) أعلام النبوة.
(٤) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٩.
(٥) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٠.

إلى فلسطين، فأشترى منها الدقيق، فقدم به مكة، فأمر به فخبز له ونحر جزوراً ثم أتخذ لقومه مرقة بثريد ذلك الخبز، وذكر أن هاشماً أول من سن الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، قال: كان هاشم وعبد شمس وهو أكبر ولد عبد مناف، والمطلب وكان أصغرهم أُمهم عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأُمه واقدة بنت عبد مناف فسادوا بعد أبيهم جميعاً فكان يقال لهم المجبرون، فكان أول من أخذ لقريش العصم فأنتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم خيلاً من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس خيلاً من النجاشي الأكبر فأختلفوا بذلك السبب إلى الحبشة وأخذ لهم نوفل خيلاً من الاكاسرة فأختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب خيلاً[١] من ملوك حمير فأختلفوا بذلك السبب إلى اليمن فجبر الله بهم قريشاً فدعوا المجبرين.

ثم قال[٢]: وولي هاشم بعد أبيه الرفادة والسقاية، وقال وهب بن عبد بن قصي:

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائز مثقلات ... من أرض الشام بالبر النقيض
فظل القوم بين مكللات ... من الشيزي وحائزها بغيض
فأوسع اهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض

قال: فحسده أُمية بن عبد شمس وكان ذا مال، فتكلف أن يصنع صنع هاشم فعجز عنه، فنعت به أُناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لقدره وسنه، ولم تدعه قريش وأحفظوه، فقال: إني أُنافره على خمسين ناقة سوداء الحدق ننحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضي بذلك أُمية فجعلا بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشماً عليه فأخذ هاشم الأبل فنحرها وأطعمها من حر، وخرج أُمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين أمية وهاشم، إنتهى.

قال الماوردي في أعلام النبوة[٣]: وملك هاشم الرفادة والسقاية وأستقرت

---

(١) قوله: «أخذ لهم خيلاً» يعني منعاً، وتسميه العوام اليوم العلق، والشيزي شجر تتخذ منه الجفان قيل هو الآبنوس، وقيل: الجوز، قال في القاموس: الخيل، اللواء يعقد للأمير فيكون علم الملك أماناً للسائرين، وفي النهاية هو كساء اسود يرفع على خشبة لتنفير الهوام، ولعله استعارة هنا لتنفير المعتدين على السائرين الى تلك المملكة.

(٢) تاريخ الطبري. (٣) أعلام النبوة: ص٢٤.

له الرياسة، وصارت له قريش تابعة تنقاد لأوامره، وتعمل برأيه وتنافرت قريش وخزاعة إليه، فخطبهم بما اذعن له الفريقان بالطاعة، فقال في خطبته:

«أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية إسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكل في كل خلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلّا ما دعا إلى عقوق عشيرة أو قطع رحم.

يا بني قصي! أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أو حش صاحبه، والسيف لا يصان إلّا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي،

ايها الناس! الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله، فأصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضل تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم و الأخلاق الدنيئة فإنها تضع الشرف وتهدم المجد، إلّا وإن نهنة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به.

فقالت قريش: رضينا بك أبا نضلة - وهي كنيته - فأنقلبوا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق، ونهى عنه من مساوئ الأفعال، فهل صدر إلّا عن غزارة فضل، وجلالة قدر، وعلو همة، وما ذاك إلّا لاصطفاء يراد، وذكر يشاد، لأن توالي ذلك في الآباء يوجب تناهيه في الأبناء، الخ.

وحيث ترجمنا لهاشم في كتابنا «الميزان الراجح» ترجمة محيطة بجلّ أحواله من رحلاته ومكارم وعظم قدره عند الملوك ورغبتهم في مصاهرته وتزويجه بسلمى أم عبد المطلب اكتفينا بذلك، والاختصار هنا أنسب، ونشير إلى بعض ما لا بد منه.

ففي تاريخ الخميس[1]: كان أول بني عبد مناف هلاكاً هاشم، هلك بغزة من أرض الشام وأختلف في سنه حين مات: فقيل سنه ٢٠، وقيل سنه ٢٥.

وفي شفاء الغرام: قيل: إن هاشماً وعبد شمس توأمان، وإن أحدهما ولد

---

(١) تاريخ الخميس ١/ ١٧٧.

قبل الآخر، قيل: إن الأول هاشم، وإن إصبع أحدهما ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحيت فسال الدم، فقيل: يكون بينهما الدم.

وفي روضة الأحباب: كان جباههما متلاصقتين، فكلما عالجوا في فكهما لم يقدروا حتى فصلوهما بالسيف، فبلغ الخبر بعض عقلاء العرب، فقال: كان ينبغي أن يفصلوهما بشيءٍ آخر، فإذا لم يفعلوا فلا تزال تكون العداوة بين أولادهما، فكان كما قال.

ثم قال[١]: وفي المنتقى كان هاشم أفخر قومه واعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يحمل ابن السبيل ويأوي الخائف وكان نور رسول الله ﷺ في وجهه يتوقد شعاعاً، ويتلألأ ضياءاً، ولا يراه حبر من الاحبار إلَّا قبل يديه ولا يمر بشيءٍ إلَّا سجد إليه تفد إليه قبائل العرب ووفود الأحبار ويحملون بناتهم يعرضونهن عليه ليتزوج بهن حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال: إن لي بنتاً لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فأقدم إليّ حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك، وإنما أراد بذلك نور رسول الله ﷺ الموصوف عندهم في الانجيل، وكان هاشم يأبى وكان ينطلق إلى جبل ثبير يسأل إلٰه السماء ثم يرجع.

ثم ساق الكلام إلى تزويجه بسلمى أم عبد المطلب ووفاته بغزة من أرض الشام وكانت سنة ٥١٠ للميلاد ، قاله مير علي في تاريخ العرب[٢].

(٢٠) عبد المطلب بن هاشم:

إنك لا تدري ما عبد المطلب؟ هو لباب المجد، ومحض السؤدد، وتاج العروبة، وفخر العاربة.

عبد المطلب ملك الجزيرة العربية وسلطان العدنانية القحطانية عاهلها العظيم وزعيمها القدير سمت به همته العليا وشيمته الشماء إلى ارتقاء المرتبة السامية والرقي إلى الدرجة العالية وتم له الفخر بثلاثته التي لا ينازع فيها: كرم الأصل ومجد الأُرومة وعزة النفس وحسن السجايا وفخر السلالة والعترة فإن رجلاً ينتظم في سلسلة آبائه هاشم فقصي فكعب فالنضر فمضر فمعد فعدنان فإسماعيل ذبيح الله فإبراهيم خليل الله وفي سلسلة السلالة النامية محمد رسول الله ﷺ فعلي وصي رسول الله فالحسنان سبطا هذه الأُمة، فمهديها، فالطيار، فسيد الشهداء، وفي

---

(١) تاريخ الخميس ١/ ١٧٨.

(٢) تاريخ العرب: ص٦.

سلسلة صفاته سيادة البطحاء فسقاية الحاج، فأطعام طير السماء والوحش ويدعى بالفياض وذي الحوضين ومن سجد له الفيل، ونصر بالأبابيل، وأستسقي به الغمام، فذاك أعظم رجل قامت عنه الحرائر وأجل شخصٍ ولدته العقائل.

ونحن في كتابنا «السياسة العلوية» حررنا له ترجمة ككتاب جامعة لعامة صفاته ومزاياه الكريمة ولا نورد هنا إلَّا اليسير مراعاة لهذا الكتاب المتبنى على الايجاز في جل عناوينه.

قال الماوردي في أعلام النبوة[١]: وأنتقلت السقاية والرفادة والرياسة إلى عبد المطلب وأخذ نوفل عهداً من الأكاسرة بالعراق وصارت راحلته إليها وأخذ عبد المطلب عهداً من ملوك الشام وأقبال حمير في اليمن وصارت رحلته إليها، وحفر عبد المطلب حين قوى وأشتد زمزم وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحارث الجرهمي من غزالي الكعبة وحجر الركن فضرب الغزالين صفائح ذهب على الكعبة ووضع الحجر في الركن وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر، مطاع الأمر، نجيب النسل، حتى مر به أعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالاسد، فقال: إذا أحب الله أنشأ دولة خلق لها أمثال هؤلاء، فأنشأ لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع بها ذكرهم حتى سادوا الأنام وصاروا الأعلام وصار كل من قرب إلى رسول الله ﷺ من آبائه أعظم رياسة وتنوهاً وأكثر فضلاً وتألهاً، إلى آخر ما ذكر.

ومن لوازم النعمة الكاملة وبالاخص الشرف العظيم والملك الجسيم حصول الحسد والبغي من العاجزين عن نيل تلك المرتبة السامية والساقطين عن درجة الاعتبار بالنسبة إلى ذلك المحسود وإن كانوا بالإضافة إلى من عداه أنيل عند أنفسهم، وفيما يختلج في أذهانهم، وأكثر ما يقع حسد النعمة وتمني زوالها ممن يدعي إنه شريك في النسب وقريب في المنتمى فلا تصدر المنافسة غالباً إلَّا من ذوي الرحم والوشيجة القريبة ويسبب ذلك عجزهم عن مكافئة المحسود وإعياؤهم عن اللحوق به، وكل من عجز عن تحصيل مكرمة كانت في غيره وضعف عن مقاومته والتشفي منه داخله الغيظ والحسد عليه وسعى حثيثاً جاهداً فيما يسوؤه.

فقد سمعت ما جرى لهاشم بن عبد مناف مع أُميّة بن عبد شمس وجرى لولده عبد المطلب مع حرب بن أُميّة وسرت في الأعقاب فنفس أبو سفيان صخر بن حرب على رسول الله ﷺ شرفه فعاداه وابغضه وحاربه فلم يحصل على طائل

(١) أعلام النبوة: ص١٣٦.

وحسد معاوية علي بن أبي طالب وابنه الحسن السبط «عليهما السلام» فجد وأجتهد في مناوأتهما، وهذا وإن حصل له الملك الزائل والسلطان الفاني فقد جر إلى نفسه ويلاً طويلاً صرحت بذلك خطبة حفيده معاوية بن يزيد وورثها ابنه يزيد فقتل الحسين بن علي «عليهما السلام» فجر لنفسه ولبني أُميّة عار الأبد، وألبسهم ملابس الخزي والمقت المؤبد، وهذا كما قال الشاعر وذكره الحافظ المقريزي في النزاع والتخاصم[١]:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم ناراً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعليٍّ وللحسين يزيد

أوردنا في ترجمة عبد المطلب منافرة حرب بن أُميّة له مطولة نوردها هنا مختصرة.

روى الطبري في تاريخه[٢] عن رجل من كنانة ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد وكان عالماً، قالا: تنافر عبد المطلب وحرب بن أُميّة إلى النجاشي الحبشي فأبى أن ينفر بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب، فقال لحرب: يا أبا عمرو! أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مذوداً، فنفره عليه، فقال حرب: إن من انتكاث الزمان أن جعلناك حكماً، إنتهى.

وهذه صفات وجدها العدوي: قوله: «أعظم منك هامة» فإنهم يستدلون بعظم إلهامة على السيادة وقد صرح بذلك كلام العرب[٣].

وقوله: «اقل منك لامة» إشارة إلى شجاعة عبد المطلب وجبن حرب وذلك أن حرب لجبنه يحتاط لنفسه في استكمال العدة الحربية بالاكثار من الالات المستعملة في وقاية النفس في ذلك العصر نحو الدرع والمجن والدرقة وما شاكلها ليحافظ على حياته وهذه تسمى لامة الحرب، وعبد المطلب لما كان شجاعاً

---

(١) النزاع والتخاصم: ص٧٣.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٨١.
(٣) دلالة عظم الهامة على السيادة في ذيل تذكرة داود الانطاكي ص٣٤٨: فكبر الرأس تدبير وعقل وشجاعة.
قال الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٩٢ في جملة قصة عن ابراهيم بن هاني: ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع، عظيم الرأس، ولذلك قال ابن سنان الحيدري لراشد بن سلمة الهذلي: ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدة، ولا بأرسح الرجل فتكون فارساً.

مقداماً لا يرى لذلك الاستلئام حيثية فهو يقدم على الحرب غير مكترث بما لاقاه من الاهوال والأخطار في المعارك، ولا مبالٍ بمقابلة الحتوف عند منازلة الأقران فهو لا يستعد بأكثر من سلاح الدفاع: السيف والقناة، فكانت عدته للحرب أقل من عدة الجبان.

قال في تاريخ الخميس[١]: رأى هاشم في منامه أن تزوج سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار فهي نجارية وثانية الجدات النبويات وكانت كخديجة في زمانها لها عقل وحلم فولدت له عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وقد قيل عامر، وفيه نور رسول الله ﷺ.

وفي الاكتفاء: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمسة نسوة: عبد المطلب وأسد - وهو أبو فاطمة أم علي «عليه السلام» - وأبا صيفي - واسمه عمرو - ونضلة والشفاء وخالدة وصفية ورقية وحمنة.

وأُم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو النجارية وساق نسبها وقال: وامها عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار، وأُم عميرة سلمى بنت عبد الاشهل.

وأُم أسد قيلة بنت عمرو بن مالك الخزاعي.

وأُم أبي صيفي وحمنة هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية.

وأُم نضلة والشفاء أمرأة من قضاعة.

وأُم خالدة وصفية واقدة بنت أبي عدي المازنية.

ثم ساق الكلام إلى سبب تسمية عبد المطلب ونشأته بالمدينة عند أخواله، ومجيء عمه المطلب وحمله إياه إلى مكة وكيف تدرج في مدارج الشرف حتى ساد العرب، كل ذلك قد فرغنا منه في كتابنا «السياسة العلوية»، ويكفي هذا المقدار من ترجمته هنا.

وكانت وفاته عام ٥٧٩ ميلادية، قاله مير علي في تاريخ العرب[٢].

ومن شعره الحكمي قوله وذكره في مناهج الألباب[٣]:

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ... ولو تسلت أسلناها على الأسل

لا ينزل المجد إلَّا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

---

(١) تاريخ الخميس ١/١٧٨.
(٢) تاريخ العرب: ص٧.
(٣) مناهج الالباب: ص٧١.

(٢١) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم:

وهنا يفترق العباس «عليه السلام» عن رسول الله ﷺ لأنه ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب، ووالد العباس علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

إنتهى كل شرف ومجد وفخر وسؤدد في الآباء الكرام والأسلاف العظماء إلى أبي طالب وقد ساد أبو طالب في حياة عبد المطلب، وتكاملت فيه آلات الرياسة، فكان معتمد عبد المطلب وأوثق بنيه في نفسه، ولا يعول في المهمات إلَّا عليه، ولهذا لما عرض له أعظم مهم يهتم به بعد موته وهو رعاية رسول الله ﷺ وكفالته لم يجد للتوصية به أهلاً إلَّا ولده أبا طالب، فلذلك قال مخبراً عن ثقته به أن يقوم بما أوصاه فيه من هذا المهم قائلاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

هذا بعد أن قال له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد

فكانت محاماة أبي طالب عن رسول الله ﷺ ودفاعه دونه وذبه عنه من فضائله العظيمة ومكارمه ذات الشأن لأمرين لا يستريب فيهما إلَّا جاهل:

أحدهما: أن النبي ﷺ تمكن بتلك المحاماة على تبليغ الرسالة ونشر الدعوة الإلٰهيّة فكان أبو طالب عضده وناصره، فالإسلام طالبي والدين علوي لقيام بنيه فيه.

ثانيهما: كفاه مؤنة الاهتمام لمصالحه الشخصية وفرغه بما كفاه من اموره لمصالح الدعاية الربانية وبث مواد الاصلاح، ولو تشاغل ﷺ بها لألهته عن كثير من مصالح النبوة ومهمات الدين، فكان رسول الله ﷺ طول حياة أبي طالب يأوي إلى كافل كافي، وناصر قوي فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ بغيتها وكابد منها أهوالاً ولاقى أموراً صعاباً حتى كان يتجول في القبائل والعشائر فلم يجد مأوى ولم يصب ناصراً، فقصد ثقيفاً وعامراً وربيعة وغيرهم فلم يلقى منهم من يجيره من قومه ليبلغ رسالة ربه، حتى قال: «ما أسرع ما وجدنا فقدك يا عم»، فما ضنك برجل كانت حياته عز الإسلام ووفاته ذله، فهل تجد بربك شرفاً يقارب هذا أو مجداً يدانيه؟، كلا.

قال ابن أبي الحديد الكاتب:

فلولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما

فـداك بـمـكـة آوى وحـامـا وهـذا بـيـثـرب لاقـى الـحـمـامـا

ونحن لما ترجمنا لأبي طالب في كتابنا «الميزان الراجح» ترجمة ككتاب مستقل تجمع سيرته وأخلاقه وأشعاره وجل مآثره، نكتفي هنا بأيراد اليسير ليعرف أن أبا طالب زعيم قريش وسيدهم وعظيم أهل مكة.

وجملة الأقوال في إسمه ثلاثة: أحدها أن إسمه كنيته، وثانيها عمران، وثالثها عبد مناف، وهو المشهور والصحيح إن شاء الله.

قال ابن واضح[١]: فكفل رسول الله ﷺ بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كاف وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه.

قال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: ساد أبي فقيراً وما ساد فقير قبله.

وخرج به إلى بصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين، وقال: والله لا أكلك إلى غيري، وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم أمرأة أبي طالب وأُم أولاده جميعاً.

ثم قال[٢]: وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله (٨٦) سنة، وقيل: (٩٠) سنة، ولما قيل لرسول الله ﷺ أن أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، وأشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال: يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً، وقال: أجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً، يعني مصيبة خديجة وابي طالب.

ثم قال: واجترأت قريش على رسول الله بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهموا به مرةً بعد أخرى، وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم شريف كل قوم، لا يسألهم إلَّا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم إنما أُريد منكم أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي، فلم يقبله أحد، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به، الخ.

وقال الداوودي في عمدة الطالب[٣]: وكان أبو طالب مع شرفه وتقدمه جم المناقب غزير الفضل، ومن أعظم مناقبه كفالته لرسول الله ﷺ وقيامه دونه ومنعه

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣.
(٣) عمدة الطالب: ص٦.

إياه من كفار قريش حتى حصروه في الشعب ثلاث سنين.

ثم قال[١]: ومن مناقبه إنه استسقى بعد وفاة أبيه عبد المطلب، فسقي، الخ.

وقال ابن أبي الحديد الكاتب في الشرح[٢]: قال الزبير: فأما أبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف وهو كافل رسول الله ﷺ وحاميه من قريش وناصره، والرفيق به، والشفيق عليه، ووصي عبد المطلب فيه فكان سيد بني هاشم في زمانه ولم يكن أحد في قريش يسود في الجاهلية بغير مال إلّا أبو طالب وعتبة بن ربيعة.

قال الزبير: وأبو طالب أول من سن القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنة في الإسلام وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس، قال: وكان أبو طالب شاعراً مجيداً، الخ.

وفي تاريخ الخميس[٣]: كان عبد المطلب بعد هاشم يلي الرفادة، فلما توفي بذلك أبو طالب في كل موسم حتى جاء الإسلام وهو على ذلك، وقد كان النبي ﷺ أرسل بمال يعمل به الطعام سنة ٩ ثم عمل به النبي ﷺ في حجة الوداع سنة (١٠) ثم قام بذلك أبو بكر في خلافته، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي «عليه السلام» وهلم جر، وهو طعام الموسم الذي كان الخلفاء يطعمونه أيام الحج بمكة وبمنى حتى تنقضي أيام الموسم.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة[٤] بعد نسبه: واشتهر بكنيته واسمه عبد مناف على المشهور، وقيل عمران.

وقال الحاكم: أكثر المتقدمين على أن إسمه كنيته، ولد قبل النبي بـ (٣٥) سنة، ولما مات عبد المطلب أوصى بمحمد ﷺ الى أبي طالب فكفله وأحسن تربيته وسافر به إلى الشام وهو شاب، ولما بعث قام بنصرته وذب عنه من عاداه، ومدحه عدة مدائح منها قوله لما أستسقى أهل مكة فسقوا:

وأبيض يُستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومنها قوله من قصيدة:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

وقد أطلنا كثيراً في «الميزان الراجح» بترجمة أبي طالب، وذكرنا أشعاره

---

(١) عمدة الطالب: ص٧.
(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ٤٦١.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ١٧٧.
(٤) الإصابة ٤/ ١١٥.

كلها، وأستوفينا وحسبنا ذلك، وتختم هذا الفصل بخطبته في تزويج رسول الله ﷺ بخديجة وبوصيته عند وفاته:

أما الأولى: فقد أوردها جماعة من العلماء عددنا أسمائهم في «الميزان الراجح» وهذه ألفاظها للدحلاني الشافعي في سيرته على هامش الحلبية[١]، قال: فخرج معه عمه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها، وقيل: على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو للنبي ﷺ فرضاً وأصدقها عشرين بكرة، وقيل إثنى عشر أوقية ونشا[٢]، وقيل على أربعمائة دينار وخطب أبو طالب وقد حضر رؤساء مضر، فقال أبو طالب:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلَّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً وإن كان في المال قل فإن المال ظلٌّ زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما اجله وعاجله كذا، وهو والله له بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم.

وقد ذكرنا القصة بتمامها في «الميزان الراجح» والنبأ المشار إليه هو النبوة فهو يعترف بها قبل أن يبعث النبي ﷺ وهذا من العلم المكنون عنده.

وفي تاريخ الخميس[٣] بعد هذه الخطبة: وفرح أبو طالب شديداً وقال: الحمد لله الذي أذهب عنا الكروب ودفع عنا الهموم.

أما الثانية: وذكرها جماعة أيضاً من علماء السنة عددناهم في «الميزان الراجح» منهم الخفاجي في «طراز المجالس» وهذا لفظها[٤]: وصية أبي طالب واسمه عبد مناف نقلت من خط ابن الشحنة قال: لما حضرت الوفاة أبا طالب عم النبي جمع إليه وجوه قريش واوصاهم وقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع الواسع الباع وأعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلَّا أحرزتموه ولا شرفاً إلَّا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم اليكم الوسيلة والناس لكم حرب

---

(١) سيرة زيني دحلان بهامش سيرة الحلبية ١/ ١٢٢.
(٢) النش: النصف في كلامهم.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ٢٩٩.
(٤) طراز المجالس: ص٢١٧.

وعلى حربكم الب واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش، ونبأة للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلة الرحم منسأة الأجل وزيادة للعمر، واتركوا البغي والعقوق ففيها هلكت القرون قبلكم واعطوا السائل وأجيبوا الداعي فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة للخاصة ومكرمة للعامة وإني اوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو إليّ بكلما أوصيكم به، وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان، مخافة الشنئآن، وأيم الله! لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر والأطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وأعظهم عليه أحوجهم إليه وأنفرهم منه، أحضاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطت له قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحدكم سبيله إلَّا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلَّا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي، ثم هلك، إنتهى.

وهذه التصية نص في معتقد الشيعة أن أبا طالب آمن بقلبه ولسانه إلَّا أنه أخفى إيمانه لضروب من المصلحة وأظهرها أنه يتمكن من التكتم على منع رسول الله ﷺ فإنه يقوى بالكتمان على منعه وأستعان بإخفاء معتقده على الذب عنه والنصرة له وذلك معلوم لايشك فيه إذ كان بمظاهرته لهم والمجاراة معهم بما يواربهم فيه ويوهمهم أنه على دينهم غير مرتض لهذا الدين الجديد وإنما نصرته ودفاعه بداعي حمية النسب فإنهم ينخدعون بذلك فيقوى عليهم ويلتف إليه أشتات الاقربين كما في قصة حصار الشعب ودخول بني هاشم وبني المطلب معه في الشعب جميعاً، الكافر والمسلم، فلو صارح بتدينه وجاهر بإسلامه لكان كفرد من أفراد من أسلم من قريش ولتعصب عليه حتى أفراد أسرته ورهطه الأدنى لأن الديانة مهما كانت أقوى جاذبية من الرحم وقد ظهر ذلك في المجاهرين بعداوة الرسول من رهطه الأدنى كأبي لهب وأبي سفيان بن الحارث، فكان هذا التكتم من أبي طالب عين المصلحة فكان حكمه حكم أصحاب الكهف، أظهروا الكفر وأسرُّوا الإيمان فأعطاهم الله أجرهم مرتين حسبما دلت عليه الأحاديث من أئمتنا «عليهم السلام».

فالمصارحة والمجاهرة بإبداء كلمة الإسلام وإظهارها تقضي عليه حتماً

عندهم أن يكون حاله حال من أسلم من أشرافهم كأبي سلمة بن عبدالاسد، وخالد بن سعيد بن العاص، وعثمان بن مظعون وغيرهم، فلا يقوى حينئذ على الدفاع عن نفسه فضلاً عن غيره ولما استطاع أن يطاولهم هذه المدة ولعاجلوه بالحرب حتى يهلك اضعف القربين وفي المطاولة أهم المصالح في انتشار الإسلام انتشاراً مدهشاً، فإنه كان إلى وقت وفاة أبي طالب كاد أن يكون النصف ممن قطن مكة قد أسلم ولكن بين من كتم إسلامه كأبي طالب حتى تمكن من إظهاره فيما بعد وبين من أظهره وفر به هرباً إلى الممالك التي لا سلطة لهم فيها ومنهم من حبس وعذب ومنهم من حمته عشيرته فلولا هذه المطاولة بمداراة أبي طالب إياهم وسياسته لهم بكتمانه عليهم إسلامه لما تمكن النبي ﷺ من نشر الدعوة الإسلامية ولا اقتدر على بث الدعاية الدينية.

وذكر الدحلاني[١] والحلبي[٢] وسبط ابن الجوزي في التذكرة[٣] ولفظ الحلبي: إنه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما أتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا، إنتهى.

وقد ذكر الوصية المتقدمة جماعة من علماء السنة.

---

(١) السيرة الدحلانية ١/ ١٥٠.
(٢) السيرة الحلبية: ص٣٨٣.
(٣) التذكرة: ص٥.

(٢٣) أمير المؤمنين ويعسوب الدين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين أبو الحسن علي بن أبي طالب «عليه السلام»

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»

للمؤلف:

إمام هدى لم ينظر الخلق مثله سوى المصطفى المختار من ولد آدم

إن الكاتب مهما مكنته البلاغة من أساليب البيان وفنون التبيان ليقف موقف البكي العاجز عن تحديد أقل صفاته وأدنى مناقبه فمهما سطر من الكلم المرصفة والألفاظ المتخيرة لا يبلغ أدنى مرقاة في مدح من قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]، فهذا ثناء من أعظم الثناء إذ قرن الفلاح بموالاته وجعل ولايته كولايته وولاية رسوله وهيهات أن يصف الواصف وينعت الناعت من تاهت الأفكار في توصيفه أو يبلغ المطري حقيقة من تحير ذوو العقول في نعوته، حتى قيل:

إن قلت ذا بشر فالعقل يمنعني وأخشى الله من قولي هو الله

فأعترف أن أول درجات الغلو التحديد لمعناه فالواجب علينا ترك الخوض في جميع ما زلت به الأقدام فيه من كلا طرفي الإفراط والتفريط ونسير على الجادة الوسطى ونقول: إنه الإمام الحق المفترض الطاعة الواجب الاتباع بالنص عليه من الله ورسوله حسبما أثبتناه في بعض مؤلفاتنا.

وإذا رجعنا إلى صفاته قلنا: هو أخو رسول الله ﷺ وصنوه وصهره ووارثه

---

(١) المائدة: ٥٥ و ٥٦.

ووصيه وأبو سبطيه وزوج ابنته وحامل لوائه وساقي حوضه وكاشف الكرب عن وجهه ومنجز عدته وقاضي دينه ووزيره وناصره وأحب الناس إليه وأقدمهم عنده واخصهم به وآثرهم وأحظاهم، الخ.

ومن وجهة ثانية نقول: هو أول الناس إيماناً وأقدمهم إسلاماً واسرعهم إلى إجابة دعوته صلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين وقمع نخوة الشرك ببدر واحد وحنين وسائر المشاهد أشد الناس اجتهادا في العبادة وأعظمهم جداً في الطاعة وأكثرهم في الجهاد أثراً.

ومن جهة ثالثة نقول: هو إمام البررة وقاتل الفجرة ومرغم الكفرة صاحب المناقب والسوابق وأبو الذرية الطاهرة وزوج البتول المطهرة باب مدينة العلم ويعسوب الدين وسيد المسلمين، الخ.

ومن جهة رابعة نقول: هو أعلمهم وأحلمهم وأكرمهم وأشجعهم وأكثرهم مناقب وأعظمهم فضائل، الخ.

ومن جهة خامسة نقول: أسيسهم للامة حيث ألف بين فريقين ببرء أحدهما من الآخر: العثمانية والعلوية فجمعهم بسياسته وحارب بهم أعدائه وأعدلهم وأورعهم وأزهدهم وأفصحهم وأصلحهم لخلق الله وأعبدهم وأعفهم وأوعاهم لقول رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] سألت الله أن يجعلها اذنك يا علي، إلى آخر ما لا نطيق له عداً.

ومن جهة سادسة: من حيث الخصائص التي له كالولادة في الكعبة والرقي على منكب النبي ﷺ لما أراد ﷺ تكسير الأصنام التي في ظهر الكعبة والتربية النبوية في حجر النبوة فإنه رباه رسول الله بسبب المجاعة التي أصابت قريشاً فخفف النبي والعباس بن عبد المطلب عن أبي طالب فأخذ النبي ﷺ علياً «عليه السلام» وأخذ العباس جعفراً وتقديم الصدقة في مناجاة رسول الله ﷺ وقد أتفق العلماء إنه أختص بها والتصدق بالسر والعلانية في الليل والنهار وأتفقوا أنه أختص بها وفي الموضعين نزل القران بالثناء عليه وكإختصاصه بالمناجاة لرسول الله ﷺ في عدة مواضع ذكرها العلماء وكإختصاصه بأنه لا يصيبه الرمد ولا يناله مس الحر والبرد وكإختصاصه بقلع باب خيبر الذي لا يفتحه ولايغلقه إلّا أربعة وأربعون وكإختصاصه بقلع الصخرة عن العين وكإختصاصه بكون ضرائبه شفع وضرباته وتر ما ضرب ضربة وشاكلت أختها، إلى غير ذلك.

(١) الحاقة: ١٢.

ومن جهة سابعة: كثرة معاجزه التي منها إخباراته بالغيب كإخباره بأسماء من يُقتل من رؤساء أهل الكوفة، وإخباره بمن يحمل راية معاوية إذا دخل الكوفة وإخباراته لأصحابه بالصفة التي يقتلون بها، وكإخباره عن الحجاج وعبد الملك بن مروان، وإخباره بأمرة مروان وأنها قصيرة حيث قال: «دعوه فإن له إمرة كلعقة الكلب أنفه»، وكإخباره عن الزنج المتغلبين على البصرة، وكإخباره عن المدن التي تبنى بعد زمانه كبغداد وغير ذلك مما يطول ومن معاجزه رد الشمس عليه مرتين مرة في حياة رسول الله ﷺ ومرة في خلافته في مسيره لحرب الخوارج بالنهروان ومشهد الشمس معروف إلى اليوم بالحلة من أرض العراق وغير ذلك من معاجزه المشهورة التي رواها العلماء.

وأنا أعتذر إلى القراء من تحرير ترجمة لمولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» لأني إن كتبت قليلاً أكون قصرت وإن كتبت كثيراً أكون قد تجاوزت خطة هذا الكتاب المبتني على الاختصار ولم أجد لي عذراً في ذلك أحسن من قول الإمام الشافعي:

ماذا أقول لمن حطت له قدم في موضع وضع الرحمٰن يمناه

يعني إنه رقى منكب النبي ﷺ يوم فتح مكة فرمى الأصنام عن ظهر الكعبة وما بين المنكبين النبويين الشريفين كان خاتم النبوة وهو رسم نوراني ربانيٌّ يتلألأ أشعة وأنواراً، وهو المراد بقوله: «وضع الرحمٰن يمناه» لأن الباري عز تعالى ليست له جارحة حتى تكون له يد توضع وترفع والقائل بذلك مجسم خارج عن شريعة الإسلام، فكان مراد الإمام الشافعي ما ذكرناه.

وحيث أنا لا نترجم لأمير المؤمنين «عليه السلام» قصوراً منا عن بلوغ الغرض فيما يناسب قدره وعظمة شأنه كان الأوفق والأنسب بالمقام سياق بعض الأحاديث الواردة في فضله مما رواه الحفاظ من علماء أهل السنة خاصة ونقتصر على ذكر كتاب واحد لأن كل حديث قد ورد في كتب عديدة وتعدادها تطويل فذكر الكتاب الواحد تكون به الكفاية.

فمن الأحاديث التي رواها المحب الطبري الشافعي في كتابه الرياض النضرة وذخائر العقبى في الاخير[1]: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكتسب مكتسب مثل حب عليٍّ، يهدي صاحبه إلى الهدى ويرده عن الردى».

---

(١) ذخائر العقبى: ص٦١.

وعن علي «عليه السلام» قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي».

وعن أنس بن مالك قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء علي بن أبي طالب فأكل معه.

وذكر من أخرجه من الحفاظ وذكر له أيضاً طرقاً أخرى.

ثم قال[1] عن ابن عباس: إن علياً «عليه السلام» دخل على النبي ﷺ فقام إليه وعانقه وقبل بين عينيه، فقال له العباس: اتحب هذا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا عم! والله لله أشد حباً له مني».

وعن عائشة وقد ذُكر عندها علي «عليه السلام»، فقالت: «ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله ﷺ منه ولا أمرأة أحب إلى رسول الله من أمرأته».

وعن معاذة الغفارية قالت: دخلت على النبي في بيت عائشة وعليٌ خارج من عنده، فسمعته يقول: «يا عائشة! هذا أحب الرجال إليّ وأكرمهم عليّ، فأعرفي له حقه، وأكرمي مثواه»، وذكر عن أبي ذر حديثاً في معناه.

وقال[2]: عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني بمنزلة رأسي من جسدي».

وعن سعد بن أبي وقاص: إن النبي ﷺ قال لعلي «عليه السلام»: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبي بعدي»، وذكر من خرجه من الحفاظ وذكر له طرقاً.

وعن اسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أقول كما قال أخي موسى: إجعل لي وزيراً من أهلي، أخي علياً، أُشدد به أزري وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً»، وقال: رواه الإمام أحمد في المناقب وذكر له طريقاً آخر عن أسماء.

و[3]عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبي بعد وفاته بستة أيام فقال علي لأبي بكر: تقدم، فقال: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله يقول: «علي مني بمنزلتي من ربي».

وعن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله لوفد ثقيف

---

(١) ذخائر العقبى: ص٦٢.

(٢) ذخائر العقبى: ص٦٣.

(٣) ذخائر العقبى: ص٦٤.

حين جاؤوه: لتسلمن أو لأبعثن عليكم رجلاً مني - أو قال: مثل نفسي - ليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم، قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلَّا يومئذ، فجعلت انصب صدري رجاء أن يقول هو هذا، قال: فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال: «هو هذا، هو هذا»، وذكر من خرجه من الحفاظ.

وقال أنس: «ما من نبي إلَّا وله نظير من أمته وعليٌ نظيري».

وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد صلت الملائكة علي وعلى علي لأنا كنا نصلي وليس أحد يصلي».

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي مررت بملك جالس على سرير من نور وإحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب وبين يديه لوح ينظر فيه والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه ويده تبلغ المشرق والمغرب، فقلت: يا جبرائيل! من هذا؟ فقال: هذا عزرائيل، تقدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فقال: عليك السلام يا أحمد، ما فعل ابن عمك علي؟ فقلت: وهل تعرف ابن عمي علياً؟ قال: كيف لا أعرفه وقد وكلني الله بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك علي بن أبي طالب فإن الله يتوفاكما بمشيئته.

وأورد[1] أحاديثاً كثيرة من قول النبي ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني ومن أبغضه فقد أبغضني»، منها عن أم سلمة قالت: أشهد أني سمعت رسول الله يقول: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني أحب الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل»، أخرجه المخلص الذهبي وأخرجه غيره من حديث عمار بن ياسر، وزاد فيه: من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى الله، وروي بهذا المعنى عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما[2].

وذكر حديث إخاء علي «عليه السلام» للنبي ﷺ، قال: طلبني النبي ﷺ فوجدني في حائط نائماً، فضربني برجليه وقال: «قم فوالله لأرضينك، أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنتي، ومن مات على عهدي فهو في كنز الجنة، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات على دينك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت الشمس أو غربت»، خرجه أحمد - يعني أحمد بن حنبل أحد أئمة المذاهب -.

وأساليب البلاغة وأفانين الكلام إليهم تنتهي، فما أجل هذه اللفظة وهي قوله ﷺ: «من مات على عهدك فقد قضى نحبه»، ولعدوله عن قوله: «فهو في

---

(١) ذخائر العقبى: ص٦٥.
(٢) ذخائر العقبى: ص٦٦.

الجنة»، إلى قوله: «قد قضي نحبه» إشارة بليغة إلى أن من مات موالياً لعلي «عليه السلام» قبل موت علي فهو من أهل هذه الاية: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[١]، فمن والاه في حياته ودان بامامته فهو لم يبدل ولم يغير ومن والاه بعد وفاته فقد ختم له بالايمان وله الامن فالناس صنفان في أمره: أهل القرن الأول والتبديل ثابت فيهم بالنسبة إليه خاصة لأن المعيار في ذلك اعترافهم بحقه، ومن عدى هذا القرن هم الصنف الذي يختم لهم بالايمان إذا اعترفوا بحقه.

ثم قال: وعن جابر قال: على باب الجنة مكتوب: «لا اله إلّا الله، محمد رسول الله، علي أخو رسول الله قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي سنة»، أخرجهما أحمد في المناقب.

وذكر[٢] حديث غدير خم بطرق عن البراء بن عازب، قال: كنت عند النبي ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنادى فينا الصلاة جامعة، وكسح رسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي وقال: ألستم تعلمون بأني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي «عليه السلام» وقال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه في المناقب من حديث عمر، وزاد بعد قوله من عاداه: «وانصر من نصره، وأحب من أحبه»، قال شعبة: أو قال: «أبغض من أبغضه»، ورواه عن زيد بن أرقم، وقد ناشد علي الناس من سمع الحديث، فشهد إثنى عشر صحابياً، ورواه عن عمر أيضاً.

وقال[٣]: عن عمران بن حصين: إن رسول الله ﷺ قال: «علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي».

وعن أبي رافع قال: لما قتل علي «عليه السلام» أصحاب الألوية يوم أحد قال جبرائيل: يا رسول الله! إن هذه لهي المواساة، فقال له النبي ﷺ: «إنه مني وأنا منه»، فقال جبرائيل: وأنا منكما، خرجه أحمد في المناقب.

فهل سمعت بأجّل وأكرم من رجل ينتمي إليه أمين الوحي جبرائيل في جميع بني آدم؟ وهل تجد فضيلة أعظم من فضيلة رجل ينتسب إليه الروح الامين؟.

ثم قال[٤]: ولما كانت ليلة بدر قال رسول الله ﷺ: من يستسقي لنا من

---

(١) الأحزاب: ٢٣.
(٢) ذخائر العقبى: ٦٧.
(٣) ذخائر العقبى: ص٦٨.
(٤) ذخائر العقبى: ص٦٨.

الماء؟ فاحجم الناس، فقام علي «عليه السلام» فأحتضن قربة فأتى بئراً بعيدة القعر، مظلمة فأنحدر فيها فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصر محمد وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر منه من سمعه فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند اخرهم اكراماً وتبجيلاً، أخرجه أحمد في المناقب، وهذا الحديث هو الذي نظمه السيد الحميري بقوله:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عما قال مسئول
إن علي ابن أبي طالبٍ ... على التُّقى والبر مجبول
كان إذا الحرب مرتها القنا ... وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى الروع وفي كفه ... أبيض ماضي الحد مصقول
مشى العفرني بين أشباله ... أصحره للقنص الغيل
ذاك الذي سلم في ليلة ... عليه ميكال وجبريل
جبريل في ألفٍ وميكال في ... ألف ويتلوهم سرافيل
في يوم بدرٍ بددا كلهم ... كأنهم طير أبابيل

قال المحب الطبري[1]: عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج فلما بلغ ضجنان سمع بغام ناقة علي «عليه السلام» فعرفه فقال: ما شأنك؟ قال: خيراً، إن رسول الله ﷺ بعثني ببراءة، فلما رجعنا انطلق أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لي؟ قال خيراً، أنت صاحبي في الغار غير أنه لا يبلغ عني غيري أو رجل مني - يعني علياً «عليه السلام» -.

و[2]عن الحسن بن علي «عليهما السلام» قال: قال رسول الله ﷺ: أدعوا لي سيد العرب - يعني علياً «عليه السلام» - فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، فلما جاء أرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فأتوه، فقال: يا معشر الأنصار! ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبرئيل «عليه السلام» أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.

وعن عبد الله بن أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة اسري بي انتهيت إلى ربي فأوحى إليّ أو أمرني - شك الراوي في أيهما - في علي «عليه

---

(١) ذخائر العقبى. ص٦٩.
(٢) ذخائر العقبى. ص٧٠.

السلام» ثلاث إنه انه سيد المسلمين ولي المتقين وقائد الغر المحجلين، أخرجه المحاملي، وأخرجه الإمام علي بن موسى الرضا «عليهما السلام» من حديث علي «عليه السلام» وزاد: يعسوب الدين.

وعن قيس بن أبي حازم[١] قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب «عليه السلام» فتبسم أبو بكر في وجه علي «عليه السلام» فقال له: مالك تبسمت؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد على السراط إلّا من كتب له علي الجواز»، أخرجه ابن السمّان في كتاب الموافقة.

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي وصي ووارث وإن علياً وصيي ووارثي»، أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة.

وعن عائشة[٢] قالت: قال رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة: أدعوا لي حبيبي، فدعي له أبو بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه، فقال: أدعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر، فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال: أدعوا لي حبيبي فدعوا له علياً «عليه السلام» فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل محتضنه حتى قبض، أخرجه الرازي.

وعن أم سلمة قالت: والذي أحلف به أن كان علياً «عليه السلام» لاقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، قالت: عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة، نقول: جاء علي «عليه السلام» وأظنه كان بعثه في حاجة، فجاء بعد فظننت أن له حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم فأكب علي «عليه السلام» فجعل يساره ويناجيه ثم قبض ﷺ يوم ذلك، فكان من أقرب الناس عهداً، أخرجه الإمام احمد.

وعن سهل بن سعد: إن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، قال فبات الناس يدوكون[٣] ليلتهم أيهم يُعطى.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال ﷺ: أين علي ابن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: فأرسلوا إليه، فلما جاء بصق ﷺ في عينه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله! اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

---

(١) ذخائر العقبى ص ٧١. (٢) ذخائر العقبى: ص٧١.
(٣) يدوكون: أي يخوضون ويمرجون فيمن يدفعها إليه.

قال: «أنفذ على رسلك تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم»، أخرجه البخاري ومسلم، وذكر لهذا الحديث طرقاً منها عن سلمة بن الاكوع وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعمر بن الخطاب وغيرهم من الصحابة.

وعن[١] الحسن السبط «عليه السلام» قال حين قُتل علي «عليه السلام»: «لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون ولا أدركه الاخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالسرية جبريل «عليه السلام» عن يمينه، وميكائيل «عليه السلام» عن شماله لا ينصرف حتى يفتح الله عليه»، أخرجه أحمد وأخرجه أبو حاتم.

وعن أبي جعفر محمد بن علي (يعني الإمام الباقر «عليه السلام») قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان:

لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا علي

خرجة الحسن بن عرفة العبدي.

هذا الحديث في نداء الملك بهذا النداء يذكره كثير من العلماء في واقعة أُحد وأن المنادي جبرئيل «عليه السلام» كما ينص عليه ابن أبي الحديد وغيره من حملة العلم، ولكن لا مانع من التعدد لجواز أن يكون نادى به أولاً رضوان يوم بدر ونادى به جبرئيل ثانياً يوم أُحد، وروى كل واحد من أهل العلم ما وصل إليه.

ثم قال[٢]: عن ابن عباس قال: كان علي «عليه السلام» أخذ راية رسول الله ﷺ يوم بدر والمشاهد كلها، أخرجه أحمد في المناقب.

وعن علي «عليه السلام» قال: كسرت يده يوم أُحد فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: «ضعوه في يده اليسرى فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة»، أخرجه ابن الحضرمي.

وعن محدوج الذهلي: إن النبي ﷺ قال: لعلي «عليه السلام»: يا علي! أما علمت أني أول من يُدعى يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظله فأُكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش فيكسون حللاً خضراء من حلل الجنة، إلَّا وإني أخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة ثم أبشر أنك أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد تسير به بين السماطين، آدم

---

(١) ذخائر العقبى: ص٧٤.
(٢) ذخائر العقبى: ص٧٥.

وجميع الخلق يستظلون بظل لوائي يوم القيامة فسير باللواء، الحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، ثم تُكسى حلة من الجنة، ثم ينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، أبشر يا علي إنك تكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيى إذا حييت، أخرجه أحمد في المناقب.

وعن[1] علي «عليه السلام» قال: لما كان يوم الحديبية فخرج إليه ناس من المشركين منهم سهيل بن عمرو وناس من رؤساء المشركين فقالوا لرسول الله ﷺ: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فأرددهم إلينا فإن كان بهم فقه في الدين سنفقههم، فقال النبي ﷺ: يا معشر قريش! لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، فقد امتحن الله قلبه للايمان، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال: هو خاصف النعل، وكان رسول الله ﷺ أعطى علياً «عليه السلام» نعله يخصفها.

ثم التفت علي «عليه السلام» إلى من عنده وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن منكم من يقاتل على تأويل القران كما قاتلت على تنزيله»، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لا ولكن خاصف النعل في الحجرة»، وكان أعطى علياً «عليه السلام» نعله يخصفها، أخرجه أبو حاتم.

وعن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ ابواب شارعة في المسجد، قال: فقال ﷺ يوماً: «سدوا هذه الابواب إلّا باب علي «عليه السلام»»، قال: فتكلم في ذلك ناس، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: فإني ما أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي «عليه السلام» فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فأتبعته»، أخرجه أحمد بن عمرو ورواه عن عمرو وبريدة.

وقال[2]: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي! لايحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»، قال علي بن المنذر: قلت لضرار بن صرد: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٠٧.
(٢) ذخائر العقبى: ص٧٧.

وغيرك، أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن، إنتهى.

ونسفيد من هذا الحديث أن فضلات النبي ﷺ والإمام المعصوم طاهرة وليست نجسة كفضلات سائر المكلفين وإنما وجب الاغتسال والغسل تعبداً وإجراءً للسنة وتعليماً للامة وإلا فيجب تجنب النجاسة وإزالتها عن المسجد بحكم الشرع فتكون هذه من خصائص الإمام «عليه السلام» في مشاركته للنبي ﷺ.

ثم قال: وعن أنس بن مالك قال: كنت عند النبي ﷺ فرأى علياً مقبلاً فقال ﷺ: يا أنس! قلت: لبيك، قال ﷺ: «هذا المقبل حجتي على أمتي يوم القيامة»، أخرجه النقاش.

ثم ذكر قول رسول الله ﷺ لعلي «عليه السلام»: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»، وقوله ﷺ: «أنا دار العلم وعليٌ بابها».

وذكر أحاديثاً كثيرة يطول بنا المقام في استيفائها، وقد أوردها وزيادة في كتابه «الرياض النضرة» وقد رواها غيره من حفاظ السنة، وقد استوفينا الكلام عى النسب المتفق عليه عند النسابين.

بقي علينا من نسب العباس بن علي «عليهما السلام» ما وقع فيه الأختلاف من حيث النقص والزيادة وذلك في السلسلة الكريمة من عدنان إلى آدم أبي البشر كما نص عليه ابن إسحاق في السيرة النبوية والمسعودي في مروج الذهب والداوودي في عمدة الطالب والطبري في التاريخ وبينوا الأختلاف فيما بين عدنان وآدم «عليهما السلام» وفي نقل أقوالهم فوت الغرض المقصود فيه الإفادة فوجب تحري الاقتصار وهنا يتم لأبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» مجده الوراثي الذي كانت تفتخر بالأقل منه أشراف العرب وساداتها وزعماؤها، فقد قال خفاف بن غضين فارس البراجم من بني تميم:

ولو أن ما أسعى لنفسي وحدها ... لزاد قليل أو ثياب على جلدي
ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وكان أبي نال المكارم من جدي

وقال طرفة العامري:

إني أمرىء ورث المكارم والندا ... عن شيخه ونشأت غير موالي
كان اللواء لنا وصرمة حمير ... وكتابنا يتلى لدى الاقوال

وقال ضوء بن الجلاج الشيباني:

فلو أن خلق الله ضم جميعهم ... الى جمعنا كنا أعز وأكثرا

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا قواطع يقطعن الحديد المذكرا

وقال قيس بن عاصم سيد أهل الوبر:

إني أمرء لا يطي حسبي دنس يؤنبه ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة والاصل ينبت حوله الغصن

وأوصى عند وفاته بوصية حسنة يقول في آخرها:

انما المجد ما بنى والد الصد ق وأحيا فعاله المولود
وكمال المجد الشجاعة والحلم اذا زانه عفاف وجود

وهذا كثير في مفاخر العرب ولا يظن ظانٌ أن نسباً كريماً ومجداً وراثياً تسلسل كابراً عن كابر وتوارثته الأبناء عن الآباء كهذا النسب الكريم كما قال الشاعر:

شرف تتابع كابراً عن كابرٍ كالرمح أُنبوباً على أُنبوب

فأعتبره من لدن آدم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لم تجد فيه إلَّا نبيّاً كريماً أو ملكاً عظيماً أو زعيماً ذا كرم وشجاعة وأخلاق مرضية فاضلة توجب له التقدمة على غيره فلم يزل الشرف يتوالى وراثياً في الأعقاب حتيإنتهى إلى اشرف الأعقاب وأكرمهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام» فوقف عند غايته وانتهى إلى حده فإن شرفهما قد شرف الأصل والفرع وأصبح مفتخر الأبناء ومفخر الاباء:

كم من أب قد علا بابن له شرفاً كما علا برسول الله عدنان

إذن فيطمئن كل ذي فكرة وروية وفطنة أن نسباً تسلسل من لدن آدم «عليه السلام» إلى عبد الله وأبي طالب ابني عبد المطلب وينظم في سلسلته الذهبية محمداً المصطفى وعلياً المرتضى وأسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وساقي الحجيج والطيار في الجنة بجناحين أخضرين مع الملائكة جعفر والسبطين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة بتفوق على كل نسب لعربي وغيره، ولا يشك ذو العقل والذكاء أن مثل هذا النسب الرفيع إنه لينتج أبناءً كراماً وأولاداً أكفاءاً أماجداً تزدان بهم غرة الدهر وطلعة الزمان حيث أنهم يمثلون كل مكرمة مجدية، ويحيون كل مأثرة فخرية خالدة إلى الأبد ليكتسبوا بذلك حسن الأحدوثة وجميل الإطراء وجميل الثناء في سائر الازمنة والعصور وإنهم عريقون في السؤدد متأصلون في الزعامة والمجد فيتهافتون على نيل مكارم الآباء

ويتهالكون على تحصيل مكارم السلف الصالح من آبائهم الكرام بالمساعي الحميدة والنهوض باكتساب ما يزيد الشرف بهجة ورفعة غير متكلين على ما لهم من المجد الوراثي والشرف النسبي الموروث، فقد سمت بهم هممهم ونهضت بهم شيمهم إلى اكتساب الفضائل وتحصيل المكارم ليلحقوا بآبائهم في كسب المفاخر قولاً وفعلاً، وقد اجاد الجعفري الناهض بفارس المستولي عليها وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار بقوله:

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

لم يقل فوق ما مافعلوا مع عدم إخلاله بالنظم لأن سلوك مثل ذلك سبيل واجب الأدب وحق الصدق الذي يتحراه الاديب حيث أن في أوائله الذين يفخر بهم سيد الكائنات محمد ﷺ الذي قال له الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وأمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الذي قال له جبرئيل «عليه السلام» يوم أُحد:

لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا علي

والفتوة معنى بجميع الكمالات، والحسن والحسين «عليهما السلام» سيداً شباب أهل الجنة اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «إنهما شنفا العرش»، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «حمزة سيد الشهداء»، وجعفر الطيار الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن الله تعالى جعل لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة حيث شاء»، فليس بأستطاعة أحد وإن جد واجتهد وسار حثيثاً أن يلحق بهم أو يفعل مثل فعالهم فضلاً عن مساواتهم أو الإتيان بما يفوق على أعمالهم أو يربي على مكتسبهم من خصال الكمال وهيهات فأين الثريا وأين الثرى؟ وقد قيل:

فأين الثرى وأين الثريا وأين معاوية من علي

فاذا نظرت في هذه السلسلة الكريمة المباركة طيبة النجار والأرومة العريقة في الشرف والسؤدد علمت أنها قد انتجت أبناءاً كراماً شادوا مجد آبائهم وسادوا بمزإياهم الفاضلة نظرائهم وأكفائهم من العرب ولا يتطرق لذهنك أدنى تشكيك أن موقف أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» تجاه الأعداء يوم

---

(١) القلم: ٤.

كربلاء والتزامه خطة الآباء الموروثة له من الآباء وهي صريح كلمات أخيه الحسين بن علي «عليهما السلام» يوم كربلاء التي من جملتها: ألا أن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين الذلة والسلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله وجذور- وفي نسخة البحار: وجدود - طابت وحجور طُهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، الخ، فرفض العباس بن علي «عليهما السلام» خطة المذلة والهوان أنفة من الضيم وتفاديا من الرضوخ للوضعاء، وقد قال في مثل ذلك الموقف الرهيب شاعر الحماسة:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواطع في أيماننا تقطر الدما

على حين أُعطي العباس «عليه السلام» الأمان وضمن له حفظ حياته وتكفل له بسلامة نفسه لكنه رفض تلك الخطة الذميمة التي يلفضها الحسيب الكريم مؤثراً هذه القتلة السعيدة على تلك الحياة التعيسة التي يلازمها الضيم المقيم والهوان المخيم في نظر الحر دناءة، وفي رأي الغيور لؤم لايرتكبه أمثاله من أهل الحفاظ وأرباب البصائر الدينية فإنهم يخوضون غمرات الحروب قاذفين بنفوسهم في المتالف حياطة للحفيظة ورعاية للشرف وصيانة للتدين من جميع ما لاترضاه الشريعة ولا يقبله دين الله القويم فيتقدم لورد حياض المنية تقدم العطاش لورد الزلال العذب ببصيرة مبصرة وعزم ثاقب ويقين قوي، فيلاقي الاهوال بحماس الدين والحفيظة، ويستسهل الصعاب بالعزيمة والعزم الراسخين في طبيعته الراسيين في غريزته، وحينما تقطب وجوه الأبطال تلوح أسارير النور على جبهته ويتألق ضياء السرور على غرته ويستنير سناء بهجته المشرق من طلعته المنيرة الغراء فتنجلي بضيائها اللامع دياجير الرهج المتراكم قتامه وكلما أزدادت وجوه الأبطال كلوحة وعبوسة أزداد ابتهاجاً وابتساماً وأزدان وجهه ضياءاً وإشراقاً رافضاً كل علاقة لا تلائم منصبه السامي ومرتبته الرفيعة، فأمتشق أبو الفضل بل أبو الفضائل بذلك الحماس الأبائي والشعور الأنفي يوم الطف حساماً قاطعاً يرشح بالمنية ويرعف بالمنون.

للمؤلف:

سل الحسام فلا ترى مذ سله إلا هوى يد وقحفة رأس

أما نسبه من حيث الأمهات فإنه «عليه السلام» يشارك رسول الله ﷺ في العواتك والفواطم ويفارقه في اثنين منهما فاطمة بنت أسد أم أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وفاطمة بنت أبي المحل الكلابية وهي أُمه أم البنين الصغرى ونحن

نذكرهما معاً ونورد ما يتعلق بشرفهما متوسطين بين الإطناب والإيجاز:

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم

ابن عبد مناف وهي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» كانت أمرأة جليلة محترمة عاقلة من النساء مبجلة ذات قدر وجلالة وشرف في قومها وصحابية من أجل الصحابيات وأفضلهن، وكانت من الفقيهات والمحدثات، وهي من السابقات في الإسلام، وكانت قد ربت رسول الله ﷺ أحسن تربية وقامت بخدمته أحسن قيام فكانت تبره وتؤثره على أولادها وتحرص على خدمته وتجهد أن لا يجوع ولا يعرى ولا يشعث، فلم تزل مجتهدة في مواصلة بره وألطافه حتى كبر وتزوج وأستقل بأمر نفسه، فلذلك كان يعدها أماً، واستاء عند وفاتها وحزن ومشي خلف جنازتها حافياً، ونزل في قبرها واضطجع فيه وكساها ثوباً من ثيابه وضع فوق أكفانها لتحشر يوم القيامة كاسية وفضائلها كثيرة ذكرناها في كتاب «الميزان الراجح» ونورد هنا ما ناسب هذا الكتاب.

تزوجها ابن عمها أبو طالب سلام الله عليه ولم يتزوج أمرأة غيرها فولدت له أربعة بنين وبنتين، فالبنون: طالب وهو الأكبر وبه كني أبوه ثم عقيل وهو العلامة النسابة ثم جعفر وهو الطيار ذو الجناحين، ثم علي وهو أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين وهو اصغرهم سنا وأكبرهم سناءا وكل واحد منهم أصغر من الآخر بعشر سنين على الترتيب من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى طالب، وأما البنتان فهما جمانة وفاختة المكناة بأم هاني.

ونسب فاطمة من الآباء قد تقدم، وأبوها أسد كان سبب إنشاء الرحلتين ذكر رفاعة في «مناهج الالباب المصرية»[١] عن ابن عباس أن السبب في ذلك هو أن قريشاً كانوا إذا أصاب واحداً منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له أسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فشكى إليه الضر والمجاعة فدخل أسد على أُمه يبكي، فأرسلت إلى اؤلئك العيال بدقيق وشحم فعاشوا أياماً ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى فشكى إليه من الجوع فقام هاشم خطيباً في قريش، فقال: إنكم أجدبتم جدباً تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم، الناس لكم تبع.

---

(١) مناهج الألباب المصرية: ص١٤٨.

قالوا: نحن تبع لك، فليس عليك منا خلاف.

فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام وهم على ذلك، الخ.

نسبها من الأمهات في «مقاتل الطالبيين»[١]: فاطمة بنت أسد أُمها فاطمة وتعرف بحبى بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي.

وأُمها حذية بنت وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر.

وأُمها فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي.

وأُمها سلمى بنت عاصم بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

وأُمها عاتكة بنت أبي همهمة - وإسم أبي همهمة عمرو بن عبد العزى - بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

وأُمها تماضر بنت أبي عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأُمها حبيبة وهي أمة الله بنت عبد يا ليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم ابن قسي وهو ثقيف.

وأُمها فلانة بنت مخزوم بن اسامة بن صبح بن واثلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر.

وأُمها ريطة بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف.

وأُمها كلية بنت قصيبة بن سعد بن بكر بن هوازن.

وأُمها حبى بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نضر بن معاوية بن بكر بن هازن.

وفاطمة بنت أسد أول هاشمية تزوجت هاشمياً، وولدت له، وأدركت النبي ﷺ فاسلمت وحسن إسلامها، ثم أورد نبذة من فضائلها.

وقال السيد الداوودي في عمدة الطالب[٢]: هي أول هاشمية ولدت لهاشمي وكانت جليلة القدر، كان رسول الله ﷺ يدعوها «أُمي» ولما توفيت صلى عليها

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٣.

(٢) عمدة الطالب: ص١٥.

ودخل قبرها وترحم عليها.

وقال الحافظ العسقلاني في الأصابة[١]: قال الزبير بن بكار: هي أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة الزهراء «عليها السلام».

قال ابن سعد: كانت أمرأة صالحة وكان النبي ﷺ يزورها ويقيل في بيتها، إنتهى.

وذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب وغيره.

نبذة من فضائلها:

على سبيل الاختصار على ما روته السنة: روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء[٢] باسناده عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب «عليه السلام» دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: يرحمك الله فإنك كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ اسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسوداً يحفرون قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فأضطجع فيه ثم قال: «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأُمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها وأوسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبل فإنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس»، الخ.

قوله (اربعاً) على مذهبهم، والصحيح خمساً، وما روته السنة كثير وما روته الشيعة أكثر.

منه ما رواه ثقة الإسلام الكليني في «أُصول الكافي»[٣] بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق «عليه السلام» قال: إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت أول أمرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من ابر الناس برسول الله ﷺ.

فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يحشرون يوم القيامة كما ولدوا»،

---

(١) الإصابة ٤/ ٣٩٠.
(٢) حلية الاولياء ٣/ ١٢١.
(٣) أصول الكافي: ص١٨٢.

فقالت: وا سوأتاه! فقال لها رسول الله ﷺ: «إني أسأل الله تعالى أن تكوني كاسية»، وسمعته يذكر ضغطة القبر فقالت: وا ضعفاه! فقال لها رسول الله ﷺ: «إني اسأل الله تعالى أن يكفيك ذلك».

فقالت لرسول الله ﷺ يوما: إني أُريد أن أعتق في سيل الله هذه، فقال لها ﷺ: «إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار».

فلما مرضت أوصت إلى رسول الله ﷺ وأمرت أن يعتق خادمها واعتقل لسانها فجعلت تومىء إلى رسول الله ﷺ إيماءً، فقبل رسول الله وصيتها.

فبينما هو ذات يوم قاعد أتاه أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال «عليه السلام»: ماتت امي فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: أمي والله، وقام «عليه السلام» مسرعاً حتى دخل إليها وبكى ثم أمر النساء أن يغسلنها وقال «عليه السلام»: إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلما فرغن أعلمنه بذلك فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهن أن يكفنها فيه وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله من قبل فأسألوني لم فعلت؟ فلما فرغن من غسلها وكفنها دخل رسول الله ﷺ فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر فأضطجع فيه ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك، ثم خرج وسوى عليه ثم انكب على القبر فسمعوه يقول: «لا اله إلّا اللهاللهم إني استودعها إياك»، ثم انصرف.

فقال له المسلمون: إنا رأيناك فعلت شيئاً لم تفعله قبل اليوم.

فقال: اليوم فقدت بر أبي طالب، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها وإني ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة فقالت: وا سوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية، وذكرت ضغطة القبر، فقالت: وا ضعفاه! فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفنتها بقميصي وأضطجعت في قبرها لذلك وأنكببت عليها فلقنتها ما تسئل عنه، فإنها سئلت عن ربها فقالت وسؤلت عن رسولها فأجابت، وسُئلت عن وليها وإمامها فأرتج عليها، فقلت: ابنك ابنك، إنتهى.

المراد بأبنها هو أمير المؤمنين «عليه السلام».

تعيين قبرها من بقيع المدينة المنورة وطيبة المطيبة فإن الحادث العظيم الذي حدث في هدم قبور الائمة الحسن السبط وزين العابدين والباقر والصادق وسائر قبور الصلحاء والعلماء الذين قبروا بالحجاز أوجب علينا نقل كلام مطول لتعرف

مواضع قبوره فإن التلاشي موجب للتناسي.

قال السيد السمهودي الشافعي في «وفاء الوفا»[١]: قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب «عليه السلام»: روى زبالة عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، قال: دفن رسول الله ﷺ فاطمة بنت أسد بن هاشم وكانت مهاجرة مبايعة بالروحاء مقابل حمام أبي قطيفة، قال: وثم قبر إبراهيم بن النبي ﷺ وقبر عثمان بن مظعون،وسيأتي ما قاله ابن شبه في قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران أنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل.

قلت: وهذا كله صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم من أن قبرها في المشهد الآتي ذكره.

وأول من ذكر أنها بذلك المشهد ابن النجار، وتبعه من بعده ولم أقف علي مستند وإلا ثبت عندي ما هنا إذ يبعد أن يدفنها النبي ﷺ بذلك الموضع القاصي ويترك ما قرب من عثمان بن مظعون، وقد قال: «وأدفن إليه من مات من أهلي».

وأيضاً فلا يظهر أن المضوع المعروف بمشهدها من البقيع لأن مشهد عثمان كما سيأتي ليس من البقيع وهذا المشهد بطرف زقاق في شامية إلى المشرق.

فإن قيل: النخيل التي تقابل هذا المشهد قال ابن النجار أنها لم تعرف بالحمام وقد قال في الرواية الأولى مقابل حمام أبي قطيفة.

قلت: الظاهر أن ذلك منشأ الوهم في ذلك وما نقله ابن شبه يدفع ذلك، ويعين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبي قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم وكان ابن النجار لم يقف إلَّا على صدر الرواية الأولى فإنه قال: قبر فاطمة بنت أسد وعليه قبة في آخر البقيع ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله: مقام حمام أبي قطيفة ثم قال: واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام، إنتهى.

على أن النخيل التي بقرب هذا المشهد هي التي تقابله من جهة المشرق والشام وإنما تعرف قديماً وحديثاً بالخضاري «أحسبه دقل الحضري» وإنما يعرف بالحمام النخل الذي في شامي مشهد سيدنا إبراهيم عند الكومة وهو البعيد عن المشهد المعروف بفاطمة وإن كان في جهة مقابلة من المغرب.

ثم قال[٢] في حديث عن ابن زبالة: ثم قال: وأما قبر فاطمة بنت أسد أم

---

(١) وفاء الوفا ٢/ ٨٦.

(٢) وفاء الوفا ٢/ ٨٨.

علي بن أبي طالب «عليه السلام» فإن عبد العزيز - وذكر سنده إلى محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب - قال: لما أستقر موت فاطمة وعلم بذلك رسول الله ﷺ، قال: إذا توفيت فأعلموني، فلما توفيت خرج رسول الله ﷺ فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة ثم لحد لها ولم يضرح لها ضريحاً، فلما فرغ منه نزل فأضطجع في اللحد، وقرأ فيه القرآن، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه، ثم صلى عليها عند قبرها فكبر تسعاً وقال: ما أعفي أحد من ضغطة القبر إلَّا فاطمة بنت اسد، قيل: يا رسول الله ولا القاسم؟ قال ﷺ: ولا إبراهيم، وكان إبراهيم «عليه السلام» أصغرهما.

وروى ابن شبه عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال: يا رسول الله إن أم علي وعقيل وجعفر قد ماتت، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى أمي فقمنا كأن على رؤوس من معه الطير[1]، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال ﷺ: إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل ومرة يتقدم ومرة يتأخر حتى انتهينا إلى القبر فتمعك باللحد ثم خرج فقال ﷺ: أدخلوها باسم الله وعلى إسم الله، فلما دفنوها قام قائما فقال: جزاك الله من أم ومربية خيراً فنعم الام ونعم المربية كنت لي.

قال: فقلنا له - أو قيل له -: يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط.

قال: ما هو؟ قلنا: نزعك قميصك وتمعكك في اللحد؟

قال: أما قميصي فأُريد أن لا يمسها النار أبداً إن شاء الله، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليها قبرها، وذكر روايات بهذه المضامين في فضلها.

وقول ابن النجار هو الذي اعتمده ابن بطوطة الرحالة وعول عليه فإنه لما

---

(١) كأن على رؤوسهم الطير، هذا مثل تضربه العرب في الهدوء والسكون إذا أرادت المبالغة في الهدوء.
قال الميداني في مجمع الأمثال: يضرب للساكن الوادع وفي صفة مجلس رسول الله ﷺ إذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير والطير لا تسقط الا على ساكن.
وفي حياة الحيوان ذكر له معنيين: أحدهما: ان الغراب يقع على البعير يلتقط منه القراد فلا يتحرك البعير لئلا يطير. وثانيهما: إن طير الرسائل يقع بالأخبار المشوشة والحوادث السيئة فيؤثر في الناس وجوما فيطرقون لذلك ساكنين وجوماً لها.

ذكر قبر عثمان بن عفان في رحلته، قال[١]: وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب «عليه السلام» وذكر أن قبر الحسن السبط عند قبر العباس وهو أيضاً قول ابن جبير الرحالة المشهور بهذا اللفظ[٢].

والصحيح الذي أختاره السمهودي فإن الحسن السبط دفن عند قبر جدته فاطمة بنت أسد حسبما ذكره علماؤنا «رضوان الله تعالى عليهم».

قال ابن شهر اشوب في حديث وفاة الحسن بن علي «عليهما السلام»: حكي أن الحسن «عليه السلام» لما أشرف على الموت قال له الحسين «عليه السلام»: أريد أن أعلم حالك يا أخي - ثم ذكر الحديث بطوله إلى أن قال[٣] -: فلما توجه بالحسن «عليه السلام» إلى قبر جده أقبلوا إليهم في جمعهم وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هي خير من دعه، أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي ﷺ لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! فناداه ابن عباس وقال: إرجع من حيث جئت فإنا لا نريد أن ندفنه ها هنا ولكن نريد أن نجدد به عهداً بزيارته ثم نرده إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته فلو كان وصى بدفنه عند النبي ﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك ولكنه كان أعلم بحرمة قبره، إلى آخر ما ذكر.

وذكر المفيد في «الإرشاد» مثله وقال[٤]: ومضوا بالحسن «عليه السلام» فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف «رضي الله عنهما».

وكذلك ذكره غيره وصرح بذلك جماعة من علماء السنة منهم ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[٥] قال: وصلى عليه الحسين «عليه السلام» ودفن في البقيع عند جدته فاطمة بنت أسد «عليهما السلام».

والكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٦] قال: سقي «عليه السلام» سُماً فبقي مريضاً أربعين يوماً ومات في صفر سنة (٥٠) من الهجرة وله ويومئذن (٤٨) سنة، وتولى أخوه دفنه عند جدته فاطمة بالبقيع، إنتهى، وغيرهما كذلك ولا فائدة في التطويل.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١/ ٧٦.
(٢) انظر رحلته: ص١٥٤.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٦٥.
(٤) الإرشاد للمفيد: ص٢٩٩.
(٥) الفصول المهمة. ص١٧١.
(٦) كفاية الطالب. ص٢٦٨.

(٢) من أمهات العباس «عليه السلام» فاطمة الكلابية

من آل الوحيد، أهلها من سادات العرب وأشرافهم وزعمائهم وأبطالهم المشهورين وأبوها أبو المحل إسمه حرام - بالحاء المهملة والراء المهملة بعدها ألف وميم - ويأتي في كثير من النسخ حزام - بالزاء المعجمة - وهو غلط قطعي.

وعن تاريخ الخميس: إن اسمها وايس[١].

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة[٢]: حرام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب بن ربيعة العامري ثم الوحيدي، له إدراك.

وتزوج علي بن أبي طالب «عليه السلام» ابنته أم البنين بنت حرام فولدت له أربعة أولاد: العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، قتلوا مع أخيهم الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء وذكر ذلك بن هشام الكلبي والزبير بن بكار، إنتهى.

وهنا إيضاح لا بد منه نذكره للفارقة فإن في بني كلاب من إسمه حرام غير والد أم البنين وقد وقع في هذه المزلة بعض العلماء كما سيمر عليك فيما بعد لاجل ذلك نورد هنا ما قاله في «الإصابة» فإنه قال بعد كلامه بلا فصل: حرام بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ثم الجعفري أخو لبيد الشاعر له إدراك، وسيأتي ذكر أبيه وجده وكان ولده مالك من رؤساء الكوفة وهو ممن قتله المختار بن أبي عبيد عند طلبه بدم الحسين «عليه السلام» ويشتبه بحرام بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن كلاب والد أم البنين أمرأة علي «عليه السلام»، ولدت له العباس وجعفر وغيرهما وأبوهما من أهل هذا القسم أيضاً، إنتهى.

قال الداوودي في عمدة الطالب[٣]: وأُمه وأُم إخوته عثمان وعبد الله وجعفر أم البنين بنت حزام بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وأُمها ليلى بنت سهل بن مالك وهو ابن أبي براء عامر ملاعب الاسنة ابن مالك ابن جعفر بن كلاب.

وأُمها عامرة بنت الطفيل بن عامر.

وأُمها كبشة بنت عروة الرحال بنت عتبة بن جعفر بن كلاب.

وأُمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناة، الخ.

وفي هذا الكلام ملاحظة تعرف مما سبق ويأتي فإنه يتبين الخطأ فيه وحيث

---

(١) تاريخ الخميس ٢/ ٣١٧.
(٢) الإصابة ١/ ١٧٥.
(٣) عمدة الطالب: ص٣٢٣.

اتصل النسب إلى هوازن فهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن الناس بن مضر وهنا يلتقي نسب آبائه وأمهاته.

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[١]: أُمه أم البنين بنت حرام بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد وهو عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمها ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأُمها عمرة بنت الطفيل - فارس قرزل - بن مالك الأحزم - رئيس هوازن - بن جعفر بن كلاب.

وأُمها كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب.

وأُمها أم الخشف بنت أبي مغولة فارس هوازن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمها فاطمة بنت جعفر بن كلاب.

وأُمها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وأُمها امنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن دوواد بن أسد ابن خزيمة.

وأُمها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

وأُمها بنت مالك بن قيس بن ثعلبة.

وأُمها بنت ذي الرياستين - وهو خشين - ابن أبي عصم بن شمخ بن فزارة.

وأُمها بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، الخ.

وقال الشيخ المفيد في الارشاد[٢]: العباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع أخيهم الحسين «عليه السلام» بكربلاء أُمهم أم البنين بنت حزام ابن خالد بن دارم، إنتهى.

ومثله في الفصول المهمة لابن الصباغ[٣] ولم أجد لهما موافقاً على ذلك، ولم يثبت أحد من النسابين في آباء أم البنين من يقال له دارم.

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ[٤]: ثم تزوج - يعني أمير المؤمنين -

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٢٢.
(٢) الارشاد: ص١٩٠.
(٣) الفصول المهمة: ص١٤٤.
(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٨٩.

بعدها أم البنين بنت حزام - وهو أبو المحل - بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب فولد لها منه العباس وجعفر وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين «عليه السلام» بكربلاء ولابقية لهم غير العباس «عليه السلام»، الخ.

والعلامة الفاضل شيخنا محمد بن إدريس الحلي «رحمه الله» أراد في كتاب «السرائر» أن يصحح غلط الشيخ المفيد بزعمه فوقع في خطأ أعظم من ذلك لأن ما في الارشاد يمكن حمله على السهو أو غلط النساخ أو ما يجري مجراه من التوجيه المقبول إذ من المستبعد جداً خفاء مثل هذا على الشيخ المفيد، أما ابن ادريس فلا يمكن توجيه غلطه ولا الاعتذار عنه بكل صورة لأنه قد صرح ونص في كتاب السرائر في آخر كتاب الحج بما لفظه: ونسب شيخنا المفيد في الارشاد العباس بن علي «عليهما السلام» فقال: أُمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم وهذا خطأ وإنما أم العباس «عليه السلام» المسمى بالسقا ويُسميه أهل النسب أبا قربة المقتول بكربلاء صاحب راية الحسين «عليه السلام» ذلك اليوم أُمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة وربيعة هذا هو أخو لبيد الشاعر بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وليست من بني دارم التميميين، الخ.

وانا أقول بأحتشام وتعظيم للعلامة صاحب السرائر وبلا تجاسر عليه ولا مس لكرامته أن في كلامه وهم ظاهر وخطأ من ثلاث وجوه إن كان خطأ المفيد «رحمه الله» من وجه واحد: أما الوهم فظنه أن المفيد عنى دارم تميم وهذا وهم منه إذ ليس في كلام المفيد تصريح به ولم يصل النسب حتى يصح ما قال صاحب السرائر، غايته إنه ذكر أن في ابائها من يسمى دارماً وعنده أنه دارم العامري لا دارم التميمي، وغفل ابن ادريس عن تصريحات المفيد في مواضع عديدة بأنها كلابية وعامرية كما في قضية الشمر وخطابه للعباس «عليه السلام» وغيرها من القضايا التي غفل عنها ابن ادريس.

أما الخطأ فمن وجوه ثلاثة:

أحدهما: خلطة بين حرام والد أم البنين وبين الذي هو أخو لبيد، وقد فرق بينهما في الإصابة كما سمعت وقد أوردنا لرد هذا الاشتباه.

ثانيهما: جعله ربيعة أخاً للبيد الشاعر وربيعة إنما هو والد لبيد لا أخوه بأتفاق النسابين.

وثالثهما: الخلط والخبط بين البطنين فإن لبيد جعفري وأُم البنين وحيدية والوحيد وجعفر أخوان كلاهما ابنا كلاب ومن كان جعفرياً لا يكون وحيدياً إلَّا أن تفرض الأخوة من جهة الأمهات.

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: أما كلاب بن ربيعة وكان فيه نوك وولده جعفر ومعاوية وربيعة وأبو بكر وعمرو والوحيد ورواس، والأضبط وعبدالله، فمن بني رواس وكيع المحدث ومن بني الوحيد أم البنين كانت عند علي بن أبي طالب فولدت له العباس و عبد الله وجعفر.

وأما معاوية بن كلاب فمنهم الضباب وهم حسل وحسيل وضب بنو معاوية وأما عمر بن كلاب فلهم عدد كثير وفيهم قوم يقال لهم دودان ومن عمر يزيد بن الصعق.

وأما جعفر بن كلاب فولده الاحوص وخالد ومالك وعتبة بنو جعفر بن كلاب.

ثم ذكر ما سنذكره من أشرافهم، وقال: وأما ربيعة فهو أبو لبيد الشاعر وأما أبو بكر بن كلاب فمن ولده القرطات: قرط وقريط ومقرط.

ومنهم الضحاك ابن السفيان استعمله رسول الله ﷺ على بني سليم.

ومنهم المحلق بن حنتم الذي قال فيه الاعشى: وبات على النار الندى والمحلق، إنتهى، والتطويل في ذلك لا طائل تحته.

وهذه المرأة النبيلة الصالحة ذات الفضل والعفة والصيانة والورع والديانة التي هي والدة العباس «عليه السلام» كريمة قومها وعقيلة أسرتها تنتمي - كما عرفت - إلى اشرف العرب قبيلة، وأكرمها فصيلة، فإن قبيلتها من أشرف القبائل العربية شرفاً، وأجمعهم للمآثرالكريمة التي تفتخر بها سادات العرب يعترف لها بالسيادة حتى أضدادها وحسادها ومعادوها ولذلك لكثرة نوابغها من الرجال المبرزين والزعماء الممتازين بأكمل الصفات الكريمة وأتم الخصال الممدوحة كالكرم والشجاعة والفصاحة شعراً وخطابة، هذه كانت مفاخر العرب في العصر الجاهلي ولا فضيلة عندهم أفضل من فضيلة الشعر ولا خصلة عندهم توجب التقدم أنبل من الشجاعة وليست هذه الفضيلة مما يختص بها الدور الجاهلي المظلم، ولا العصر الهمجي وحده، بل فضلها ظهر في الدورة المدنية وعصر النور حيث أكدتها شريعة الإسلام المقدسة وقد نوه الباري تعالى بذلك في كتابه تنويهاً عظيماً فمرة جل وعلا يحض على الثبات في الزحف واخرى يذكر محبته لمن ثبت في مركزه الحربي في الجهاد على الدين وأخرى يوعد بجزيل الحباء لأهل هذه الصفة وقد

---

(١) المعارف: ص٣٩.

ذكر ذلك في آيات كثيرة: كقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٢]، وقوله تعالى متوعداً ومتهدداً لمن فر عن الزحف ولم يثبت في مركزه الحربي: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٣].

وأما الآيات الموعدة بالحباء فكثيرة والأحاديث أكثر منها، قوله «عليه السلام»: «إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية».

ويكفي في الاستشهاد لهذا ما في خطب أمير المؤمنين «عليه السلام» الواردة في نهج البلاغة.

أما العرب فكانت تأنف من الفرار وتعده عاراً ومقتاً وسبة، وتعد الثبات في الحرب فخراً ومجداً، والشجاعة سؤدداً، وقد كانت على ذلك جاهلية وإسلاماً وكانت في إسلامها تبالغ في الثبات في المواقف الحرجة وتحرص على الرسوخ في مراكزها خصوصاً في الحروب العظيمة ذات الأهوال الشديدة واعتبر ذلك في القادسية واليرموك ونهاوند وصفين بل كانت صفين أعظم المواقف التي وقفتها العرب وأفضع المعارك التقى فيها جيشان عربيان وإنما طحنتهم تلك الحرب وأبادتهم وهم ثابتون في مراكزهم لأن فيهم بقايا حمية الجاهلية وبصيرة الدين فتفانوا، وسنذكر من بعض أقوال الخطباء والشعراء العرب في هذه المعارك الأربعة نبذة، وكذلك كانت الخوارج تأنف من الفرار وتعده كفرا وخروجا عن الدين.

ومن محبة العرب الإسلاميين للثبات اشتقوا لبعض شجعانهم اسماء مناسبة لذلك كما لقبوا هاشماً بـ«المرقال» وحبيب بن المهلب بـ«الحرون» كما لقبت أهل الجاهلية فرسانها فسموا عتيبة بن الحارث «صياد الفوارس» وعامر بن مالك الجعفري «ملاعب الأسنة» وعبد الله الكناني «جذل الطعان»، ثم الزموا كل بطل سمة ما اتصف به، فقالوا «زيد الخيل» للطائي، و«سليك المقانب» للتميمي، و«عنترة الفوارس» للعبسي، و«زيد الفوارس» للضبي، وأمثال هؤلاء.

فاذا كان للشجاعة هذه المكانة عند عموم العرب وإنها من موجبات السؤدد والشرف فإذن آباء أم البنين واسرتها سادات العرب شجاعة وفروسية وشعراً

---

(١) الأنفال: ٤٥.
(٢) الصف: ٤.
(٣) الأنفال: ١٥ - ١٦.

وخطابة وكرماً وجوداً فحق لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن يرغب في الوصلة الصهرية بهم لأن البنت التي قد ولدها مثل هؤلاء الأبطال الشجعان لجديرة أن تنجب فيما تلد ولا تلد إلّا شجاعاً بطلاً قد ضم بين طرفي البطولة والفروسية عمومة وخؤلة، فقول أمير المؤمنين «عليه السلام» لأخيه عقيل كما سنذكر: «إختر لي امرأة» حقيق بصحة الاختيار فقد أنجبت هذه الإمرأة المحترمة أعظم الرجال شجاعة وثباتاً وتقدماً وإقداماً، وهو حري بتلك الشجاعة الباهرة لأنه معرق فيها من كلا طرفيه، وهذا أمر تعرفه العرب في قديمها وحديثها.

فقد قال شبيب الخارجي في خالد بن عتاب الرياحي وقد رآه يخوض دجلة على متن فرسه ولوائه بيده لم يسقط، فتعجب شبيب وقال: لله دره فارساً ودر فرسه فرساً، فقال أصحابه: أتعرفه؟ فقال: لا، قالوا: هذا خالد بن عتاب، فقال شبيب: معرَّق في الشجاعة لو علمت أنه هو لأقحمت خلفه ولو دخلت النار، في القصة المشهورة، رواها الطبري وابن أبي الحديد وغيرهما وقد كانت العرب تمدح الرجال وتطريهم من هذه الحيثية فيقولون: فلان معم مخول وقد كثر ذلك في أشعارهم وحكاياتهم.

قال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لما منعه أخواله من كندة من تحكم مسلم بن عقبة المري فيه وتعسفه في اهتضامه وذلك يوم الحرة المشهور:

أبي العاس قرم بني قصي وأخوالي الملوك بنو وليعة

وسنذكر الشواهد الشعرية بعد الحديث.

قال السيد الداوودي في عمدة الطالب[١]: قد روي أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال لأخيه عقيل «رضي الله عنه» - وكان نسابة عالما بأنساب العرب وأخبارهم -: أنظر لي أمرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاما فارساً، فقال له: تزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها، فتزوجها، الخ.

وقال الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة[٢]: قيل: إن زهير بن القين أتى عبد الله بن عقيل قبل أن يقتل، فقال له: يا أخي ناولني الراية، فقال له عبد الله: أفيّ قصور؟ قال: لا ولكن لي بها حاجة، قال: فدفعها إليه، فأخذها زهير وأتى

---

(١) عمدة الطالب: ص٣٢٤. (٢) أسرار الشهادة: ص٣١٨.

العباس بن علي «عليهما السلام» وقال: يا بن أمير المؤمنين! أريد أن احدثك بحديث، فقال: حدث فقد حلا وقت الحديث.

حـدِّث ولا حـرجٌ عـلـيـك فـإنـمـا تـروي لـنـا مـتـتـابـع الأسـنـاد

فقال له: إعلم يا أبا الفضل! إن أباك أمير المؤمنين لما أراد أن يتزوج بامك أم البنين بعث إلى أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب فقال له: يا أخي أريد منك أن تخطب لي أمرأة من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة لكي اصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا - وأشار إلى الحسين «عليه السلام» - يواسيه في طف كربلاء وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن أخواتك.

فأرتعد العباس «عليه السلام» وتمطى في ركابه حتى قطعه وقال: يا زهير! تشجعني في مثل هذا اليوم، الخ.

وقد صدق مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما أمله وترجاه من شجاعة أبي الفضل العباس «عليه السلام» ومواساته لأخيه الحسين «عليه السلام» اللذين حير بهما أفكار العقلاء وأدهش ألباب المفكرين وصدق هذا المقال من مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» كصدق سائر مقالاته لأنه «عليه السلام» وقعت له أخبارات كثيرة بالمغيبات وقعت كلها في أزمنة متقاربة فلم يقدر أحد من الناس على تكذيبها لوقوع الحوادث على وفق ما أخبر به كقوله لعمر بن سعد: «إنك تقتل ولدي الحسين «عليه السلام»»، وكقوله لتميم التميمي: «إن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ»، وكان ابنه حصين غلام يدرج.

وكقوله لأعشى همدان وقد قال لأمير المؤمنين «عليه السلام» في حديث حدث به: ما أشبه هذا بحديث خرافة، فقال: «يا غلام، سلط الله عليك غلام ثقيف» - يعني الحجاج - فقتله الحجاج بعد ذلك.

وكإخباراته لأصحابه بصفات ما يقتلون به مثل قوله لهاني بن عروة يرمى به من طمار، وقصة ميثم ورشيد وغيرهما مما هو مشهور وصدقه «عليه السلام» عندنا مستند إلى علمه الغيبي الذي أخذه عن رسوله الله ﷺ وأخذه رسول الله ﷺ عن جبرئيل «عليه السلام» وتلقاه جبرئيل عن اللوح المحفوظ عن الله عز وجل وأما عند غيرنا فالمحققون منهم على ما نقول، وغير المحققين لا يستريبون بصحته لما شاهدوا من وقوع إخباراته ولما عاينوه معاينة ومشاهدة أو نقله لهم الثقاة عنه مما هو مطابق لقوله، ولكنهم يقولون هي فراسة صادقة.

وقد صحت الآثار الكثيرة بصدق الفراسة سيما فراسة أهل الايمان فقد جاء في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، وحيث كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» فصلاً مطولاً في الفراسة أغنانا ذلك عن إعادته هنا، ولكنا نشير إليه بقدر ما يستفيد منه القارئ حتى يعرف كيف تبلغ الفراسة إصابة المخفي.

قال الشريف الجرجاني في التعريفات[١]: الفراسة في اللغة التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيبة.

وقال محمد صادق في خلاصة السياسة في علم الفراسة[٢]: إعلم أن علم الفراسة عند العرب من العلوم الشريفة الطبيعية المعتمد عليها إذ هي الواسطة للأستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن ومن المعلوم أن القدماء كانوا على شيء من علم الفراسة وفي العصور المظلمة في الجاهلية قبل الإسلام ولكنهم كانوا لا يجدون حكماً بيناً ولا برهاناً مقنعاً، ولا دليلاً قاطعاً يحكمون به على أخلاق الشخص بل كان حكمهم على سبيل البداهة ليس إلَّا، وأول من تكلم في هذا الموضوع أبو الطب سنة (٤٥٠) قبل الميلاد وهو يعتقد بتأثير العوارض الخارجية على الأخلاق الباطنية وظهور آثار ذلك في ملامح الوجه وكذلك كان مذهب جالينوس وأقليدس الحكيم اليوناني كتب فصولاً مطولة في علم الفراسة.

إلى أن قال[٣]: ومن حيث أن الفراسة قريحة خاصة تجدها في شخص دون الآخر بمعنى أنه كلما زادت قوى المرء العقلية بالعلوم زادت قوى أعطافه الذوقية وظهرت على وجهه ملامح الذكاء التي تدل على إصابة الحكم وسرعة الخاطر والبداهة الفطرية فحينئذ تصيب أحكامه الفراسة ولو لم يتلقاها عن أحد إنما تكون في هذه الحالة ملكة خاصة بحكم الأميال الطبيعية ومن كانت هذه صفته وتناول علم الفراسة كان من التابعين فيها بحكم الشخص الآخر الذي لم يستعمل عقله في شيء فتراه مكباً على اللهو واللعب، غير مبال بالأحكام الدينية ولا مكترث بالأمور السياسية، معرضاً عن الواجبات العقلية فهذه تكون علامات الغباوة والحمق والجهل ناطقة على وجهه وحينذاك لو ذكرت له علم الفراسة ومعناها والغرض منها، وأسهبت له في الموضوع لم يزدد بها إلَّا جهلاً حيث لم يكن له شعور عقلي ولا أميال طبيعية ولا غريزة فطرية تنبهه أو تنشطه أو تجعل له استعداداً لتلقي

---

(١) التعريفات: ص١١١.
(٢) خلاصة السياسة في علم الفراسة: ص٣.
(٣) خلاصة السياسة في علم الفراسة: ص٤.

العلوم فيرى أن ذلك ضرباً من الخرافات لأنه لا يمكنه فهم شيء منها ولا إدراك مغزاه بل ولا مطابقته عقلياً.

ومن المعلوم لدى علماء الفراسة أن بعض النساء لهن موهبة الفراسة وأصلية الحكم وسرعة الخاطر في الأحكام على الأخلاق الشخصية من النظر إلى هيئة الرجل وشبه كلامه، ولو طلبت منها الدليل على ما حكمت به على أخلاق ذلك الشخص لم تستطع لذلك سبيلاً، ولا تقدر أن تعبر عنه بدليل ولا برهان والدليل على ذلك ظاهر كالشمس وهو أنها تحكم باعطافها وبداهتها وأميالها أما الرجل فيحكم بعلمه وممارسته وعقله، وهذه المزايا يعترف بها أكثر علماء الفراسة.

ومن الناس من تكون له تلك المواهب طبيعية يشب عليها بفطرته الغريزية من غير علم ولا تلقين ولا مدارسة ونرى أُناساً يقضون أعمارهم في ممارسة هذا العلم ولا يتقنونه، ومن المشهور أن محمد علي باشا الكبير كان أحسُ الناس فراسة يستطلع أخلاق المذنب ويحكم عليه بمجرد ما يظهر من ملامحه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب وقد كان يفعل مثل ذلك علي بك الكبير أمير المماليك في القرن الثامن عشر وممن نبغ في الفراسة وأشتهر بالذكاء وسرعة الخاطر، الحسن ابن السقاء كان من موالي بني سليم بلغ في فراسته أنه ينظر إلى السفينة فيحرز ما فيها فلا يخطئ وكان حرزه في المكيول والموزون والمعدود سواء.

إلى أن قال[1]: أما فروع علم الفراسة فكثيرة أشهرها اعتماداً عند علماء هذا الفن عشرة فروع منتشرة ومستعملة وهي: فراسة الأمم وفراسة المهن وفراسة المقابلة وفراسة الأختلاج، وفراسة الحركة، وفراسة الأمزجة، وفراسة الرأس، وفراسة الهيئة، وفراسة الكف، وفراسة الكتابة، إلى آخر ما ذكر وهو كتاب خاص بهذا الفن.

ومن فراسة الأمم على قوله يكون تفرس أمير المؤمنين «عليه السلام» في أم ولده العباس الأكبر «عليه السلام» لأن طبائع الأصول تؤثر في الفروع كما سنبين ذلك إن شاء الله.

وربما يسال سائل: لم عول أمير المؤمنين «عليه السلام» على أخيه عقيل في الاختيار ولم يختر هو لنفسه؟ فهل كان عقيل أعرف منه بأصول العرب؟ مع إنكم تعتقدون أن الإمام أعلم من غيره في كل العلوم وأعرف ممن سواه لكل شيء؟.

الجواب: نعم هو كذلك عندنا، ولكن العادة التي اقتضتها همم الأكابر من

---

(١) خلاصة السياسة في علم الفراسة: ص٦.

الملوك والعظماء أنه إذا أراد التزويج لنفسه أو لواحد من ولده اناب عنه من يقوم به من خاصته فيوجه من يعتمد عليه من أهل المعرفة والحزم ليختار له ترفعاً منهم عن ذلك، لأن المرأة مهما بلغت في الجلالة وعظم القدر هي بالنسبة إلى ذلك العظيم محقرة ويرى أن مباشرته للخطبة بنفسه انحطاطاً لقدره ، وهذا نبينا محمد ﷺ لما أراد الزواج بخديجة «عليها السلام» مع رغبته التامة فيها وعلو قدر خديجة وعظم شأنها في قريش لم يباشر ﷺ خطبتها بنفسه وإنما باشر ذلك أعمامه أبو طالب والزبير حمزة، والقضايا التاريخية إذا سرت عليها أرتك ما نقوله جلياً، ولكن من الملوك من يختر عقل المرأة إذا كان عارفاً بنسبها بأرسال خبير ومنهم من يرسل أمرأة حازمة لتختبر عقلها ومحاسنها كما فعل ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة لما أراد التزويج بأبنة عوف بن ملحم الشيباني الذي يقال فيه: لأحر بوادي عوف أرسل إليها أمرأة من كندة يقال لها عصام، وفيها قيل: «ما ورائك يا عصام»، ومن الملوك من لا يريد التزويج بامرأة بعينها بل غرضه التزويج بامرأة شريفة ممن لها نسب كريم، فترددت بين نساء كثير من ذوات الشرف كل واحدة تصلح أن تكون زوجة له لشرفها وعقلها وجمالها فيرسل خبيراً معتمداً فيقول له: إختر لي أمرأة من ذوات الشرف أو من ولدها الملوك مع علمه ومعرفته أن ذلك الرسول المعتمد لا يعدو اختياره الذي في نفسه من حيث فطانته وعقله وعلمه بأنه لا يريد إلَّا المتقدمة بشرفها على نظرائها فهو لا يختار إلَّا ما أختاره في نفسه، فكأنه قال له: أخطب عند آل فلان لأمتيازهم على من كافأهم في الملك والرياسة.

ولما كان في عصر أمير المؤمنين «عليه السلام» كثير من ذوي الشرف وبيوت الرئاسة والشجاعة من العرب مثل بين دارم وبني مقاعس في بني تميم وآل ذي الجدين في ربيعة وال بدر في غطفان وبني كلاب في بني هوازن ورأيه الشريف في الكلابية لعلمه بأسرتها البواسل، شاور أخاه عقيلاً في ذلك لعلمه أن عقيلاً لا يعدوها من حيث أن له المعرفة التامة بأنساب العرب علامة بهذا الفن فهو لا ينصرف عنها فيختار غيرها والدليل على صحة هذا الاختيار ما أحاط بها من مشاهير رجال تلك العائلة المشهورة واكتنفها من فرسانها البواسل.

وحيث استوفينا الكلام عن بني عامر في كتابنا «السياسة العلوية» وذكرنا بطون هذه القبيلة وأفخاذها ومن ينتمي إليها رأينا أن لا نعيده هنا فنطيل به ولكن نذكر هنا ما يناسب الكتاب مما لها من المآثر إجمالاً ككونهم من الحمس، وأنهم

لقاح لا يدينون لأحد من الملوك ونذكر بني كلاب خاصة لأنهم بيت بني عامر وما قيل فيهم ونذكر جماعة من أبطالهم وساداتهم ليعرف قدر أم البنين.

في السيرة الهاشمية[١]: قال ابن إسحاق: قد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أم بعده أبتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه، قالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف لها العرب مثلما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت بكم العرب وقالوا: قد عظموا من الحل مثلما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وهم يعرفون ويقرون بأنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم «عليه السلام» ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلّا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما يعظمها غيرنا ونحن الحمس، و الحمس أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كنانة وخزاعة دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة النحوي: إن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب الزبيدي:

أعباس لو كانت شياراً جيادنا بتثليث ما ناصبت بعدي الأحامسا

يعني بالأحامس بني عامر بن صعصعة وعباس هو عباس بن مرداس السلمي وكان أغار على بني زبيد بتثليث، وأنشدني للقيط بن زرارة الدارمي في يوم جبلة:

أجذم إليك أنها بنو عبس المعشر الجلة في القوم الحمس

لأن بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة، الخ.

وحديث الحمس أطول من هذا ذكرناه بطوله في (السياسة العلوية).

قال ابن الأثير في تاريخ الكامل[٢] في حديث يوم السلان: قال أبو عبيدة: كانت بنو عامر بن صعصعة حمساً، والحمس قريش ومن له فيهم ولادة والحمس يتشددون في دينهم وكانت عامر أيضاً لقاحا لا تدين للملوك، الخ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٩.

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٢٢٤.

وقال ابن الأثير الجزري المحدث في النهاية[١]: الحمس جمع احمس وهم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا والحماسة الشجاعة كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ويقولون: نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم وكانوا لا يدخلون البيوت من ابوابها وهم محرمون.

وقال ابن واضح في تاريخه[٢]: كانت الرياسة والحكومة في قيس ثم أنتقلت إلى عدوان وكان أول من حكم منهم ورأس عامر بن الضرب ثم صارت في فزارة ثم صارت في عبس ثم صارت في بني عامر بن صعصعة ولم تزل فيهم.

وقال ابن الأثير المؤرخ في تاريخ الكامل[٣] في سياق مقتل شاس بن زهير بن جذيمة العبسي عند منصرفه من النعمان بن المنذر بما لفظه: وسار زهير إلى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر، فأجتمعوا عنده فحلفوا أنهم لم يعلموا خبره فقال: لكني أعلمه.

فقال أبو عامر: فما الذي يرضيك منا؟ قال: واحدة من ثلاث: إما أن تحيوا ولدي، وإما أن تسلموا لي غنياً أقتلهم بولدي، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم.

فقالوا: ما جعلت لنا مخرجاً في هذا، فأما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلَّا الله، وأما تسليم غني إليك فإنهم يمنعون مما تمتنع منه الأحرار، وأما الحرب بيننا وبينك فوالله إنا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن إن شئت الدية وإن شئت نطلب قاتل ابنك ونسلمه إليك أو تهب دمه فإنه لا يضيع في القرابة والجوار.

فقال: ما أفعل إلَّا ما ذكرت، فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدي زهير على أخواله من غني، فقال: ما رأيت كاليوم تعنت رجل على قومه، فقال زهيراً: تحب أن تكون طلبتي عندك واترك غنياً؟ فقال: نعم، فأنصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب قد أخذت قرينتي ... برد غني أعبداً ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامرية ... يهزون في الأرض القصار العواليا
مساعير في الهيجا مصاليت في الوغى ... أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا
يقيمون في دار الحفاظ تكرماً ... إذا ما قنى القوم أضحت خواليا

---

(١) النهاية ١/ ٣٥٨.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٨٦.
(٣) الكامل في التاريخ ١/ ٣٠١.

قال أبو الفرج في الأغاني[١] في سياق حديث يوم جبلة الشهير: فقال الناس للقيط: ما ترى؟ قال: أرى أن تصعدوا إليهم.

فقال شاس الأسدي: لا تدخلوا على بني عامر فإني أعلم الناس بهم قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوماً قط أقلق بمنزل من بني عامر، والله ما وجدت لهم مثلاً إلا الشجاع فإنه لا يقر في حجرة قلقاً وسيخرجون إليكم، والله لإن نمتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلَّا وهم منحدرون إليكم، الخ

لقيط بن زرارة التميمي وهو القائد العام لجيش جبلة العرمرم على حرب بني عامر وفيه أربعة من الملوك، ولم يسمع في الجاهلية بجيش أضخم منه وفضحتهم بنو عامر بقتل الأشراف والملوك وأسرهم.

وأما شاس فهو رئيس بني أسد وجد عرار الشاعر في عصر عبد الملك وأبو عمرو الصحابي الشاعر، وقد أفتخر المجبر بن أسلم القشيري في حرب قيس وقضاعة أيام غارات عمير بن الحباب السلمي على حميد بن مجدل الكلبي وفناء كلب حتى أخلت ديارها هرباً:

كل حيٍّ أذقت نعمي وبؤسي ببني عامر الطوال الرماح

قال ابن عبد البر في كتاب الأنباه[٢]: قال أبو عمر: جاء الإسلام وأربعة أحياء قد غلبوا الناس كثرة: شيبان بن ثعلبة وجشم بن بكر بن تغلب وعامر بن صعصعة وحنظلة بن مالك فلما جاء الإسلام خمد حيان وطمى حيان طمى بنو شيبان وعامر بن صعصعة وخمد جشم وحنظلة.

وقال ابن العماد في شذرات الذهب[٣] في حديث ابن القرية فصيح العرب ما لفظه: كتب الحجاج إلى عماله أن لا يجدوا أحداً من أصحاب ابن الأشعث إلَّا أرسلوه أسيراً، فكان فيمن أرسلوا ابن القرية فسأله الحجاج عن البلدان والقبائل، فقال: أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل وأهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة واعجزهم عنها وأهل الشام أطوع الناس لخلفائهم، وأهل مصر عبيد من غلب - أي خدع - وأهل البحرين نبط استعربوا وأهل عمان عرب استنبطوا وأهل الموصل أشجع الفرسان وأهل اليمن أهل اهواء وصبر عند اللقاء وأهل اليمامة أهل جفاء وأختلاف وريف كثير وقرى يسير.

وأما القبائل فقريش أعظم الناس أحلاماً وأكرمهم مقاماً وبنو عامر أطولها

---

(١) الأغاني ١٠/ ٣٦.
(٢) الإنباه: ص٩٧.
(٣) شذرات الذهب. ١/ ٩٣.

رماحاً وأكرمها صباحاً، وثقيف أكرمها جدوداً وأكثرها وفوداً، وبنو زبيد ألزمها للرايات وأدركها للثارات، وقضاعة أعظمها أخطاراً وأكرمها نجاراً وأبعدها آثاراً، والأنصار أثبتها مقاماً وأحسنها إسلاماً، الخ، وذكرها اليافعي في تاريخ مرآة الجنان[١].

وفي الخبر العامي ذكره الخطيب في تاريخ بغداد[٢] عن أبي هريرة: ذكرت القبائل عند النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله! ما تقول في هوازن؟ فقال ﷺ: زهرة نبع.

فقالوا: ما تقول في بني عامر؟ فقال ﷺ: جمل أزهر يأكل من أطراف الشجر.

قالوا: فما تقول في بني تميم؟ فقال ﷺ يأبى الله لبني تميم إلَّا خيراً، ثبت الأقدام، عظام إلهام، رجح الأحلام، هضبة حمراء لا يضرها من ناواها.

وفي ذيل أمالي القالي[٣] من قصة ذكر فيها معاوية بن أبي سفيان سأل فيها دغفلاً النسابة عن قبائل العرب العدنانية، قال: فأخبرني عن قيس؟ قال: كانوا لا يفرحون إذا أديلوا ولا يجزعون إذا ابتلوا ولا يبخلون إذا سئلوا، قال فأخبرني عن أشرافهم في الجاهلية؟ قال غطفان بن سعد وعامر بن صعصعة وسليم بن منصور فأما غطفان فكانوا كراماً سادة وللخميس قادة وعن البيض ذادة وأما بنو عامر فكثير سادتهم مخشية سطوتهم ظاهرة نجدتهم وأما بنو سليم فكانوا يدركون الثار ويمنعون الجار ويعظمون النار، الخ.

إعظام النار إكثار وقودها للأضياف، وليهتدي بها الضال في البيداء، وحسبنا ما ذكرنا.

وأُم عامر بن صعصعة بنت عامر بن الضرب العدواني، ذكر الجاحظ في البيان والتبيين وأبو حاتم السجستاني في المعمرين، ولفظ الأول[٤]: خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الضرب العدواني بنته عمرة وهي أم عامر بن صعصعة، فقال: يا صعصعة، إنك أتيتني تشتري مني كبدي وأرحم ولدي عندي وأبغيتك أو رددتك، والحسيب كفؤ الحسيب والزواج الصالح أب بعد أب، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك، أفر من السرالى العلانية أنصح ابناً، وأودع ضعيفاً قوياً، يا معشر عدوان خرجت من بين أضهركم كريمتكم من غير رهبة ولا

(١) مرآة الجنان ١/ ١٧٥ طبع حيدر آباد. (٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥.
(٣) أمالي القالي: ص٢٥. (٤) البيان والتبيين ٢/ ٥٩.

رغبة، أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به.

وفي رواية أبي حاتم بعد قوله: «من غير رغبة» عنكم من خط له شيء جاءه رب زارع لنفسه ما حصد غيره وبعد قوله: «ما يعيش به» ولكن رزق آكل من آجل وعاجل، إن الذي أرسل الحيا أنبت المرعى، ثم قسمه لكل فم بقلة ومن الماء جرعة ترون ولا تعلمون وإن يرى ما أصف لكم إلَّا كل قلب واعي ولكل مرعى راعي ولكل خلق خلق كيس أو حمق، وما رأيت شيئاً قط إلَّا سمعت حسه ووجدت مسه وما رأيت شيئاً خلق نفسه وما رأيت موضوعاً إلَّا مصنوعاً وما رأيت شيئاً إلَّا ذاهباً ولا غانماً إلَّا خائباً، ولا نعمة إلَّا ومعها بؤس ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء، إنتهى.

استدل هذا العربي الساذج العاري عن الفلسفة والحكمة النظرية بفطنته الغريزية وعقله الفطري على إثبات الباري تعالى وإبطال المادة بأمور:

أحدها: أن الاتحاد بين الخالق والمخلوق باطل فلا بد من التغاير للضرورة القاضية أن المصنوع غير الصانع فإذا كانت المادة متأثرة في نفس وجودها فلا بد من وجود مؤثر فيها لأنه لم ير شيئاً خلق نفسه من حيث أنه كان عدماً، والمعدوم لا يؤثر في الموجود شيئاً، فلا بد أن يكون المؤثر فيه موجوداً وهو غيره، وهو الذي انقذه من العدم الازلي.

ثانيهما: الأستقراء والتتبع فأنا تتبعنا الأشياء الموجودة وأستقرينا كل مصنوع فلم يوجد إلَّا من له صانع فالبناء له باني والزرع له زارع وهكذا بقية الأشياء فينتج هذا الأستقراء أن لهذا الكون مكوناً وإلا لجاز أن يكون المصنوع بلا صانع.

ثالثهما: أختلاف الطبائع ودليل أختلافها أختلاف الأخلاق ولو كانت الطبيعة هي الموجدة لما تباينت الأخلاق ولوجب أن يكون كل إنسان بليداً وكل إنسان فطناً إذ الطبيعة واحدة والمادة لا تختلف في أفراد العاقل والمجنون، فهي فيهما سواء.

رابعها: أن جميع الموجودات مدركة بالحواس وكلما أدركته الحواس فهو حادث وذلك في قوله: «سمعت حسه ووجدت مسه».

خامسها: الفناء وذلك أن القديم لا يجوز عليه الفناء إذ لو جاز عليه الفناء لأختل النظام القائم بتدبيره، فلو كانت المادة هي الموجدة لما جاز عليها الفناء لما ذكرنا من بقاء النظام وفناؤها كاشف عن وجود محدث لها وهو المدبر لهذا الكون والحافظ لنظامه.

ثم استدل بسير الحوادث المدركة للمسرات في أن الدنيا ليست دار بقاء لكثرة ما فيها من الارزاء والبؤس ولو كانت دار بقاء لخلت من ذلك فلا بد أن يكون وراءها دار تدوم فيها لنعمة ولا يطرأ عليها البؤس.

ثم رد من يزعم أن الامراض التي تعرض للنفوس مسببة عن جراثيم أو ما شاكلها وأنها إذا تمادت أوجبت تلاشي القوى وانحلالها فتؤدي إلى التلف فلا بد من مكافحتها بالأدوية والعقاقير لتحفظ للنفس صحتها وبقاءها، فقال: «لو كان الداء كما زعموا قاتلاً لكان الدواء محيياً»، فإنك تزعم أن الدواء يعيد للنفس صحتها وعندك أن ذلك فيما جربته في الاصحاء ونحن نقول: إن هؤلاء قد قسم الله لهم بقاء مدة أراد أن يبلغهم اياها ولكن جرب دواءك فيمن مات فإن أحياه دواءك عرفنا أن الداء هو الذي قتله فإذا الدواء لم يحيه فالداء لم يقتله، وإنما أماته الله باستيفاء طعمته وانقضاء مدته.

بنو كلاب خاصة: جاء في حديث وقعة حنين المشهورة في السيرة الهاشمية[1]: قال ابن إسحاق: لما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري فأجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها وأجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس بن بني هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان إلّا هؤلاء وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب وكلاب فلم يشهدها منهم أحد له إسم وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلّا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً، وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف قاب بن الأسود بن مسعود بن متعب وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك وأخوه أحمر بن مالك وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري.

فما أجمع المسير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس أجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به فلما نزل قال: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لاحزن ضرس ولأسهل دعس، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونسائهم وأبنائهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعي له، فقال: يا مالك، قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الايام، مالي إسمع رغاء

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٦٦.

البعير؟ فأعاد الكلام بعينه، فقال: سقت مع الناس أموالهم وأبنائهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فأنتض به ثم قال: راعي ضأن والله هل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلَّا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد ولو كان يوم علاء ورفعة ما غاب عنه كعب ولا كلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر.

قال: ذانك الجذعان لا ينفعان ولايضران، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً أرفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم، ثم ألقي الصبا على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك الفاك ذلك وقد أحرزت أهلك، قال: لا والله لا افعل ذلك أنك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لا أتكئ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد ابن الصمة فيها ذكر أو رأي، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يا ليتني فيها جذع أخبت فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

إلى آخر القصة، ودريد بن الصمة هو فارس هوازن واحد أبطال العرب المشهورة قتل في هذه الوقعة كافرا وقد عاش مائتي سنة.

قال الميداني في مجمع الامثال[1]: قال يونس بن حبيب: زعموا أن رقية بنت جشم بن معاوية «يعني ابن بكر بن هوازن» ولدت نميراً وهلالاً وسواءة ثم اعتاطت فأتت كاهنة بذي الخلصة فأرتها بطنها وقالت: إني قد ولدت اعتطت فنظرت إليها ومست بطنها وقالت: رب قبائل فرق ومجالس حلق وطعن خرق في بطنك فأمخضت ربيعة بن عامر، الخ.

وهو أبو كلاب وكعب وأُم كلاب اسمها مجد من قريش.

قال الحافظ ابن عبد البر في كتاب الإنباه[2]: قال لبيد العامري:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال

ومجد هي أم كلاب وكليب وكعب بني ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي

---

(١) مجمع الأمثال ١/ ٢٢١.
(٢) الإنباه: ص٨٧.

بنت تيم بن مرة بن غالب بن فهر وهي التي جعلت بني عامر حمساً، والقصة التي ذكرها ابن عبد ربة في العقد الفريد أوردناها بطولها في كتاب «السياسة العلوية» ولا يسع نقلها وملخصها: إن كسرى فضل جميع الأمم على العرب وإن النعمان انتصر للعرب وأجاب بجواب مطول فضل فيه العرب على الأمم قاطبة ولم يستثن ولا قوم كسرى ولما رجع إلى الحيرة عاصمة ملكه أحب أن يجمع أشراف كل قبيلة شريفة من العرب وينتخب النبلاء من ذوي البيوت والسابقة في المجد والسيادة ويرسلهم إلى كسرى ليبرهنوا على مجد العرب وليفتخروا عليه بفضلهم في بلاطه فإن ذلك أقوى للحجة عليهم، فجمع من أشراف العرب من سلمت له الرئاسة واعترف بزعامته وأجمعت العرب على شرف بيته وسؤدد أسرته وهم: أكثم بن صيفي من بني عمرو بن تميم وحاجب بن زرارة من بني حنظلة بن مالك بن تميم، والحارث بن عباد فارس النعامة من بني يشكر بن بكر بن وائل وقيس بن مسعود وهو ابن ذي الجدين من بني شيبان من بكر بن وائل وخالد بن جعفر من بني مالك بن كلاب علقمة بن علاثة من بني الأحوص بن كلاب من بني عامر وعامر بن الطفيل من بني كلاب وعمرو بن الشريد من بني سليم وعمرو بن معد يكري من زبيد من مذحج، والحارث بن ظالم من بني مرة من غطفان وجميع هؤلاء من العدنانية سوى الزبيدي فإنه يماني.

ثم ساق القصة وتكلم كل واحد بما قدر عليه من الكلام في البلاط الكسروي أمام ذلك المجتمع المكتظ بوفود الملوك ورجال الدولة، فذكر[1] ما لفظه.

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال: أحضر الملك إسعاداً وأرشده إرشاداً إن لكل منطق فرصة ولكل حاجة غصة وعي المنطق أشد من عي السكوت وعثار القول أنكأ من عثار الوعث، وما فرصة المنطق عندنا بما نهوى وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة وترك ما أعلم من نفسي ويعلم من سمع أني له مطيق أحب إليّ من تكلفي ما أتخوف ويتخوف مني وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان وهو لك من خير الأعوان ونعم حامل المعروف والإحسان أنفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء رهينة، قال كسرى: نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل.

ثم قام علقمة بن علاثة العامري الكلابي فقال: نهجت لك سبيل الرشاد

(١) العقد الفريد ١/ ١٧١.

وخضعت لك رقاب العباد، إن للأقاويل مناهج وللآراء موالج، وللعويص مخارج وخير القول أصدقه وأفضل الطلب أنجحه، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا أفضل ممن عزب عنك، بل لو قسمت كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في آبائه دنياً أنداداً وأكفاء كلهم إلى الفضل منسوب وبالشرف والسؤدد موصوف وبالرأي الفاصل والأدب النافذ معروف يحمي حماه ويروي ضماه ويذود أعداه، لا تخمد ناره ولا يحترز منه جاره، أيها الملك من يبلو العرب يعرف فضلهم فأصطنع العرب فإنها الجبال الرواسي عزاً، والبحور الزواخر طمياً، والنجوم الزواهر شرفاً والحصى عدداً فإن تعرف لهم فضلهم يعزوك وإن تستصرخهم لا يخذلوك.

قال كسرى - وخشي أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه -: حسبك أبلغت وأحسنت.

ثم قال[1]: ثم قام عامر بن الطفيل العامري الكلابي فقال كثر فنون المنطق، وليس القول أغمى من حندس الظلماء وإنما الفخر بالفعال والفخر في النجدة والسؤدد مطاوعة القدرة وما أعلمك بقدرنا وابصرك بفضلنا وبالحري إن أدالت الأيام وثابت الأحلام أن تحدث أمور لها أعلام، قال كسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: تجتمع الاحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر، قال كسرى: وما الأمر الذي يذكر؟ قال: ما لي علم بأكثر مما خبرني به مخبر، قال كسرى: متى تكهنت يا ابن الطفيل؟ قال: لست بكاهن ولكني بالرمح طاعن، قال كسرى: فإن أتاك آت من قبل عينك العوراء فما أنت صانع؟ قال: ما هيبتي في قفاي دون هيبتي في وجهي، وما أذهب عيني عبث ولكن مطاوعة اللبث إلى آخر القصة وذكر فيها أن كسرى اعترف لهم بالسيادة وكتب إلى النعمان في التوصية بهم، وأن كل واحد منهم سيد يصلح لموضعه وقد علمت أن ثلاثة منهم من قبيلة أم البنين ورهطها الأدنى وهم بنو كلاب.

استطرادٌ إلى ذكر فرسان بني عامر ومشاهير قوّادهم على سبيل الإجمال

ذكر ابن الأثير الجزري في تاريخ الكامل في سياق حديث غزو بني عامر لبني تميم يوم رحرحان الذي أسر فيه معبد بن زرارة التميمي وذلك بسبب استجارة

---

(١) العقد الفريد ١/ ١٧٢.

الحارث بن ظالم المري ببني تميم عقيب مقتل خالد بن جعفر الكلابي والقصة مطولة يقول فيها[١]: فلما وصلوا مياه بني دارم رأوا أمرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها، فأخذها رجل من غني فتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت إلى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بني دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فأخبرته الخبر وقالت: أخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم.

قال: صفيهم لي؟ قالت: رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون، قال: ذاك الاحوص سيد القوم، قالت: ورأيت رجلاً قليل المنطق إذا تكلم أجتمع الناس إليه كما تجتمع الأبل حول فحلها أحسن الناس وجهاً ومعه ابنان له يلازمانه.

قال: ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل، قالت: ورأيت رجلاً جسيماً كأن لحيته محمرة معصفرة، قال: ذاك عوف بن الأحوص، قالت: ورأيت رجلاً هلقاماً جسيماً، قال: ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، قالت: ورأيت رجلاً أسود أخنس قصيراً، قال: ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، قالت: ورأيت رجلاً أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم، قال: ذاك جندع بن البكاء، قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرساً ومعه جفير لا يفارق يده، قال: ذاك ربيعة بن كعب بن عقيل، قالت: ورايت رجلاً معه ابنان أصهبان إذا أقبلا رماهما الناس بأبصارهم فإذا أدبرا كانا كذلك، قال: ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة، قالت: ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلّا وهي أحد من شفرة، قال: ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب، الخ.

وقال الآلوسي في بلوغ الارب[٢]: أفتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان: أحدهما من بني شيبان والآخر من بني عامر بن صعصعة فقال العامري: أنا أعد لك عشرة من بني عامر فعد لي عشرة من بني شيبان، فقال الشيباني: هات إذا شئت، فقال العامري: خذ عامر بن مالك ملاعب الاسنة، والطفيل بن مالك قائد هوازن وفارس قرزل، ومعاوية بن مالك معوذ الحكام وربيعة بن مالك فارس ذي علق، وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ويزيد بن الصعق وأربد بن قيس وهو اربد الحتوف، فقال الشيباني: خذ قيس بن مسعود رهينة بكر بن وائل، وهاني بن قيس أمين النعمان بن المنذر، وقبيصة بن مسعود وافد

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٢٠٢.
(٢) بلوغ الإرب ١/ ٢٨٣.

المنذر، ومفروق بن عمرو حاضن الايتام، وسنان بن مفروق ضامن الدمن، والاصم عمرو بن قيس صاحب رؤوس بني تميم وعمران بن مرة وهو الذي اسر يزيد بن الصعق مرتين، وعوف بن النعمان، فقال معاوية: عامر أفخر هوازن وشيبان أفخر بكر بن وائل، إلى آخر القصة وفيها طول.

وقال[١] في ذكر بيوت العرب المعظمة في الجاهلية ومن جملتها وفرعا ربيعة بن عامر ابن صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب، الخ، وقال ابن مقبل في شعره:

كلاب وكعب لا بيت أخوهم ذليلاً ولا تعيي عليه المسالك

فرسان بني كلاب وأبطالهم ورؤسائهم الذين قادوا هوازن في الحروب وشهرت نكاياتهم في العرب ونحن أن أوردنا كل فرسان بني عامر يطول بنا المقام ويضيع الوقت ولكن نذكر فرسان بني كلاب في العصر الجاهلي إلى القرن الأول الإسلامي ولا نذكر كلهم بل نذكر مقدار ما يستبين به اهمية هذه القبيلة وصحة اختيار مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» لها على سائر نساء العرب، وإذا عرفت فرسان رهطها الأدنى لا يخفى عليك فرسان بقية قومها من بني عامر مثل بني نمير الذين هم جمرة العرب وبني قشير وبني عقيل وبني البكاء وامثال هؤلاء كعمرو ابن عامر فارس الضحيا وخداش بن زهير وغيرهما من الفرسان المضروب بهم المثل.

ولدت أم البنين الكبرى لمالك بن جعفر بن كلاب خمسة كل واحد منهم سيد من سادات قومه ورئيس من رؤسائهم وقائد من قوادهم وهم: ربيعة بن مالك وهو ربيعة المقترين وهو أبو لبيد الشاعر، ومعاوية بن مالك بن جعفر وهو معوذ الحكام، والطفيل بن مالك وهو فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل، وعامر بن مالك وهو ملاعب الاسنة، وسلمى بن مالك وهو نزال المضيق، وفيها ضرب المثل فقالت العرب: انجب من أم البنين، ذكره أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال على هامش الميداني[٢] والميداني أيضاً في مجمع الأمثال[٣]، وهي ابنة عمرو بن عامر فارس الضحيا العامري وبهؤلاء الخمسة أفتخر لبيد بن ربيعة في مجلس النعمان حيث يقول:

نحن بنو أم البنين الأربعة

وجعلهم أربعة لضرورة الشعر اضطرته القافية إلى ذلك.

---

(١) بلوغ الإرب ٢/ ١٩٠.
(٢) جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال ٢/ ٢٤٢.
(٣)مجمع الأمثال ٢/ ٢٠٥.

ومن بني جعفر خالد بن جعفر مدرك الثار والاحوص بن جعفر قائد مضر يوم خزازي وقائد قومه يوم شعب جبلة وعامر بن الطفيل أحد فرسان العرب المجمع على فروسيتهم في الجاهلية ولبيد الشاعر المشهور صاحب المعلقة أحد فرسانهم واجوادهم جاهلية وإسلاماً وأربد بن قيس وهو أربد الحتوف بطل مارد وهو أخو لبيد وجبار بن صخر بن سلمى فارسهم في الجاهلية والإسلام ويزيد بن الصعق الكلابي وعتبة بن جعفر وابنه عروة الرحال وعلقمة بن علاثة الصحابي والضحاك بن سفيان الكلابي والمحلق ممدوح الاعشى وذو الجوشن الضبابي أبو الشمر وجواب وهو مالك بن كعب الكلابي وشتير بن خالد وابنه عتبة بن شتير وغيرهم ممن ستعرف أسمائهم.

واعلم أنا لم نذكر جميع فرسان بني كلاب في الجاهلية وصدر الإسلام، ولكن ذكرنا كثيراً منهم لأن الأحاطة بهم تحتاج إلى مؤلّف مستقل.

(١) ربيعة المقترين

وهو ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو فارس ذي العلق ووالد لبيد الشاعر المشهور الذي كان من سادات بني عامر جوداً وشجاعة وقيادةً قادهم في كثير من الحروب وقتلته بنو أسد.

قال ابن قتيبة الشعر والشعراء[١] في ترجمة لبيد ابنه: وكان يقال لأبيه: ربيعة المقترين وقتله بنو أسد في حرب، ويقال: قتله منفذ بن طريف الأسدي ويقال: قتله صامت بن الأفقم من بني الصيداء يقال: ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا وأدرك بثار ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله، الخ.

وذكر قصة مقتله ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل[٢]: يوم ذي علق وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذي علق فأقتتلوا قتالاً شديداً قتل في المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو لبيد الشاعر، وأنهزمت بنو عامر فتبعهم خالد بن نضلة الأسدي وابن حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وأمعنوا في الطلب فلم يشعروا إلّا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم في نفر من أصحابه فقال لخالد: يا أبا معقب: إن شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا، قال: قد فعلت، فتوقفوا، فقال له أبو

---

(١) الشعر والشعراء: ص٨٨.

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٣٩٦ الطبعة الأولى.

براء: هل علمت ما فعل ربيعة؟ قال: نعم تركته قتيلاً، قال: ومن قتله؟ قال: ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الأفقم، فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فمانعهم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم، فقال الجميح:

سائل معداً عن الفوارس لا أوفوا بجيرانهم ولا سلموا
يسعى بهم قرزل ويستمع الناس إليهم وتخفق اللمم
ركضاً وقد غادروا ربيعة في الآثار لما تقارب النسم

قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل، وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه:

ولا من ربيعة المقترين وريته بذي علق فاقني حيائك واصبري

(٢) معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب

وهو معوذ الحكام ضبطه الفيروز آبادي في القاموس «معود» بالدال المهملة، والكل محتمل فيصلح أن يكون من عوّده عادة وعوّذه إذا أجاره من الخطل والخطأ ولكن فرّق الآمدي بين معوّذ الحكام فجعله معاوية الجعفري وبين معود الفتيان - بالدال المهملة - فجعله ناجية الجرمي، وكلام الآمدي أحرى بالصواب من الفيروز آبادي.

ومعوذ الحكام سيد من سادات بني عامر ومن شعرائهم وأبطالهم المشهورين وهو القائل - وذكره عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص[1] -:

أجد القلب من سلمى اجتنابا وأقصر بعم ما شابت وشابا
وشاب لداته فعدلن عنه كما أنضيت من لبس ثيابا
فإن يك نبلها طاشت ونبلي فقد نرمي بها حقباً صيابا
فتصطاد الرجال إذا رمتهم وأصطاد المخبأة الكعابا
وكنت إذا العظيمة أفزعتهم نهضت ولا أدب لها دبابا
بحمد الله ثم عطاء قوم يفكون الغنائم والرقابا
إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا
بكل مقلصٍ عبل شواه إذا وضعت أعنتهن سابا

(١) معاهد التنصيص ١/ ٢٢٨.

ولم يذكر البيت الذي لقب بسببه إنه به سمي معوّذ الحكّام وهو قوله:

أعوّذ مثلها الحكّام مثلي إذا ما الأمر في الأشياع نابا

ذكره في القاموس وغيره.

قال المرزباني في معجم الشعراء[١]: معوذ الحكام الجعفري: إسمه معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو عم لبيد الشاعر وسمي معوذ الحكام ببيت قاله وهو القائل:

تفاخرني بكثرتها قريط فيا لك والد الحجل الصقور
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الباز مقلات نزور
فإن أك في عدادكم قليلاً فإني في عدوكم كثير

وذكر بيتين من البائية.

وقال الآمدي في المؤتلف والمختلف[٢]: معوذ الحكام معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب وقيل له: معوذ الحكام لشيء كان جرى بين بني عقيل وبني قشير فأصلح بينهم وهو غلام حديث السن:

أعوذ بعدها الحكام مثلي إذا ما الأمر في الأشياع نابا

في أبيات كثيرة.

(٣) الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب فارس قرزل

وهو أبو عامر بن الطفيل فارس العرب وكان الطفيل من فرسان بني عامر في الجاهلية ومن الرؤساء والأجواد والشعراء.

قال ابن قتيبة في ترجمة ابن عامر[٣]: وأبوه فارس قرزل، وقال بعض الشعراء لعامر:

فإنك يا عام بن فارس قرزل عن القصد إذ يممت ثهلان جائر

والطفيل وأخوه ملاعب الأسنة اسرا معبد بن زرارة التميمي يوم رحرحان.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد[٤]: بعد أن ذكر هرب الحارث بن ظالم المري حين اغتال خالد بن جعفر الكلابي ونبت به الدار فلجأ إلى معبد بن زرارة فأجاره فقالت بنو تميم لمعبد: ما لك آويت هذا المشؤوم الأنكد وأغريت بنا

---

(١) معجم الشعراء: ص٣٩١.
(٢) المؤتلف والمختلف: ص١٨٨.
(٣) الشعر والشعراء: ص١١٨.
(٤) العقد الفريد٣/ ٣١٣.

الأسود؟ وخذلوه غير بني معاوية وبني عبد الله بن دارم قال: وبلغ الاحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم عند معبد بن زرارة، فغزا معبداً فالتقو برحرحان فأنهزمت بنو تميم، وأسر معبد بن زرارة، أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة في فدائه، فقال لهما: لكما عندي مائتا بعير، فقالا: يا أبا نهشل، أنت سيد الناس وأخوك سيد مضر فلا نقبل فيه إلَّا دية ملك فابى أن يزيدهم، فقال معبد للقيط: لا تدعني يا لقيط فوالله لئن تركتني لا تراني ابداً، فقال: صبراً أبا القعقاع فأين وصاة أبينا «لا تؤاكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذأب بكم ذؤبان العرب»، ورحل لقيط فمنعوا معبداً الماء وضاروه حتى مات هزالاً، ففي ذلك يقول عامر ابن الطفيل:

قضينا الحزن من عبس وكانت منية معبد فينا هزالا

وذكر في الاغاني في يوم شعب جبلة: أُسر حسان بن الجون الكندي وكان أخوه قد اسره عوف بن الاحوص وأطلقه فقتلته بنو عبس فغضب عوف وطلب منهم احياءه أو يأتوه بملك مثله فخافوه فاستغاثوا بملاعب الأسنة فأحالهم على أخيه سلمى بن مالك فشفع لهم عند أخيه الطفيل والقصة تأتي في ترجمة عوف بن الاحوص فوهب لهم الطفيل أسيره حسان فدفعوه إلى عوف فجز ناصيته وأطلقه فسمته العرب الجزاز، وقال فيها: إن الطفيل لما رأى القتال يوم جبلة قال: ويلكم! أين نعم هؤلاء؟ فأغار على نعم عمرو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غطفان ثم من بني الثرماء فأستاق ألف بعير فلقيه عبيدة بن مالك فأعطاه مائة بعير، وقال: كأني بك وقد لقيت ضبيان بن قرة بن خالد فقال لك: أعطاك من ألف مائة فغضبت، فلقي عبيدة ظبيان، فقال له: كم أعطاك؟ فقال: مائة، فقال: مائة من ألف، فغضب عبيدة، الخ.

(٤) سلمى نزال المضيق

وهو سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو والد جبار بن سلمى.

قال في الإصابة[1] في ترجمة ابنه جبار: وكان يقال لأبيه نزال المضيق، وضبطه سلمى - بالضم - ويقال سلمى - بالفتح - وذكر الميداني والعسكري في أمثالهما، وأنه نزال المضيق، وعامة علماء النسب وأكثر المؤرخين يقولون سلمى نزال المضيق إلَّا ابن الأثير فإنه ذكر أن إسمه عبيدة ويمكن الجمع بين القولين بأنه

(١) الاصابة ١/٢١٩.

له إسمين أحدهما عبيدة وثانيهما سلمى وهو به أذكر وأشهر، كما أن عبد الله بن الصمة أخا دريد له ثلاثة أسماء وثلاثة كنى كما سنذكر ولولا أتفاق علماء النسب والتاريخ أن أولاد مالك بن جعفر خمسة لقلنا أن سلمى غير عبيدة قتل يوم ذي نجب.

قال ابن الأثير في تاريخه[١]: يوم ذي نجب ومن حديثه أن بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم شعب جبلة رجوا أن يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندي وكان ملكاً من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم فأخبروه أنهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم، فأقبل معهم بصنائعه فلما أتى بني حنظلة الخبر بمسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو: يا بني مالك، إنه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فأنتقلوا من مكانكم وكونوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بني يربوع بأسفله فتحولت بني مالك حتى نزلت خلف بني يربوع فلما رأوا ما يصنع بنو مالك استعدوا وتقدموا إلى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم، فاقتتلوا، فلما رآهم بنو مالك قد صبروا في القتال ساروا إليهم وشهدوا معهم القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً فضرب جشيش بن نمران الرياحي ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات، وقتل عبيدة بن مالك ابن جعفر وأنهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وقتل عمرو بن الأحوص بن جعفر وكان رئيس بني عامر وأنهزمت بنو عامر وصنائع بنو كبشة، الخ.

وسماه ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون «نزار» فتحصل له ثلاثة أسماء: سلمى وعبيد ة ونزار ويحتمل أن يكون نزار تصحيف نزال فكثيراً ما يفعل النساخ ذلك فيقع في الخطأ بسببهم.

وفي معجم البلدان[٢] وذكر ملخص القصة وقُتل ابن كبشة الملك وأسر يزيد ابن الصعق وغيره من وجوه عامر فقال سحيم بن وثيل الرياحي:

ونحن ضربنا هامة بن خويلد يزيد وضرجنا عبيدة بالدم
بذي نجب إذ نحن دون حريمنا على كل جياش الأجاري مرجم

وسماه المرتضى عبيدة الوضاح[٣]، وفي الاغاني في قصة شعب جبلة: إن عبيدة تسرع يومئذ إلى القتال فنهاه أخواه عامر وطفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلاً

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٢١٧.
(٢) معجم البلدان ٨/ ٣٥٦.
(٣) الأمالي للسيد المرتضى ١/ ١٣٧.

فعصاهما وتقدم فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السنان من فوق ثديه فأستمسك فيه السنان فأتى طفيلاً وقال: دونك السنان فأنزعه، فأبى أن يفعل غضباً فأتى عامر فلم ينزعه منه غضباً فأتى سالم بن مالك فانتزعه منه وألقي جريحاً مع النساء حتى فرغ القوم من القتال.

(٥) أبو براء ملاعب الأسنة

واسمه عامر - على المشهور - وقيل: عمرو بن مالك بن جعفر بن كلاب فارس العرب مجمع على فروسيته أدرك الإسلام وأسلم على المشهور وقيل: لم يسلم، وهو الذي أجار أصحاب رسول الله ﷺ فغدر بهم عامر بن الطفيل يوم بئر معونة فمات أبو براء كمداً وحزناً وينبغي أن تكون ترجمته أوسع مما ذكرناه لكثرة آثاره واشتمالها على سبب تسميته ملاعب الأسنة وإخفار ابن أخيه ذمته وما يتعلق بإسلامه وفروسيته وشرفه عند عرب الجاهلية.

قال العسقلاني في الإصابة: أبو براء المعروف بملاعب الأسنة ذكره خليفة والبغوي وابن البرقي والعسكري وابن قانع البارودي وابن شاهين وابن السكن في الصحابة، وقال الدارقطني: له صحبة.

وروى ابن الأعرابي في معجمه من طريق مسعر بن خشرم بن حسان عن عامر ابن مالك قال: بعثت إلى رسول الله ﷺ ألتمس منه دواء فبعث إليّ بعكة من عسل.

ورواه ابن مندة بهذا الوجه ثم ذكر له طرقاً كثيرة وذكر ما ينافيها وذكر عقده لأصحاب رسول الله ﷺ الذمام حتى أخرجهم فقُتلوا في بئر معونة وأشار إلى القصة إشارة ولم يذكرها مفصلة.

ثم قال ذكر عمر بن شبة في الصحابة له باسناده عن مشيخة بني عامر قالوا: قدم على رسول الله ﷺ خمسة وعشرون رجلاً من بني جعفر ومن بني أبي بكر فيهم عامر بن مالك الجعفري فنظر إليهم فقال: قد استعملت عليكم هذا - وأشار إلى الضحاك بن سفيان الكلابي - وقال لعامر بن مالك: أنت على بني جعفر، وقال للضحاك: استوصي به خيراً.

فهذا يدل على أنه وفد بعد ذلك مسلماً، وأول من لقبه ملاعب الأسنة ضرار بن عمرو القيسي ولقبه الرويم وذلك في يوم السوبان ثم ذكره ما سنورده عن غيره.

قال ابن قتيبة في الشعراء[١]: ملاعب الأسنة هو عم لبيد وهو عامر بن مالك، وسمي ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر فيه:

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية.

وقال محمد بن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم[٢]: هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الأسنة، ويكنى أبا براء وأُمه أم البنين أنجب أمرأة في العرب فذكر إخوته ولكنه ذكر نزار بدل سلمى وذكر مثل قول ابن قتيبة، وقال: وقيل لقول آخر وقد فر عنه أخوه في الحرب:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الأسنة الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن نمير وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم: ما هذا إلَّا ملاعب الأسنة.

وقال ابن عبد ربة في العقد الفريد[٣]: قال أبو عبيدة: أغارت بنو عامر على تميم وضبة، ورئيس وبرة حسان بن ضبة وهو أخو النعمان لأمه فأسره يزيد بن الصعق وأنهزمت تميم فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده فشد على درار بن عمرو القيسي وهو الرويم فقال لابنه أدهم: أغنه عني فشد عليه فطعنه فتحول من سرجه إلى جنب أبدانه ثم لحقه فقال لأحد ابنيه: أغنه عني، ففعل مثل ذلك ثم لحقه فقال لابن له اخر: أغنه عني، ففعل مثل ذلك فقال: ما هذا إلَّا ملاعب الأسنة، فسمي يومئذ ملاعب الأسنة فلما دنىٰ منه قال درار - نسخة: ضرار -: إني لا أعلم ما تريد، أتريد اللبن؟ قال: نعم، قال: إنك لن تصل إليّ من هؤلاء عين تطرف كلهم بنوه، قال له عامر: فأحلني إلى غيرك، فدله على حبيش بن الدلف، قال: عليك بذاك الفارس فشد عليه فأسره فلما رأى سواده وقصره جعل يتفكر وخاف ابن دلف أن يقتله، فقال: ألست تريد اللبن؟ قال: بلى، قال: فإني لك به، وفادى حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بألف بعير فداء الملوك فكثر مال يزيد ونما ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذي ليان، وذو ليان عن يمين العرنين.

---

(١) الشعر والشعراء: ص٩٠.
(٢) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ١/ ١٣٠.
(٣) العقد الفريد ٣/ ٣٣٥.

وقال[١]: قال أبو عبيدة: تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب وقبائل من مراد وجعفي وزبيد وخثعم وعليهم أنس بن مدركة وعلى بني الحارث الحصين فأغاروا على بني عامر بن صعصعة بفيف الريح وعلى بني عامر بن مالك ملاعب الأسنة، الخ.

وذكر في حروب الفجار[٢]: بعد أن ذكر مقتل عروة الرحال الكلابي: وبلغ قريشاً خبر البراض بسوق عكاض فخلصوا نجياً، وأتبعتهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عروة الرحال على قيس أبو براء عامر بن مالك فأدركوهم وقد دخلوا الحرم فنادوهم: يا معشر قريش إنا نعاهد الله أن لا نبطل دم عروة الرحال أبداً أو نقتل به عظيماً منكم وميعادنا وإياكم هذه الليالي من العام المقبل، الخ.

وفي هذه يقول خداش بن زهير العامري وهو الذي شهر قريشاً بالسخينة:

يا شدة ما شددنا غير خائبة على سخينة لولا الليل والحرم

فعيرهم بالسخينة، وتلاه كعب بن مالك الأنصاري شاعر النبي ﷺ يعيبهم بذلك لما حاربوا رسول الله ﷺ مجدين:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

أما عقد أبي براء الذمام لأصحاب رسول الله ﷺ وأن عامر بن الطفيل أخبره، فقد ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أهل السيرة والتاريخ، ونحن نورد ما قاله ابن نباتة في شرح الرسالة وابن إسحاق ولفظه من السيرة الهاشمية[٣] عن جماعة من أهل العلم قالوا:

قدم أبو براء عامر بنة مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ المدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد، فقال له أبو براء: أنا لهم جار فأبعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعتق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٦٧.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٣٧٩.
(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٧.

مولى أبي بكر في رجال مسلمين من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حرة بني سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فأستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعل وذكوان فأجابوه إلى ذلك، ثم ذكر مقتل الصحابة «رضي الله عنهم»، وقال: فقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

بني أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من دوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ... ليفخره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع في فخذه فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء إن مت بدمي لعمي فلا يتبعن به وإن أعش فسأرى رأيي فيما أُتي إلي، إنتهى.

والذي في الإصابة[١]: إنه استشار رسول الله ﷺ في أن يطعن عامر بن الطفيل أو يضربه.

وفي السيرة الحلبية[٢]: ولما بلغ أبا براء أن عامر بن الطفيل ولد أخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه، ثم ذكر ما صنع ابنه ربيعة بابن عامر بن الطفيل.

وذكر ابن نباتة في شرح الرسالة أن أبا براء لم يكن حاضراً حين قتل ابن الطفيل أصحاب رسول الله ﷺ فقال[٣]: قالوا: وقد كان عامر بن مالك خرج قبل القوم إلى ناحية نجد وأخبرهم أن أجار أصحاب محمد ﷺ فلا تعرضوا لهم، ثم نقل ما يشاكل قول ابن إسحاق.

وقال[٤]: ثم أقبل أبو براء سائراً - هو شيخ كبير هرم - فأُخبر بما فعل عامر

---

(١) الإصابة ١/ ٥١٢.
(٢) السيرة الحلبية ٣/ ١٦٦.
(٣) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ١/ ١٣١.
(٤) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ١/ ١٣٣.

بن الطفيل فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف، وقال: أخفرني ابن أخي مرتين، وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فاخطأ مقتله، وقيل: كان الطاعن ربيعة ولده، فتصايح الناس فقال ابن الطفيل: إنها لم تضرني وقد وهبتها لعمي، وانصرف ونزل عامر بن مالك بقومه فدعاهم إلى الارتحال إلى النبي ﷺ وطلب ثار القتلى الذين كانوا في جواره، فتثاقلوا عليه وقال له بعض بنو أخيه: إنهم يقولون: إنه حدث لك عارض في عقلك فدعا ابن أخيه لبيداً وقينة له فشرب وقال لها غني وقال: يا لبيد، لو حدث بعمك حدث ما كنت قائلاً فإن قومك يزعمون أن عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل، وقال: يا لبيد، إسمع:

قوماً تنوحان مع الأنواح فأبنا ملاعب الرماح
أبا براء مدره الشياح إن غياث المرمل الممتاح

وهي من أبيات، ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات وهو يقول: لا خير في العيش وقد عصتني بنو عامر وبنو جعفر يزعمون إنه مات مسلما، الخ.

وهذا رأي من زعم إنه مات مشركاً فيجعل موته في شربة الخمر صرفا، وقد ذكر هذا القول في الإصابة[١] عن كتاب المعمرين لأبي حاتم عن هشام بن الكلبي أن عامر بن الطفيل لما أخفر ذمة عمه عامر بن مالك، عمد عمه عامر بن مالك إلى الخمر فشربها صرفاً حتى مات ولم يبلغنا أن أحداً من العرب فعل ذلك إلَّا هو وزهير بن جناب وعمرو بن كلثوم، إنتهى.

ولفظ أبي حاتم في المعمرين[٢] في ترجمة زهير بن جناب الكلبي: ثم شرب زهير بن جناب الخمر صرفاً حتى مات وشربها عمرو بن كلثوم التغلبي صرفاً حتى مات ولم يبلغنا أن أحداً من العرب فعل ذلك إلَّا هؤلاء، إنتهى.

وكان أبو براء مع البطولة والقيادة والسيادة شاعراً مجيداً، قال ابن نباتة في شرح الرسالة[٣]: يزعمون أنه لما تنافر ابن أخيه عامر ابن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الأعانة فأعطاه نعليه وقال: استعن بهما في مفاخرتك فإني ربعت فيهما أربعين مرباعاً مع أنه كان كارهاً للمنافرة، وفي ذلك يقول:

أؤمر أن أسب بني شريح ولا والله أفعل ما حييت

ومن أحسن ما سمعت من شعره:

---

(١) الإصابة ٣/ ٢٥٨. (٢) كتاب المعمرين: ص٢٨.
(٣)شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ١/ ١٣٤.

لحى الله إن آنا عن الضيف بالقرى وألئمنا عن عرض والده ذبا
وأدخلنا للبيت من قبل أُسته إذ القور أبدى من جوانبه ركبا

وفي البيان والتبيين[١] قال: قال عامر ملاعب الأسنة:

دفعتكم عني وما دفع راحة بشيء إذا لم تستعن بالأنامل
يضعضعني حلمي وكثرة جهلكم عليّ وإني لا أصول بجاهل

وذكر الآمدي في المختلف والمؤتلف[٢] بعد قوله: «أُؤمر أن أسب» البيت:

ولا أهدي إلى هرم لقاحاً فنحيا بعد ذلك أو نموت
تخيّرتم أُمور الناس شراً فما أدري أؤلج أم أبيت

وقد غلط الزركلي في ترجمة أبي براء في كتاب الأعلام[٣] في أربعة أشياء: في تاريخ وفاته حيث قال سنة (١٠هـ) سنة (٦٢١) وهذا غلط واضح لأتفاق المؤرخين أنه مات بعد مقتل أصحاب رسول الله ﷺ بلا فصل كمداً وحزناً ومقتل أصحاب بئر معونة سنة (٤) للهجرة نص عليه الطبري وابن إسحاق وغيرهما.

وفي قوله هو خال عامر بن الطفيل وهذا غلط فاضح إذ هو عمه أتفاقاً.

وفي قوله: قدم بعد تبوك على النبي ﷺ وهو خطأ لما علمت إنه مات قبلها والوافد بعد تبوك هو عامر بن الطفيل كما سنذكر خبره.

وفي جزمه بعد إسلامه وقد سمعت قول من نص عليه من الحفاظ وقول من نفا إسلامه ضعيف لا يعتني به.

(٦) براء بن أبي براء

ملاعب الأسنة عامر بن جعفر بن كلاب الكلابي كان فارساً شاعراً بطلاً من أبطال بني كلاب في العصر الجاهلي، قتل يوم النتأة.

قال ابن الأثير الجزري المؤرخ في تاريخ الكامل في سياق قصة يوم النتأة[٤]: وقتل من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك بن جعفر وبه كان يكنى وقتل معه من أشرافهم نهشل وأنس ونزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وعبد الله بن الطفيل أخو عامر بن الطفيل قتله الربيع بن زياد العبسي، قال: وغيرهم كثير،

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢٠١.
(٢) المختلف والمؤتلف: ص١٨٧.
(٣) الأعلام ٢/ ٤٦٦.
(٤) الكامل في التاريخ ١/ ٢٣٧.

وتمت الهزيمة على بني عامر وفر عامر بن الطفيل على فرسه المزنوق، القصة بطولها في تاريخ الكامل[١].

(٧) ربيعة بن أبي براء

ملاعب الأسنة أخو المتقدم كان صحابياً فارسا من فرسان بني كلاب وبطلاً من أبطال العرب.

قال الحافظ العسقلاني في كتاب الإصابة[٢]: ربيعة بن ملاعب الأسنة أبي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب الكلابي ثم الجعفري لم أرى من ذكره في الصحابة إلَّا ما قرأت في ديوان ضبيعة لأبي سعيد السكري روايته عن أبي جعفر بن حبيب، قال: قال حسان لربيعة بن عامر بن مالك وهو ملاعب الأسنة في قصة الرجيع[٣] يحرض ربيعة بن عامر على عامر بن الطفيل بأخفاره ذمة أبي براء:

ألا من مبلِّغٍ عني ربيعا

الأبيات المتقدمة، وقال: فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، ايغسل عن أبي هذه الغدرة أن اضرب عامر بن الطفيل بضربة أو طعنة؟ قال: نعم، فرجع ربيعة فضرب عامراً ضربة أشواه منها فوثب عليه قومه، فقالوا لعامر: اقتص، فقال: قد عفوت، قلت: فذكر غير واحد من أهل المغازي أنه أهدى لرسول الله ﷺ بغلة أو ناقة، ورأيت له رواية عن أبي الدرداء من طريق حبيب بن عبيد عنه فليعلم ذلك.

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس[٤] في أفراس النبي ﷺ: واللحيف كأمير وزبير فرس لرسول الله ﷺ لأنه كان يلحف الأرض بيديه، أهداه له ربيعة بن أبي براء فأثابه عليه من نعم بني كلاب.

أورد اللحيف في القاموس بالحاء المهملة والجيم وفي المنتقىٰ بالجيم وقال: من قولهم سهم لجيف إذا كان سريع المر.

وفي المواهب اللدنية: أهداه له ربيعة بن أبي براء، الخ.

وذكر أبو جعفر الطبري المؤرخ في تاريخه[٥] أبيات حسان في تحريض ربيعة

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٣٩٩.
(٢) الإصابة ١/ ٥١٢.
(٣) قصة الرجيع خطأ، هي قصة معونة.
(٤) تاريخ الخميس ١/ ٢٠٦.
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥.

على ابن الطفيل من رواية ابن إسحاق بني أم البنين الابيات، وقال: قال كعب بن مالك أيضاً:

لقد طارت شعاعاً كل وجه ... خفارة ما أجار أبو براء
فمثل مسهبٍ وبني أبيه ... بجنب الرده من كنفي سواء
بني أم البنين أما سمعتم ... دعاء المستغيث مع المساء
تنوبه الصريخ بلى ولكن ... عرفتم أنه صدق اللقاء
فما صفرت عياب بني كلابٍ ... ولا القرطاء من ذم الوفاء
أعامر عامر السوآت قدماً ... فلا بالعقل فزت ولا السناء
أأخفرت النبي وكنت قدماً ... إلى السوآت تجري بالعراء
فما كنتم كجار أبي داود ... ولا الأسدي جار أبي العلاء
ولكن عادكم داء قديم ... وداء الغدر فأعلم شر داء

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فشطب الرمح عن مقتله فخر، فقال: هذا عمل أبي براء إن مُتّ فدمي لعمي، الخ.

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخ الشام[1] في قصة أصحاب الرجيع: ثم إن النبي ﷺ لقى ربيعة بن ملاعب الأسنة فقال له: ما فعلت ذمة أبيك؟ فقال: نقضتها بضربة سيف أو بطعنة رمح، فقال له: نعم، فخرج ربيعة فأخبر أباه فشق عليه ما فعل عامر بن الطفيل وما صنع ولا حركة به من الكبر والضعف وقال: أخفرني ابن أخي من بين بني عامر فسار حتى كانوا على ماء من مياه بلي يقال له الهدم فركب ربيعة فرساً له وتلحق عامراً وهو على حجل له فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله وتصايح الناس، فقال عامر بن الطفيل: إنها لم تضرني، فقال ربيعة: نقضت ذمة أبي براء، فقال ابن الطفيل: قد عفوت عن عمي هذا فعله، وقال رسول الله ﷺ: واطلب خفرتي من عامر بن الطفيل ثم ذكر قول حسان: ألا أبلغ ربيعة الأبيات، وذكر أبياتاً أخرى لحسان يعير بها بني كلاب وهي قوله:

ألا أبلغ جميع بني هلالٍ ... وعامرها وكعباً أجمعينا
بأن الغدر عم بني كلاب ... وخص به بني أم البنينا

(١) تاريخ دمشق ٧/ ١٩٨.

فلو مدوا بحبلٍ من عقيل لألفوا حبلهم صلباً متينا
أو القرطاء ما أن أخفروهم وقدماً ما وفوا إذ لا يغونا

وقال أيضا:

لقد ذهبت شناراً كل وجه خفارة ما أجار أبو براء
فما كنتم كجار ابو دؤاد ولا الأسدي جار أبي العلاء
ولا جار السموءل إذ فداه جهاراً بابنه عرض البلاء

إنتهى، وقد رواها ابن إسحاق لكعب بن مالك.

(٨) نهشل بن عبيدة نزال المضيق

ابن مالك بن جعفر بن كلاب الجعفري الكلابي أحد أبطال الجاهلية وسادات بني عامر وأشرافهم وفرسانهم قُتل يوم التتأة مع براء بن أبي براء قتلهما بنو عبس وقاتله منهم أبو زغنة، ذكره ابن عبد ربة في العقد الفريد[١] في قصة هذا اليوم وقتل في هذا اليوم من أبطالهم أيضاً صفوان بن مرة وعبد الله بن أنس بن خالد.

(٩) مدرك الثار خالد بن جعفر بن كلاب

الملقب بالاصبع وذي الشامة الجعفري الكلابي أحد سادات العرب وأبطالهم الأباة الحماة وممن يضرب به المثل في الشجاعة نص على ذلك الالوسي في بلوغ الأرب وهو قائد هوازن ووافدهم إلى الملوك وكان له عند الملوك محل سامي وهو الذي أنكر الظلم والجور والبغي في الأرض والأسراف في إراقة دماء الأبرياء مع كونه شاباً لم يكتهل وانتقم من الجائر زهير بن جذيمة العبسي.

وأُم خالد خبيئة الغنوية إحدى المنجبات من نساء العرب فإنها ولدت لجعفر بن كلاب مالك وخالد والأحوص ربيعة كل واحد منهم ساد قومه وأجمع على ذلك علماء العرب في مجلس معاوية[٢].

وقال المرصفي في رغبة الأمل شرح الكامل[٣]: إن خبيئة بنت رياح الغنوية رأت في منامها قائلاً يقول: أعشرة هدرة أحب إليك أم ثلاثة كعشرة؟ فقال لها

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٣٥.
(٢) انظر اغاني أبي الفرج ١٦/ ١٩ ساسي.
(٣) رغبة الآمل شرح الكامل ٣/ ٤٤.

زوجها جعفر بن كلاب: إن عاد لك الثانية فقولي ثلاثة كعشرة.

وبنوها هم: خالد الملقب بالاصبع لشامة بيضاء في مقدم رأسه، ومالك الملقب بالطيان لكثرة ما يطوي بطنه يؤثر على نفسه وربيعة الملقب بالأحوص لصغر عينيه، إنتهى.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد[١]: يوم النقروات لبني عامر على بني عبس فيه قُتل زهير بن جذيمة العبسي وكانت هوازن تؤدي إليه أتاوة وهي الخراج فأتته يوماً عجوز من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي واعتذرت إليه وشكت سنين تتابعت على الناس فذاقه فلم يرضى طعمه فدفعها في قوس في يده عطل في صدرها فأستلقت على قفاها متكشفة فقال خالد بن جعفر: والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يُقتل أو أُقتل.

وكان زهير عدوساً مقداماً لا يبالي ما أقدم عليه فأستقل أي أنفرد من قومه بأهليه وبني أخويه زنباع وأُسد يراعي الغيث في عشر أوات له وشول، فأتاه الحارث بن الشريد وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير فلما عرف الحارث مكانه أبرز إليه بني جعفر رهط خالد بن جعفر فركب منهم ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن شريد وابن البكا معاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرات ويقال لمعاوية الأخيل وهو جد ليلى الأخيلية، وثلاث فوارس من سائر بني عامر.

فقال أُسيد لزهير: أعلمتني راعية غنمي أنها رأت على رأس الثنية أشباحاً ولا أحسبها إلَّا خيل بني عامر لحق بنا بقومنا.

فقال زهير: كل أزب نفور.

وكان أُسيد أشعر القفا، فذهب مثلاً.

فتحمل أُسيد بمن معه وبقي زهير وابناه ورقاء والحارث وصحبتهم الفوارس، فمرت بزهير فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الأخيل فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيراً وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير وقال: يا آل عامر أقبلوا جميعاً، فأقبل معاوية فضرب زهيراً على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ، وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً وعليه درعان فلم يغن شيئاً وأجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء، فقال: أنا ميت أنا عطشان أسقوني الماء وإن كان فيه نفسي فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام، فقال في

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٢١١.

ذلك ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أُبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما ... يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني حين أضرب خالداً ... ويستره مني الحديد المظاهر
فيا ليت إني قبل ضربة خالد ... ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني ... فما ذا الذي ردت عليك البشائر

وقال خالد بن جعفر في قتله زهيراً:

أم كيف تكفّرني هوازن بعدما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيراً بعدما ... جدع الأُنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر بناتهم وديباتهم ... عقل الملوك هجائناً وبكارا

وهذا يخالف أكثر الناقلين في قصر سبب قتل زهير على هذا، فابن الأثير في تاريخه والشريف المرتضى في أماليه الغرر والدرر أضافا لهذا السبب سبباً آخر، وقد ذكر الشريف «رحمه الله» في الأمالي[1] ما نصه:

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس فأختلف الرواة في سببه: فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤتي الأتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل في رحم فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فأعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت وبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ، وكانت يومئذٍ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال: والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أُقتل أو يُقتل، وفي ذلك يقول خالد بن جعفر:

أريغوني أراغتكم فإني ... وحذفة كالشجا تحت الوريد
مقربة أواسيها بنفسي ... وألحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكّنني عليها ... جهاراً من زهير أو أسيد
فأما تثقفوني فأقتلوني ... فمن أثقف فليس إلى خلود

(١) الأمالي للمرتضى ١/ ١٥٢.

ويقال: بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غني بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حدثاً - فقال: يا زهير، ما أن لك أن تشتفي وتكف - يعني مما قتل بشاس -؟ فأغلظ له زهير وحقره، فقال خالد: اللهم امكن يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه، فقال زهير: اللهم امكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا، فقالت قريش: هلكت والله يا زهير.

قال: أنتم والله الذين لا علم لهم، ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله وأتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد أمرأة زهير بن جذيمة وأُم ولده فمر به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه: إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه، ، فقالت أخته لبنيها: أيزوركم خالكم فتوثقوه، وقالت له: إني ليريبني اكبثنانك وقروتك إلَّا كبثنان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فإنه رجل بيذارة غيذارة شنؤة.

قال الأثرم: البيذارة الكثير الكلام، والغيذارة السيء الخلق.

ثم حلبوا له وطباً وأخذوا عليه يمينا أن لا يخبر عنهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتى بني عامر فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون، ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة إشربي من هذا اللبن فأنظري ما طعمه.

فقال القوم: هذا الرجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبراً فذاقوه اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بعد.

فقالوا: إنه يخبرنا أن مطلبنا قريب، فركب خالد بن جعفر بن كلاب وكان معه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة، فلقوا زهيراً فأعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما، ووقع خالد فوق زهير ونادى: يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فاقبل إليه ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالد ثلاث ضربات وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندع رأس زهير فقتله، ثم ذكر شعر ورقاء.

مقتل خالد بن جعفر الكلابي

وقد اغتاله الحارث بن ظالم المري من غطفان فقتله وهو نائم في جوار الأسود بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد[١] ونصه: يوم بطن عاقل وفيه قتل خالد بن جعفروذلك أن خالداً قدم على الأسود بن المنذر أخي النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرحال بن عتبة بن جعفر فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ابن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر فدعا لهما الأسود بتمر فجيء به على نطع فجعل بين أيديهم، فجعل خالد يقول للحارث بن ظالم: ياحارث ألا تشكر يدي عندك أن قتلت سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم؟ قال: سأجزيك شكر ذلك.

فلما خرج الحارث قال الأسود لخالد: ما دعاك إلى أن تحترش بهذا الكلب وأنت ضيفي؟

فقال خالد: إنما هو عبدٌ من عبيدي لو وجدني نائماً ما أيقضني، وأنصرف خالد إلى قبته فلامه عروة الرحال ثم ناما وقد أشجرت القبة عليهما، ومع الحارث تبيع له من بني محارب يقال له خراش فلما هدأت العيون أخرج الحارث ناقته وقال لخراش: كن لي بموقع كذا فإن طلع كوكب الصبح ولم اتك فانظر أي البلاد أحب إليك فأعمد لها، ثم انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها ثم ولجها وقال لعروة: أسكت فلا بأس عليك ، وزعم أبو عبيدة أنه لم يشعر به حتى أتى خالداً وهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك: وا جوار الملك! فأقبل إليه الناس وسمع الحتاف الأسود بن المنذر وعنده أمرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة:

شقت عليك العامرية جيبها ... أسفاً وما تبكي عليك ظلالا
يا حار لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رعشاً ولا معزالا
فأغرورقت عيناي لما أبصرت ... بالجعفري وأسبلت إسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم ... ولنجعلن الظالمين نكالا
فإذا رأيتم عارضاً متلبباً ... منا فإنّا لا نحاول مالا

وصدق الجعدي، لقد ثارت بسبب مقتل خالد حروب هائلة ووقعت وقائع طاحنة وأستعرت نيران كفاح اندلع لسانها في جزيرة العرب وتطاير شررها على الشعبين القحطاني و العدناني واصطلى برهجها المتأجج قبائل تميم وأسد وقبائل اليمن وغطفان وغيرها وقتل فيها أعلام العرب وسادات مضر واليمن فقتل معبد

(١) العقد الفريد ٣/ ٣١٣.

ولقيط ابنا زرارة بن عدس وأسر حاجب ابن زرارة وعمرو بن عمرو الدارمي وسنان بن أبي حارثة المري وقتل معاوية ابن الجون الكندي الملك ومنقذ بن طريف الأسدي ومالك بن ربعي بن جندل الدارمي وغير هؤلاء من سروات العرب، وما أحسن الثار إن وجد له ثائراً موتوراً وطالباً لا ينام على وتر.

وقُتل الحارث بن ظالم بعد أن نبت به البلاد وضاقت في وجهه الدنيا ولم يجد أحداً يأويه أو يجيره من العرب فقصد ملوك غسان بالشام مستجيراً بهم وقتله من أجاره جزاء عمله، هذا هو المشهور.

وفي مجاني الأدب: إن المنذر قبض عليه فقتله بخالد سنة (٦٠٠) ميلادية[١].

ولم يذكر صاحب العقد السبب الذي هاج الحارث على اغتيال خالد بن جعفر وهو أنه موتور وتره خالد بأبيه ورهطه، وهذا ما ذكره صاحب الأغاني[٢] ونصه: قال أبو عبيدة: كان الذي هاج الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيط بن مرة وهم في واد يقال له حراض، فقتل الرجال حتى أسرف والحارث يومئذٍ غلام وبقيت النساء وزعموا أن ظالماً هلك في تلك الواقعة من جراحة أصابته يومئذٍ، وكانت نساء بني ذيبان لا يحلبن النعم فلما بقين بغير رجل طفقن يدعون الحارث فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن فنشأ على بغض خالد وأردف ذلك قتل زهير بن جذيمة فأستحق العداوة في غطفان فقال خالد في تلك الواقعة:

تركت نساء يربوع بن غيط ... أرامل يشكين إلى وليد[٣]
يقلن لحارث جزعاً عليه ... لك الخيرات ما لك لا تسود
تركت بني جذيمة في مكر ... ونصراً قد تركت لذي الشهود
ومني سوف تأتي قارعات ... تبيد المخزيات ولا تبيد
قيس بن المعارك غادرته ... قناتي في فوارس كالأسود
وحلت بركها ببني جحاش ... وقد مدوا إلينا من بعيد
وحي بني سبيع يوم ساق ... تركناهم كجارية وبيد

(١) مجاني الأدب ٢/ ٦٠٣.
(٢) الأغاني ١٠/ ١٦.
(٣) فيه الإقواء وهو اختلاف الروي في كلام العرب القدماء.

قال أبو عبيدة: فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذ رأس هوازن، فلما أستحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان بن المنذر لينظر ما قدره عنده وأتاه بفرس فألفى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرسا، فقال: أبيت اللعن، نعم صباحك وأهلي فداؤك هذه فرس من خيل بني قرة فلن تؤتى بفرس يشق غباره إن لم تنسبه أنتسب كنت أرتبطه لغزو بني عامر، فلما أكرمت خالداً أهديته إليك.

وقام الربيع بن زياد فقال: أبيت اللعن، نعم صباحك وأهلي فداؤك، هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يخفق في غزوة ولم يعتلك في سفر وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم.

فغضب النعمان وقال: يا معشر! خليكم أشباهنا، أين اللواتي كأني أذنابها شقاق أعلام وكأن مناظرها وجار الضباع وكأن عيونها بغايا النساء رقاق المستطعم تعلك اللجم في أشداقها تدور على مداورها كإنما يقضمن حصا.

فقال خالد: زعم الحارث أبيت اللعن، إن تلك الخيل خيله وخيل آبائه.

فغضب النعمان على الحارث بن ظالم فلما أمسوا أجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها ابنة عفزر، فقال خالد: تغني.

دار لـهـنـد والـربـاب وفـرتـنـي ولـمـيـس قـول حـوادث الأيـام

وهي خالات الحارث بن ظالم فغضب الحارث حتى امتلأ غيظاً وغضباً وقال: ما تزال تتبع أولى بآخره.

ثم إن النعمان دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمراً، فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي النوى بين يدي الحارث فلما فرغ القوم، قال خالد: أبيت اللعن، أنظر ما بين يدي الحارث من النوى، فما ترك تمراً لنا إلَّا أكله.

فقال الحارث: أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى وأما أنت يا خالد فأكلته بنواه.

فغضب خالد وكان لا ينازع، وقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت جارتك وتركتك يتيماً في حجور النساء؟!

فقال الحارث: ذاك يوم لم أشهده وأنا مغنّ اليوم بمكاني.

قال خالد: فهلا تشكر لي إذا قتلت زهيراً وجعلتك سيد غطفان؟

قال: بلى أشكرك على ذلك، فخرج الحارث إلى بنت عفزر فشرب عندها

وقال لها: تغني.

أتعلم أبيت اللعن إني فاتك من اليوم أو ما بعده يا بن جعفر

في أبيات تركناها.

قال: فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به.

فقال عبد الله بن جعدة هو ابن أخت خالد وكان رجل قيس رأياً لابنه: يا بني! ائت أبا جزء فأخبره أن الحارث بن ظالم سفيه موتور فأخف مبيتك الليلة فإنه قد غلبه الشراب، فإن أبيت فأجعل بينك وبينه رجلاً ليحرسنك.

فوضعوا بأزائه رجلاً ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد خلفه وعرف أن ابن عتبة وابن جعدة يحرسان خالداً، فأقبل الحارث فأنتهى إلى ابن جعدة فتعداه ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل وهو يكلمه لا يعقل فخلى عنه والرجل تحته ومضى إلى خالد وهو نائم فضربه بالسيف حتى قتله، الخ.

وخالد بن جعفر بن كلاب من أشهر رجالات العرب فروسية وصيتاً، شهد يوم السلان من من حروب العدنانية والقحطانية، وله فيه ذكر ذائع وشعر مشهور، وإيراد القصص تطويل وهو وافد قومه إلى الملوك وأول من كسى الكعبة في قول قاله السهيلي والماوردي ولفظ الأخير في أعلام النبوة[1] عن الروض الأنف: وأول من كسا الكعبة خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطمية من البز وفيها أنماطاً وعلقها على الكعبة.

قال ابن قتيبة في المعارف: وفد خالد بن جعفر بن كلاب على حسان بن عمرو ابن تبع ملك حمير واليمن في أُسارى قومه فأطلقهم له ومدحه خالد، الخ.

وحسبنا ما ذكرنا فقد أطلنا الترجمة.

(١٠) الأحوص بن جعفر بن كلاب

الجعفري العامري قائد مضر يوم خزازي وقائد هوازن يوم رحرحان وشعب جبلة وغيرهما، وكان من أعلام العرب وساداتها والأحوص بالمهملات ويأتي في بعض النسخ أخوص بخاء معجمة وهو غلط ولم يكن مشتقاً من خوص العين الذي هو انقلاب حدقتها كالحول بل هو مشتق من الحوص بالمهملات وهو الحياطة

(١) أعلام النبوة ١/ ٧٧.

والحماية، أو من الحوص وهو الضيق يضيق في مؤخر عينه.

قال في القاموس: الأحوص بن جعفر واسمه ربيعة وعمرو بن الأحوص والأحاوص: عوف وعمرو وشريح أولاد الأحوص بن جعفر والاحتياص الحزم والتحفظ، الخ.

ويحتمل أن يكون لقب الأحوص اشتق من هذا لشدة تحفظه وحزمه في الأُمور تقدم في ملاعب الأسنة قيادته لهوازن يوم رحرحان.

أما يوم جبلة فذكر في العقد الفريد[1] قال أبو عبيدة: يوم شعب جبلة أعظم أيام العرب وذلك أنه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر وألب عليهم، وبين أيام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة، وكان يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة وهو يوم ولد النبي ﷺ وكانت بنو عبس يومئذٍ في بني عامر حلفاء لهم فأستعدى لقيط بن ذبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب داحس والغبراء، فأجابته غطفان كلها غير بني بدر وتجمعت تميم كلها غير بني سعد وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان حتى أتي لقيط الجون الكلبي وهو ملك هجر وكان يجبي من بها من العرب فقال له: هل لك في يوم غارين قد ملؤا الأرض نعماً وشاء فترسل معي إبنيك فما أصبنا من مال وسبي فلها وما أصبنا من دم فلي؟

فأجابه الجون إلى ذلك وجعل له موعداً رأس الحول، ثم أتى لقيط النعمان بن المنذر فأستنجده وأطمعه بالغنائم فأجابه، وكان لقيط وجيهاً عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهالت الجيوش إلى لقيط وأقبل سنان ابن أبي حارثة المري في غطفان وجائت بنو أسد وارسل الجون ابنيه معاوية وعمراً، وأرسل النعمان أخاه لأمه حسان بن وبرة الكلبي فلما توافوا خرجوا إلى بني عامر وقد أنذروا بهم وتأهبوا لهم.

فقال الأحوص بن جعفر يومئذٍ رحا هوازن لقيس بن زهير: ما ترى فأنك تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلّا وجدت في أحدهما الفرج؟

فقال قيس بن زهير: الرأي أن نرتحل بالعيال والأموال حتى ندخل شعب جبلة فنقاتل القوم دونها من وجه واحد فإنهم داخلون عليك الشعب وإن لقيطاً رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فأرى لك أن تأمر بالأبل فلا ترعى ولا تسقي

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٣١٤.

وتعقل ثم تجعل الذراري وراء ظهورنا وتأمر الرجال فتأخذ بأذناب الأبل فإنها تتحدر إليهم وتحن إلى مرعاها ووردها ولا يرد وجهها شيء، و تخرج الفرسان في أثر الرجالة الذين خلف الأبل فإنها تحطم ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل.

قال الأحوص: نعم ما رأيت، فأخذ برأيه، قال أبو عبيدة: وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فم الشعب، فقال لهم رجل من بني أسد: خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا أو يخرجوا فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من أُست البعير.

فأبوا حتى يدخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الأبل وعطشوها ثلاثة أخماس، وذلك اثنتي عشر ليلة ولم تطعم شيئاً فلما حلوا عقلها أقبلت تهوي فسمع القوم دوي الشعب فظنوا أن الشعب قد هدم عليهم والرجالة في أثرها أخذين بأذنابها فدقت كلما لقيت، وفيها بعير أعور يتلوه غلام أعسر أخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلام الأعسر الخير فيَّ والشر
والشر مني أكثر

فأنهزموا لا يلون على أحد وقُتل لقيط بن زرارة، وأُسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة وأسر سنان ابن أبي حارثة، اسره عروة الرحال فجز ناصيته وأطلقه فلم تشنه وأسر عمرو بن أبي عمرو أسره قيس بن المنتفق وجز ناصيته وخلا طمعاً في المكافأة فلم يفعل وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريف الأسدي ومالك بن ربعي بن جندل بن نهشل ذكر أشعاراً قيلت في مثل هذا اليوم أعذبها قصيدة المعقر البارقي وهو قوله:

أمن آل شفاء الحمول البواكر مع الصبح أم زالت قبيل الأباعر
وحلت سليمى في هضاب وأيكة فليس عليها يوم ذلك قادر
فألقت عصاها وأستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر
تصبحها أملاكها بكتائب عليها إذا أمست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله وحسان في جمع الرباب مكاثر
وقد رجعت دودان تبغي لثارها وجاشت تميم كالفحول تخاطر
وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه جراد هفا في هبوة متطاير
فمروا بأطناب البيوت فردهم رجال بأطناب البيوت مساعر

فباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمة ... لنا مسمعات بالدفوف وزامر
فلم نقرهم شيئاً ولكن قراهم ... صبوح لدينا مطلع الشمس حاذر
وصبحهم عند الشروق كتائب ... كأركان سلمى سيلها متواتر
كأن نعام الدوباض عليهم ... وأعينهم تحت الحبيك خوازر
من الضاربين إلهام يمشون مقدماً ... إذا غص بالريق اللهى والحناجر
أَظَنَّ سراة القوم إن لم يقاتلوا ... إذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا جميل البيض في غمر لجة ... فلم ينجوا في الناجين منهم مفاخر
هوى زهدم تحت العجاج لعامر ... كما انقض باز أقتم الريش كاسر
يفرِّج عنا كل ثغر نخافه ... مشيح كسرحان القصيمة ضامر
وكل طموح في العنان كأنها ... إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر
لها ناهض في الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر
تخاف نساءً يبتززن حليلها ... محربة قد أحردتها الضرائر

وقال[1]: قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك وخالد بن جبلة وإبراهيم بن محمد بن نوح العطاردي وغسان بن عبد الحميد وعبد الله بن سالم الباهلي ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز.

فقال خالد بن جبلة: كان الأحوص بن جعفر الرئيس.

وقال عامر ومسمع: كان الرئيس كليب بن وائل.

وقال ابن نوح: كان الرئيس زرارة بن عدس.

وكان هذا في مجلس عمرو «بن العلاء» فتحاكموا إليه، فقال: ما شهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك، الخ.

وقال الحموي في معجم البلدان[2] عن أبي زياد الكلابي قال: أجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا ملكاً منهم يقضي بينهم، فكل أراد أن يكون منهم ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ومن مضر ملك ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٧٣.
(٢) معجم البلدان ٣/ ٤٢٩.

مضر أن الملك منهم ثم أتفقوا على أن يتخذوا ملكاً من اليمن، فطلبوا ذلك إلى بني آكل المرار من كندة فملكت بنو عامر شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار وملكت بنو تميم وضبة محرق بن الحارث وملكت وائل شرحبيل بن الحارث.

وقال ابن الكلبي: كان ملك تغلب وبكر بن وائل سلمة بن الحارث وملكت قيس غلفاء وهو معد يكرب بن الحارث وملكت بنو أسد وكنانة حجر بن الحارث أبا أمرئ القيس فقتلت بنو أسد حجراً ولذلك قصة ثم قصص أمرئ القيس في الطلب بثأر أبيه ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه وولى قتله بنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقتلت بنو تميم محرقاً وقتلت وائل شرحبيل، فكان حديث يوم الكلاب ولم يبق من بني آدم آكل المرار غير سلمة، فجمع جموع اليمن وسار ليقتل نزار وبلغ ذلك نزاراً فأجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة وبنو وائل تغلب وبكر.

وقال غير أبي زياد: فبلغ الخبر إلى كليب وائل فجمع ربيعة وقدم على مقدمته السفاح التغلبي واسمه سلمة بن خالد وأمره أن يعلو خزاز فيوقد بها ليهتدي الجيش بناره، وقال له: إن غشيك العدو فأوقد نارين.

وبلغ سلمة أجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج وكلما مر بقبيلة استفزها وهجمت مذحج على خزاز ليلاً فرفع السفاح نارين فأقبل كليب في جموع ربيعة إليهم فصبحهم فالتقوا على خزاز فأقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزمت جموع اليمن فلذلك يقول السفاح التغلبي:

ولـيـل بـت أوقـد فـي خـزازي هـديـت كـتـائـبـاً مـتـحـيـرات
ضـلـلـن مـن الـسـهـاد وكـن لـولا سـهـاد الـقـوم أحـسـب هـاديـات

قال أبو زياد الكلابي: أخبرنا من أدركنا من مضر وربيعة أن الأحوص بن جعفر ابن كلاب كان على نزار كلها يوم خزاز، قال: وهو الذي أوقد النار على خزاز، قال: ويوم خزاز أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية، قال: وأخبرنا أهل العلم منا الذين أدركنا أنه على نزار الأحوص بن جعفر، ثم ذكرت ربيعة ها هنا أخيراً من الدهر أن كليباً كان على نزار، وقال بعضهم: كان كليب على ربيعة والأحوص على مضر، الخ.

قال الجاحظ في البيان والتبيين[1]: قال الأحوص بن جعفر بعدما كبر وعمي

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٣٢.

وبنوه يسوقون به: أي شيء ترتعي الإبل؟ قالوا: عرف الثمام والضغة، قال: سرقوا، ثم إنها عادت فارتعت بمكان آخر، فقال: أي شيء ترتعي الابل؟ قالوا: العضاة والغمضة، قال: عود عويد سبع بعيد، وقال: سوقوا حتى إذا بلغوا بلداً آخر، قال: أي شيء ترتعي الابل؟ قالوا: نصياً وصلياناً، قال: مكفية لرعائها، مطولة لذراعها، إرعوا واشبعوا، ثم سألهم فقال: أي شيء ترتعي الابل؟ قالوا: الرمث، قال: خلقت منه وخلق منها.

قال أبو صاعد: وزعم الناس أن أول ما خلقت الإبل من الرمث وعلامة ذلك أنك لا ترى دابة تريده إلّا الأبل، إنتهى.

وتقرر لنا هذه القضية أمرين هامين في علم الطبيعة والمادة عند العرب:

أولهما: علم العرب بالنبات ومعرفة خاصيته بالتجربة.

والثاني: إنهم فتحوا مقفلاً في وجه دارون وهيكل وسبنسر من علم المادة وعلم النشوء والارتقاء فانك إذا نظرت إلى قول هؤلاء العرب الفطريين بخلق البعير من شجرة الرمث وأن هذه الشجرة كانت لها قابلية الأستعداد للترقي إلى أن وصلت بترقيها ونشأها إلى حيوان عظيم عند العرب علمت أن مذهب الماديين من دارون ورفقائه القائلين بصلاحية أعظم نبات كالنخل مثلاً إلى أن يصير أظعف حيوان كالحيوان المخاطي ثم يرتقي شيئاً فشيئاً حتى يصير أعظم حيوان فراجع ما قرره دارون في أصل الأنواع ولكن مفكروا النشأ الجديد إذ مروا بهذا القول من هذا العربي سخروا واستجادوا مقالة دارون ولا ألومهم لأن من جهل شيئاً عاداه فإن كان مثل هذا يعد جهلاً ويوجب استخفافاً وسخرية فليطرد في كل مادي، وإن كان صحيحاً فليسخر من كل مادي فوصف العربي بالجهل وتخصيصه بالأستهزاء جهل عظيم.

مات الأحوص كمداً على ابنه عمرو كما سأتي، والأحوص شاعر وهو القائل في حرب العدنانية والقحطانية في يوم حزازي، وهو القائد للجيش العدناني على أحد الأقوال في قيادة العدنانية: أهي لكليب وائل؟ أم لعامر بن الضرب؟ أم للأحوص؟ فذكر في كتاب بني شيبان وحرب البسوس أنه الوافد على ملوك التبابعة في طلب الصلح بين الشعبين مثل صهبان وابن عنق اللحية وذكر أيضاً في تعبئة الجيش أنه كان على كعب كلها وغطفان كلها ومن شعره في ذلك اليوم:

كانت نزار عند ذاك عشيرتي تحنوا عليَّ وعامر لهموا دمي
أوقدت في ركني خزاز لتغلب فأستنورت وضح السنان المضرم

وعلا سرابيل الوقود لمعشرٍ منهم بني شيبان أهل تكرمي
وبدا سنا لهب الوقود فأقبلت غطفان في لحج بجمع مضخم
والحي من أسد فشق من ودهم يوم الوقيعة مالك بن الخثعم
تركوا الأيامن يوم ذاك وذكرهم مثلاً لعالمه ومَن لم يعلم
وحميت قومي أن ينال حريمهم إن الكريم لدى الحقيقة محتمي

(١١) عمرو بن الأحوص

ابن جعفر بن كلاب الجعفري كان من سادات بني عامر وأبطالهم وقوادهم وقادهم يوم ذي نجب وفيه قُتل، وكان شجاعاً بطلاً.

قال ابن الأثير في التاريخ[١] في حديث يوم ذي نجب: ومضى في سلمى أكثر القصة، وقُتل عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كلاب وكان قائد بني عامر، قتلته بنو تميم، قال: وبقي الأحوص بعد مقتل ابنه عمرو ومات أسفاً عليه، إنتهى.

ومن أحفاده مروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص كان من ساداتهم وشعرائهم وشهد منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهو القائل فيها:

يا آل قريش بيِّنوا الكلاما إنّا رضينا منكم الأحكاما
فبيِّنوا إن كنتم حكاما كان أبونا لهم إماما
وعبد عمرو منع الفئاما في يوم فخر معلماً إعلاما
ودعلج أقدمه إقداما لولا الذي جشمهم إجشاما
لاتخذتهم مذحج نعاما

ذكر القزويني في أمثاله على هامش الميداني: إن عامر بن الأحوص غزا بني حنظلة فقال الأحوص وهو شيخ بني عامر يومئذ لقومه: إن أتاكم طفيل بن مالك وعوف بن الأحوص يتحدثان إلى عرصة الحي فقد ظفر أصحابكم وإن جاءا يتسايران إلى أدنى البيوت ثم تفرقا فهي الفضيحة فجاءا إلى أدنى البيوت ثم تفرقا فعرفت أن هذا الشر فأرسل الأحوص اليهما فأخبراه أن عمراً قُتل، وكان أحب

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٢١٧.

ولده إليه، فبكاه حتى هلك وكان كلما سمع باكية قال: وأهل عمرو قد أضلوه[١]، إنتهى.

(١٢) عوف بن الأحوص

ابن جعفر بن كلاب فارس العصا وهو جد علقمة بن علاثة وكان عوف بن الأحوص بطلاً شجاعاً فارساً ذا رأي وتجربة مصيباً في ما يشير به وشاعراً مجيداً، فحلاً من شعرائهم.

قال المرزباني في معجم الشعراء[٢]: عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقول:

ومستنبح يبغي المبيت ودونه ... من الليل باباً ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدقٍ غاب عنها شرورها
إذا قيلت العوراء وليت سمعها ... سواي ولم أسأل بها ما دبيرها

العفو على السباع لا على الناس، وله في حرب الفجار ذكر، وكان قيس بن زهير جاره، فرآه عوف يدب في فساد أمر بني عامر، فقال:

وإني وقيساً كالمسمن كلبه ... فخدشه أنيابه وأظافره

وله:

أبى حسبي وفاصلتي ومجدي ... وإيثاري المكارم والمساعي
وقومي هم أحلوني وحلوا ... من العليا بمرتقب يفاع
ولم أظلف عن الشعراء عرضي ... كما ظلف الوسيقة بالكراع

شهد عوف بن الأحوص يوم رحرحان ويوم شعب جبلة ويوم الفجار وغيرها وفي كلها له صوت وقد وصفته الدارمية التي وصفت لحاجب بن زرارة رؤساء جيش بني عامر فقالت: ورأيت رجلاً آدما جسيماً كأن رأسه مجن غضورة، قال: ذاك عوف بن الأحوص.

قال صاحب الأغاني: الغضورة حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة تريد أن شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جز.

---

(١) أمثال القزويني على هامش مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٥١.
(٢) معجم الشعراء: ص٣٧٥.

وفي رواية ابن الأثير المتقدمة ما يخالف هذا النعت.

قال في الأغاني[١]: قال أبو عبيدة: أما يوم جبلة وكان من عظام أيام العرب، وعظام أيام العرب ثلاثة يوم الكلاب ويوم جبلة ويوم ذي قار، وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عبس بن بغيض حيث خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلددين فقال الربيع بن زياد: أما والله لأرمين العرب بحجرها، أقصدوا بني عامر، فخرج حتى نزل مضيقاً من وادي بني عامر، قال: أمكثوا، فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحرث بن خلف حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحرث وكان العقد من بني عامر إلى كعب بن ربيعة، فقال ربيعة بن شكل: يا بني عبس! شأنكم جليل وذحلكم الذي يطلب مكنم عظيم وأنا أعلم والله إن هذه الحرب أعز حرب ما حاربتها العرب قط ولا والله ما بد من بني كلاب فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي.

فخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا بني كلاب فلقيهم عوف بن الأحوص، فقال: يا قوم! أطيعوني في هذا الطرف من غطفان فأقطعوهم واغنموهم ولا تفلح غطفان بعده أبداً، والله إن تزيدوا على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداءاً.

فأبوا عليه وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم، فقال الربيعة بن شكل: أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك؟ قال: نعم.

قال: قد والله أجرت القوم فأنزلوا القوم وسطهم بحبوحة دارهم.

وذكر بشر بن عبد الله بن حسان الكلابي أن عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفائهم دون كلاب، فأبى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر وهو الربيع بن زياد حتى انتهيا إلى الأحوص وقد لم بيته فقال قيس للربيع إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتمي إلى هذا الشيخ، فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء، فقال: هذا مقام العائذ بك قتلتم أبي فما أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً وقد أتيتك لتجيرنا.

فقال الأحوص: نعم أنا لك جار مما أجير به نفسي وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفر فقال: يا معشر بني جعفر أطيعوني اليوم واعصوني أبداً وإن كنت والله فيكم معصياً إنهم والله لو

---

(١) الأغاني ١٠/ ٣٣.

لقوا بني ذبيان لولوكم أطراف الأسنة إذا نكهوا في أفواههم بكلام فأبدوا بهم فأقتلوهم وأجعلوهم مثل البرغوث دماغه دمه فأبوا عليه وحالفوهم.

ثم ساق القصة في حديث جبلة وذلك الحشد العظيم من بني عامر حتيإنتهى إلى انكسار ذلك الجيش العرمرم أمام بني عامر وحلفائهم وقتل قواده وملوكه، فقال في جملة الحديث[١]: وشد عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجز ناصيته وأعتقه على الثواب فلقيته بنو عبس فأخذه قيس بن زهير فقتله فاتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأحيوه أو أتوني بملك مثله.

فتخوفت بنو عبس شره وكان مهيباً فقالوا: أمهلنا، فأنطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه وكانا مشتبهين أحوبين أشعرين صخمة أنوفهما وكان في سلمى حياء فقال: سأكلم لكم طفيلاً حتى يأخذ أخاه[٢] فإنه لا ينجيكم من عوف إلّا ذلك، وأيم الله ليأتين شحيحاً، فأنطلقوا إليه، فقال طفيل: قد أتوني بك ما أعرفني بما جئتم له، أتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون به من عوف، خذوه، فأعطاهم إياه، فأتوه به فجز ناصيته وأعتقه، فسمي الجزاز، فذلك قول نافع بن الحنجرة بن الحكم بن عقيل بن الطفيل بن مالك في الإسلام:

قضينا الجون عن عبس وكانت منية معبد فينا هزالاً

الخ، وأخبار هذا الرجل كثيرة وابنه قحافة بن عوف بن الأحوص من سادات بني عامر وفرسانهم وشعرائهم، وهو القائل:

وكنت إذا منيت بخصم سوء دلفت له بداهية رقاع

واسم فرسه العصا وهو فارس العصا، قاله الجاحظ في البيان والتبيين[٣]، ثم يذكر ما يخالف هذا القول وسنذكره في ترجمة عمه شريح.

وسراقة بن عوف بن الأحوص من فرسانهم وأبطالهم وشعرائهم، مقدم في بني عامر أدرك الإسلام ولم أعرف له إسلاماً وفي شعره ما يشهد بأنه من ملاحدة العرب كقريش وثقيف.

ففي الأغاني[٤]: حدثني حنظلة بن قرطب بن أياد أحد بني أبي بكر بن كلاب، قال: لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه، بعث بنوا عامر لبيداً وقالوا

---

(١) الأغاني ١٠/ ٣٩.
(٢) أحد ملوك كندة.
(٣) البيان والتبيين ٣/ ٤٧.
(٤) الأغاني ١٢/ ١٣٢.

له: أقدم لنا على هذا الرجل فأعلم لنا علمه فقدم عليه فأسلم وأصابه وجع هناك شديد من حمى فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار، فقال سراقة بن عوف بن الأحوص:

لعمر لبيد إنه لابن أُمه ... ولكن أبوه مسه قدم العهد
دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحلاً فوقه قرع اللبد
فعالجت حماه وداء ضلوعه ... وترنيق عيش مسه طرق الجهد
وجئت بدين الصابئين تشوبه ... بألواح نجد بعد عهدك من نجد
وإن لنا داراً زعمت ومرجعا ... وثم أياب القارضين وذو البرد

(١٣) شريح بن عوف بن الأحوص

فارس العصا من أشهر فرسان بني عامر وأبطالهم في الجاهلية له الصيت الذائع في أيامهم المشهورة مثل يوم رحرحان ويوم جبلة وغيرهما وهو قاتل لقيط بن زرارة التميمي قائد الجيش في جبلة على أشهر الأقوال وأصحها.

قال الجاحظ في البيان والتبيين[١]: ولبني جعفر بن كلاب شحمة والغدير والعصا فشحمة فرس جزء بن خالد والعصا فرس عوف بن الأحوص والغدير فرس شريح بن الأحوص، الخ.

ولا ينافي ما تقدم لجواز أن تكون فرس عوف صار لابنه قحافة.

ومن شعر شريح بن الأحوص ما ذكره الآلوسي في بلوغ الارب[٢]:

ومستنبج يبغي المبيت

الابيات المتقدمة في ترجمة عوف، ولعل الآلوسي اشتبه عليه الأمر فخلط في روايته.

ووصفته الدارمية في غزوة رحرحان لزرارة بن عدس، فقالت: ورأيت رجلاً كأن شعر فخذيه حلق الدروع، فقال: ذاك شريح بن الأحوص.

قال أبو الفرج في الأغاني[٣] في حديث رحرحان: فخرجت بنو عامر إلى الحرث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا أمرأة من بني تميم وجدوها تحتطب وكان رأس الخيل التي خرجت لطلب الحرث بن

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٧.
(٢) بلوغ الإرب ١/ ٦٦.
(٣) الأغاني ١٠/ ٣٠.

ظالم شريح بن الأحوص وأصابوا غلماناً يجتنون الكمأة.

ثم ساق القصة إلى هزيمة بني تميم وأسر بني عامر لمعبد بن زرارة، فيقول: وأُسر[١] يومئذ معبد بن زرارة فأسره عامر بن مالك واشترك في أسره طفيل بن مالك ورجل من غني يقال له أبو عميلة وهو عصمة بن وهب وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة، وكان معبد بن زارة أغار على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب وكانت مضر تدعوه الأصم لأنهم كانوا لا ينادون فيه يا فلان ويا لفلان ولا يتغازون فيه ولا ينادون فيه يا لثارات، وهو أيضاً متصل لآل الأسنة لأنهم كانوا إذا دخل رجب نصلوا اسنتهم من الرماح حتى يخرج الشهر.

وسأل لقيط عامراً أن يطلق أخاه، قال: أما حصتي فقد وهبتها لك ولكن أُرضي أخي وحليفي الذين اشتركا فيه، فجعل لقيط لكل واحد مائة من الإبل فرضيا وأتيا عامراً فأخبراه، فقال عامر للقيط: دونك أخاك فأطلق عنه، فلما أطلق فكر لقيط في نفسه فقال: أعطيهم مائة بعير ثم تكون لهم النعمة علي بعد ذلك، لا والله لا أفعل، ورجع إلى عامر فقال: إن أبي زرارة نهاني أن أزيد على مائة بعير دية مضر فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل ، فقالوا: لا حاجة لنا في ذلك، فأنصرف لقيط، فقال له معبد مالي يخرجني من أيديهم، فأبى ذلك عليه، فقال: إذاً يقسم العرب بني زرارة.

فقال معبد لعامر: أنشدك الله لما خليت سبيلي فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كل مالي ولم تكن أُمه أم لقيط، فقال له عامر: أبعدك الله إن لم يشفق عليك أخوك فأنا أحق أن لا أشفق عليك، فعمدوا إلى معبد فشدوا عليه القد وبعثوا به إلى الطائف فلم يزل به حتى مات، فذلك قول شريح بن الأحوص:

لقيط وأنت أمرؤ ماجد ... ولكن حلمك لا يهتدي
ولما أمنت وساغ الشرا ... ب واحتل بيتك في ثهمد
رفعت برجليك فوق الفرا ... ش تهدي القصائد في معبد
وأسلمته عند حد القتال ... وتبخل بالمال أن يفتدي

ثم يقول أبو الفرج[٢] في يوم جبلة ونزول ذلك الجيش العرمرم الذي لم تر العرب مثله لبني عامر وحلفائهم وجعل الأحوص ابنه شريحا على تعبئة الناس ثم يحكي في التحام الحرب بما نصه: وخرجت بنو تميم من الخليف على خيل

(١) الأغاني ١٠/ ٣١.
(٢) الأغاني ١٠/ ٣١.

فكركروا الناس حتى ردوهم وانقطع شريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً شديداً وجعل لقيط يومئذ وهو على برذون له مجفف بديباج أعطاه إياه كسرى وكان أول عربي جفف وذكر له أرجازاً كثيرة وشجاعة باهرة، ثم قال: بينه وبينه جرف منكر، فضرب لقيط فرسه واقحم عليه الجرف فطعنه شريح وقد أختلفوا في ذلك فذكروا أن الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفر، وبنو عقيل تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلي قتله، وانشأ يقول:

ظلت تلوم لما بها عرسي جهلاً وأنّت حليمة الأمس
إن تقتلوا بكري وصاحبه فلقد شفيت بسيفه نفسي

فزعموا أن عوفاً قُتل يومئذ ستة نفر وقتل ابن له وابن أخ له، وأما العلماء فلا يشكون أن شريحاً قتله وارتث وبه طعنات[1] فبقي يوماً ثم مات فجعل لقيط يقول عند موته:

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المنحوس
أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وجعلت بنو عبس يضربونه وهو ميت، فقالت دختنوس:

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة وما تحمل الضيم الجنادل من ردا
فلو أنكم كنتم غداة لقيتموا لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا
غدرتم ولكن كنتموا مثل خضب أضائت لها القناص من جانب الشرا
فما ثاره فيكم ولكن ثاره شريح أأردته الأسنة أم هوى
فإن تعقب الأيام من فارس تكن عليكم حريقاً لا يرام لها سنا
ليجزيكم بالقتل قتلاً مضاعفاً وما في دماء الحمس يا مال من بوا
ولو قتلتنا غالب كان قتلها علينا من العار المجدع للعلا
لقد صبرت للموت كعب وحافظت كلاب وما أنتم هنا لا لمن رأى

ثم قال: ونزل حسان بن معاوية بن الجون وصاح: يا آل كندة! فحمل عليه شريح بن الأحوص فأعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب فضربه

(١) الأرتثاث: أن يحمل وهو مجروح، فإن حُمل ميتاً فليس بمرتث.

شريح بن الأحوص في رأسه فأنكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رعب الناس مكانه، إنتهى.

وأخباره كثيرة، وابنه عبد عمرو بن شريح فارس دعلج من أبطالهم وشعرائهم ورجالهم المشهورين ومن شعراء الحماسة، ففي شرح الحماسة:

أُقدم فيهم دعلجاً وأُكره إذا أكرهوا فيه الرماح تجمجما

البيت لعبد عمرو بن شريح فارس دعلج، قاله يوم فيف الريح وليس هو لعامر بن الطفيل، وأنشد في تصديق ذلك لمروان بن سراقة الجعفري:

وعبد عمر منع التواما ودعلجاً أقدمها إقداما

لولا الذي جشمهم إجشاما لجفلته مذحج نعاما

ويوم فيف الريح كان في أول بعثة النبي ﷺ ومن شعره في منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة:

لحى الله وفدينا وما ارتحلا له من السوأة الباقي عليهم وبالها

ألا إنما يردي صفاق متينة أبي الضيم أعلاها وأثبت حالها

قاله في الأغاني، وعبيدة بن شريح بن الأحوص من فرسانهم المشهورين وأبطالهم المبرزين، وظهر أثر ثباته يوم فيف الريح حين صدم جموع أهل اليمن المتدفقة ولم يشرك بني عامر في هذه الوقعة غيرهم.

ويقول ابن الأثير: وممن أبلي يومئذ أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وعبيدة بن شريح بن الأحوص وكان فيها الشرف لبني عامر.

(١٤) الصعق واسمه خويلد

على الأصح الكلابي الفارس المشهور من فرسان الجاهلية وأبطالهم وساداتهم وقد وصفته الدارمية لزرارة بن عدس وقد تقدم.

قال الفيروزآبادي في القاموس: الصعق لقب خويلد بن نفيل فارس بني كلاب، يقال في الصعق كإبل، لقب به لأن بني تميم أصابوا رأسه بضربة، وكان إذا سمع صوتاً صعق، أو لأنه اتخذ طعاماً فكفأت الريح قدوره فلعنها فأرسل الله عليه صاعقة[1]، الخ.

وقال المرزباني في معجم الشعراء[2] في ترجمة ابنه يزيد: اسم الصعق عمرو

(١) القاموس المحيط ٣/ ٢٥٣. (٢) معجم الشعراء: ص٤٩٤.

بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقيل: إن الصعق هو خويلد بن نفيل والصعق لقب وذلك أنه أصابته صاعقة، الخ.

وقوله: «اسمه عمرو» ليس بصحيح، إنما عمرو ابنه كما سيأتي.

قال الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام[١]: خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب الكلابي شاعر، حكى ابن الأعرابي قال: كان الحارث ابن أبي شمر الغساني إذا اعجبته أمرأة من قيس بعث إليها فأغتصبها نفسها فبعث إلى الداهرية بنت خويلد فأغتصبها فأتاه أبوها فقال في ذلك:

يا أيها الملك المخوف أما ترى ليلاً وصبحاً كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليك يدان
وأعلم وأيقن أن ملكك زائل وأعلم بأن كما تدين تدان

فقال الحارث: من هذا؟

فقالوا: الكلابي المغتصب بنته.

فتذمم وخاف العقوبة وأعطاه ثلثمائة بعير، إنتهى.

ولكن قال في الترجمة خويلد بن نفير وغير بعيد أن يكون تصحيفاً من الناسخ.

(١٥) يزيد بن الصعق الكلابي

فارس بني كلاب وشاعرها في العصر الجاهلي وشهد الوقائع العظمى مثل رحرحان وجبلة وغيرهما، وظهرت آثاره فيهما وعرفت الخلاف في إسم الصعق هل هو خويلد كما هو الأصح أو عمرو ما سيأتي التنبيه عليه ويزيد بن الصعق هو الذي أسر ابن رومانس أخا النعمان وقائد جيشه لحرب بني عامر.

قال ابن الأثير في التاريخ[٢]: يوم السلان كان بنو عامر بن صعصعة حمساً والحمس قريش ومن له فيهم ولادة والحمس متشددون في دينهم وكانت عامر أيضاً لقاحاً لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى أبرويز كان يجهز كل عام لطيمة وهي التجارة لتباع بعكاظ فعرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فأخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث إلى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكلبي وبعث إلى صنائعه ووضائعه - والضائع من كان يصنطعه من العرب ليغزيه والوضائع هم

(١) تاريخ دمشق ٥/ ١٨٢.
(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٢٩٥.

الذين كانوا شبه المشائخ - وأرسل إلى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فأجابوه فأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس، ومعه حبيش بن دلف وكان فارساً شجاعاً فأجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيراً وأمرهم بتسييرها وقال لهم: إذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الأشهر الحرم ورجع كل قوم إلى بلادهم فأقصدوا بني عامر فإنهم قريب بنواحي السلان.

فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا: خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فأرسل عبد الله بن جدعان قاصداً إلى بني عامر يعلمهم الخبر، فسار إليهم وأخبرهم الخبر فحذروا وتهيئوا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فأقتتلوا قتالاً شديداً، فبينما هم يقتتلون إذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق إلى وبرة بن رومانس أخي النعمان فأعجبه هيئته فحمل عليه فأسره، ثم ساق القصة، وقد أوردناها في ترجمة ملاعب الأسنة برواية ابن عبد ربه، فأطلبها.

ثم قال في آخرها: وأفتدى وبرة بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال، الخ.

وفي الأغاني في حديث جبلة[1]: وتحطم ذلك الجيش العظيم وغنم مرداس ابن أبي غاز رحلا ومائة بعير فأخذها منه بنو أبو بكر بن كلاب، فخرج مرداس إلى يزيد بن الصعق وكان له خليلاً، فأنتهى إليه مرداس وهو يقول:

لعمرك ما ترجو معد ربيعها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكبر
يزيد بن عمرو خير من شد ناقة ... أو اقتادها إذ الرياح تصرصر
تداعت بنو بكر عليّ كأنما ... تداعت عليّ بالأضرة بربر
تداعت عليّ إن رأوني بخلوة ... وأنتم بإحراد[2] الفوارس أبصر

فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردها إليه فطرقه البكريون وسقوه الخمر حتى سكر ثم سألوه الإبل فأعطاهم إياها فلما أصبح ندم فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه فقال له يزيد: أصاح أنت أم سكران؟ فأطرد إبلاً لبني جعفر فذهب بها، الخ.

---

(١) الأغاني ١٠/ ٤٢.
(٢) ويروى: بوحدان.

قال المرزباني في معجم الشعراء[١]: يزيد بن الصعق الكلابي العامري فارس بني عامر وشاعرهم كان بطلاً مشهوراً مسلم الفروسية.

وقال بعد الذي ذكرناه في أبيه: وهو الذي أسر رؤية بن رومانس أخ النعمان بن المنذر وهو القائل لبني أسيد بن عمرو بن تميم:

إذا مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد
تراه ينقب البطحاء حولاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وله فيهم:

ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما تحبون الطعاما

ولأوس بن غلفاء عنها جواب، وليزيد يرثي مالك بن صخر بن الشريد:

وأبلغ سليماً أن مقتل مالك أذل سهول الأرض والحزن أجمعا
أذل صريح الحي مصرع جنبه وأنف الموالي أصبح اليوم أجدعا
وأضحت بلاد كان يمنع سربها خلاء لمن أجرى إليها وأوضعا
فللّه عيناً من رأى مثل مالك قتيلاً بحزنٍ أو قتيلاً بأجرعا

مالك هذا يلقب ذوالتاج قتلته كنانة ويزيد بن الصعق ذكره في الإصابة في ترجمة حفيده يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق[٢] وإنه كان في زمان النعمان بن المنذر.

وقال الجواليقي في شرح أدب الكاتب[٣]: وليزيد بن عمرو الكلابي أبيات مؤسسة منها كأمس الدابر وهي:

أعقرتموا جملي برحلي قائماً ورميتم جاري بسهم ناقر
فإذا ركبتم فالبسوا أدراعكم إن الرماح بصيرة بالحاسر
إذ تظلمون وتأكلوا صديقكم فالظلم تاركم بجد عاثر
إني سأقتلكم ثنا وموحداً وتركت ناصركم كأمس الدابر[٤]

---

(١) معجم الشعراء: ص٤٩٤.
(٢) الإصابة ٣/ ٦٧٥.
(٣) شرح أدب الكاتب: ص٣٩٤.
(٤) الناقر: من السهام الذي يصيب القرطاس ويتعلق به، والحاسر: الذي لا درع عليه، والجائي: البارك على ركبتيه، والعاثر: الكابي.

وسبب هذه الابيات أن رجلاً أتى يزيد فقال: إني أريد الخروج إلى مكان كذا وغني بطريقي.

فقال يزيد: هذا جملي فأركبه فإن غنياً والد وجملي يعرف، فركب الأسدي الجمل فمر بالغنويين فخرجوا وعقروا البعير، فرجع إلى يزيد وأخبره فقال هذه الابيات.

قال أبو محمد: يقال مثنى كما يقال موحد ولا ينون لأنه معدول، إنتهى.

وهذه العرب في جاهليتها العمياء وفي دور عيشها الهمجي ليس عندها من الزواجر الإلٰهيّة ما تزدجر به عن الظلم ولا من الروادع الربانية ما يردعها عن الجور إذ لم يبعث إليها في ذلك الدور المظلم رسول ولم ينزل عليها في ذلك العصر الحالك كتاب وإنما اعتمدت على عقولها واستنارت بأفكارها في تقبيح الظلم والبغي وأدركت أن الظلم يشرف بصاحبه إلى الدمار ويوجب له العثار فما بال من درس أحكام الشريعة الإسلامية وتلا الآيات القرانية المحكمة لايقلع عن الظلم للعباد؟ ولا ينتهي عن الجور المؤدي لخراب البلاد؟

ومن كلامه في ذم البغي ويضرب كليباً مثلاً لذلك ذكره في كتاب بني شيبان[١]:

وإلا تدع قيس المحلة بيننا تلاقي الذي لاقي كليب عن الشغب
تخبر قومي أنني لست منهموا ويزعم أنّا معشر من بني وهب

ويزيد بن الصعق هو الذي استجارت به باهلة فأجارهم من بني جعدة بن كعب وأجار آخرين منهم عقال بن خويلد العقيلي، قاله في الأغاني[٢].

(١٦) عمرو بن الصعق

وهو عمرو بن خويلد بن نفيل أخو يزيد بن الصعق وكان عمرو بن الصعق من فرسان بني عامر وشياطينهم وشهد الحروب الكثيرة مع قومه كيوم رحرحان وجبلة وغيرهما.

قال الميداني في مجمع الأمثال[٣]: إن عمرو بن الصعق خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب كانت شاكر من همدان قد أسروه فأحسنوا إليه وروحوا عنه وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً فهرب من شاكر فبينما هو بقيء من الأرض إذ اصطاد

(١) كتاب بني شيبان: ص٣٨.
(٢) الأغاني ٤/ ١٣٧.
(٣) مجمع الأمثال ٢/ ٣١.

أرنباً فشواه، فلما بدأ يأكل منها أقبل ذئب فأقعى غير بعيد، فنبذ إليه من شوائه فولى به، فقال عمرو عند ذلك:

لقد أوعدتني شاكر فخشيتها ... ومن شعب ذي همدان في الصدر هاجس
وثار بموماة قليل أنيسها ... أتاني عليها أطلس اللون بائس
قبائل شتى ألف الله بينها ... له جحفة فوق المناكب يابس
نبذت إليه حزة من شوائها ... فآب وما يخشى على من يجالس
فولى بها جذلان ينفض رأسه ... كما أض بالنهب المغير المخانس

فلما وصل إلى قومه قالوا: أي عمرو! خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن؟! قال: القيد والرتعة، فأرسلها مثلاً، إنتهى.

واستعار هذا المثل الغضبان الشيباني لما حسبه الحجاج وكان حرض ابن الأشعث على الحجاج فأخرجه من الحبس بعد مدة فقال له: سمنت يا غضبان؟ فقال: أصلح الله الأمير! القيد والرتعة، ومن يك جار الأمير يسمن، في قصة مطولة استوفاها ابن قتيبة في كتاب الأمامة والسياسة.

ومن شعر عمرو بن خويلد وذكره الجاحظ في الحيوان[١]:

ركيات حسل أشهر الصيف بدنها ... وناقة عمرو ما يحل لها رحل
إذا ما ابتنينا بيتنا لمعيشة ... يعود لما بيني فيهدمه حسل
ويزعم حسل أنه فرع قومه ... وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل
ولدت بحول النجم تسعى لسعيه ... كما ولدت بالنحس رباتها عكل

(١٧) أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك

ابن جعفر بن كلاب العامري الجعفري عدو الله، كان فارس العرب، مجمع على فروسيته، وكان سيد بني عامر وشاعرهم وخطيبهم وأحد الأجواد المشهورين، دعا عليه رسول الله ﷺ فهلك، كان أعور فقئت عينه يوم فيف الريح، وشهد في فروسيته عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس اليمن.

ذكر المسعودي في مروج الذهب[٢] من قصة ذكرناها في «السياسة العلوية» في ترجمة عمرو بن معد يكرب، قال له عمر بن الخطاب: فأي العرب أبغض إليك أن تلقاه؟

---

(١) حياة الحيوان ٢٦/ ٢٩ او ٢.
(٢) مروج الذهب ١/ ٤٣٠.

قال: أما من قومي فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدي من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر بن وائل ثم لو جلت بفرسي على مياه معد ما خفت هيج أحد ما لم يلقني حراها وعبداها.

قال: ومن حراها وعبداها؟

قال: أما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي وأما عبداها فعنترة وسليك، الخ.

وإنما كره هذا البطل لقاء هذه القبائل لنجدتها وثباتها فخاف أن يفتضح في لقائها.

ذكر الراغب في المحاضرات وابن عبد ربه في العقد ولفظه[١]: ومن فرسان العرب في الجاهلية عنترة الفوارس وعتيبة بن الحارث بن شهاب وأبو براء عمرو بن مالك ملاعب الأسنة وزيد الخيل وبسطام بن قيس والأحيمر السعدي وعامر بن الطفيل وعمرو بن عبد ود وعمرو بن معد يكرب.

وقال ابن قتيبة في الشعراء[٢]: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس وكان أعوراً عقيماً لا يولد له ولد، قال:

لبئس الفتى أن كنت أعور عاقراً جباناً فما عذري لدى كل محضر
لعمري وما عمري علي بهين لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وقد كان له فرس يقال له المزنوق، وله يقول:

لقد علم المزنوق إني أكره على جمعهم كر المنيح المشهر
إذا أزور من وقع السلاح زجرته قلت له أربع مقبلا غير مدبر

قال الميداني في مجمع الأمثال[٣]: عامر عامر بن الطفيل هو ابن أخي عامر ملاعب الأسنة وكان أفرس وأسود أهل زمانه، ثم ذكر تأبين جبار بن سلمى له وسيأتي، وقال: وكان منادي عامر بن الطفيل ينادي بعكاظ: هل من راجع فأحمله؟ أو جائع فأطعمه؟ أو خائف فأؤمنه؟.

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين[٤] ما لفظه: وكانت كنية عامر بن الطفيل

---

(١) العقد الفريد ١/ ٦٢.
(٢) الشعر والشعراء: ص١٧٩.
(٣) مجمع الأمثال ٢/ ٢٢.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٢٧٠.

في الحرب غير كنيته في السلم، كان يكنى في الحرب بـ«ابي عقيل» وفي السلم بـ«أبي علي».

وقال ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون على هامش شرح لامية العجم[١]: أما عامر بن الطفيل فكان شجاعاً مشهوراً وشاعراً مقداماً، قال أبو عبيدة: أجمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة: ففارس تميم عتيبة بن الحارث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفوارس، وفارس ربيعة بسطام بن قيس، وفارس قيس عامر بن الطفيل، الخ.

وقال في العقد الفريد[٢]: في يوم الرقم غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم وهو ماء لبني مرة وعلى بني عامر بن الطفيل ويقال يزيد بن الصعق فركب عيينة بن حصن في بني فزارة ويزيد بن سنان في بني مرة ويقال الحارث ابن عوف فأنهزمت بنو عامر وجعل يقاتل عامر بن الطفيل ويقول يا: قيس! إن تقتلي تموتي، الخ.

ثم قال: يوم النتأة خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرقم فهجموا على بني عبس بالنتأة وقد أنذروا بهم وعلى بني عامر عامر بن الطفيل وعلى بني عبس الربيع بن زياد فأقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزمت بنو عامر وقتل منهم صفوان بن مرة قتلة الأحنف بن مالك ونهشل بن عبيدة بن مالك بن جعفر قتله أبو زغنة بن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد وطعن ضبيعة بن الحارث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا وهربت بنو عامر.

ثم قال[٣]: قال أبو عبيدة: إن عامر بن الطفيل هو الذي طعن ضبيعة بن الحارث ثم نجا من طعنته، وقال في ذلك:

فإن تنجو منها يا ضبيع فإنني وجدك لم أعقد عليك التمائما

إنتهى.

وقد همّ صاحب العقد يوم النتأة بين بني عامر وبني تميم كما ذكرنا سابقاً وهو قول ابن الأثير والحموي وغيرهما وهو الصحيح.

وحروب عامر بن الطفيل كثيرة، وهو الصحيح، وأشهر أيام بني عامر يوم فيف الريح تداعت عليهم قبائل اليمن كلها فانتصفوا منها وانتصروا عليها وأنهزمت اليمن وظهرت كفاءة عامر بن الطفيل في هذا اليوم وفيه فقئت عينه وعامر هذا هو

(١) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ١/ ١٧١.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٣٣٥. (٣) العقد الفريد ٣/ ٣٣٦.

الذي فاخر ابن عمه علقمة بن علاثة في قصة مشهورة.

أما هلاك ابن الطفيل فكان بالطاعون بدعوة النبي ﷺ في السيرة الهشامية[١]: قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله وهو يريد الغدر برسول الله ﷺ وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله قد كنت آليت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد، خالني؟ قال ﷺ: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له، قال: يا محمد، خالني، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئاً فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد، خالني.

قال ﷺ: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

فلما أبى رسول الله ﷺ، قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فلما ولى قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفني عامر بن الطفيل.

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لاربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على وجه الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك على نفسي بعد اليوم أبداً.

قال: لا أباً لك، لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلَّا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك فأضربك بالسيف.

وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت أمرأة من سلول، فجعل يقول: يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت أمرأة من بني سلول، الخ.

وفي مجمع الأمثال[٢] في هذه القصة: فقال النبي ﷺ: اللهم اكفينهما بما شئت، فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاحي فأحرقته وولى عامر هارباً وقال: يا محمد، دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٢.

فقال رسول الله ﷺ: يمنعك الله من ذلك وابناء قيلة - يريد الاوس والخزرج -.

فنزل عامر بيت أمرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول: واللات لئن أصحر محمد وصاحبه «يعني ملك الموت» لأنفذتهما برمحي.

فلما رأى الله ذلك منه أرسل عليه ملكاً فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموتاً في بيت سلولية، ثم مات على ظهر فرسه، إنتهى.

وذكر له في الإصابة ترجمة مطولة تشاكل ما ذكرناه.

وذكره الأب لويس في شرح مجاني الأدب في الطبقة الثالثة من الشعراء وأورد له شعراً سنذكره، وقال: أدرك الإسلام ووفد على رسول الله ﷺ في آخر عمره مع ابن عم له يقال له أربد بن قيس ومعهم جماعة من بني عامر وذلك في سنة (١١) هجرية سنة (٦٣٣) ميلادية، ثم أنصرف فمات في أثناء الطريق فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصاباً.

وقال الزركلي في الأعلام: ولد سنة (٧٠) قبل الهجرة سنة (٥٥٤) بعد الميلاد وهلك سنة (١٢) هجرية سنة (٦٣٢) ملادية، والصحيح ما قاله الأب لويس لأنه مات في عصر النبي ﷺ بدعوة النبي ﷺ.

أشعاره كثيرة وراقية وشيقة جزالة ومرصفة منها قوله وذكر ابن قتيبة في الشعراء:

وما الأرض إلَّا قيس عيلان أهلها ... لهم ساحاتها سهلها وحزونها
وقد نال آفاق السماوات مجدنا ... لنا الصحو من آفاقها وغيومها

وقوله:

ونستلب الأقران والجرد كلح ... على الهول يسعفن الوشيج المقوما
ونحن صبحنا حي أسماء غارة ... أبال الحبالى غب وقفتنا دما

وقوله:

وإني إن كنت ابن فارس عامر ... وسيدها المشهور في كل موكب
فما سوّدتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب

وقوله وذكراه ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون:

وكم مظهر بغضاً لنا ودائنا إذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدي
مطاعيم في اللأواء مطاعين في الوغى شمائلنا تتلى وأيماننا تندي

وقوله:

وصاحب صدق قد أخذت بضبعه وقلت له وآزر أخاك فآزرا
ضروب بنصل السيف حالف ضربه إذا اغبر أولاد المقاريف أسفرا

وقوله مفتخراً:

ليت إسماً عرفت أعراضها في تنائي الدار منها والفند
عاينت من غير بغض موقفي فرأت جودي بنفسي والجلد
لفدتني بأبيها وابنها وبعميها جميعاً وبجد
فترى الفرسان منا ناقض فوق محبوك كسرحان الثمد
فسلي عنا سرايا مذحج مع همدان على كثر العدد
أسلموا كل كعاب طفلة جدلة الساقين ملساء الكبد
ورونا الأوس يوم المنحنى ومن الخزرج قتلى لا تعد
وطحنا حميراً طحن الرحىٰ فضلة الحب إلى ونب الجدد
لم تغادر خيلنا من جمعهم غير فل وشقاء ونكد
فلنا النعمى على الناس معاً ولنا الإذعان في كل بلد
ليس يصلى الحرب إلَّا مثلنا واليماني إذا قام قعد

(١٨) أبو عقيل لبيد بن ربيعة

ابن مالك بن جعفر الشاعر المشهور صاحب المعلقة كان صحابياً من فحول شعراء الجاهلية وترك الشعر في الإسلام وكان من اجواد العرب وفرسانهم زاد بالإسلام عزاً، وكان شيعياً.

قال ابن قتيبة في الشعراء بعد نسبه: يكنى أبا عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وكان الحارث بن أبي شمر الغساني وهو الأعرج وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمره عليهم فصار إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتى ملك غسان فأخبره فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموه فهو يوم حليمة.

وحليمة بنت ملك غسان وكانت طيبت هؤلاء الفتيان وألبستهم الأكفان وبرنس الأضريح.

وأدرك لبيد الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم وقدم لبيد الكوفة وأقام بها إلى أن مات فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب.

ويقال: إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية وهو ابن (١٥٧) ولم يقل في الإسلام شعراً إلَّا بيتاً واحدا، قال أبو اليقضان وهو قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

وقال ابن سلام في طبقات الشعراء[١]: كان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارساً شجاعاً وكان عذب المنطق رقيق حواش الكلام وكان مسلماً رجل صدق كتب عمر بن الخطاب إلى عامله أن سل لبيداً والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟ فقال الأغلب:

أرجزاً سألت أم قصيدا فقد سألت هيناً موجودا

وقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران.

فزاد عمر في عطائه فبلغ به ألفين: فلما ولي معاوية قال: يا أبا عقيل، عطائي وعطاؤك سواء، وما أراني إلَّا سأحطك، قال: أو تدعني قليلاً ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذه أجمع.

وعمر عمراً طويلاً وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم، وكان يطعم ما هبت الصبا وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا قال: أعينوا أبا عقيل على مروته.

وذكره أبو حاتم في المعمرين والعسقلاني في الإصابة[٢] عن المرزباني بعد النسب: كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم، وذكر مثل قول ابن سلام ثم قال: عن أبي سعيد السكري قال: لما أشتد الجدب على مضر بدعوة النبي ﷺ وفد عليه وفد قيس وفيهم لبيد، فأنشده:

أتيناك يا خير البرية كلها لترحمنا مما لقينا من الأزل
أتيناك والعذراء تدمي لبانها وقد ذهبت أم الصبي عن الطفل
فإن تدعو بالسقيا وبالعفو تسر سل السماء لنا والأمر يبقى على الأصل

(١) طبقات الشعراء: ص٤٥. (٢) الإصابة ٣/ ٣٣٦.

وألقى لكنيته الشجاع استكانة من الجوع حتى ما يمر وما يحل
. . . الخ.

وأختلف المؤرخون في مدة عمره فذكر الأب لويس أنه عاش (١٦٠) سنة، وقد قيل أقل وقيل أكثر.

أول ما ظهرت فيه نباهة لبيد:

ذكر الميداني في مجمع الأمثال[١] أن عامراً ملاعب الأسنة وعوف بن الأحوص وسهيل بن مالك ولبيد بن ربيعة وشماساً الفزاري وقلابة الأسدي قدموا على النعمان وخلفوا لبيداً يرعى ابلهم وكان أحدثهم سناً وجعلوا يغدون على النعمان ويروحون فأكرمهم وأحسن نزلهم غير أن الربيع «ابن زياد العبسي» كان أعظم عنده قدراً، فبينما هم ذات يوم عند النعمان إذ رجز بهم الربيع وعابهم وذكرهم باقبح ما قدر عليه فلما سمع القوم ذلك انصرفوا إلى رحالهم وكل إنسان مقبل على بثه وروح لبيد الشول فلما رأى ما بهم من الكآبه سألهم: ما لكم؟ فكتموه، فقال لهم: والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا اسرح لكم إبلاً أو تخبروني بالذي كنتم فيه وإنما كتموا عنه لأن أم لبيد أمرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك وصد بوجهه عنا.

فقال لبيد: هل فيكم من يكفيني الإبل وتدخلوني على النعمان معكم فواللات والعزى لأدعنه لا ينظر اليه.

فخلفوا في إبلهم قلابة الأسدي وقالوا للبيد: أو عندك خير؟

قال: سترون، قالوا: إنا نبلوك في هذه البقلة لبقلة كانت بين أيديهم دقيقة الأغصان قليلة الأوراق تُدعى التربة، صفها واشتمها، فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل شر البقول مرعى وأقصرها فرعاً، فتعساً لها وجدعاً، ألقوا بي أخا عبس أرده عنكم بتعس وأدعه من أمره في لبس، قالوا: نصبح ونرى، فقال لهم عامر: انظروا هذا الغلام فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء فإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم.

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ٣٣.

فرمقوه فرأوه قد ركب جملاً حتى أصبح فخرج القوم وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدى والربيع يأكل معه فقال لبيد: أبيت اللعن، أتأذن لي في الكلام؟ فأذن له، فقال:

يا رب هيجا هي خير من دعه ... آكل يوم هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعة ... ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المذعذعة ... الضاربون إلهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعة ... مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إن أسته من برص ملمعة ... وإنه يدخل فيها إصبعه
يدخلها حتى يواري أشجعه ... كأنما يطلب شيئاً ضيّعه

فلما سمع النعمان الشعر أنف ورفع يده من الطعام وقال للربيع: أكذلك أنت؟

قال: لا، واللات كذب ابن الفاعلة.

فقال النعمان: لقد خبث علي طعامي، إلى آخر القصة وفيها طول.

وهذه القصة من أشهر القصص التاريخية العربية ورواها الشريف المرتضى (رحمه الله) في الامالي[1]: بأبسط وأتم مما ذكره الميداني وأكثر مصادر التأريخ والأدب تذكرها.

وأخبار لبيد كثيرة لا يتسع لها هذا الكتاب ولشهرتها وشهرت أشعاره تركنا أيرادها وأشهرها المعلقة وكل شعره في غاية القوة والأحكام والمتانة والجزالة، فمنه قوله في البيان والتبيين:

ومقام ضيق فرجته ... ببيان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله ... زل عن مثل مقامي وزحل
ولدى النعمان مني موقف ... بين مأثور أفاق فالدحل
إذ دعتني عامر أنصرها ... فالتقى الالسن كالنبل الدُوَل
فرميت القوم رشقاً صائباً ... ليس بالعطل ولا بالمفتعل
وانتضلنا وابن سلمى قاعد ... كعتيق الطير يعضي ويحل

(١) الأمالي للمرتضى ١/ ١٣٥.

وقبيل من لكيز شاهد رهط مرحوم ورهط ابن المعل

وقوله:

لو كان حي في الحياة مخلد في الدهر أدركه أبو يكسوم
بكتائب خرس تعود كبشها نطح الكباش شبيهة بنجوم
ولقد بلوتك وبلوتك خليقتي ولقد كفاك معلمي تعليمي

وقوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتأكلون مغالة وخيانة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وقوله في مرثية أخيه أربداً وأوردها في الشعر والشعراء:

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل أمرء يوماً به الدهر فاجع
وما الناس إلَّا كالديار وأهلها بها يوم حلّوها وغدوا بلاقع
وما المرء إلَّا كالشهاب وضوءه يحور رماداً بعد ما هو ساطع
وما المال والأهلون إلَّا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما الناس إلَّا عاملان فعامل يتبر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد أخذ بنصيبه ومنهم شقيٌ بالمعيشة قانع
أليس ورائي أن تراخت منيتي لزوم العصا تحني عليها الأصابع
أُخبر أخبار القرون التي مضت أدبّ كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد القين والسيف قاطع
فلا تبعدن إن المنية موعد علينا فدان للطلوع وطالع
أُعاذل ما يدريك إلَّا تظنياً إذا رحل السفار من هو راجع
أأجزع مما أحدث الدهر بالفتى ويي كريم لم تصبه القوارع

(١٩) أربد الحتوف الجعفري الكلابي

كان بطلاً مارداً شجاعاً متمردا ويلقب بـ«أربد الحتوف» وأبوه قيس من فرسان بني عامر وجده جزء بن خالد من فرسانهم وساداتهم وهو فارس شحمة وكان أربد بطلاً فاتكاً شيطاناً متجبراً، وقد أعترف عامر بن الطفيل له بالفروسية وأقر له بالبطولة والفتك ومع كونه بطلاً كان شاعراً مجيداً أدرك الإسلام فتمرد عليه

فقتله الله بالصاعقة بدعوة النبي ﷺ عليه، وكان إسمه عمرو ولقبه أربد.

قال المرزباني في معجم الشعراء[١]: أربد أخو لبيد بن ربيعة لأمه وإسم أربد عمرو بن جزء بن خالد بن جعفر، وفد أربد مع عامر إلى النبي ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عليهما فارسل الله على أربد في طريقه صاعقة فأحرقته، ورثاه لبيد بقوله:

أخشى على أربد الحتوف ولا أخاف نوء السماك والاسد

ومات عامر بن الطفيل في طريقه بالغدة، وسمي أربد بقوله:

فقل لقريش تبلغوا رأس حية تدلى عليهم من تهامة اربد

وقال الآمدي في المختلف والمؤتلف[٢]: أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة أخو لبيد بن ربيعة لأمه وهو الذي صار إلى النبي ﷺ مع عامر بن الطفيل ليقتلاه، فهلك عامر في رجوعه بالغدة وأصابت أربد صاعقة فهلك، وذكر بيت لبيد المتقدم، وقال: وأربد شاعر وهو القائل:

وكائن إلى الدار بعدك من شهر وصفق رياح من سوار ومن قطر
فأمسك فيها أبتغي العلم عندها فظنت علينا بالجواب وبالخير
وقد أشعرتني جارتي ملامة على اللهو يوماً في القداح وفي الخمر
وعقري لأصحابي الغداة مطيتي اذا أرملوا زاداً بأبيض ذي أثر
فلا توعدني بالفراق فإنني على بين ذي الفقد المفارق ذي صبر
لعلكما إن ترشدا إن رشدتما بأمركما أو تغويان فلا أدري

مهلك أربد انتقاماً من الله له:

ذكر أبو الفرج في الأغاني[٣] عن الطبري رواية ابن إسحاق وسنذكرها، ثم قال بعدها: عن علي بن صالح صاحب المصلى قال: حدثنا ابن دأب قال: كان أبو براء عامر بن مالك قد أصابته دبيلة فبعث لبيد بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وأهدى له رواحل فقدم بها لبيد وأمره أن يستشفيه من وجعه فقال رسول الله ﷺ: لو قبلت من مشرك لقبلت منه، وتناول من الأرض مدرة فتفل عليها ثم أعطاها لبيداً، ثم قال له: دفها له بماء ثم أسقه إياه، وأقام عندهم لبيد يقرأ القرآن واكتتب منهم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٤] فخرج بها ولقيه أخوه أربد على ليلة من

---

(١) معجم الشعراء: ص٢١.
(٢) المختلف والمؤتلف: ص٢٥.
(٣) الأغاني ١٥ / ١٣١.
(٤) الرحمن: ١ و ٢.

الحي فقال له: إنزل، فنزل فقال: يا أخي، أخبرني عن هذا الرجل فإنه لم ياته رجل أوثق عندي فيه قولاً منك.

فقال: يا أخي، ما رأيت مثله، وجعل يذكر صدقه وبره وحسن حديثه، فقال له: هل معك من قوله شيء؟

قال: نعم، فأخرجها له فقرأها عليه فلما فرغ منها قال له أربد: لوددت أني ألقى الرحمٰن بتلك البرقة فإن لم أضربه بسيفي فعلي وعلي.

قال: ونشأت سحابة وقد خليا عن بعيريهما، فخرج أربد يريد البعيرين حتى إذا كان عند تلك البرقة غشيته صاعقة فمات.

وقدم لبيد على أبي براء فأخبره خبر رسول الله ﷺ وأمره، قال: فما فعل فيما استشفيته؟ قال: تالله ما رأيت منه شيئاً كان أضعف عندي من ذلك، وأخبره الخبر.

قال: فأين هي؟

قال: ها هي ذه معي.

قال: هاتها.

فأخرجها له فدافها ثم شربها فبرأ، الخ ما ذكر أبو الفرج.

وهذه القصة تمثل الجبروتية العربية والفظاظة البدوية وتجبر الأعراب وتمردهم عن قبول الحق ولهذا أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾[1] وهذه القصة قدعرفتنا أن أسباب الشقاء الأبدي قلة العلم وضعف العقل، وأن الجهل و التهور وعدم التفكير وقلة النظر في العواقب من أسباب العطف ودواعي الهلاك، وقد أكثر المؤرخون من ذكر هذه الحادثة الخطيرة لغرابتها وذكروا لها طرقاً:

ومنها ما رواه الطبري في التاريخ عن ابن إسحاق وهذا نصه في السيرة الهشامية[2] قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما ورائك يا أربد؟

قال: لا شيء والله، وقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

---

(١) التوبة: ٩٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨٢.

وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لامه.

وعن ابن عباس: فأنزل الله تعالى في عامر واربد: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1]، قال: والميقات هي من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[2].

قال ابن إسحاق: فقال لبيد يبكي أربد:

ما أن تعرى المنون من أحد ... لا والد مشفق على ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أخاف نوء السمّاك و الأسد
فعين هلا بكيت اربد إذ ... قمنا وقام النساء في كبد
إن يشغبوا لا يبالي شغبهم ... أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته ... مر لطيف الأحشاء والكبد
وعين هلا بكيت اربد إذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحاً مصرمة ... حين تجلت غوابر المدد
أشجع من ليث غابة لحم ... ذو تهمة في العلا ومتقد
لا تبلغ العين كل نهمتها ... ليلة تمسي الجياد كالقدد
الباعث النوح في مآتمه ... مثل الضباء الأبكار بالجرد
فجعني البرق والصواعق بالـ ... ـفارس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب إذا ... جاء نكيباً وإن يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصد
كل بني حرة مصيرهم ... قل وإن أكثرت من العدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا ... يوماً فهم للهلاك والنقد

وذكر له مراثي كثيرة منها التي مطلعها:

ألا ذهب المحافظ والمحامي ... ومانع ضيمها يوم الخصام

منها:

فودِّع بالسلام أبا حريز ... وقل وداع أربد بالسلام

---

(١) الرعد: ٨ - ١١.
(٢) الرعد: ١٣.

وكنت إمامنا ولنا نظاماً وكان الجزع يحفظ بالنظام

ولولا الإطالة أوردتها بطولها وأوردت غيرها من مراثيه لحكمها وأدبها، فإن مثل قوله:

يذكرني باربد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا
إذا اقتصدوا فمقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدي القوم مطلعاً إذا ما دليل القوم بالمومات حارا

هلك هو وعامر بن الطفيل في عام واحد.

(٢٠) جبار بن سلمى

ابن مالك بن جعفر الكلابي الجعفري العامري وأبوه نزال المضيق، وكان جبار فارساً بطلاً من أبطال بني عامر وساداتهم شاعراً فصيحاً من اجواد العرب أدرك الإسلام وأسلم وشهد مع عامر بن الطفيل مقتل أصحاب رسول الله ﷺ يوم بئر معونة وقتل بعضهم، ويقال إنه افرس من عامر بن الطفيل وقد وفد مع عامر واربد على النبي ﷺ ونجا لأن دعوة النبي ﷺ انصرفت عنه إليهما.

قال في الإصابة[1]: جبار بن سلمى - بضم السين وقيل بفتحها - ابن مالك بن جعفر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي كان يقال لأبيه نزال المضيق، ذكر ابن سعد أنه قدم إلى النبي ﷺ مع عامر بن الطفيل وهو مشرك، ثم كان هو الذي قتل عامر بن فهيرة.

وفي المغازي لابن إسحاق: حدثني رجل من ولد جبار بن سلمى قال: كان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل يعني بئر معونة ثم أسلم بعد ذلك.

وذكر الواقدي أنه أسلم على يد الضحاك الكلابي.

وروى الواقدي بأسناده عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: قدم وفد بني كلاب وهم ثلاثة عشر رجلاً فيهم لبيد بن ربيعة فنزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بين جبار بن سلمى وكعب بن مالك صحبة فجاء كعب فرحب بهم وأكرم جبار بن سلمى وأنطلق معهم إلى النبي ﷺ فذكر القصة.

وروى ابن إسحاق والواقدي وغيرهما أن جبار بن سلمى هو الذي طعن عامر بن فهيرة يومئذ فقال: فزت ورب الكعبة ورفع من رمحه لم توجد جثته، فأسلم جبار لذلك وحسن إسلامه.

---

(١) الإصابة ١/ ٢١٩.

وحكى ابن الكلبي أنه كان يقال إنه أفرس من عامر بن الطفيل، الخ.

قال ابن إسحاق كما في السيرة الهشامية[١]: حدثني بعض بني جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر قال: وكان جبار فيمن حضرها - يعني بئر معونة - مع عامر ثم أسلم فكان يقول: إن مما داعني إلى الإسلام إني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول فزت والله فقلت في نفسي: ما فاز، الست قد قتلت الرجل، حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: الشهادة، فقلت: فاز لعمر الله، إنتهى، وسيأتي تأبينه لعامر بن الطفيل.

وقال الآمدي في المختلف والمؤتلف[٢]: جبار بن سلمى بن مالك بن عامر بن صعصعة، أنشد له المفضل في المقطعات:

وما للعين أن تبكي مجيراً إذا فترت عن الرمح اليدان
وما للعين أن تبكي بجيراً ولو أني نعيت له بكاني

لم يذكر في الإصابة ولا في الأستيعاب تاريخ وفاته ويجيء في كثير من الكتب حيان بن سلمى كما في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني وغيره وهو تصحيف بلا شك والصحيح ما ذكرناه أولاً جبار لا حيان.

(٢١) علقمة بن علاثة

الجعفري العامري الكلابي الصحابي المشهور، كان شجاعاً بطلاً وجواداً كريماً وسيداً شريفاً من سادات بني عامر ومن الخطباء الفصحاء أدرك الإسلام وأسلم إسلاماً مدخولا فهو من المؤلفة قلوبهم، والمؤلفة أشراف من أشراف العرب يسلمون لأجل الأطماع، كان النبي ﷺ يعطيهم الأموال يتألفهم بذلك ليكفي شر غائلتهم ويأمن مكرهم وهم جماعة كثيرون ذكرناهم في كتابنا (الميزان الراجح).

وعلقمة هذا هو صاحب المنافرة مع عامر بن الطفيل، وكان علقمة أسخى من عامر وأوفى وأحلم، وعامر أشجع منه وأغدر وأنكر، وكان أبوه علاثة من سادات بني عامر وجده عوف بن الأحوص فارس العصا وجده الأحوص قائد هوازن.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٧.
(٢) المختلف والمؤتلف: ص٩٩.

قال العسقلاني في الإصابة[١]: علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثبت ذكره في الصحيح في حديث أبي سعيد، قال: بعث علي بن أبي طالب «عليه السلام» إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها فقسمها بين أربعة نفر: عيينة بن حصن «فزاري» والاقرع بن حابس «تميمي» وعلقمة بن علاثة وزيد الخيل «طائي».

وقال بعد ذكر منافرته لعامر عن أبي حدرد الأسلمي قال: قال محمد بن مسلم: كنا يوماً عند رسول الله ﷺ فقال: يا حسان، أنشدني من شعر الجاهلية، فأنشده قصيدة الأعشى التي هجا فيها علقمة بن علاثة ومدح بها عامر بن الطفيل، فقال: يا حسان، لا تعد تنشدني هذه القصيدة، فقال: يا رسول الله، تنهاني عن رجل شرك مقيم عند قيصر؟

فقال ﷺ: إن قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني وسأل علقمة فأحسن القول، فأن أشكر الناس للناس أشكرهم لله.

وساق نتفاً من الأحاديث في مناح شتى تتعلق بعلقمة منها ما عن ابن سيرين قال: ارتد علقمة بن علاثة فبعث أبو بكر إلى أمرأته وولده، فقالت المرأة: إن كان علقمة كفر فإني لم أكفر أنا ولا ولدي، قال: فذكرت ذلك للشعبي، فقال: هكذا فعل بهم، الخ.

المنافرة بين علقمة وعامر:

والمنافرة هي المفاخرة عند العرب، قال ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون هامش لامية العجم[٢] سبب منافرتهما: حكى أبو عبيدة وغيره قال: أول ما هاج النفار بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل أن علقمة كان ذات يوم قاعداً يبول فنظر إليه عامر، فقال: لم أرى كاليوم سوءة رجل أقبح.

فقال علقمة: لأنها لا تثب على جاراتها ولا تنازل إلَّا كفاتها - يعرض بعامر -، فقال عامر: وما أنت والقدوم؟ والله لفرس أبي المسى حبوة اذكر من أبيك ولفحل أبي المسمى الغيهب أعظم ذكراً منك.

فقال علقمة: أما فرسكم فمعارة، وأما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رحل بن كلب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن إن شئت نافرتك.

---

(١) الإصابة ٢/ ٥٠٣.

(٢) شرح رسالة ابن زيدون بهامش لامية العجم ١/ ١٢٧.

قال: قد شئت.

فقال علقمة: والله إني لبر وإنك لفاجر، وإني وفيّ وإنك لغادر، ففيما تفاخرني يا عامر؟

فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقفزة وأنحر للبكرة وأطعن للنقرة.

وفي رواية الإصابة[١] عن ابن عساكر: إن علقمة قال لعامر: لا أنافرك على الفروسية أنت أشد بأساً مني.

فقال عامر: لا أنافرك على الكرم، أنت رجل سخي.

فقال علقمة: لكني موف وأنت غار وعفيف وأنت عاهر ووالد وأنت عاقر، الخ.

قال ابن نباتة: ثم تنافرا على مائة من الإبل يعطيانها للحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني خالد وخرج عامر بمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الأسنة فقال: يا عماه، أعني.

فقال: يا ابن أخي، سبني، قال: لا أسبك وأنت عمي.

قال: دونك نعلي فإني ربعت فيها أربعين مرباعاً فاستعن بهما في نفارك.

وحيث أن القصة عنده مطولة نورد ما في الإصابة فإنه أخصر، قال[٢]: كان علقمة بن علاثة تنافر مع عامر بن الطفيل فخرج مع عامر لبيد والأعشى ومع علقمة الحطيئة فحكّما أبا سفيان بن حرب، فأبى أن يحكم بينهما فأتيا عيينة بن حصن فأبى فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري، فردهما إلى هرم بن قطبة الفزاري فلما نزلا به قال: لاقضين بينكما ولكن في العام المقبل.

فانصرفا، ثم قدما، فبعث إلى عامر سرّاً فقال: لا تفاخر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلّا بأبائه فكيف تكون أنت خيراً منه؟ فقال: أنشدك الله أن تفضله علي وهذه ناصيتي جزها وأحكم في مالي بما شئت أو فسوي بيني وبينه.

ثم بعث إلى علقمة سراً، فقال: كيف تفاخر رجلاً هو ابن عمك وابوه أبوك وهو أعظم قومك غناء؟

فقال له كما قال له عامر.

فأرسل هرم إلى بنيه: إني قائل مقالة فإذا فرغت فلينحر أحدكم عن علقمة عشراً ولينحر آخر عن عامر عشراً، وفرقوا بين الناس.

---

(١) الإصابة: ٥٠٣.

(٢) الإصابة: ص٥٠٤.

فلما أصبح قال لهما جهاراً: لقد تحاكمتما إليّ وأنتما كركبتي البعير يقعان معاً، وكلاكما سيد كريم ولم يفضل فأنصرفا إلى ذلك.

ومدح الأعشى عامراً وفضله على علقمة بأبيات منها:

سدت بني الأحوص لم تعدهم وعامر ساد بنو عامر

فنذر علقمة دم الأعشى فأتفق أنه ظفر به فأنشده قصيدة نقض بها الأولى يقول فيها:

علقم يا خير بني عامر للضيف والصاحب والزائر

وقد أوردناها بطولها في كتابنا «الميزان الراجح» وبسطنا الكلام في ترجمة علقمة.

أما وفاته فكانت بحوران والياً لعمر بن الخطاب سنة (١٥) هجرية سنة (٦٣٨) ميلادية قاله الأب لويس في شرح مجاني الأدب أما الزركلي في الأعلام فقال سنة (٢٠) هجرية سنة (٦٤٠) ميلادية، ولعله أقرب للصواب.

قال في الإصابة[1]: قال هشام بن الكلبي: حدثني بعض بني جعفر بن كلاب: إن عمر بن الخطاب ولي علقمة حوران فنزلها إلى أن مات، وخرج إليه الحطيئة فوجده قد مات وأوصى له بجائزة فرثاه بقصيدة منها:

فما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلّا ليال قلائل
فعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أدركته الحبائل

... الخ، وقبل البيتين:

إلى القائل الفعّال علقمة الندى رحلت قلوصي تجتويها المناهل
إلى ماجد الآباء قرم عثمثم له عطن يوم التفاضل آهل

فما كان البيتان وبعدهما:

لقد غادرت حزماً وجوداً ونائلاً ولبّاً أصيلاً خالفته المجاهل
تكاد يداه تسلمان ردائه من الجود لما استقبلته الشمائل
فإن تحيى لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياتي بعد موتك طائل

قال في الإصابة: فقال ابنه: كم ظننت أن أبي يعطيك؟ قال: مائة ناقة.

قال: فلك مائة ناقة تتبعها أولادها.

---

(١) الإصابة: ص٥٠٤.

(٢٢) أشعث بن عبد الحجر

الجعفري الكلابي شاعر فارس من فرسان بني كلاب جاهلي إسلامي أدرك عصر النبوة مسلماً لكنه لم ير النبيﷺ فهو من التابعين وكان بطلاً مشهوراً شهد الفتوحات الإسلامية في عصر أبي بكر وعمر وابلى فيها بلاء عظيماً وهو عم علقمة المتقدم.

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة[١]: أشعث بن عبد الحجر بن عبد الحجر بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب العامري الكلابي، قال ابن الكلبي: شهد القادسية والحيرة وتلك المشاهد، وقال حين عقرت بالقصر ناقته:

وما عقرت بالسيلحين مطيتي وبالقصر إلَّا خشية إن أُعيّرا

... إنتهى، وزاد الحموي في معجم البلدان[٢]:

فبإست أمرىء يبأى عليّ برهطه وقد ساد أشياخي معداً وحميرا

وساق نسبه كما في الإصابة سواء.

وقال البلاذري في فتوح البلدان[٣]: أشعث بن عبد الحجر بن سراقة الكلابي وقد شهد الحيرة والقادسية، ثم ذكر البيتين.

وقد ذكرنا لسراقة بن عوف شعراً في التراجم السابقة في منافرة علقمة وعامر بن الطفيل وغيرهما.

(٢٣) عروة الرحال الكلابي

الجعفري، أحد سادات مضر في الجاهلية وشجعان قيس وأبطال بني عامر وكان من أجواد العرب وشعرائهم حيث كان الشعر من فضائل العرب وكان من الرحالين إلى الملوك المحترمين عندهم وبرحلته إلى الملوك لقب بـ«الرحال» وكان يعرف بجهارة الصوت وبسبب مقتله هاجت حروب طاحنة بين الكنانية وقريش وبين هوازن ذهبت فيها نفوس كثيرة قُتل فيها من مشاهير قريش العوام والد الزبير وأحيحة بن سعيد بن العاص وهو أكبر أولاده والمكنى به وعرفت هذه الحروب بحروب الفجار.

قال ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون[٤]: هو عروة بن عتبة بن جعفر بن

---

(١) الإصابة ١/ ١٠٧.
(٢) معجم البلدان ١/ ١٩٩.
(٣) فتوح البلدان: ص٢٦٠.
(٤) شرح رسالة ابن زيدون بهامش لامية العجم ١/ ٩٠.

عامر بن صعصعة وكان يعرف بـ«عروة الرحال» لرحلته إلى الملوك، وكان من ذوي العقل والشهامة وهو من ارداف الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فيزعمون أنه رحل إلى معاوية بن الجون الكندي فغزى معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر وأستصحبه معه، فلما كان بواردات قال لمعاوية: إن لي حق صحبه ورحله وأريد أن انذر قومي من ها هنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فإذن له، فصاح: يا صباحاه! ثلاث مرات، فسمعه قومه من الشعب فأستعدوا لذلك، الخ.

وهذا ذكره الجاحظ في البيان والتبيين[١] ولفظه: قال أبو عبيدة: كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب رديفاً للملوك[٢] رحالاً إليهم وكان يقال له «عروة الرحال» وذكر مثل قول ابن نباتة بتفاوت يسير في جماعة ذكرهم شهروا بجهارة الصوت.

مقتل عروة الرحال وحروب الفجار:

قال ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد[٣]: الفجار الآخر هو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فابت هوازن أن تقتل بعروة البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فأبت هوازن أن تقتل بعروة البراض لأن عروة سيد هوازن والبراض خليع من بني كنانة أرادوا أن يقلتون به سيداً من قريش ثم ساق القصة بطولها.

وأوردها ابن نباتة وابن الأثير أيضاً مطولة وأختصرها الميداني وهذا لفظه في مجمع الأمثال[٤]: البراض بن قيس الكناني ومن خبر فتكه أنه كان وهو في حيه عياراً فاتكاً يجني الجنيات على أهله فخلعه قومه وتبرؤوا من صنيعه ففارقهم وقدم مكة فحالف حرب بن أُميّة ثم نبا به المقام بمكة أيضاً ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق وقدم على النعمان ابن المنذر الملك فأقام ببابه وكان النعمان يبعث إلى عكاظ بلطيمة كل عام تباع له هناك فقال: وعنده البراض والرحال وهو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب سمي رحالاً لأنه كان وفاداً إلى الملوك: من يجزي لي لطيمتي هذه حتى يقدمها عكاظ؟

فقال البراض: أبيت اللعن أنا أجيزها على كنانة، فقال النعمان: ما أريد إلّا رجلاً يجيزها على الحيين قيس وكنانة.

فقال عروة الرحال: أبيت اللعن اهذا العيار الخليع يكمل لأن يجيز لطيمة

---

(١) البيان والتبيين ١/ ١٣٣.
(٢) يريدون بالردافة الوزارة.
(٣) العقد الفريد ٣/ ٣٧٧.
(٤) مجمع الأمثال ٢/ ٢٣.

الملك أنا مجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل نجد وتهامة.

فقال: خذها، فرحل عروة بها وتتبع البراض اثره حتى إذا صار عروة بضهراني قومه بجانب فدك نزل البعير فأخرج البراض قداحة يستقسم بها في قتل عروة، فمر به عروة فقال: ما تصنع يا براض؟

قال: أستخير القداح في قتلي إياك.

فقال: أستك أضيق من ذا، فوثب البراض بسيفه فضربه ضربة خمد منها واستاق العير فبسببه هاجت حرب الفجار بين حيي خندف وقيس، الخ.

شعر عروة الرحال:

منه ما ذكره ابن نباتة في شرح الرسالة:

أتعجب مني أم حسان إذ رأت نهاراً وليلاً أبلياني فأسرعا
وقد صار إخواني كأن عليهم ثياب المنايا والشغام المنزعا

من ابيات قيل هي لعروة الرجال - بالجيم - وهو رجل من بني أسد، إنتهى.

وذكر الآمدي في المختلف والمؤتلف: عروة الرحال الجعفري وقال: لم أعرف له شعراً، وذكر هذا الشعر لعروة الرجال الأسدي وزاد فيه بيتاً بعد البيتين.

يبيتهم ذو اللب حتى تراهم وسيماهم بيضاً لحاهم وأصلعا

وقال أبو الفرج في الأغاني[1]: إن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر جد وسنان بن أبي حارثة وابنيه هرماً ويزيد قد كاد العطش أن يهلكهم فجز نواصيهم وأعتقهم، ثم إن عروة أتى سناناً بعد ذلك يستثيبه ثواباً يرضاه، فقال عروة في ذلك:

ألا من مبلِّغ عني سناناً ألوكاً لا أُريد بها عتابا
أفي الخضراء تقسم هجمتيكم وعروة لم يثب إلَّا الترابا
فلو كان الجفا فرطاً وعوني غداة الشعب لم تذق الشرابا
أتجزي القين نعمتها عليكم ولا تجزي بنعمتها كلابا

إنتهى.

وعروة هو أحد أربعة أجتمعت عليهم هوازن وكلهم من بني كلاب.

---

(١) الأغاني ١٠/ ٤٣.

قال محمد بن حبيب في كتاب المحبر[١]: من أجتمعت عليه هوازن ولم تجتمع هوازن كلها إلَّا على هؤلاء الأربعة نفر من بني جعفر بن كلاب وهم: خالد بن جعفر بن كلاب بعد قتله زهير بن جذيمة بن رواحة وعروة الرحال بن عتبة بن جعفر وعامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، إنتهى، هذا الأخير هو أبو براء ملاعب الأسنة.

(٢٤) بشر بن عامر الكلابي

فارس من فرسان بني عامر وأحد أشراف بني كلاب أدرك الإسلام فأسلم ولم ير النبي ﷺ فلذلك عُد في التابعين وكان أبوه صحابياً.

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة[٢]: بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ابن عم لبيد الشاعر له إدراك ولأبيه صحبة وكان له ابن يسمى عبد الله له ذكر في خلافة آل مروان وهو الذي تحمل الحمالة التي اختصم فيها هو وعبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان عبد العزيز رئيس أهل البادية في زمانه، ذكره ابن الكلبي.

(٢٥) بشر بن ملاعب الأسنة

هذا الرجل هو السابق لا شك فيه عندي وإنما أفردته تبعاً للحافظ العسقلاني، وحتى ننبه على اتحاد الترجمة ووحدة المترجم ليتفطن الناظر في كتاب الإصابة وهذا لفظ فيه[٣]: بشر بن عامر بن مالك العامري أبو عمر ابن أبي براء ملاعب الأسنة مات أبوه في زمن النبي ﷺ وابنه هذا له إدراك وعاش إلى أن تزوج مروان بن الحكم بنته فولد له منها بشر بن مروان، وهو الذي ولى الكوفة لأخيه عبد الملك ذكر ذلك المدائني والزبير بن بكار وغيرهما.

روى أبو الفرج[٤] عن المدائني: إن مروان بن الحكم مر ببادية بني جعفر فرأى قطية بنت بشر تنزع بدلو على إبلها وهي تقول:

ليس بنا فقر على التشكي جونية كحمر الأبك
لا ضرع فيها ولا مذكي

---

(١) المحبر: ص٢٥٢.
(٢) الإصابة ١/ ١٧٣.
(٣) الإصابة ١/ ١٧٣.
(٤) الأغاني ١/ ١٣٩.

وتقول:

عـامـان تـرقـيـق وعـام تـمـمـا لـم يـتـركـن لـحـماً ولـم يـتـرك دمـا

فخطبها مروان فتزوجها فولدت له بشر بن مروان، إنتهى.

ولبشر هذا ابن إسمه عامر كان شريفاً في قومه وهو الذي تزوج العامرية بنت غطيف بن حبيب بن قرة بن هبيرة صاحبة الصمة القشيري أحد عشاق العرب المشهورين، ولما تزوجها هجاه الصمة وكان عامر قصيراً قبيحاً، فقال:

فإن تـنـكـحـوهـا عـامـراً لاطـلاعـكـم إلـيـه يـدهـدهـكـم بـرجـلـيـه عـامـر

شبهه بالجعل الذي يدهده البعرة برجليه، ذكره في الأغاني[1] وكذلك ذكر نسبه عامر بن بشر بن أبي براء ملاعب الأسنة.

(٢٦) جعيد بن عبيدة الكلابي الجعفري

فارس شاعر من أبطال بني كلاب أدرك الإسلام فأسلم ولم ير النبي ﷺ شهد الفتوحات الإسلامية وحضر المغازي أيام الخليفتين مع خالد بن الوليد المخزومي.

قال العسقلاني في الإصابة[2]: جعيد بن عبيدة الكلابي كان مع خالد بن الوليد في قتال الردة وفي فتح الشام، وهو القائل:

تقول ابنة المجنون هل أنت قـاعـد ولا وأبـيـهـا حـلـفـة لا أطـيـعـهـا

ومن يكثر التطواف في جيش خالد مـن الـروم مـصـبـوغ عـلـيـه دمـوعـهـا

(٢٧) الضحاك بن سفيان الكلابي

أحد بني بكر بن كلاب شاعر فارس من الصحابة والأبطال المشهورين والقواد القديرين أسلم ووفد على النبي ﷺ وتولى له قيادة بعض السرايا ولكنه كان قصير القامة أسوداً، نص عليه الغزالي في إحياء العلوم في قصة جرت له مع عائشة زوجة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة[3]: الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلابي أبو سعيد، قال ابن حبان وابن السكن: له صحبة، وقال ابوعبيدة: صحب النبي ﷺ وعقد له لواء، وقال الواقدي: كان على صدقات قومه

(١) الأغاني ٥/ ٣٥.
(٢) الإصابة ١/ ٢٦٢.
(٣) الإصابة ٢/ ٣٠٦.

وكان من الشجعان يعد بمائة فارس وبعثه النبي ﷺ على سرية وفيه يقول العباس بن مرداس:

إن الذين وفوا بما عاهدتهم جيش نعشت عليكم الضحاكا

قال ابن سعد: كان ينزل نجد في حوالي ضرية وكان والياً على من أسلم من قومه.

وقال[١]: إن الضحاك بن سفيان كان سيافاً لرسول الله ﷺ قائماً على رأسه، متوشحاً سيفه.

وقال ابن عساكر في تاريخه[٢]: كان الضحاك سيافاً لرسول الله ﷺ قائماً على رأسه متوشحاً سيفه، وكانت بنو سليم في تسعمائة فقال رسول الله ﷺ: هل لكم في رجل يعدل بمائة يوفيكم ألفاً؟ فوفاهم بالضحاك، فلما أقبلوا قال رسول الله ﷺ للعباس السلمي: ما لقومي كذا - يريد تقتلهم - وقومك كذا - يريد تدفع عنهم -، فقال العباس:

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ممراً لكنا الأقربين نتابع
نبايع بين الأخشبين وإنما يد الله بين الأخشبين نبايع
عشية ضحاك بن سفيان معتص بسيف رسول الله والموت كانع

وفي السيرة الحلبية[٣]: سرية الضحاك بن سفيان في جمع إلى بني كلاب فلقوهم فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وكان في جملة المسلمين شخص لقي أباه فدعاه إلى الإسلام فسبه وسب الإسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع، فأمسك أباه إلى أن أتى بعض المسلمين فقتله، الخ.

مات الضحاك سنة (١١) هجرية سنة (٦٣٣) ميلادية قاله الزركلي في الأعلام.

قال الغزالي في الاحياء[٤]: روي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلما بايعه النبي ﷺ قال: إن عندي أمرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فهلا أنزل لك عن أحدهما فتتزوجها، وعائشة تسمع.

فقالت: هما أحسن أم انت؟

---

(١) الإصابة ٢/ ٣٠٧.
(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٢٥٨.
(٣) السيرة الحلبية ٣/ ٢٣٠.
(٤) احياء العلوم ٢/ ١١٣.

فقال: بل أنا أحسن منهما وأكرم.

فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها له.

(٢٨) الحارث الكلابي

والد زفر، كان شاعراً فارساً أدرك الإسلام فأسلم ولم ير النبي ﷺ فهو تابعي.

قال ابن حجر في الإصابة[١]: الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن الصعق بن نفيل بن عمرو بن كلاب والد زفر أدرك الجاهلية وأسلم بعد النبي ﷺ.

(٢٩) الحارث بن مرة

الكلابي من بني أبي بكر شاعر فارس أدرك الإسلام فأسلم، ذكر في حروب الردة.

قال في الإصابة[٢]: الحارث بن مرة بن دودان النفيلي له إدراك ذكره وثيمة في الردة وله موعظة وعظ بها بني عامر، منها:

بني عامر إن تنصروا وإن تنصبوا لله والدين تخذلوا

طال الكتاب فأضربنا من بقية التراجم التي وعدنا بإيرادها.

وقد أقتصرنا على رهط أم البنين والدة العباس الأكبر ولم نذكر كل رجالهم خشية السأم والملل ولو استوعبنا فرسان بني عامر من سائر البطون كهلال ونمير وقشير وسوءاة وعقيل وغيرهم من بطون كعب لأحتجنا إلى كتاب مستقل، وفاتنا الغرض المقصود الذي أراده مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» وندب له أخاه عقيلاً في اختيار هذه المرأة الجليلة التي غفل أكثر الناس عن معرفة منزلتها في بيت البطولة والفروسية حيث اكتنفها مثل هؤلاء الأبطال فإنه ولا شك أنها ستلد ولداً شجاعاً وبطلاً لا تقوم له الأبطال نجدة وثباتاً.

وأنت إذا نظرت في هذا النسب الذي سقناه ولم نستوفه كما ينبغي في كلا طرفي منتمى العباس بن أمير المؤمنين علي بن طالب «عليهما السلام» من العمومة والخؤلة علمت أنه تكامل فيه المجد الوراثي لأن الأعراق النسبية من الطرفين قطعية التأثير في الفروع وربما تكون الغلبة للنساء في الأكثر على ارتسام شيمها

(١) الإصابة ١/ ٣٧٠.
(٢) الإصابة ١/ ٣٧١.

وشيم آبائها في غرسها ما يثمر في الأولاد ثمراً حلواً أو مراً، وإنما يكون التأثير للمرأة غالباً لا دائماً من حيث أن شهوة المرأة في الغالب تكون أقوى من شهوة الرجل وأشد تأثيراً بالانفعال، والقوي هو الغالب لا محالة فتصبح شهوة الرجل في الأكثر مقهورة لشهوة المرأة فإذا كان الرجل والمرأة في المرتبة السامية من الشرف والسؤدد فأيهما علق شبه المولود به فقد كمل ولا يدخل على المولود من ناحية الأبوين النقص إلَّا إذا كان أحدهما وضيعاً.

وقد أتفق على تقرير هذا المعنى وتأييده العقل والشرع والطب والعرف، وجرت على التسليم له العرب جاهلية وإسلاماً حتى يومنا هذا، ولولا تشاكل الطباع المتقاربة وتشابهها في الآباء والأبناء لما كان لقول مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» لأخيه عقيل في هذا الاختيار محل، ولما كان لقوله «عليه السلام» لولده محمد بن الحنفية: «أدركك عرق من خولة».

وقد أستفاضت الأحاديث النبوية وغيرها من أحاديث أئمة أهل البيت «عليهم السلام» في تأكيد هذه المسألة كقوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن» قيل: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»، والدمنة هي مجتمع الأرواث والأبعار والأبوال فتنبت فيها بقلة خضراء أصل هذه البقلة من هذه الاوراث فالمرأة الحسناء في بيت الفجور كذلك خبيثة الأصل فهي تمتص منه بطبعها، وهذا كقوله ﷺ: «العرق دساس»، وقوله ﷺ: «إياكم والحمقاء فإن ولدها إلى أفن» بعد قوله: «تخيروا لنطفكم»، وفي الخبر العامي الذي ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحافظ المقدمي[1]: قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن والعرق دساس وأدب السوء كعرق السوء».

وأصل ذلك كله الكتاب المجيد فإن القران أول من نبه على ذلك حيث يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2]، وكذلك العقلاء يقولون: الأصل يجر وما في الآباء ترثه الأبناء، والابن سر أبيه.

ولولا توافق الطباع المتقاربة في في البيئة والصفات المتجانسة في الأوضاع والحالات المتشاكلة في الآباء والأبناء لما كان لهذه الأقوال وقع على أنا قد تعرفنا صحة كلما ذكر من الوجدان فقد تتبعنا أخلاق كثير من الناس فوجدنا أخلاق الأصول سارية في الفروع وهكذا تقول العوام في محاورتها بلغتها الدارجة المرذولة «الأصله زين يخلف زين»، و«فلان ما يبوح اصله زين وطيب»، ويقولون:

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧.
(٢) الأعراف: ٥٨.

«الجاد خالة ما تراده»، وفي أمثالهم أيضاً: «ثلثين الولد من خاله»، ويقولون: «الأصل چلب نبح»، وكل هذا صحيح عند النظر بحكم العقل والاخير معنى المثل العربي: «لا تتخذ من كلب سوء جرواً» فالفطرة السليمة لا ترتاب في هذا نظراً إلى أفعال يزيد بن معاوية وأفعال أهل بيته الشجرة الملعونة في القران، فأنك تجد قرع ثغر الحسين بن علي «عليهما السلام» بالقضيب فرع لوك الخبيثة هند كبد أسد الله حمزة وهكذا حمل حرائر أهل البيت المطهر سبايا حواسر على أقتاب الجمال يشبه حمل أبيه معاوية نساء همدان وغيرهن من النساء المسلمات وكشفه عن سوقهن كما يكشف عن نساء الكفار.

وهكذا تورث العداوة للحسين «عليه السلام» عن أبيه معاوية المعادي لعلي «عليه السلام» المحارب له وجده أبي سفيان المعادي لرسول الله ﷺ كما عادى حرب عبد المطلب وأمية هاشماً وهكذا كانت عداوة أهل الحق من بني هاشم غريزة موروثة في طباع الشجرة الملعونة فمروان وأولاده كأسلافهم الأشقياء بطبعهم ورثوا عداوة أهل البيت الهاشمي حتى كان ما سطره التاريخ من مقتل زيد بن علي ويحيى بن زيد وإبراهيم بن محمد العباسي المعروف بالامام ثم ما كان من أمر بني العباس في ازالة الحكومة المروانية الثانية في الغرب وهذا باب واسع وينبغي أن نعضده بما يوجب الاطمئنان بأن الأخلاق تتوارثها الأعقاب والصفات تسري من الآباء إلى الأبناء ولسنا نطيل في هذا المقام وإنما نورد مقدار ما يكون شاهداً لما قررناه.

أما القران الكريم فقد مرت عليك الآية الشريفة وفيه شواهد أخرى.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً منها ما روته الشيعة، روى ثقة الإسلام الكليني في فروع الكافي[١] بإسناده عن الصادق «عليه السلام» قال: قال النبي ﷺ: أختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين.

وبإسناده قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟

قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

رواهما الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة[٢] وزاد بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: أنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم وأختاروا لنطفكم.

---

(١) فروع الكافي ٢/ ٥.

(٢) وسائل الشيعة ٣/ ٦.

وعن الصادق «عليه السلام» قال: الشجاعة في أهل خراسان والباه في أهل بربر والسخاء والحسب في العرب فتخيروا لنطفكم، الخ في أحاديث كثيرة.

أما أهل السنة فقد روى الحديثين اللذين تقدما عن الكليني إمام الشافعية أبو حامد الغزالي في إحياء العلوم[١] واللفظ متفق سوى أن الحديث الأول زيادة بعد قوله «تخيروا لنطفكم» فإن العرق نزاع.

وذكرهما الحافظ العراقي في التعليقة عليها وقال: «العرق دساس» وروى أن ابن ماجة رواه في صحيحه.

والحديث الثاني وإن رماه بالضعف لأنه رواية الواقدي وضعفه ابن الدرويش أيضاً في أسنى المطالب ولكن شهرته أغنت عن كل مناقشة في إسناده لأنه أصبح مثلاً، قال الشاعر:

ما كنت أول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن

قال الميداني في مجمع الأمثال[٢]: إياكم وخضراء الدمن، قاله رسول الله ﷺ، فقيل له: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

قال أبو عبيدة: وإنما أراد فساد النسب إذ خيف أن يكون لغير رشده وإنما جعلها خضراء الدمن وهي ما تدمنه الإبل والغنم من أبوالها وأبعارها لأنه ربما نبت فيها النبات الحسن فيكون منظره حسناً أنيقاً ومنبته فاسداً، هذا كلامه، الخ.

وقال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال[٣]: هو من كلام النبي ﷺ قال: إياكم وخضراء الدمن وهو النبت الحسن ينبت على البعر فيروق ظاهره وليس في باطنه خير وضربه مثلاً للمرأة الحسناء في بيت السوء وكره ذلك لأن عرق السوء ينزع ومثله قول العرب: إياكم وعقيلة الملح يعنون الدرة وهي تكون في الماء الملح ومعناه النهي عن نكاح المرأة الحسناء في بيت السوء، الخ.

وقال ابن الأثير[٤]: في الحديث: إياكم وخضراء الدمن، جاء في الحديث: إنها المرأة الحسناء في المنبت السوء، ضرب الشجرة تنبت في المزبلة فتجيء خضرة ناعمة نضرة ومنبتها خبيث قذر مثلاً للمرأة الجميلة الوجه اللئيمة المنصب، إنتهى.

بقي شيء تنبه له صاحب الشرح الجلي وأجاب عنه وهو أن النهي في هذا

---

(١) احياء العلوم ٣/ ٣٨.
(٢) مجمع الأمثال ١/ ٢٦.
(٣) جمهرة الأمثال: هامش ص٨.
(٤) النهاية ١/ ٣٠.

الحديث وأمثاله للتنزيه فينبغي للكريم أن لا يتزوج إلَّا من الأكفاء وأجاب عنه بما سنورده أن فعل الأنبياء له لبيان الجواز وهو جواب مستحسن لو انحصر المعنى بما قال ولكن هاجر أم إسماعيل «عليه السلام» ومارية أم إبراهيم «عليه السلام» ولد النبي ﷺ من ملوك القبط وأحسابهم كريمة في قطرهم وهم ذوو أحساب عند شعوبهم وليست الكفاءة تحتص في العرب ولقد لقن رسول الله ﷺ زوجته صفية بنت حي النضرية لما افتخرت عائشة وحفصة بالقرشية والعربية كما ذكره الحلبي وغيره، قال لها: قولي لهما: إن أبي هارون نبي الله وعمي موسى نبي الله وزوجي محمد رسول الله ﷺ فلقنها هذه الحجة القوية وعلم المفتخرة أن للأمم أحساباً كريمة.

وهكذا قوله لمن أفتخر عنده بقوله أنا الكريم بن الكريم، فقال ﷺ: إن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم «عليه السلام» فإذا كان للامم أحساباً محفوظة تعرفها لهم أممهم وشعوبهم فهم أكفاء وكيف كان فهذا لفظه.

فإن قلت: قد ورد في الحديث: تخيروا لنطفكم، وورد أيضاً: إياكم وخضراء والدمن، فكيف استولد النبي ﷺ مارية؟

والجواب: إنه فعل ذلك لبيان الجواز وإشارة إلى أنه ليس بعيب ولا هجنة كما هو عند العرب ونهى حذراً أن ينزع الولد عرق من أُمه لأن العرق نزاع وذلك كما نهى أن يسترضع الحمقاء، الخ.

وأصاب في الجواب من جهة وأخطأ من جهتين من حيث أن فعل النبي ﷺ في التسري وتزويج الجواري ليس لبيان الجواز خاصة بل لأنه «عليه الصلاة والسلام» يبين لنا أن الأمم لها أحساب كالعرب ويدل عليه قصة صفية المتقدمة الإشارة إليها وهو دليل واضح أن للأمم أحساباً وأنساباً، وللشعوب مفاخراً بأسلاف كريمة كما للعرب، ومن جهة ثانية هو عليه الصلاة والسلام يبين لنا أنه لا كفؤ له في العالم كله فيكفي بالنسبة إليه كفاءة الإسلام لقوله ﷺ: «المسلم كفؤ المسلم»، ولو اشترط بالنسبة إليه كفاءة الشرف ما كان لرسول الله ﷺ كفؤ حتى في القرشيات ولو قصرنا ذلك على كفاءة النسب فينبغي أن لا يتزوج إلَّا هاشمية لقوله ﷺ: ما أفترقت فرقتان إلَّا كنت في خيرهما وهو ﷺ لم يرد بالكفاءة إلَّا الكفاءة التامة الموروثة من الآباء والمكتسبة بالفعال والمساعي والواهب والمنح الفاضلة التي تفيضها الإفاضات الربانية فهو لا يكافئه فيها أحد في العالم، ويدل

عليه قوله ﷺ: لو لم يخلق الله علياً «عليه السلام» ما كان لفاطمة «عليها السلام» كفؤ، رواه ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي ونظمه مادح مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث يقول في خطابه:

تحيّر بمعناك عشر العقول ولو لا ابن عمك كنت الرسول

ولو لاك لا زوج يغشى البتول

فلولا أنه أراد الكفاءة المعنوية كان لها أكفاء في بني هاشم كما كان لأخواتها أكفاء في قريش التي تزوجها أبو العاص بن الربيع ورقية وأم كلثوم الذين كان عند ابني أبي لهب عتبة وعتيبة فطلقهما وخلف عليهما عثمان بن عفان فيما زعموا فالمراد الكفاءة المعنوية فليس لفاطمة «عليها السلام» فيها كفؤ إلّا أمير المؤمنين «عليه السلام».

وإذا ثبت هذا من جهة الشرع وأن الأعراق الكريمة لها أثر في نجابة المولود، والأعراق اللئيمة لها خاصية الجذب إليها فقضية العقل هنا موافقة الشرع أما من حيث التدين فظاهر لأن الشرع عقل ظاهر كما أن العقل شرع باطن وأما من حيث الفكرة فسنذكر أقوال العرب في ذلك وأما من حيث العلم الطبيعي فقد اثبت علماء الطبيعة من انحاء شتى صحة ذلك فمن حيث الطبابة وهؤلاء علماء الطب الحديث يقولون بسراية الامراض الوراثية من الأصول إلى الفروع.

قال الدكتور فياض في كتاب خواطر في الصحة والأدب[1]: قابلية الجسم واستعداده للداء هي حالة خصوصية تختلف بأختلاف السلائل والبيئة مع الجنس والسن والمهنة: أما السلائل فلأن يعد من الأمراض ما يصيب بعض الناس دون غيرهم كالحمى الصفراوية فهي تنتاب من شاء العبيد حتى يضرب فيهم المثل.

قيل: قطرة من دم أسود تقي من الحمى وكالجدري فإنه قلما ينجو من أصابته أحد من السلالة الصفراء وكذلك قل في داء المفاصل فإنه ضيف دائم في السلالة القوقازية.

ثم قال: كما يختلف الاستعداد في السلائل يختلف في الأسر وفي الأفراد بين الناس من هم في استعداد دائم لإصابات السل والخناق وغيرهما ومن لاتؤثر فيهم عدوى على الأطلاق حتى ولا عدوى الزهري.

ثم قال[2] بعد كلام: وقد يعلل الاستعداد بالوراثة غالباً فترى المصاب

---

(١) خواطر في الصحة والأدب: ص١١١. (٢) خواطر في الصحة والأدب: ص١١٣.

بالامراض الناتجة من بطئ التغذية وسوء التمثيل كالنقرس وغيره أو كأمراض الجلد من أكزيما وما شاكله ينقل إلى سلالته ضعف المقاومة ضد العلل عامة وهذه خاصة.

ثم قال[١]: والمناعة المكتسبة يمكن انتقالها من الام إلى الجنين فالمراة التي تصاب بالجدري وهي حامل تعطي لوليدها مناعة ضد الداء وقد تصير هذه المناعة مع الوقت وراثية وقد وصف الشاعر اللاتيني «لوكان» في قصيدته الفرسان التي يذكر فيها حرب قيصر وبومبي أخلاق بعض القبائل الأفريقية وذكر مناعة أولادهم على سموم الحياة فربما كانت هذه المناعة اتية من هذا السبيل كما عللها الأستاذ «لاندوزي»، الخ.

فأثبت في حالتي المناعة وعدمها صفة الأنتقال، والنهي عن المرأة المصابة قد ورد في الشريعة المحمدية كما ذكره الفقهاء في باب العيوب الموجبة لفسخ عقد النكاح ولعله لهذه العلة وليس هذا موضعها.

ومن حيث الجاذبية فقد أثبت العلم الطبيعي الجذب الكهربائي والمغنطيسية الحيوانية في الحيوان وإنها تنتقل من حيوان إلى آخر وتجري من ميت إلى حي وبرهن عليه كما في الفلسفة الطبيعية تهذيب المعلم أسعد قال[٢]: قدمت أن «كلفاني» أكشف مجراً كهربائياً في الضفدع فهذا المجرى يجري في الحيوان الحي أو الذي لم يطل زمان موته من سطح جسده الخارجي أي البشرة إلى سطحه الداخلي أي الغشاء المخاطي.

وقد أثبت «أكدتي» ذلك بأن أخذ رأس ثور ووضع عليه العصب القطني من فخذ ضفدع مسك طرف الفخذ بيده وبل يده الأخرى بماء ملح ومسك بها أُذن الثور فكانت فخذ الضفدع تتشنج كلما مس عصبها الغشاء المخاطي على لسان الثور.

وأثبت «ميتوشي» الإيطالي بعده أن مجراً إيجابياً علىً الدوام من داخل العضلات إلى خارجها.

ثم ذكر سمك الرعاد في البحر المتوسط والأنكليس في مياه أمريكيا وما فيهما من قوة الجاذبية والكهربائية، ولا يهمنا إيراده ولعل التشنج في رجل الضفدع لم يكن سببه وجود كهربائية وإنما حدث بسبب الملح وذلك لما نشاهد في

---

(١) خواطر في الصحة والأدب. ص١١٣. (٢) الفلسفة الطبيعية: ص٤٦٩.

الأسماك إذا صيدت وأخرجت من الماء وشقت بطونها بعد أن تموت فإذا ذر عليها الملح تشنجت وتحركت حركة محسوسة لا يشك الناظر إليها أنها حركة حي وربما تشنجت وتحركت وهي على المجمر تشوى.

ومن حيث الفراسة فقد قال محمد صادق في خلاصة السياسة في علم الفراسة[١] في فراسة الأمم وأشكالها هذا الفرع من أهم فروع هذا العلم وبه تعرف الأمم الراقية والامم المتمدنة والامم المتوحشة والشعوب تختلف بأختلاف سكانها، ولكل شعب أخلاق ومواهب وأميال تمتاز بها عن بعضها بدرجة الترقي والتعليم والمدنية عن الأمم المتوحشة أو الهمجية المستبدة ولكل منها أدلة على قوة مداركها وأميالها وامتياز سكان كل شعب عن الآخر.

الى أن قال[٢]: الأمم والشعوب العربية: العرب هم أهل ركوب وخفة في الكر والفر وفيهم شجاعة وليس لهم ثبات وهم يجتمعون بالأطماع والأمال، وتؤثر فيهم المواعظ والخطب والأشعار في كل فن حتى أنهم يقعون في الأخطار أو يهبون الأموال الكثيرة أو يتركون من ممتلكاتهم ما له قدر عظيم في نظير بيت من الشعر أو قصيدة يمدحون بها أو كلمة سجع بليغة فصيحة مليحة ومن خصائصهم حفظ الجار والنزيل والطنيب والذب عنه بالكلام والأموال والدماء وفيهم الكرم المشهور وليس لهم من انواع الأسلحة إلَّا الرمح والسيف والقوس العربي، الخ.

ومن حيث الفلسفة في ذيل تذكرة داود الأنطاكي كلام مطول ملخصه يرجع حصول شبه المولود بالوالدين بسببين في كل واحد منهما قائل من الفلاسفة:

أحدهما: راجع لنفس المني لأنه في رأي طائفة من الفلاسفة بأنه مختلف الأجزاء مشتبه المزاج لخروجه من كل عضو فيكون فيه اللحم والعظم والغشاء فثبت بهذا الرأي التشابه في الأولاد بالتشابه الجنسي وذلك أن أهل هذا الرأي يدل على قولهم أن ولد الضعيف ضعيف وولد القوي قوي.

ثانيها: لنفس التخيل والتصور والمني عند هؤلاء مختلف المزاج مشتبه الطبيعة والاجزاء وابطلوا الراي الأول بحصول الشبه بالظفر والشعر مع أن المني لم ينفصل منهما واجاب بأن الشبه لم ينحصر في ذلك يعني في المني فإنه يحدث في الوهم كما صرحوا به وصرح به الشيخ فإنه قال: كل ما تخيلته الواهمة حال الانزال اتصف به الولد بل ما تخيلته المرأة زمن التخلق إلى آخر كلامه المطول

---

(١) خلاصة السياسة في علم الفراسة: ص١١.
(٢) خلاصة السياسة في علم الفراسة: ص١٢.

ومختصره: إن في المسألة قولين:

أحدهما: استناد الشبه لنفس المني فإن فيه قوة جذابة فعالة.

وثانيهما: استناد الشبه إلى للقوة المصورة.

ويستنبط كلا القولين من الشريعة الإسلامية: أما سيلان المني من جميع الأعضاء فيدل عليه ما ورد من وجوب الغسل على جميع البُدن في المني دون البول معللاً بخروج البول من عضو واحد والمني في جميع الأعضاء، وراجع أدلة الفقهاء في هذا الباب من كتب الفقه، أما تأثير المخيلة ويكون الشبه في المصورة فيؤخذ من قول النبي ﷺ لأمير المؤمنين «عليه السلام» في الوصية المشهورة الجامعة لفنون الادب، منها قوله: يا علي لا تجامع أمرأتك بشهوة أمرة غيرها وهذا ظاهر في تأثير الشبه من القوة المصورة ينتج من هذا هو ما قلناه سابقاً أن غلبة الشبه تكون غالبية لا دائمية يعني قد يكون الشبه من حيث غلبة المزاج في الأبويه وقد يكون في نفس المصورة والمخيلة وهذا قليل بالنسبة إلى الأول ومن حيث الفطرة وهو رأي الذين يعولون على ما دلتهم عليه عقولهم بما ارتكز في جلبتها وفطرتها دون استعمال قوانين العقل وقواعده.

رأي العرب: هم مجمعون على ذم لئيم الأصل من الطرفين ويسمونه مقرفاً ويعيبون كثيراً من كانت أُمه غير عربية يسمونه هجيناً، ونحن نورد بعض ما وقع لهم من الحكايات والأشعار في مدح الأصل وذم لؤمه وقد يعير العربي الشريف بالام الدنيئة وينسب إليها ويجعلون نسبته إليها شتماً كما قالوا لسليك المقانب: سليك بن السلكة، وعنترة الفوارس: عنترة بن زبيبة، ولخفاف السلمي: خفاف ابن ندبة، ولعبد الله بن خازم السلمي: عبد الله بن عجلى، وهؤلاء فرسان العرب في الجاهلية والإسلام وكانت كل واحدة منهن أمة سوداء فسموهم أغربة العرب وغربان العرب لذلك وقد قال عنترة الفوارس شعراً:

ينادونني في السلم يابن زبيبة وعند اشتباك السمر يا بن الأطائب

وقد قال مرة أخرى في قصيدته الحماسية شعراً:

وأنا أمرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل

شطره الثاني الذي يحتاج إلى الحماية نسب أُمه السوداء، قال في الشرح الجلي[1]: أما من كان أبوه عبداً وأُمه حرة فهو المقرف والقلنسي وقال الجرمي هو

---

(١) الشرح الجلي: ص١٤٩.

خبيث الطرفين وإن كان عكس ذلك فهو الهجين وكانت العرب تعد الهجنة عيباً، وإلى ذلك أشار عنترة:

وأنــا أمــرؤ مــن خــيــر عــبــس

أشار إلى أن أباه شداداً سيداً من السادات وهو شطر عنترة وهذا الشطر لا يحتاج إلى حماية لأنه يحمي نفسه وإن شطره الثاني وهو أُمه زبيبة أمة وهذا الشطر يحميه بالسيف والعرب أن كانت الهجنة عندهم دون عيب الاقراف فأبطله الشرع وحسبك أن نبينا محمد ﷺ استولد مارية وجاءه منها ولده إبراهيم وكان إسماعيل ابن أمة والعبرة في الشرع بالآباء لأن الفرع لا ينسب إلَّا إليها وأما الأمهات فإنما هي أوعية للأولاد، كما قال الشاعر:

فـإنـمـا أُمـهـات الـنـاس أوعـيـة مـسـتـودعـات ولـلأبـنـاء آبـاء

... إنتهى.

وقد أخطأ هذا الاديب من وجهين: استدلاله بأم إبراهيم ولد النبي ﷺ وبأم إسماعيل وهذا خلاف الأدب إذ لا تنسب الهجنة للأنبياء وأولاد الأنبياء وإنما الهجنة تجيء من قبل الأمهات التي في أصولها دناءة وفي نسبها رذالة وقد ذكرنا أن للامم أحساباً كأحساب العرب فهم أشراف أممهم وسادات شعوبهم ولهذا كانت الملوكية عند الأمم موروثة في السلالات العظيمة ولا يجوز أن تنتقل عن العائلة الملوكية النبيلة المالكة وأُم إبراهيم «عليه السلام» بنت ملك الأقباط وكذلك أم إسماعيل فإنها من بيت محترم عند الأقباط.

الوجهة الثانية: إن استدلاله بالوعاء وإنه لافائدة له في النسب فباطل لما قررناه ويجب عقلاً تنظيف الإناء واختياره شفافا لماعا لا يحمل كدورة ولا قاذورة فإنه متى كان متلوثاً بشيء من الكدورات فقد أثر فيهما وعاه قطعاً فالأناء القذر لا ينفعه ماء الورد والاناء النظيف يزيد برونقه وتلألئه وصفاء لونه ما حواه لطفاً ولا يرتاب أحد في تفضيل إناء البلور على إناء الخزف ووعاء الذهب على وعاء الفخار.

نعم، هناك شيء وهو أن عرب الجاهلية في أنفتها وكبرها كانت لا تُرى لامة من الأمم مجداً يقارب مجد العرب ولا تعد لها مآثراً كمآثر العرب فترى لها عظمة على كل الأمم فلذلك تعد التزويج في العجم منقصة لذا قال النعمان بن المنذر لما خطب ابنته هنداً المعروفة بـ«خرقة» كسرى ابرويز «ملك الفرس» آماله في بقر السواد غني عن العربيات بل كانت العرب لاترى التزويج ممن تراه دونها من

العرب إلَّا منقصة، قال الفرزدق:

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتنكح في أكفائها الحبطات

والحبطات من بني تميم أقلهم مآثراً وأدناهم شرفاً فهم لا يكافئون بني دارم حتى يناكحوهم.

قال المبرد[1]: كان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها: أمير هذه المدرة بالباب.

فقالت: قولوا له: أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت؟

قال: لا.

قالت: فمن ولد المنذر بن ماء السماء؟

قال: لا.

قالت: فمن أنت؟

قال: المغيرة بن شعبة الثقفي.

قالت: فما حاجتك؟

قال: جئتك خاطباً.

قالت: لو كنت جئتني لمال أو جمال لا طلبتك، ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر وإلا فأي خير في أجتماع أعور وعمياء، فبعث إليها: كيف أمركم؟

فقالت: سأختصر لك الجواب: أمسينا مساءً وما في الأرض عربي إلَّا وهو يرغب إلينا ويرهبنا وأصبحنا وليس في الأرض عربي إلَّا ونحن نرغب إليه ونرهبه.

قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟

قالت: اختصم إليه رجلان منهم أحدهما ينميهم إلى أياد والآخر إلى بكر بن هوازن فقضى بها للأيادي، وقال شعراً:

إن ثقيفاً لم تكن هوازناً ولم تناسب عامراً ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور.

فقال المغيرة: **أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء.**

---

(١) الكامل ٢/ ٥٤.

وفيه[١]: كان عقيل بن علفة (المري) من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل إليه حاجة، فقال: أما إذا كنت فاعلاً فجنبني هجناءك.

وخطب إليه ابنته إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة «المخزومي» وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة وكان أبيض شديد البياض، فرده عقيل وقال شعراً:

رددت صحيفة القرشي لما أبت أعراقه إلَّا احمرار

وفيه[٢] عن الجاحظ قال: أتيت أبا الربيع الغنوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعي رجل من بني هاشم فقلت: أبو الربيع هنا؟ فخرج إليّ وهو يقول: خرج إليك رجل كريم.

فلما رأى الهاشمي استحى من فخره بحضرته، فقال: أكرم الناس رديفاً وأشرفهم حليفاً.

فتحدثنا ملياً ثم نهض الهاشمي، فقلت لأبي الربيع: يا أبا الربيع، من خير الخلق؟

فقال: الناس والله.

فقلت: من خير الناس؟

قال: العرب والله.

قلت: فمن خير العرب؟

قال: مضر والله.

قلت: فمن خير مضر؟

قال: قيس والله.

قلت: فمن خير قيس؟

قال: يعصر والله.

قلت: فمن خير يعصر؟

قال: غني والله.

قلت: فمن خير غني؟

---

(١) (١) الكامل ٢/ ٤٣.

(٢) الكامل ١/ ١٥٠.

قال: المخاطب لك.

قلت: فأنت خير الناس؟

قال: نعم أي والله.

قلت: أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب؟

قال: لا والله.

قلت: ولك الجنة؟

فأطرق ثم قال: على أن لا تلد مني، ثم قال:

تأبى ليعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوماً غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتماً لا مرد له ... فأذكر حذيف فإني غير آباء

يعني حذيفة بن بدر الفزاري، إنتهى.

على أن غنياً وإخوتهم باهلة كانوا ساقطين في نظر عامة العرب فإذا كانت نفوس العرب بهذه المرتبة من الأنفة ويحملهم الشمم والشموخ على الامتناع عن مناسبة غيرهم من العرب لأنهم لا يرونهم أكفاء لهم فكيف يقدمون على مصاهرة الأعجام وهذا هو الذي أبطله الشرع إرغاماً لأنوفهم وكسراً لنفوسهم وردعاً لسورة حميتهم التي لم تزل تغلي في أدمغتهم.

ونعود إلى ما قصدناه من إيراده ما قالته العرب في «المصاهرة» وإنها توجب تورث الأبناء أخلاق أخوالهم ونبدأ أولاً بما ورد على سبيل القدح ونعقبه بما جاء على جهة المدح بأحد الطرفين أو كليهما.

قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال بهامش مجمع الأمثال[1]: تقول العرب: عرق السوء يبحث ولو بعد حين، أي يستخرج منه ما هو كامن فيه.

وقال أكثم بن صيفي: لا يغلبنكم الجمال على صراحة النسب فإن المناكح الكرام مدرجة للشرف، قال الشاعر:

فأدركنه خالاته فخذلنه ... ألا إن عرق السوء لا بد مُدرك

وقال القتال الكلابي:

إن العروق إذا استنزعتها نزعت ... والعرق يسري إذا ما عرس الساري

وقال الميداني[2] في قول العرب: لا يعدم الحوار من أُمه حنة أي شبهاً.

---

(١) جمهرة الأمثال بهامش مجمع الأمثال ١/ ٨.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ١١٣.

قولهم[١]: لا أم لك، قال أبو الهيثم: لا أم لك عندنا في مذهب ليس لك أم حرة، وهذا هو الشتم الصحيح لأن بني الاماء عند العرب ليسوا بمحمودين ولا لاحقين بما يلحق به غيرهم من أبناء الحرائر، فأما إذا قال: لا أباً لك فلم يترك له من الشتيمة شيئاً.

وقال الراغب الأصفهاني في المحاضرات[٢] بعد نقل كلام أكثم: وقال عثمان بن أبي العاص «الثقفي» لأولاده: المناكح مغترس فلينظر المرأ حيث يضع غرسه فإن عرق السوء يعدي ولو بعد حين، قال الشاعر:

لا تنكحن لئيمة لمعيشة تبقى اللئيمة والمعيشة تذهب

قال علي بن عبيد الله: إذا أردت أن تزوج بامرأة فأنظر إلى أبيها وخالها فإنها رابطة بطن أحدهما، وأنشد لعجير شعراً:

إذا كنت تبغي للجهالة أيما من الناس فأنظر من أبوها وخالها
فإنما من شكلها وهي منهما كما جذبت يوماً بنعل مثالها

وفي المحاضرات[٣] لما ظفر قتيبة بابنة يزدجرد وتزوج بها قال لندمائه: أترون ابنها يكون هجيناً؟ فقالت هي: نعم من قبل الأب.

قال: ذم متشرف بتزويج كريمة، شعراً:

رأوا رفعة الآباء أعيا مرامها عليهم فراموا رفعة بالحلائل
إذا ما أعالي الأمر لم تعطك المنى فلا بأس في استنجاحها بالأسافل

قال المبرد[٤]: إن أعرابياً من بني العنبر سار إلى سوار «القاضي» فقال: إن أبي مات وتركني وأخاً لي وخط خطين في الأرض ثم قال: وهجيناً وخط خطاً ناحية فكيف نقسم المال؟

فقال: أها هنا وارث غيركم؟

قال: لا.

قال: المال بينكم أثلاثاً.

فقال: لا أحسبك فهمت عني إنه تركني وأخاً لي وهجيناً.

فقال سوار: المال بينكم أثلاثاً.

فقال الأعرابي: أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخي؟

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ١٣٩.
(٢) المحاضرات ٣/ ٨٨.
(٣) المحاضرات ٣/ ٩٣.
(٤) الكامل ٢/ ٤٣.

قال: أجل.

فغضب الأعرابي ثم أقبل على سوار وقال: تعلم والله إنك قليل الخالات «بالدهناء».

فقال سوار: اذن لا يضرني ذلك عند الله شيئاً.

قيل: إنه ليس بالدهناء[١] أمة وإنما كان فيها الحرائر.

فمن الشعر الذي ذكره في الكامل قول عيينة بن حصن الفزاري يهجو ولد يعصر وهم غني وباهلة شعراً:

أباهل ما أدري أمن لؤم منصبي ... أحبكموا أم بي جنون وأولق

أسيد أخوالي ويعصر إخوتي ... فمن ذا الذي مني مع اللؤم أحمق

وقول الآخر شعراً:

إن أولاد السراري ... كثروا يا رب فينا

رب فأدخلني بلاداً ... لا أرى فيها هجينا

وقول الفرزدق في كريم الأم لئيم الأب:

إذا باهلي تحته حنظلية ... له ولد منها فذاك المذرع

وقول الآخر شعراً:

إن المذرع لا تفني خؤلته ... كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

وقال[٢]: يقال إن الحماني قال لبلال «بن جرير» ذات يوم فيما كان من الشر بينهما، فقال: يا بن أم حكيم!

فقال له بلال: ما تذكر من ابنة دهقان واخيذة رماح وعطية ملك ليست كأمك التي بالمروة تغد على أثر ضأنها كأنما عقباها حافر حمار.

فقال له الحماني: أنا أعلم بامك إنما عتب عليها الحجاج في أمر الله أعلم به فحلف أن يدفعها إلى الأم العرب فلما رأى أباك لم يشكك فيه وقال الراجز في ولده وقد أقر أن أمرأته قد غلبته على شيمه شعراً:

والله ما أشبهني عصام ... لا خلق منه ولا قوام

نمت وعرق الخال لا ينام

---

(١) الدهناء تعرف اليوم بالدهنة في بادية نجد من المملكة السعودية.

(٢) المبرد ٢/ ٤٣.

ومن الشعر الذي ذكره المرزباني في معجم الشعراء قول عمرو بن عبد ود بن الحارث الكلبي يمدح سعد بن العاص وأمه من بني عامر بن لؤي ويهجو عبد الله بن خالد بن أسيد:

قصرت يا عبد الاله عن العُلى سيكفيك ما قصرت عنه سعيد
فتى أُمه من آل حسل كريمة وأمك ينميها بوج عبيد

وج إسم بلدة الطائف منازل ثقيف، وقول عطال بن نشة الشيباني ويقال: إن نشة أُمه لخاله عدي بن ضب:

عدي بن ضب من يكن خال له أخا أُمه تدلج بلؤم ركائبه

قول حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ لفرات بن حيان العجلي وقد هجا رسول الله ﷺ فهجاه حسان بقوله:

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا
يصيب فما يدري ويخطي فما درى فكيف يكون النوك إلَّا كذلكا

وقول عمرو بن دراك العبيدي يهجو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة:

سليمان ما لك لا تنتهي عن العلج والعلجة الزانية
رضيت وأنت تسامي الملوك لئيم اللهازم من طاحية
وأشبهت خالك خال الخسار ولم تشبه العصبة الماضية

وقول عمرو المخلخل مولى ثقيف يهجو عمرو الخاركي الأعور:

نظرت في نسبة الكرام فما فيها لكم ناقة ولا جمل
قوم لئام أعراضهم هدف فيها سهام الهجاء تنتضل
لا يستجيبون أن دعوتهم إن لم تقل في الدعاء يا سفل
أبوهم خالهم وأمهم من بعض أولادها بها حمل

... إنتهى.

وقوله «أبوهم خالهم» قريب من قول العوام «عمه خاله» ولكنه عندهم على سبيل المدح.

قال الميداني في مجمع الأمثال[1]: إن من البيان لسحر قاله رسول الله ﷺ

(١) مجمع الأمثال ١/ ٥.

حين وفد عليه الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم «هؤلاء من تميم» فسأل «عليه السلام» عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر فقال عمرو: مطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ضهره.

فقال الزبرقان: يا رسول الله! إنه ليعلم مني أكثر من هذا لكنه حسدني.

فقال عمرو: أما والله إنك لزمر المروة ضيق العطن احمق الوالد لئيم الخال، والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية لكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت اقبح ما وجدت.

فقال «عليه السلام» إن من البيان لسحراً، إنتهى.

وفي قصة الهذلي مع عروة بن الورد العبسي المذكورة في الأغاني مطولة ومنها[1] قول عروة له فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تثني وترجع، فضحك وقال: ذلك لاخوال السوء، والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل وما رأيت من كعاعتي فمن قبل أخوالي وهم بطن من خزاعة، القصة بطولها.

وهذا كثير جداً في أقوال العرب نظماً ونثراً.

أما الوارد على جهة الأمتداح والأفتخار بكرم النجارين طيب العنصرين فمما ذكره المبرد في الكامل قول القتال الكلابي:

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي ... إذا ترامى بنو الأمويين بالعار
لا أرضع الدهر إلّا ثدي واضحة ... لواضح الجد يحمي حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها ... تحت العجاجة ضرب غير عوار

وقوله:

أنا ابن الأكرمين بنو قشير ... وأخوالي الكرام بنو كلاب
نعرض للطعان إذا التقينا ... وجوهاً لا تعرض للسباب

وقول حسان بن ثابت في بني هاشم بن عبد مناف:

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

وقول أبي نؤاس في ممدوحه:

---

(١) الأغاني ١/ ١٥٩.

وكريم الخال من يمنٍ وكريم العم من مضره

وقول بلال بن جرير الشاعر وقد بلغه أن موسى بن جرير إذا ذكره نسبه إلى أُمه لأنه ابن أم ولد فيقول: قال ابن أم حكيم، فقال بلال:

يا رب خال لي أغر أبلجا من آل كسرى يغتذي متوجا
ليس كخالك يدعى عشنجا

والعشنج: المنقبض الوجه السيء المنطق وقول بعض رجاز بني سعد:

أنا ابن سعد وتوسطت العجم أنا ما شئت من خال وعم

وقول جرير من قصيدة رنانة في مدح هشام بن عبد الملك بن مروان وأُمه مخزومية:

لك المتخيران أباً وأماً فأكرم بالخؤلة والعموم
فيا بن المطعمين إذا شتونا ويابن الذائدين عن الحريم
سما بك خالد وأبو هشام إلى العلياء في الحسب الجسيم
وتنزل من أُميّة حيث تلقى شؤون الرأس مجتمع الصميم
تواصت من تكرمها قريش برد الخيل دامية الكلوم
فما الأم التي ولدت قريشاً بمقرفة النجار ولا عقيم
فما فحل بأكرم من أبيكم ولا خال بأكرم من تميم
سما أولاد برة بنت مر إلى العلياء في الحسب العظيم

ومما ذكره المرزباني قول عمرو بن شراحيل الكلبي جاهلي:

تركت كعباً وكعب قائم ردن كأنه من جمال الريف مهشوم
يا كعب إنّا قديماً أهل سابقة فينا السناء وفينا المجد والخيم

وقول عمرو بن زيد الكلبي جاهلي أيضاً:

فلو كنت بعض المقرفين وعاجزاً لكنت اسيرا في حبال محارب

وقول عمير بن الأسود الكلبي الأجداري جاهلي أيضاً:

فإن يك صادقاً بالتيم ظني يشب الحرب ألوية كرام
فما أدري وعلي سوف أدري أحل مال أهيب أم حرام
وأهيب معشر من جذم كلب لهم نسب وآلتهم قدام

علي بمعنى لعلي وقول عمرو بن سلمة الارحبي من همدان قال: قدم مع محمد بن الأشعث على معاوية في الصلح بينه وبين الحسن بن علي «عليهما السلام» فرآه معاوية جميلاً جهيراً، فقال له: أمن مضر أنت؟ فقال:

فإني لمن قوم بنى الله مجدهم ... على كل باد في الأنام وحاضر
أبوتنا آباء صدق نمىٰ بهم ... إلى المجد آباء كرام العناصر
وأمهاتنا أكرم بهن عجائزاً ... ورثن العلا عن كابر بعد كابر
خباهن كافور ومسك وعنبر ... وليس ابن هند من خباة المغافر

وقول عمر بن القباع الدارمي:

أنا القباع وابن أم الغمر ... إن كنت لا تدري فإني أدري

وقول كعب بن الاشرف اليهودي النضري الطائي:

رب خال لي لو أبصرته ... سبط المشية أباء أنف
ليس الجانب في أقربه ... وعلى الأعداء سهم كالذعف

وقول كثير بن أبي كثير بن وداعة السهمي وكان يتشيع لما كتب هشام بن عبد الملك بن مروان إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، قال كثير:

لعن الله من يسب علياً ... وحسيناً من سوقة وإمام
أتسب للطيبين جدوداً ... والكريمي الأخوال والأعمام
طبت ميتاً وطاب بيتك بيتاً ... أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليكم ... كلما قام قائم بسلام

وهي أكثر من هذه وغير المرزباني يرويها لكثير بن أبي جمعة الخزاعي وهو كثير عزة والله أعلم بقائلها منهما، وقول مرة بن محكان السعدي أحد اللصوص إسلامي:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ... ضمي إليك رحال القوم والبلبا

إلى أن يقول فيها:

أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر ... أنمي إليهم وكانوا معشراً نجبا

وقول يزيد بن سنان بن أبي حارثة المري لما قال له النابغة الذبياني وكان حالف بين بني سهم وخصيلة بن مرة على بني يربوع بن مرة بن غطفان فسموا

المحاش، فقال النابغة:

جمع محاشك يا يزيد فإنني أعددت يربوعاً لكم وتميما
ولحقت بالنسب الذي عيّرتني وتركت نصرك يا يزيد ذميما

فأجابه يزيد:

فلو كنت هياباً أو ابن لئيمة لأعطيت ما ترضى به سخط الخصم
ولكن تمطت بي حصان نجية جميل المحيا من نساء بني غنم

وأمه أسدية من غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وقول الحجاج بن علاط السلمي وذكره ابن إسحاق والشيخ المفيد وغيرهما في مدح مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» على قتله كبش الكتيبة القرشي من آل عبد الدار يوم أُحد:

الله أي مذبب عن حرمة أعني ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل ضربة تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالجر إذ يهوون أخول أخولا

هكذا في السيرة الهشامية وفي هامشها تفسيره أخول متفرقين، وفي الإرشاد وغيره أول أولا.

وفي كتاب الحيوان للجاحظ[1] قال أُميّة بن أبي عائذ لأياس بن سهم:

فأبلغ أياساً أن عرض ابن أُختكم رداؤك فأصبر خشية أو تبدل
فإن تك ذا طول فإني ابن أختكم وكل ابن أخت من ندا الخال معتل
فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه فمهما تكن أنسب إليك وأشكل
فما ثعلب إلّا ابن أخت ذؤالة وإن ابن أخت الليث ريبال أشبل
ولن تجد الآساد أخوال ثعلب إذا كانت الهيجا تلوذ بمدخل

وأورد الثعالبي في ثمار القلوب فصلاً نافعاً فراجعه[2] إذا شئت، وأما العوام البسطاء فقد سبق ذكر أقوالهم.

ولعلك تريد أن تعرف السبب في مشابهة الأبناء للأعمام والأخوال، وقد ورد بذلك الحديث الصحيح عن مولانا الإمام الحسن بن علي «عليهما السلام» سبط رسول الله ﷺ ووارث علمه وأنا أورده لك لتكون على ثقة ويقين:

---

(١) حياة الحيوان ١/ ١٧٣.
(٢) ثمار القلوب: ص٢٧٥.

روى الصدوق القمي «قدس الله روحه» في كتاب علل الشرائع[١] بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر «عليهما السلام» قال: اقبل أمير المؤمنين ومعه ابنه الحسن بن علي «عليهما السلام» وهو متكئ على يد سلمان الفارسي فدخل المسجد الحرام إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين «عليه السلام» فرد «عليه السلام» فجلس ثم قال: أسألك عن ثلاث مسائل - فذكر الحديث إلى أن قال: - فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده والأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الحسن بن علي «عليهما السلام» فقال: يا أبا محمد أجبه!

فقال الحسن «عليه السلام»: أما ما سألت عنه من أمر الرجل إذا نام أين تذهب روحه فإن روحه معلقة بالريح والريح معلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإذا أذن الله عز وجل برد تلك تلك الروح على صاحبها جذبت الروح الريح، وجذبت الريح الهواء، فأسكنت الروح في بدن صاحبها، فإذا لم يأذن الله بدء تلك الروح على صاحبها جذب الهواء الريح، وجذب الريح الروح، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما تبعث.

وأما ما سألت عنه عن أمر الذكر والنسيان فإن قلب الرجل في حُقٍّ وعلى الحُقِّ طبق فإن هو صلى على النبي ﷺ صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُق فذكر الرجل ما كان نسى.

وأما ما ذكرت من أمر الرجل يشبه ولده أعمامه وأخواله فإن الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب استكنت تلك النطفة في تلك الرحم فخرج الولد يشبه أباه وأُمه وإن هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم فوقعت على عرق من العروق فإذا وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله إلى آخر الحديث الشريف وفيه تعداد الأئمة الإثني عشر المعصومين «عليهم السلام» والسائل هو الخضر «عليه السلام».

---

(١) علل الشرائع: ص٤٣.

والمراد بالريح في هذا الحديث هو النفس لا غير، وهو التنفس الرئوي فالنفس الجاري في فضاء الخيشوم عبر عنه بالريح.

والمراد بالهواء موضع التنفس ومحل مجرى النفس من فضاء الخيشوم الموصل إلى قصبة الرئة الذي يجذب إليها الهواء من خارج وبهذا الهواء وتلك الريح التنفسية حياة الإنسان، فإذا أذن لها الله عند الانتباه بأجرائها في مجاريها على العادة فالإنسان النائم حي، وإن لم يأذن ومعناه لم يرد النفس إلى محل التنفس الأصلي ومجراه الطبيعي فالإنسان النائم ميت لا محالة لأن الحياة تتوقف عليه.

والمراد بالحق قوة الذاكرة التي هي إحدى القوى النفسية ومحلها القلب، ومركزها الجانب الأيمن منه.

وأما الطبق فعبر به عن الأغشية التي تعلو على مرآة القلب كالصدأ للمرايا فتغلظ وتتكاثف بحسب ما تطرأ عليها من الهموم والذنوب على ما مفصل في موضعه وبالصلاة على محمد ﷺ ترتفع لك الأغشية وتتفرق كما تتفرق السحب عن الجو عند هبوب الريح فإذا صفىٰ القلب ارتسمت فيه الصور وظهرت فيه أيضاً الصور المرتسمة سابقاً والتي كانت محتجبة بتلك الأغشية كما تظهر الكواكب في السماء عند صفاء الجو وانقشاع السحب.

والمراد بالهدوء والاضطراب عند أجتماع الرجل بالمرأة هو الهدوء بمعنى عدم الحركة الشديدة التي تثيرها الغلمة ويهيجها شدة الشبق فيأتي المرأة بعنف وضغط يشبه ضعط فحل الحيوان الهائج المغتلم فإن مثل ذلك يوجب اضطراب العروق وفتح جميع المسام وذلك لأن الرحم فيه ثقوب تشرع إليها العروق التي تحمل مادة المني كما في الذكر وفيه ثقب داخلي صغير شبيه بالقفل فإذا وقعت نطفة الرجل في الرحم انفتح ذلك الغلق ورفع الغطاء فدخل فيه مقدار ما يريد الله تعالى أن يجعل منه لقاحاً فيختمر في ذلك الموضع ما يتكون منه الجنين فإذا كان الجماع مع الهدوء لم ينفتح إلَّا هذا الموضع فإذا وقع الاضطراب في الحركة الشديدة تحركت العروق الشارعة وأعترضت في مجراه وحصل لها امتصاص ووقع منها مصل في ذلك المجرى وكذلك تتحرك عروق الذكر جميعاً ويقع منها مصل في ذلك المجرى، فأي المصلين سبق بالوقوع في ذلك الموضع قبل أن يقفل وأطبق عليه تعلق به شبه فإن كان مصل الرجل هو السابق فالشبه للأعمام، وإن كان مصل المرأة هو السابق فالشبه للأخوال، وكذلك في جانب الغلبة والقهر فأي المائين قهر الآخر كان الشبه له.

فإذا عرفت جميع ما حررناه علمت أن الولد الحسيب من الطرفين الكريم من ناحية الأصلين أيما أشبه من أبويه أو عميه وخاليه فإنه يكون كريماً من غير شك وإذا أشبه الجميع فذاك الرجل الوحيد والفتى الممتاز.

وإذا أمعنت النظر في جميع ما ذكرنا من الشواهد عرفت أن توافق العقلاء على شيء يوجب القطع به، وأن من له شرف الآباء والأمهات فهو الممدوح عند العرب ويسمونه المعم المخول كم سمعت في شعر الحجاج بن علاط السلمي في مدح مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» ويعنون بالمعم المخول أنه كريم الأعمام والأخوال، والشواهد على هذا كثيرة:

منه قول ورد في منافرة جرير بن عبد الله البجلي وخالد بن أرطأة الكلبي وقول جرير: لك بالوفاء سبعون غلاماً معماً مخولاً يوضعون على أيدي الأكفاء[١].

ومنه قول القعقاع: أنا ابن معبد بن زرارة بن عدس وامي معاذة بنت ضرار رؤس من أعمامي عشرة ومن أخوالي عشرة[٢].

ومنه قول جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وهبيرة هذا فارس قريش يقرن بعمرو بن عبد ود العامري وأُم جعدة - وكان شريفاً - أم هاني بنت أبي طالب ابن عبد المطلب.

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى عليّ بخاله ... كخالي عليّ ذي العلا وعقيل

ومدحه الشعراء بصفين بهذا لما هزم عتبة بن أبي سفيان في قصة تركتها لطولها فقال فيه النجاشي شاعر أهل العراق:

أمه أم هانئ وأبوه ... من معد ومن لؤي صميم
ذاك هبيرة ابن أبي ... وهب أقرت بفضله مخزوم
كان في حربكم يعد بألف ... حين تلقى بها القروم القروم
وابنه جعدة الخليفة منه ... هكذا يخلف الفروع الأروم

يوجد لدينا فئام ينتقدون سياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ويغلطونه في تعجيل منابذة معاوية وإسراعه في عزله عن إمارة الشام في

---

(١) انظر بلوغ الإرب ١/ ٣٠٤.
(٢) انظر بلوغ الإرب ١/ ٣٠٦.

أول وقت من خلافته ويررن الصواب في إشارة ابن عباس والمغيرة بن شعبة عليه في إقرار معاوية على الشام إلى وقت ما حتى تنتظم له الأمور وتستحكم قوى الخلافة وتثبت قواعد المملكة ويبايع له معاوية وأهل الشام فإذا تمت له بيعتهم واستقاموا له وأمن غائلة معاوية في الوثوب عليه وذلك هو الصواب في ناحية السياسة وبه يرتق هذا الفتى الذي فتقه معاوية وقد يتراءى من لا علم له ولا إدراك ولم ينظر ببصيرة وتدبر أنه رأى صحيح وهو خطأ صرف وجهل محض وهو ضد السياسة لا من حيث الدين فقط وإنه لا يجوز استعمال من لا يوثق بديانته حسب ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1] بل من حيث السياسة الدنيوية التي في محط أنظار هؤلاء الغفل من المنتقدين، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» أعلم الخلق بالسياسة وأطوارها وأعرفهم بشؤون الإدارة وأنظرهم في مصالح الأمة من كل أُحد.

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» على ثقة ويقين من أن معاوية لا ينخدع وقد علم كل أحد أن معاوية كان داهية شيطان مارداً ماهراً بأمور الدنيا متيقضاً لدرس الفنون الدنيوية فهو غير ناس قديم الأحقاد وما بينه وبين بني هاشم من التعادي المتأصل والبغض الشديد والحقد القديم وقد قيل: كل شجر إذا قطع مات إلّا شجر الحقد إذا قطع عاد.

أليس معاوية هو الذي كتب في صفين لأبي أيوب الأنصاري: لا تنسى الشيباء أبا عذرتها ولا قاتل بكرها يعني أنه لا ينسى قتل عثمان كما لا تنسى المرأة المسنة من افتض بكارتها ولا قاتل أول أولادها فهو كذلك غير ناس قتل عثمان وغير ناس من نفسه تهجماته على أمير المؤمنين «عليه السلام» في حياة ابن عمه عثمان وشططه عليه في القول المغلظ وتهديده إياه بالقتل إن خدش عثمان بخدش أو أصابه ما يرومه منه المسلمون من القتل والخلع من الخلافة عندما أنكروا عليه ما أحدث، وينسب معاوية كل شيء قامت به الصحابة ونهضت به الأمة على عثمان لأمير المؤمنين «عليه السلام» ويعده من تحريضه لأنه لا يرى منافساً له غيره في نظره ويعلم بمصير الخلافة إليه بعده لايشك في ذلك فيعد تلك الأعمال إيعازات منه على عثمان ويتخيل أنه يعمل على انتزاع الخلافة منه تحت السر والتكتم ولا يتظاهر إلّا لخاصة الذين يثق بهم.

كل هذا في نفس معاوية على أمير المؤمنين «عليه السلام» فهو يتلظى عليه

(١) الكهف: ٥١.

غيظاً وحنقاً لأنه يأمل بأمتداد أيام عثمان انتقال الخلافة إليه وإذا عوجل عثمان أخفق مسعاه وغلبه عليها أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن المسلمين لا يعدلون به أحد وأمير المؤمنين «عليه السلام» لن ينسى تلك الخطابات القاسية والكلمات الغليظة المؤلمة التي ألقاها معاوية تجاه أمير المؤمنين «عليه السلام» بمحضر الصحابة من دون تحاش ولا اكتراثٍ، فأستبان له «عليه السلام» من ذلك أنه سيعاديه ويخالفه متى ما صار الأمر إليه، ولا ينقاد إليه أبداً طائعاً ما وجد موافقاً له على رأيه خصوصاً وقد قُتل عثمان وأمير المؤمنين «عليه السلام» حاضر في المدينة لم ينصره، فرسخ في عقيدة معاوية ذلك الظن الذي كان يظنه وتحول الشك عنده يقيناً بأنه «عليه السلام» قد قُتل عثمان وأكد ذلك عنده وعند بني أُميّة جميعاً أخذه أدراع عثمان وخيله وهي من أموال المسلمين لا يسع الخليفة إلّا ردها لبيت المال خزينة الدولة وهم يرون أنها من أمواله لأنهم لا يرون للمسلمين مالاً إلّا لهم حق التصرف فيه وقد قال في ذلك الوليد بن عقبة:

بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
هموا قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما قتلت كسرى بليل مرازبه

هذا وقد صادر «عليه السلام» الأموال التي عند عمال عثمان التي هي من أموال المسلمين ورد القطائع التي أعطاها عثمان لبني أُميّة وغيرهم من أراضي الخراج وهي جميعاً حقوق المسلمين كل ذلك بمرأى من معاوية ومسمع وهو يخاف مثلها إن تمكن منه فكيف ينخدع؟ أم كيف تثق نفسه بأمير المؤمنين «عليه السلام»؟ حتى يناصحه وينجر إلى ناحيته وكيف تخفى نوايا معاوية على أمير المؤمنين «عليه السلام» كلا عقله أوفى، وعلمه أعظم ورأيه أعلى ولقد قال فيه وفي أصحابه من بني أُميّة للخوارج يوم صفين لما رفعت المصاحف على الرماح وانخدع بها الخوارج، قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: عباد الله أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله لكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال.

فإذا أقر معاوية على الشام وقد ظهرت له آثار التباعد من معاوية عنه مع بغضه له ولبني هاشم وحقده الأصيل وحسده له وغيظه الشديد على رهطه وأسرته فكأنه عمل على تقوية معاوية عليه ومساعدته على حربه وقد أعانه على نفسه لأنه

متى ما وصل إلى معاوية منشور أمير المؤمنين «عليه السلام» بالتولية له على الشام وإقراره على إمارته يُقرؤه معاوية على بقر أهل الشام وطغام الأمة ويقول: هذا الخليفة الجديد والإمام القائم بأمر أمة محمد قد ارتضاني للولاية عليكم ورآني أهلاً ومستحقاً غير إني لا أرتضيه إماماً ولا مستحقاً للخلافة لأنه قتل إمامكم عثمان مظلوماً وبيعته في عنقه، فلست بمبايع له حتى يخرج من تبعة دم عثمان التي لزمته فتتمكن شبهة الباطل وتتمركز دعوة الضلالة في نفوس بقر الشام وتقوى فيشتد كلبهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويعظم فيكون المحذور من ناحية معاوية والحال هذه أعظم والخطر أشد فيحتاج الرجل السياسي العظيم المجرب صاحب الخبرة بشؤون السياسة المصير إلى غير هذا المسلك فإن السياسة توجب التحرز عما يخاف منه والتحفظ مما يحذره السياسي والعقل يمنع من تمكين الإنسان براثن الأسد من جسمه أو تسليط الأفعى على أنامله ودفع السلاح إلى من يريد قتله وابن عباس والمغيرة ومن هو على هذا الراي الذي هو خيال لا حقيقة لم ينظرا في حقائق الأشياء وعواقب الأمور، إنما نظرا إلى المبادئ الحالية التي لا تجدي نفعاً، وقد قال شاعر العرب:

إن امـــرؤٌ أمـــكـــن أعـــداءه مـن نـفـســه يـخـدع ألـبـابـه

والمدار في إصابة الرأي على استعمال مادة العقل في تطبيق المبادئ على النتائج فإن صحت النتيجة وأثمرت كان الرأي صحيحاً صائباً وإلا فذاك الرأي فائل لا يجوز للحازم أن يعمل به ولا للعاقل أن يعول عليه وأمير المؤمنين «عليه السلام» أحزم عربي وأعقل ملك سياسي فلا يدخله خلل من ناحية العقل والعلم والتجربة مع ما حرسه الله به من التسديد الرباني والرعاية الإلٰهيّة وإن كان في ذلك عناء كلفة فإن الدنيا ما خلقت مصاعب وشدائد في قبالهما للصابر المحتسب الجزاء المضاعف والأجر الجزيل عند الله تعالى.

ونعود إلى ما كنا بصدده والعرب تقول في من له شرف الآباء من الطرفين معرق في الشرف كما يقولون معم مخول، قال الفرزدق:

مـن آل حـنـظـلـة الأغـر وإنـنـي فـي آل ضـبـة لـلـمـعـم الـمـخـول
فـرعـان قـد بـلـغ الـسـمـاء ذراهـمـا وإلـيـهـمـا مـن كـل خـوف يـعـقـل

قال شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي في خالد بن عتاب بن ورقاء: معرق في الشجاعة.

قال الطبري بعد أن سلسل القصة التي فيها مقتل عتاب أبي خالد وهجوم

شبيب على الكوفة وما صنعه خالد بشبيب حتى كسره وقتل أخاه مصاداً وزوجته غزالة، ثم اقتفى أثر الخوارج حتى عبروا دجلة وهو في أثرهم، ثم كانت لهم الكرة على خالد وأصحابه فكسروهم، قال: فمظوا حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديراً هناك، وخالد يقفو أثرهم فحصرهم في الدير فخرجوا عليه فهزمهم نحو من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم، وألقى خالد نفسه بفرسه فمر به ولوائه بيده فقال شبيب: قاتله الله فارساً وفرسه فرساً، هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس في الأرض فقيل له: هذا خالد بن عتاب فقال: معرق في الشجاعة والله لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار، الخ.

والشواهد لهذا المعنى لا تُحصى، فإذن يزول الشك ويرتفع التشكيك بأن أبا الفضل العباس «عليه السلام» بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» أشجع العرب وأشدهم بأساً من حيث أنه معم مخول.

أما من حيث العمومة: فما يقول القائل في بيت منهم رسول الله ﷺ أشجع الخلق قاطبة، وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصفه: «كنا إذا أشتد البأس لُذنا برسول الله ﷺ وقد فر عنه الجيش يوم أُحد وثبت هو وأمير المؤمنين «عليه السلام» وأنهزم الناس يوم حنين وثبت هو وتسعة معه من بني عبد المطلب.

ومنهم أمير المؤمنين «عليه السلام» أشجع البشر الذي عجبت الملائكة من ثباته حتى قال قائلهم:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

وكانت له درع لها صدر ولا ظهر لها فقيل له في ذلك، فقال: إن امكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ.

ومنهم الحسن والحسين وطالب بن أبي طالب وهو الذي امتنع من قريش في بدر بسيفه حين رجع فلم يتبعه أحدٌ منهم خوفاً، وما صنع أحد من قريش صنعه وفيهم كثير ممن يكره حضور بدر.

ومنهم جعفر الطيار وهو أول عربي عقر فرسه في سبيل الله.

ومنهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

ومنهم الزبير بن عبد المطلب صاحب حلف الفضول والذي حمى مكة أن يُظلم بها أحد، وكانت قريش لا تبرم أمراً حتى يشهده، وهو الذي طرد حرب بن أميّة حتى استجار منه بابيه عبد المطلب.

ومنهم أبو طالب بن عبد المطلب قائد قريش في حروب الفجار، وشهد له رسول الله ﷺ حيث قال: «لو أن الناس كلهم ولدهم أبو طالب ما كان فيهم إلَّا شجاعاً»، ذكره ابن أبي الحديد في قصة أم هانئ في فتح مكة وكل بني عبد المطلب شجعان.

وأما من حيث الخؤلة: فقد عرفت فرسان بني كلاب، ومن فرسان بني عامر غيرهم كثير منهم عمرو بن عامر فارس الضحيا ومعاوية الأخيل ومعاوية بن البكاء وخداش وجابر بن سمرة وعبد الله بن الطفيل والمنتفك وغيرهم مما طوينا عن ذكرهم صفحاً إيثاراً للاختصار على التطويل.

فإذن يطمئن كل ذي فكرة وروية أن نسبا تسلسل من لدن آدم حتيإنتهى إليه ونظم في سلسلته محمد المصطفى وعلي المرتضى وأسد الله وأسد رسوله والطيار والسبطين لا نظير له ولا مثيل ولا يشك في تفوقه على كل نسب لعربي وغيره ولا شك فهو مفتخر العرب قاطبة.

وحيث أعلمناك ما للعباس «عليه السلام» من الشرف من حيث الآباء ومن حيث الأمهات بقي علينا أن نحرر تراجم موجزة لاعمام العباس «عليه السلام» نقتصد فيها فأنا قد ترجمنا لهم تراجم مطولة في كتاب (الميزان الراجح) وهذا الكتاب لا يحتمل ذلك التطويل.

عمومة العباس «عليه السلام» فريقان: فريق هم عمومته أخوة أبيه، وفريق عمومة ابيه.

فالقسم الأول: أعمامه ثلاثة: طالب وعقيل وجعفر:

(١) طالب بن أبي طالب

أما طالب بن أبي طالب وهو أكبر ولد أبي طالب وبه كان يُكنى، أُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أول هاشمية ولدت لهاشمي ولم يتزوج أبو طالب غيرها.

وكان طالب قد أدرك الإسلام وحضر بدراً مع المشركين ورجع قبل القتال رغماً على آناف قريش وهو من المسلمين الذين كانوا يكتمون إسلامهم كأبيه أبي طالب وإن كان علماء الرجال والنسب من أهل السنة قد حكموا بكفره وليس عندهم أكثر من أنه لم يظهر إسلامه وهذا دليل ظنيٌ لا ينتج إلَّا الظن والشواهد تقضي بضد ذلك فإنهم قد حكموا في العباس بن عبد المطلب وغيره من بني هاشم

كأُم هاني بعض رجالهم ونسائهم أنهم أسلموا وأخفوا إسلامهم عن قريش فإذا جاز ذلك فيهم جاز في طالب أن يكون مثلهم قد أسلم وأخفى إسلامه عن قريش وكتمهم إياه.

ومن وجهة ثانية قد نص البرنجي الشافعي في كتاب «أسنىٰ المطالب» وغيره وذكرناه في «الميزان الراجح» في ترجمة أبي طالب «من» أن أحداً من ولد هاشم لم يعبد صنماً، كلهم كانوا على التوحيد وحيث كان ذلك لم يبلغنا أن طالباً قد كفر وأشرك بعد توحيده ولو كان لاشتهر كما اشتهر كفر عمه أبي لهب، وابن عمه أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، بل بلغنا العكس وهو إسلامه في شعره الآتي.

وأما عندنا فإسلامه منصوص عليه، نص على إسلامه ابن شهر اشوب في المناقب والمجلسي في البحار وغيرهما وسنذكر كلامهما.

وكان طالب بن أبي طالب من رجال قريش وفتيان بني هاشم شجاعة وفصاحة وله شعر جيد وهو أكبر إخوته بأتفاق علماء النسب نص على ذلك جماعة منهم ابن إسحاق والطبري وابن الصباغ وابن قتيبة وسبط ابن الجوزي والخوارزمي وغيرهم من السنة وابن شهر آشوب والمجلسي واليعقوبي والمسعودي وغيرهم من الشيعة.

قال الخوارزمي في مناقبه[١] عن الزبير بن بكار قال: ولد أبو طالب بن عبد المطلب طالباً لا عقب له وعقيلاً وجعفر وعلياً «عليهم السلام» كل واحد منهم أسن من صاحبه بعشر سنين على الولاء وأُم هاني واسمها فاختة وأُم كلهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي وقد اسلمت وهاجرت إلى رسول الله ﷺ وماتت بالمدينة وشهدها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام».

وقال السبط في التذكرة[٢] في ذكر أولادها: وجميعهم من أبي طالب وهم ستة أربع ذكور فانثيان، فالذكور طالب وعقيل وجعفر وعلي «عليه السلام» وبين كل واحد وبين الآخر عشر سنين فطالب أكبر أولاد أبي طالب وبه كان يُكنى، وبين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين وبين جعفر وعلي «عليه السلام» عشر سنين فعلي «عليه السلام» أصغر ولده وطالب أكبرهم وكنيته أبو

---

(١) مناقب الخوارزمي: ص١١.
(٢) تذكرة خواص الامة: ص٧.

بريد وكان عالماً بأنساب قريش، وأخرجهم المشركون يوم بدر لقتال رسول الله ﷺ كُرهاً، فقال:

لا هم إما تغزون بطالب ... في مقنب من هذه المقانب
وليكن المغلوب غير الغالب ... وليكن المسلوب غير السالب

فلما أنهزم المشركون يوم بدر لم يوجد لا في القتلى ولا في الأسرى ولا رجع إلى مكة ولا يدرى ما حاله، وليس له عقب، إنتهى.

هذه الرواية تمسك بها من نص منهم على موته كافراً كالديار بكري في تاريخ الخميس والمحب الطبري في ذخائر العقبى ولا شاهد فيها على ما ذهبوا إليه والصحيح أنه لم يشهد القتال وأنه عاش بعد الوقعة ورثى من قُتل من قريش ومدح النبي ﷺ.

في السيرة الهشامية[١]: كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد فرجع طالب بن أبي طالب إلى مكة مع من رجع، وقال:

طالب بن أبي طالب ... لا هم إما يغزون طالب
في عصبة محالف محارب ... في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب ... وليكن المغلوب غير الغالب

وذكرها في تاريخ الخميس[٢]، وقال الطبري في تاريخه[٣].

وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه: شخص طالب بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين، أُخرج كُرهاً فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى مكة وكان شاعراً وهو الذي يقول - وذكر الشعر المتقدم-.

ومثل هذه العبارة في مروج الذهب[٤].

وفي عمدة الطالب[٥]: أما طالب بن أبي طالب فاكرهته قريش على الخروج إلى بدر ففُقِد فلم يُعرف له خبر، ويقال: إنه أكره فرسه بالبحر حتى غرق، وهو القائل حين أخرجته قريش كُرهاً - وذكر الشعر -.

وقال الفاضل المجلسي في البحار[٦] بأسناده عن الصادق «عليه السلام»

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٩.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ٤٢٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٦.
(٤) مروج الذهب ٢/ ٢.
(٥) عمدة الطالب: ص١٥.
(٦) بحار الأنوار ٦/ ٦٠٥.

قال: لما خرجت قريش إلى بدر، أخرجوا بني عبد المطلب ومعهم طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز - وذكر الشعر المتقدم - فقالت قريش: إن هذا ليغلبنا فردوه، وفي رواية أخرى عن الصادق «عليه السلام»: إنه كان أسلم.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب[١]: وإخوته «عليه السلام» طالب وعقيل وجعفر وعلي «عليه السلام» أصغرهم وكل واحد منهم أكبر من أخيه بعشر سنين بهذا الترتيب واسلموا كلهم وأعقبوا إلّا طالب فإنه أسلم ولم يعقب، إنتهى.

محبة أبي طالب لطالب وعقيل

قال ابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة»[٢]: لما نشأ علي بن أبي طالب «عليه السلام» وبلغ سن التمييز أصاب أهل مكة جدب شديد وقحط أجحف بذوي المروة وأضر بذوي العيال إلى الغاية فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس - وكان أيسر بني هاشم-: إعلم أن اخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله فتأخذ أنت رجل وأخذ أنا رجلاً ونكفلهما له.

قال العباس: أفعل. فأنطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى يكشف الله عن الناس ما هم فيه.

فقال: إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فأصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه وأخذ العباس جعفراً، فضمه إليه فلم يزل علي «عليه السلام» مع رسول الله ﷺ حتى بعث الله عز وجل محمداً نبيه ﷺ فأتبعه علي «عليه السلام» آمن به وصدقه، إنتهى.

شعر طالب

كان شاعراً مجيداً - حسبما سمعت -، جمع بين الجزالة والسلالة، في سيرة ابن هشام[٣]: قال ابن إسحاق: قال طالب بن أبي طالب يبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر ويمدح رسول الله ﷺ.

ألا أن عيني أنفذت مائها سكبا فتبكي على كعب وما إن ترى كعبا

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ١٦١. (٢) الفصول المهمة: ص١٥.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨.

ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا وأوردوهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غدوة فياليت شعري هل أرى لهم قربا
هما أخواي لم يعدا لغبة تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فديتكما لا تبعثا بيننا حربا
ولا تصحبا من بعد ود وألفة أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملؤا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتموا لا تمنعون لكم سربا
فما أن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطأ التُربا
أخا ثقة في النائبات مرزء كريماً ثناه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه يؤمون بحراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسي حزينة تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

وفي قوله «فلولا دفاع الله» في قصة أبي يكسوم صاحب الفيل.

وفي قوله: «خير من وطأ التُربا» يعني به النبي ﷺ دليل قاطع على إسلامه.

وأما قوله: «حتى تصدوا الخزرج الضربا» فليس هو من الدعاء على الإسلام والتحريض على المسلمين ولكنه مما أثارته العواطف الرحمية وأهاجه الشعور النسبي لأن قريشاً قومه والقومية في الغيور داعية الحماس ولا يُلام الرجل في حب قومه.

«يطيف به العاقون» يشبه قول أبيه أبي طالب في مدحه ﷺ:

تطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

(٢) عقيل بن أبي طالب

العلامة النسابة الفصيح اللسان الحاضر الجواب الذي لا يجاري في محاورة، ولا يُقام له في خطاب، كان سريع البديهية حاد الذهن وقاد القريحة حاضر الجواب لسانه كسنانه وجوابه أحد من شفرة السيف وكان شجاعاً شهد غزوة مؤته وما بعدها من غزوات النبي ﷺ وأخرجته قريش كغيره من بني هاشم كُرهاً إلى بدر، فأسر وفداه عمه العباس وكان أبوه أبو طالب شديد المحبة له ورسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً لأمرين سنذكرهما إن شاء الله ونحن نورد هنا من

أخباره ما يناسب هذا الكتاب وإلا فقد ترجمنا له في «الميزان الراجح» ترجمة مطولة تصح أن تكون كتاباً منفرداً.

وقد كان عقيل مبغوضاً إلى قريش لعلمه بمساويهم فهو ينشرها ولا يخفيها فيفتضحون بذلك، فلذا أبغضوه ونسبوا إليه كلما يشينه ويوجب القدح فيه حتى أنهم نسبوا إليه الانحراف عن أخيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وزعموا أنه فارقه ولحق بمعاوية وجر هذا التشنيع عليه بغضهم له وقد ذكرنا كلما ذكروا في «الميزان الراجح» وأجبنا عنه.

وهنا كلمة للحافظ المقريزي وقعت في موقعها من الصواب وقد أوردها مورد الاحتجاج على بني أمية[١] ما لفظه هذا: وهم يزعمون أن عقيلاً أعان معاوية على علي «عليه السلام» فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبراً، وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره، الخ.

وسيجيء كلام الجاحظ في هذا المعنى.

ذكر الحفاظ الثلاثة ابن عبد البر و ابن الأثير والعسقلاني في كتب الصحابة والألفاظ متقاربة ولفظ الأول[٢]: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يُكنى أبا زيد، روينا أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا يزيد إني أحبك حباً لقرابتك مني وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك.

قدم عقيل البصرة ثم أتى الكوفة ثم أتى الشام وتوفي في خلافة معاوية وله دار بالمدينة.

قال العدوي: كان عقيل قد أُخرج إلى بدر مُكرهاً ففداه عمه العباس ثم أتى مسلماً قبل الحديبية وشهد غزوة مؤتة وكان أكبر من أخيه جعفر بعشر سنين وكان جعفر أكبر من علي «عليه السلام» بعشر سنين وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم.

قال: ولكنه كان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساويهم.

قال: وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله ﷺ يصلي عليها ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب وكان أسرع الناس جواباً، وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك.

---

(١) النزاع والتخاصم: ص١٣.
(٢) الاستيعاب ٢/ ٢٥٢.

قال: وحدثني ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان في قريش أربعة يتحاكم إليهم ويقف عند قولهم - يعني في النسب - عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي وحويطب بن عبد العزى العامري.

زاد غيره: كان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش فعادوه لذلك وقالوا فيه بالباطل ونسبوه إلى الحمق، وأختلقوا عليه أحاديث مزورة وكان مما أعانهم عليه مغاضبته لأخيه علي «عليه السلام» وخروجه إلى معاوية وإقامته معه ويزعمون أن معاوية قال له يوماً بحضرته: هذا أبو يزيد لولا علمه أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه، قال عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وأسأل الله خاتمة خير، إنتهى.

وزعم ابن الأثير أنه بعد غزوة مؤتة عرض له مرض فلم يشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وأطعمه رسول الله ﷺ أوساقاً من خيبر كل سنة وقد قيل: إنه ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله ﷺ، الخ.

وسنذكر بعض ما ذكره من أجوبته، ثم قال: روى عنه ابنه محمد والحسن البصري وغيرهما وهو قليل الحديث.

قال العسقلاني: أخرج له النسائي وابن ماجة حديثاً.

وقال ابن سعد: قالوا: مات في خلافة معاوية.

وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في خلافة يزيد قبل الحرة.

وقال الجاحظ في البيان والتبيين[١]: كان عقيل بن أبي طالب نساباً عالماً بالأمهات، بين اللسان، شديد الجواب، لا يقوم له أحد.

وقال[٢]: وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماؤهم بالأنساب والأخبار: مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف وحويطب بن عبد العزى وعقيل بن أبي طالب وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول للرجل يحمقه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث فمنها قولهم: ثلاثة حمقاء كانوا إخوة ثلاث عقلاء

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٥٦.
(٢) البيان والتبيين ١/ ٢٥٨.

والأم واحدة: علي وعقيل وأُمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعتبة ومعاوية ابنا أبي سفيان وأُمهما هند بنت عتبة، وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان أُمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، فكيف وجعدة بن هبيرة يقول شعراً:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يأبى علي بخاله ... كخالي علي ذي الندا وعقيل

وقال قدامة ين موسى بن قدامة بن مظعون شعراً:

وخالي بغاة الخير تعلم أنه ... جدير بقول الحق لا يتوعر
وجدي علي ذو التقى وابن أمه ... عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولاة الخير في كل موطن ... إذا ما ونى عنه رجال وقصروا

وقال[١]: وكان عقيل رجلاً قد كُفّ بصره وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه، فلما فضل نظرائه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه أطول، وغاضب علياً «عليه السلام» وأقام في الشام فكان ذلك أيضاً أطلق اللسان الساعي عليه والحاسد فيه وزعموا إنه قال لمعاوية - ذكر ما قاله في الاستيعاب من قوله «انت خير لي في دنياي» -.

وقال مرة اخرى: أنت معنا يا أبا يزيد، قال: ويوم بدر كنت معكم.

وقال معاوية يوما: يا أهل الشام هل سمعتم قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢]؟ قالوا: نعم، قال: فإن أبا لهب عمه، فقال عقيل: هل سمعتم قول الله عز وجل: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[٣]؟ قالوا: نعم، قال: فإنها عمته، قال معاوية: حسبنا ما لقينا من أخيك.

وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبداً: أين أبي؟ أين عمي؟ أين أخي؟ كان أعناقهم أباريق الفضة ترد أنفهم قبل شفاههم.

قال لها عقيل: إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك.

وقال ابن الأثير[٤]: إن عقيل بن أبي طالب لزمه دين فقدم على علي «عليه السلام» الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن «عليه السلام» فكساه، فلما أمسى أتى بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرى؟ قال: نعم، قال:

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢٦٠.
(٢) المسد: ١.
(٣) المسد: ٤.
(٤) أسد الغابة ٣/ ٢٢٤.

فتقضي ديني؟ قال: كم دينك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: ماهي عندي ولكن إصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف أدفعها إليك.

قال عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك؟! قال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها؟ فقال عقيل: فإني آتي معاوية، فأذن له فأتى معاوية فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت علياً وأصحابه؟ قال: كأنهم أصحاب محمد ﷺ إلَّا أني لم أر رسول الله ﷺ فيهم، وكأنك أصحاب أبو سفيان وأصحابه إلَّا أني لم أر أبا سفيان فيكم.

فلما كان الغد قعد معاوية على سريره وأمر بكرسي إلى جنب السرير ثم أذن لعقيل فقال: يا معاوية، من هذا معك؟

قال: الضحاك بن قيس.

فقال: الحمد لله الذي رفع الخسيسة وتمم النقيصة هذا الذي كان أبوه يخصي بهمنا بالأبطح، لقد كان بخصائها رفيقاً، فقال الضحاك: إني لعالم بمحاسن قريش وإن عقيلاً عالم بمساويها.

فأمر له معاوية بخمسين ألف، فأخذها ورجع، الخ.

وهذه القصة رواها المفيد الحسن بن الشيخ الطوسي رحمة الله عليهما في مجالسه[1] وفيها يقول: قال معاوية: مرحباً بك يا أبا يزيد، ما نزع بك الينا؟ قال: طلب الدنيا في مظانها.

قال: وفقت وأصبت وقد أمرنا لك بمائة ألف درهم، ثم قال: أخبرني عن العسكرين اللذين مررت بهما قبل عسكري وعسكر علي؟

قال: في الجماعة أخبرك أم في الوحدة؟

قال: بل في الجماعة.

قال: مررت على عسكر علي «عليه السلام» فإذا ليل كليل النبي ﷺ ونهار كنهار النبي ﷺ إلَّا أن رسول الله ﷺ ليس فيهم ومررت على عسكرك فإذا أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله ﷺ إلَّا أن أبا سفيان ليس فيهم.

فكف عنه حتى إذا ذهب الناس قال: يا أبا يزيد! أي شيء صنعت بي؟ قال: ألم أقل لك في الوحدة أو في الجماعة؟ فأبيت عليّ.

---

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٨٩.

قال: أما الآن فاشفني من عدوي.

قال: ذلك عند الرحيل.

فلما كان من الغد شد غرائره ورواحله وأقبل نحو معاوية وقد جمع معاوية خوله فلماإنتهى إليه قال: يا معاوية! من ذا على يمينك؟ قال: عمرو بن العاص.

فتضاحك ثم قال: لقد علمت قريش أنه لم يكن أخصى لتيوسها من أبيه، ثم قال: من هذا على شمالك؟ قال: أبو موسى.

فتضاحك وقال: لقد علمت قريش بالمدينة أنه لم يكن بها أمرأة أطيب من قلب أمه.

ثم قال له: أخبرني عن نفسي يا أبا يزيد، قال: اتعرف حمامة؟ ثم سار.

فأُلقي في خُلد معاوية وقال: أم من امهاتي لست أعرفها، فدعى بنسابين من أهل الشام فقال: أخبراني عن أم من أمهاتي يقال لها حمامة لست أعرفها.

فقالا: نسألك بالله لا تسألنا عنها اليوم.

قال: أخبراني أو لأضربن أعناقكما ولكما الأمان.

قالا: فإن حمامة جدة أبي سفيان السابعة وكانت بغياً ولها بيت توفي فيه، إنتهى.

في تعليقة النزاع والتخاصم[١]: يقال: إن الزرقاء هذه هي أم بني أُميّة بن عبد شمس واسمها أرنب، وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات وذكر ابن أبي الحديد هذه القصة.

أيضاً في شرح النهج[٢] لكنه ذكر أن عقيلاً قال لعمرو بن العاص: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر لغلب عليه جزار قريش، فمن الآخر؟

قال: الضحاك بن قيس الفهري.

قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر؟

قال: أبو موسى الاشعري، قال: هذا ابن السراقة.

ثم ذكر حمامة وقال: إنها جدته أم أبي سفيان وكانت بغياً في الجاهلية صاحبة راية.

وقال البيهقي في المحاسن والمساوئ[٣]: إن الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبي طالب: غلبك أبو تراب على الثروة والعدد.

---

(١) النزاع والتخاصم: ص٢٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ١٥٧.
(٣) المحاسن والمساوئ ٢/ ١٣٣.

قال: نعم وسبقني وإياك إلى الجنة.

فقال: أما والله إن شدقيه لمتوضفان من دم عثمان.

فقال عقيل: ما أنت وقريش فإنما أنت فيهم كمنيح المسير.

فقال الوليد: إني أرى لو أن أهل الأرض اشتركوا لوردوا صعوداً.

فقال عقيل: كلا، ما ترغب له عن صحبة أبيك، إنتهى.

وذكرها ابن أبي الحديد وذكر أيضاً[١]: قال معاوية لعقيل: إن فيكم لينا يا بني هاشم؟

قال: نعم، إن فينا ليناً من غير ضعف وعزاً من غير عنف، وإن لينكم يا معاوية غدر وسلمكم كفر.

فقال معاوية: ولا كل هذا يا أبا يزيد.

قال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص: لأضحكك من عقيل، فلما سلم، قال معاوية: مرحباً برجل عمه أبو لهب، فقال عقيل: وأهلاً برجل عمته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد.

فقال معاوية: يا أبا يزيد! ما ظنك بعمك أبي لهب؟

قال: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجهد مفترشاً عمتك حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح؟ قال: كلاهما شر والله.

وذكر في العقد الفريد[٢] قال: دخل عقيل على معاوية وقد كُفّ بصره، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم.

قال: وأنتم معشر بني أُميّة تصابون في بصائركم.

وذكر له أجوبة كثيرة منها بعد قوله: «ناكح في النار»[٣]: وقال له معاوية يوماً: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم!

قال: لكنه في نسائكم أبين، الخ، وهذا كثير جداً فهذا المقدار يكفي.

صفة عقيل وبعض حكاياته:

قال أبو الحجاج البلوي في كتاب «ألف باء»[٤]: عقيل بن أبي طالب كان طوالاً وكان أحد العشرة الذين طولهم عشرة أشبار، الخ، سنذكر الطوال في عنوان البطولة، وعشرة أشبار بشبر نفسه.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٦٨.
(٢) العقد الفريد ٢/ ٣٢٥.
(٣) العقد الفريد ٢/ ٢٢٦
(٤) ألف باء: ص٨١.

قال الحلبي في سيرته[١] في غزوة حنين: إن عقيلاً دفع لامرته إبرة أخذها من الغنيمة، فإنها قالت له: قد علمت إنك قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة؟

فقال: دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك.

فسمع منادي رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً فليرده حتى الخياط والمخيط، فرجع وأخذها منها وألقاها في الغنائم.

وتروى بصورة أخرى وفيها زيادة: ما أرى إبرتك إلَّا وقد أُخذت منك فأخذها وألقاها في الغنائم.

قال سبط ابن الجوزي في التذكرة[٢] بأسناده عن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد «عليهما السلام» يقول: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: انظروا من هاهنا من أهل بيتي من بني هاشم فجاء علي «عليه السلام» فنظر إلى العباس ونوفلاً وعقيلاً، ثم رجع فناداه عقيل: يا ابن أم والله لقد رأيتنا.

فجاء علي «عليه السلام» إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فجاء رسول الله ﷺ فوقف على رأس عقيل فقال: أبا يزيد! قتل أبو جهل؟

فقال: إذن لا تنازعوا في تهامة فإن كنت أثخنت القوم وإلا فاركب أكتافهم - وفي رواية: الآن صفا لك الوادي -.

ثم رجع عقيل إلى مكة وأقام إلى سنة ثمان من الهجرة ثم خرج مهاجراً إلى المدينة فشهد غزوة مؤتة وأطعمه رسول الله ﷺ من خيبر مائة وأربعين وسقاً كل عام.

قال الواقدي: أصاب عقيل يوم مؤتة خاتماً عليه تماثيل فنفله إياه رسول الله ﷺ فكان في يده، إنتهى.

لم يشهد عقيل الجمل وصفين مع أخيه أمير المؤمنين «عليه السلام» بل تخلف عنه لغير شك في إمامة أخيه، ولا خذلان له بل امتثل أمر إمامه بالتخلف في المدينة ليكون له عيناً في الحجاز يكتب إليه بما يحدث.

وروى الصدوق القمي «رحمه الله» في كتاب الأمالي[٣] عن ابن عباس قال: قال علي «عليه السلام» لرسول الله ﷺ: إنك لتحب عقيلاً؟

قال: إي والله إني لأحبه حبين: حباً له وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ١٣٨.
(٢) تذكرة خواص الامة: ص٧.
(٣) الأمالي للصدوق: ص٨٨ مجلس ٢٧.

المقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: اللهم إني اشكو إليك ما تلقى عترتي من بعدي، إنتهى.

ونقلها عنه جماعة منهم الوحيد البهبهاني في التعليقة وأبو علي الرجالي والفاضل المجلسي وغيرهم والمشار إليه في هذه الرواية المستحق لصلاة الملائكة المقربين وبكاء المؤمنين الشهيد مسلم بن عقيل «عليه السلام» البطل العظيم فإنه حري بذلك لأنه وقف في الكوفة موقفاً نبيلاً حفظ فيه وصية المصطفى بالعترة الطاهرة، وأدى أجر الرسالة الذي لم يسأل الله غيره في موالاتهم حيث يقول: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، فأدى من محض الإخلاص لسيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» ما أبهر به عقول ذوي العقول وحير ألباب ذوي الألباب.

رجلٌ يقاد أسيراً ليقتل فيستعبر باكياً ليس على نفسه والنفس لا أعز منها عند أكثر البشر ولا أغلى، بل للحسين «عليه السلام» فيقال له: أتبكي وأنت تطلب ما تطلب؟ فيقول: لا والله ما لنفسي بكيت وإن كنت لا أحب لها تلفاً بل أبكي للحسين «عليه السلام» وآل حسين، فهذا لعمرك الإخلاص في المحبة وهذه هي المواساة العظيمة التي لم يعهد لها نظير في التاريخ ولم يعرف قبله رجل قيد إلى المنية سحباً لا تهمه حياته وإنما يهمه سيده إلَّا هذا البطل العظيم فإنه قد أبدى هذا الإخلاص العجيب وقد رفرف طير المنية على رأسه وكل حالاته معجبة.

هل سمعت أو ذكر لك أن بطلاً من الأبطال أو شجاعاً من الشجعان مهما بلغ من الشجاعة حارب بلدة عظيمة بأسرها وأي بلدة؟ الكوفة أعظم المدن في ذلك العصر، وأكبر الأمصار محتشدة بالسكان مكتضة بالجيوش المرابطة للغزو وكان فيها ثمانون ألف جندي مسلّح سوى من لم يثبت له الديوان «دائرة النفوس» إسماً في المتطوعة والسكان فأنثالت كلها عليه رجالها تحاربه في الأزقة ونساؤها وصبيانها تقذفه بالحجارة من أعالي السطوح وترمي عليه أطنان القصب المستعرة بالنيران فلم ترهبه تلك المظاهرة البدائية ولا زعزعته الكوارث المحدقة به ولا هالته أهوالها، بل كان يشتد ويشد عليهم مصلتاً سيفه فيهربون قدامه أشتاتاً وهو يرتجز:

آلـــيـــت لا أُقـــتـــل إلا حُـــرّاً

---

(١) الشورى: ٢٣.

لم يزل هذا دأبه يفني الجمع بعد الجمع، ويبيد الكتيبة بعد الكتيبة، حتى أحدثت هجماته في البلدة رجة عظيمة أرعبت قلب الطاغي المتمرد فلاذوا منه بالامان، فمثل هذا حري بصلاة الملائكة المقربين وبجريان دموع المؤمنين.

أولاد عقيل

مختلف في كميتهم قلة وكثرة، ونحن نرى الكثرة لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ، ومن ذكر الاقل يمكن أن يكون فإنه الاطلاع على الباقي:

أولاده الذكور:

مسلم أُمه أم ولد، عيسى أُمه أم ولد، عثمان أُمه أم ولد، جعفر الأكبر أُمه أم ولد، وقيل أم البنين الكلابية، جعفر الأصغر أُمه أم ولد، سعيد أُمه أم سعيد العامرية، أبو سعيد أُمه أم البنين الكلابية، موسى أُمه أم ولد، علي الأكبر أُمه أُم ولد، عبد الله الأصغر أُمه أم ولد، عبد الرحمٰن أُمه أم ولد، عبدالله الأكبر أُمه أم ولد، عبد الله الأصغر أُمه أم ولد، يزيد أُمه أم سعيد العامرية، حمزة أُمه أم البنين الكلابية، محمد أُمه أم ولد، عون بن عقيل أُمه أم ولد.

بنات عقيل: زينب لأم ولد، رملة لأم ولد، أسماء لأم ولد، أم القاسم لأم ولد، أم عبد الله لأم ولد، فاطمة لأم ولد، أم هانئ لأم ولد، أم النعمان لأم ولد.

اعتمدنا على في ذكر أولاده على ما في «بحر الأنساب» و«تذكرة السبط» ونترك كلام العميدي ونذكر كلام السبط ونصه[1]: كان له عقب بالمدينة ومن أولاده: يزيد وبه كان يُكنى، وسعيد وأُمهما أم سعيد بنت عمرو بن صعصعة، وجعفر الأكبر وأبو سعيد وهو إسمه وكان احول أُمهما أم البنين الكلابية، ومسلم وهو الذي بعثه الحسين «عليه السلام» إلى الكوفة فقتله ابن زياد، وعبد الله وعبد الرحمٰن وعلي وجعفر وحمزة ومحمد ورملة وأُم هاني وفاطمة وأُم القاسم وزينب وأُم النعمان لأمهات أولاد شتى، إنتهى.

والزيادة نقلناها عن «بحر الأنساب» ويستفاد منه ومن كتب المقاتل أنهم أكثر مما ذكر «السبط» لأن فيهم علي الأكبر وعبد الله وموسى وعيسى واستشهد منهم تسعة مع الحسين «عليه السلام».

قال الحافظ المقريزي في النزاع والتخاصم[2] وهو يذكر أعمال بني أُميّة

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ص٧.

(٢) النزاع والتخاصم: ص١٣.

وأفعالهم الذميمة بما لفظه: وقتلوا لصلب علي بن أبي طالب «عليه السلام» تسعة ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة، ولذلك قالت نائحتهم:

عين جودي بعبرة وعويل وانـدبي أن ندبتي آل الرسول
تسعة كلهم لصلب علي قد أبيدوا وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون أن عقيلاً أعان معاوية على علي «عليه السلام» إلى آخر عبارته.

وقد خلت دار عقيل هجرة مع الحسين «عليه السلام» فلم يبق منهم أحد بالمدينة سوى نساء أما الذكور فلم يبق أحد منهم ولم ينجو منهم إلَّا طفل صغير هو عبد الله بن محمد بن عقيل ومنه كان عقب عقيل ولهذا يقول الحسين «عليه السلام»: «اللهم أقتل قاتل آل عقيل» ويقول «عليه السلام»: «صبراً آل عقيل فإن موعدكم الجنة» كما قال جده رسول الله ﷺ لآل ياسر تسلية لهم عن القتل «صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة» فإنه لم يبق منهم إلَّا عمار وقُتل أبوه ياسر وأخوه عبد الله وأُمه سمية فالحسين «عليه السلام» سلى آل عقيل بتلك التسلية ونعم العوض عن الدنيا الجنة.

ولم نعرف داراً خلت من أهلها هجرة على الدين فبقيت فارغة إلَّا دار جحش بن رئاب الأسدي حلفاء بني أُميّة فإنهم هاجروا كلهم مع النبي ﷺ وآل عقيل بن أبي طالب «عليه السلام» هاجروا كلهم مع الحسين «عليه السلام» فلم يبق منهم إلَّا نساء عند الازواج ولكن نجد الفرق الجلي بين آل جحش وآل عقيل، إن آل جحش أُستشهد منهم رجل واحد مع النبي ﷺ يوم أحد وهو عبد الله بن جحش وبقي الباقون وآل عقيل استشهدوا كلهم مع الحسين «عليه السلام» يوم الطف ولم يبق منهم إلَّا عبد الله بن محمد بن عقيل طفل صغير لهذا يؤثرهم الإمام زين العابدين «عليه السلام» ويبرهم.

قال الفاضل المجلسي «رحمه الله»[1]: كان علي بن الحسين «عليهما السلام» يميل إلى ولد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال «عليه السلام»: إني لأذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين «عليه السلام» فأرق لهم، الخ.

---

(١) كامل الزيارات: ص٢١٤، بحار الأنوار: ٤٦/ ١١٠، مستدرك الوسائل ٢/ ٤٦٦.

شهداء آل عقيل

فمن الشهداء الذين عرفنا أسمائهم من آل عقيل: الفقيه محمد بن عقيل، موسى بن عقيل، مسلم بن عقيل العلامة السفير الحسيني هو وأخوه محمد فقهاء آل عقيل، عبد الله الأكبر بن عقيل تزوج أم هاني بنت أمير المؤمنين ثم أختها ميمونة، محمد بن أبي سعيد بن عقيل تزوج فاطمة بنت أمير المؤمنين بعد أن فارقها عمه، أبو سعيد بن عقيل كان متكلماً مفوهاً سريع الجواب يشبه أباه في البديهة، جعفر بن عقيل تزوج أم الحسن بنت أمير المؤمنين، عبد الرحمٰن بن عقيل تزوج خديجة بنت أمير المؤمنين، عبد الله الأصغر بن عقيل، علي الأكبر بن عقيل له ذكر في فتوح الشام، أحمد بن محمد بن عقيل، محمد وعبد الله وجعفر وإبراهيم بنو مسلم بن عقيل وهما المذبوحان على شط الفرات وقصة ذبحهما أشهر القصص اورها أكثر العلماء فعلى هذا يكون جميع من استشهد من آل عقيل خمسة عشر نفساً، وعند ابن شهرآشوب عون بن عقيل وجعفر بن محمد بن عقيل، فعليه يكون شهداء آل عقيل سبعة عشر شهيداً.

(٣) من أعمام العباس الأكبر «عليه السلام» جعفر الطيار مع الملائكة في الجنة

ونحن نعتذر من عدم الاستيفاء عند من اعوزه العلم بحاله لكثرة فضائله ومن يجاوز مقدار الإيجاز عند من كان نصيبه الوافر في العلم وحصته الوافية في العرفان يعد مسرفاً وعند القاصر يعد مقصراً.

لا تحسب أن جعفر الطيار كرجل عربي شريف خاصة أو بطل مجاهد فقط بل هو عالم وشجاع وكريم وعفيف وعاقل وزاهد وكل خصلة توجب التفضيل قد حيزت له مع قرابته من رسول الله ﷺ وسبقه إلى الإسلام وكونه من الدعاة إليه ومن الأمراء المشهورين، أمره رسول الله ﷺ على مهاجرة الحبشة من المسلمين وأمره في سرية مؤتة التي استشهد فيها وبلغ من الشجاعة مبلغاً عظيماً ثبت أمام جيش الرومان الجرار الذي لا ينقص عدده على ما قيل عن مائة ألف وهو في كتيبة صغيرة فوق الثلاثمائة رجل بيسير لم يكتف بالثبات أمام ذلك الجيش الهائل دون أن عقر فرسه لتيأس نفسه من النجاة فلا تطمع في الفرار وينقطع أملها من الحياة وليشد بذلك عزم أصحابه ويرتفع عنهم الضعف والوهن، وقد ترجمنا الطيار في

«الميزان الراجح» ترجمة مبسوطة تشتمل على جميع ما ينبغي أن يذكر من هجرة الحبشة وهجرة المدينة وإسلامه وشهادته وما شاكل ذلك ولا نذكر هنا إلّا ما يلزم ذكره من فضائله وأخلاقه وما يجري مجرى ذلك وقد عرف نسبه مما تقدم.

قال الحلبي في سيرته[١] وفي أُسد الغابة: إن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً «عليه السلام» يصليان وعلي «عليه السلام» على يمينه فقال لجعفر «عليه السلام»: صل جناح ابن عمك، فصلى عن يساره.

وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي «عليه السلام» بقليل.

كنيته بأبنه وفعله

كان يُكنى أبو عبد الله بابنه عبد الله الجواد ويكنى بـ«أبي المساكين» لحبه إياهم، كناه بذلك رسول الله ﷺ.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء[٢] عن أبي هريرة قال: كنت لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير وألصق بطني من الجوع وأستقري الرجل الآية من كتاب الله هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب وكان ينقلب فينا فيطعمنا ما كان في بيته إن كان ليخرج إلينا العكة فنشقها فنلعق ما فيها.

وعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم يحدثهم ويحدثونه وكان رسول ﷺ يسميه أبا المساكين، إنتهى.

وهو متفق عليه عند السنة والشيعة وفي غرر الخصائص الواضحة[٣]: قال جعفر بن أبي طالب لأبيه: يا أبه إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله، فقال أبوه: إني لأرجو أن يكون فيك من عبد المطلب شبه.

سرور النبي رسول الله ﷺ بقدوم جعفر

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[٤]: كان جعفر من المهاجرين الأولين هاجر إلى الحبشة وقدم منها على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فتلقاه النبي ﷺ واعتنقه وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر وكان قدوم جعفر في السنة السابعة من الهجرة واختط له رسول الله ﷺ دارا إلى جنب المسجد، الخ، وقد رواه أيضاً أكثر المحدثين من علماء الفريقين:

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٢٤٩.
(٢) حلية الاولياء ١/ ١١٧.
(٣) غرر الخصائص الواضحة: ص٤٥٣.
(٤) الاستيعاب ١/ ٨١.

روى الحر العاملي في وسائل الشيعة[١] كثيراً من الأحاديث منها عن بسطام عن أبي عبد الله (يعني الصادق) «عليه السلام» قال: قال له رجل: جعلت فداك! أيلتزم الرجل أخاه؟

قال: نعم إن رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر أتاه الخبر أن جعفراً قد قدم فقال: والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر، فلم يلبث أن جاء جعفر فوثب رسول الله ﷺ فالتزمه وقبّل ما بين عينيه.

قلت: الأربع ركعات التي بلغني أن رسول الله ﷺ أمر جعفر أن يصليهما؟ فقال: لما قدم جعفر عليه قال: إلَّا أعطيك؟ إلَّا أمنحك؟ إلَّا أحبوك؟ قال: فتشوق الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً وفضة، قال: بلى يا رسول الله، قال: صل أربع ركعات ما صليتهن غفر لك ما بينهن، إن استطعت كل يوم وإلا فكل يومين أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة فإنه يغفر لك ما بينهما إلى آخر الحديث الشريف، ولصلاة جعفر كيفية خاصة ذكرها الفقهاء في كتب الفقه.

الخصال التي شكرها الله لجعفر وهي تدل على وفور عقله

روى الصدوق القمي «رحمه الله» في كتاب «من لا يحضره الفقيه»[٢] عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر «عليهما السلام» قال: أوحى الله عز وجل الى رسول الله ﷺ: إني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي رسول الله ﷺ فأخبره فقال: لولا أن الله أخبرك ما أخبرتك: ما شربت خمْراً قط لأني علمت إني إن شربتها أزالت عقلي، وما كذبت قط لأني علمت أن الكذب ينقص المروة، وما زنيت قط لأني خفت إن عَملت عُملت بي، وما عبدت صنماً قط لأني علمت أنه لا يضر ولا ينفع، فضرب النبي رسول الله ﷺ على عاتقه وقال: حق على الله عز وجل أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة، إنتهى، ورواه المجلسي وغيره عن الصدوق[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ٨/ ٥٠ ح١٠٠٧٠ ولمزيد من الاطلاع على كيفيتها وأحكامها، راجع ص٤٩ وما بعدها «بواب صلاة جعفر بن أبي طالب «عليه السلام».

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٧ ح٥٨٤٧ وراجع ايضا: علل الشرائع ٢/ ٥٥٨ ح١، الأمالي للصدوق: ص١٣٣ ح١٢٧.

(٣) بحار الأنوار ٢٢/ ٢٧٢ - ٢٧٣ ح١٦، الجواهر السنية: ص٢٢٠، الدرجات الرفيعة: ص٧٠، شجرة طوبى ٢/ ٣٩٦.

شبه جعفر برسول الله ﷺ وشبهه فيه بالخَلْق والخُلْق

قال الحلبي في سيرته[١]: كان رسول الله ﷺ يقول له: أشبهت خَلقي وخُلقي، وفي لفظ: جعفر أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، الخ، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

والذين يشبّهون رسول الله ﷺ من بني هاشم، فاطمة الزهراء كانت أشبه الناس به ولهذا لما أشتد حزن أمير المؤمنين «عليه السلام» لفقدها وسلاه أصحابه عنها بما يناسب شأنه من الصبر على المصائب العظيمة والفوادح المؤلمة الممضة، أجاب أنها كانت لي عزاء وسلوة وبفقدها فقدت أباها رسول الله ﷺ كانت إذا تكلمت ملأت سمعي بصوت رسول الله ﷺ وإذا مشت لم تخرم مشيته.

وفي حديث عائشة الذي رواه المحب الطبري في ذخائر العقبى[٢] قالت: كنا أزواج النبي ﷺ لم نغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة «عليها السلام» تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ شيئاً، وذكر الحديث بطوله، واستيفاء الأحاديث يوجب القطع في الموضوع.

والحسن والحسين «عليهما السلام» كانا يشبهان رسول الله ﷺ في خَلقه وخُلقه.

قال في ذخائر العقبى[٣]: عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي «عليهما السلام».

وعنه: كان الحسن أشبه أهل بيته برسول الله ﷺ.

وعن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر حمل الحسن «عليه السلام» على رقبته وهو يقول:

بأبي شبيهاً بالنبي ليس شبيهاً بعلي

وهو يضحك، خرجه البخاري، وذكر روايات كثيرة منها عن علي «عليه السلام» قال: الحسن «عليه السلام» أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين «عليه السلام» أشبه برسو ل الله ﷺ ما كان أسفل ذلك.

وعلي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» شهيد الطف كان يشبه رسول الله ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً.

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ٣٩.
(٢) ذخائر العقبى: ص٢٩.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٢٩.

قال الحسين «عليه السلام» لما أذن لابنه علي الأكبر بالبراز: اللهم أشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام هو أشبه الخلق برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، أللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً وأجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، الخ.

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قالوا: كان يشبه رسول الله ﷺ، وذكروا جماعة غيره.

كمية الجراحات التي أصابت جعفر يوم شهادته

قال أبو نعيم في حلية الأولياء[١]: عن ابن عمر قال: كنت مع جعفر «عليه السلام» في غزوة مؤته فالتمسنا جعفراً فوجدنا في جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنة ورمية.

وعنه قال: فقدنا جعفراً يوم مؤته فطلبناه في القتلى فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعاً وتسعين، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

وعن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكنا في تلك الغزوة غزوة مؤته قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم قاتل حتى قُتل، وعن ابن إسحاق قال: أنشأ جعفر يقول شعراً:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها علي إن لاقيتها ضرابها[٢]

قال ابن عبد البر في الاستيعاب[٣]: ثم غزا جعفر «عليه السلام» مؤته سنة (٨) من الهجرة فقتل فيها.

قال الزبير: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨ هجرية فأُصيب بها جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» حتى قُطعت يداه جميعاً ثم قُتل فأبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: رأى النبي ﷺ في النوم جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحاً ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، وروي أربعة وخمسون، والأول أثبت، الخ.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١١٧.
(٢) الاستيعاب ١/ ٨٥.
(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٨٣٣.

نعي جعفر والنياحة عليه:

قال في الأستيعاب: ولما أتى النبي ﷺ نعي جعفر، أتى أمرأته أسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر، ودخلت فاطمة «عليها السلام» وهي تبكي وتقول: وا عماه! فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبكي البواكي، الخ.

وهذا الحديث مشهور عند الحفاظ من أهل السنة رواه أهل السير كلهم منهم ابن إسحاق والحلبي والدحلاني وغيرهم.

قال المحب الطبري في ذخائر العقبى[١]: عن انس: إن النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً قبل أن يجيء خبرهم، وعيناه تذرفان، خرجه في الصفوة.

وعن عائشة: لما جاء نعي جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف الحزن في وجهه، متفق على صحته.

وعن اسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه، دخل علي رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منيئاً - وفي رواية: منيئة - وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم فقال رسول الله ﷺ: آتيني ببني جعفر، فأتيته بهم وذرفت عيناه فقلت: يا رسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، قتل اليوم هو وأصحابه، قالت: فقمنا وأجتمع النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم، ثم ذكر بعده الحديث الذي فيه «على مثل جعفر فلتبك البواكي».

تسليم جعفر على النبي ﷺ بعد شهادته ورد النبي ﷺ عليه سلامه:

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة[٢]: عن ابن عمر قال: كنا مع النبي ﷺ فرفع رأسه إلى السماء فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقال الناس: يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟ فقال ﷺ: مر بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي.

وفي الجزء الرابع من فوائد أبي سهل بن زياد القطان، عن ابن عباس: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ قال: يا أسماء! هذا جعفر بن أبي طالب قد مر مع جبرئيل وميكائيل فردي «عليه السلام»، الحديث.

وفيه: فعوّضه الله عن يديه جناحين يطير بهما حيث شاء، الخ، والأحاديث بهذا مروية بكثرة.

---

(١) ذخائر العقبى: ص٢١٨.

(٢) الإصابة ١/ ٢٣٨.

مكانة جعفر ومنزلته عند أمير المؤمنين «عليه السلام»:

قال الحافظ بن عبد البر في الأستيعاب والعسقلاني في الإصابة[١] ولفظه: عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر قال: ما سألت علياً «عليه السلام» فأمتنع فقلت له بحق جعفر إلّا أعطاني.

الأفتخار بجعفر الطيار

والحق إن جعفراً لم يكن مفخراً لبني هاشم خاصة بل هو فخر العرب والمسلمين قاطبة من حيث شجاعته الباهرة وإنه ثبت أمام جيش عدته مائة ألف رجل - كما نص عليه ابن أبي الحديد وغيره - وهو في جيش عدته ثلاثمائة يزيدون قليلاً عشراً أو ثلاثة عشر وقد حاولوا الرجوع والتقهقر فقوى عزمهم وثبتهم فوقف تجاه ذلك الجيش اللجب لم يتزعزع حتى تزعزع الجبال الرواسي، ولن يزول أو تزول الشم الرواسخ ثم لم يكتفي بهذا الثبات المدهش حتى عقر الشقراء وأقبل نحو المنية راكضاً على قدميه فقطعت يده اليمنى فالتزم اللواء والسيف باليسرى فقطعت اليسرى فضم الباقي منهما على اللواء لكيلا يسقط فيتضعضع عسكره حتى ضرب على يافوخه بالسيف فسقط هو واللواء فهذا هو موقف الفخر وهذه هي الفعلة الحميدة التي توجب التنويه والثناء على مجد الماجد ومثل هذا المجاهد الكبير الذي علم الناس كيفية التفادي للدين وكيف يكون الدفاع عن الإسلام وأظهر من الحماس العربي الذي يسمى بالحفاظ ما لم يعهد صدوره من عربي قبله.

نعم، لم تزل الحماة من بني هاشم مظهر كل مكرمة وأعجوبة من عجائب الحروب الهائلة ولا عجب لمن كان أخوه علي بن أبي طالب «عليه السلام» وابن عمه محمد ﷺ وعمه حمزه وأبوه أبو طالب أن يكون في الشجاعة المثل الأعلى وفي الثبات مفخراً وقدوة وتعويض الله تعالى له الجناحين عن اليدين ما أبقى له ولولده ورهطه ولكل عربي مفتخراً باقياً على ممر الاحقاب، وحري بمن افتخرفيه أئمة الهدى كأمير المؤمنين علي المرتضى والحسن المجتبي والحسين شهيد كربلاء وغيرهم من عظماء بني هاشم أن يكون له الصدر في أندية الفخار والكرسي الأول في مجتمعات الفضائل.

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء[٢]: إن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين

---

(١) الإصابة: ص٣٢٧.

(٢) معجم الأدباء ٥/ ٣٦٦.

علي بن أبي طالب «عليه السلام»: إن لي فضائلاً: كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام وأنا صهر رسول الله وخال المؤمنين وكاتب الوحي، فقال: أميرالمؤمنين «عليه السلام»: أبا الفضائل تفتخر علي ابن آكلة الأكباد؟ أُكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعُرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكموا إلى الإسلام طراً ... وليداً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غداً بظلمي

قال: فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤوه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب، إنتهى.

ورواها من حفاظ أهل السنة الحافظ الهيثمي الشافعي في الصواعق المحرقة[١] واسقط منها بيت الغدير ولكنه قال: قال البيهقي إن هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي «عليه السلام» حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام.

ورواه كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مطالب المسؤول[٢] وأورد البرهان الحلبي الشافعي في سيرته[٣] منها بيتاً واحداً وهو: (سبقتكموا إلى الإسلام) ورواها مفتي الشافعية زيني دحلان في سيرته على هامش الحلبية[٤] كلفظ الهيثمي ورواه الحافظ محمد بن يوسف البلخي الشافعي في كتاب مناقب الثلاثة علي والحسن والحسين «عليهم السلام»[٥].

وأفتخر به أبو محمد الحسن بن علي «عليهما السلام» في مجلس معاوية بقصة مطولة، وأفتخر به سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» يوم كربلا، رواه كمال الدين ابن طلحة في مطالب السؤول[٦] ورواها غيره من العلماء وهو قوله:

---

(١) الصواعق المحرقة: ص٧٩.
(٢) مطالب السؤول: ص١١.
(٣) السيرة الحلبية ١/ ٣٩٤.
(٤) سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: ص٢٠٣.
(٥) مناقب الثلاثة: ص١١.
(٦) مطالب السؤول: ص٧٣.

أنا ابن علي الطهر من آل هاشمٍ كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى ونحن سراج الله للخلق نزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي والخير يُذكر
ونحن ولاة الأمر نسقي محبنا بكأس رسول الله ماليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ومبغضنا يوم القيامة يخسر

وأفتخر به الإمام زين العابدين في مجلس يزيد بن معاوية وذلك حين أمر يزيد الخطيب أن يرقى المنبر ويشتم علياً «عليه السلام» فقام زين العابدين «عليه السلام» وخطب أبلغ خطبة قال في جملتها: أيها الناس! أُعطينا ستاً وفضلنا بسبع: أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد ﷺ والصديق علي «عليه السلام» ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسد رسوله ومنا سبطا هذه الأمة ومنا مهديها، الخ، وهذه قد رواها جماعة منهم الفاضل المجلسي وابن شهر اشوب وغيرهما.

وروى المجلسي في البحار[1] عن زر بن حبيش قال: سمعت محمد بن الحنفية «رضي الله عنه» يقول: فينا ستة خصال لم تكن في أحد ممن كان قبلنا ولم تكن في أحد بعدنا: منا محمد سيد المرسلين وعلي سيد الوصيين وحمزة سيد الشهداء والحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة وجعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ومهدي هذه الأُمة يصلي خلفه عيسى ابن مريم، إنتهى.

وهذا الباب واسع لا يسعنا إيراد أكثر مما ذكرنا، وإلا فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» أفتخر به في مقامات عديدة واحتج به على أهل الشورى في أمر البيعة.

مقدار سن جعفر حين قُتل وتأبينه وبعد الأتفاق على إنه قُتل سنة (٨) للهجرة

كلمة وجيزة لأحد الآباء اليسوعيين في ذكر جعفر:

قال الأب لويس في شرح مجاني الأدب[2]: أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب

(١) الخصال: ص٣٢٠، عنه بحار الأنوار ٢٢/ ٢٨٠ ح٣٣.
(٢) شرح مجاني الأدب ١/ ٤٣.

كان من متقدمي الإسلام هاجر إلى الحبشة وكان هو وأصحابه سبب إسلام النجاشي وارتفق المسلمون بجعفر واعتضدوا به وكان أميرهم في الهجرة، وهناك ولد ابنه عبد الله ثم قدم من الحبشة هو ومن صحبه من المهاجرين ومن دخل في الإسلام هناك وجاؤوا في سفينة في البحر فقدموا على رسول العرب في خيبر فاسهم منها لهم ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين، ثم سكن جعفر المدينة مدة حتى تولى قيادة جيش لغزو مؤتة في الشام بعد زيد، فقُتل هو وزيد فيها سنة (٨) هـ سنة (٦٣٠م)، وقيل: كان جعفر خير الناس للمساكين ينقلب بهم فيطعمهم ما كان في بيته وكان له يوم توفي إحدى وأربعين سنة، إنتهى.

وهذا التقدير لسنه بعينه عن ابن عبد البر في الاستيعاب وفي الإصابة: أُستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر، مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة (٨هـ) في جمادى الأولى وكان اسن من أخيه علي «عليه السلام» بعشر سنين فأستوفى أربعين سنة وزاد عليها على الصحيح، الخ.

وقال ابوالفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين[١] في حديث علي بن عبدالله الجعفري: قُتل وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وهذا عندي شبيه بالوهم لأنه قُتل سنة (٨) من الهجرة وبين ذلك الوقت ومبعث النبي ﷺ (٢١) سنة وهو أسن من أخيه علي «عليه السلام» بعشر سنين وقد كان لعلي «عليه السلام» حين أسلم سنون مختلف فيها، فالمكثر يقول كانت سنه (١٥) والمقل يقول سنه (٧) وعلى أي الروايات قيل علم إنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين، إنتهى.

تأبين جعفر

كثير منه قول حسان بن ثابت الأنصاري في قصيدة أوردها ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق[٢]، منها:

رأيت خيار المسلمين تواردوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسدٍ ... بمعترك فيه قنا متكسر

(١) مقاتل الطالبيين: ص٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٠.

فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائق أخضر
فكنا نرى في جعفر من محمد وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزال ومفخر
هموا جبل الإسلام والناس حوله رضام إلى طود يروق ويبهر
بهاليل منهم جعفر وابن أُمه علي ومنهم أحمد المتبختر
وحمزة والعباس منهم ومنهموا عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

أولاد جعفر الطيار

أختلف النسابون في عددهم فقيل: ثلاثة، وعليه أقتصر المحب الطبري في ذخائر العقبى وقيل أكثر وهو الصحيح ولعل المحب أقتصر على المشاهير منهم وإن كان بعيداً.

قال سبط ابن الجوزي[١] والديار بكري في تاريخ الخميس مثل قول المحب فعدوا عبد الله الجواد وعوناً ومحمداً.

وأما الداوودي فقال في عمدة الطالب[٢]: ولد جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» ثمانية بنين وهم عون ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر وحميد وحسين وعبد الله الأصغر وعبد الله الأكبر وأُمهم أجمع أسماء بنت عميس الخثعمية.

أما محمد الأكبر فقُتل مع عمه أمير المؤمنين «عليه السلام» بصفين.

وأما عون ومحمد الأصغر فقُتلا مع ابن عمهما الحسين «عليه السلام» بالطف.

هكذا في النسخة عبدالله ثلاثة ويصحح هذا الغلط بعون الأكبر وعون الأصغر.

وجملة شهداء الطف من ولد جعفر الطيار على مختلف الروايات في ذلك ومجموع ما ورد في المقاتل ستة نفر:

(١) عون الأكبر بن جعفر الطيار وهو زوج أم كلثوم بنت أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو أكبر هاشمي استشهد مع الإمام الحسين «عليه السلام» بكربلاء فإنه لدة الحسين «عليه السلام» وفي سنه، ولد بالحبشة وهو صاحب القبر المشهور بين سدة الهندية وكربلاء كما سيجيء تحقيقه في الفصل الثالث من هذا الكتاب في

(١) تذكرة الخواص: ص١٠٨. (٢) عمدة الطالب: ص٣.

جغرافية كربلاء، عون هذا الذي ذهب عامة المؤرخين من أهل السنة أنه أُستشهد بتستر مع أخيه محمد الأكبر وقد ذكرنا في كتابنا «الميزان الراجح» في ترجمة أم كلثوم ما في هذا القول من التناقض وعليه فلا يصح قتله بتستر.

(٢) محمد الأصغر بن جعفر الطيار.

(٣) محمد بن عبد الله بن جعفر الطيار وأُمه زينب الحوراء «عليها السلام».

(٤) عبد الله بن عبد الله بن جعفر.

(٥) القاسم بن محمد بن جعفر الطيار وهو الذي زوجه الحسين «عليه السلام» أم كلثوم بنت عمه عبد الله بن جعفر وامها زينب الحوراء وهي التي خطبها يزيد بن معاوية فامتنع الحسين «عليه السلام» من تزويجها له وزوجها من القاسم فكانت هذه القصة مما أكدت حقد يزيد على الحسين «عليه السلام».

فهؤلاء ستة نفر[1]، إذا رجحنا رواية من يروي أن الطفلين القتيلين بالمسيب هما من ولد عبد الله بن جعفر على رواية من يقول هما من ولد مسلم بن عقيل يكون مجموع شهداء بني الطيار ثمانية.

ولعل قائلاً يقول: الأقتصار على الأقل متيقن والأكثر مشكوك فيه، فنقول أن القائل بالأكثر مثبت والقائل بالاقل نافي والمثبت مقدم على النافي وهذه قاعدة معمول بها عند الفريقين السنة والشيعة.

فممن نص عليها وأستدل بها الصدوق القمي أعلى الله مقامه ذكر في إكمال الدين في قصة مطولة يحتج في إثبات ولد الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» على من نفى وجوده وهو الإمام المنتظر الحجة «عجل الله فرجه» وهذه عبارته: لا يجوز أن نشك في كل من يموت ولا عقب له ظاهراً، قيل له: لانشك في أن الحسن «عليه السلام» كان له ولد من عقبه شهادة من أثبت له ولداً من فضلاء ولد الحسن والحسين «عليهما السلام» والشيعة الأخيار، لأن الشهادة يجب قبولها هي شهادة المثبت لا شهادة النافي وإن كان عدد النافين أكثر من عدد المثبتين إلى آخر كلامه، وأستدل بقصة خفاء ولادة موسى «عليه السلام».

ولا شك أن القاعدة إجماعية عند الشيعة مقررة في أصول الفقه وكذلك هي عند السنة نص عليها محمد بن إبراهيم اليماني الشافعي في الروض الباسم وغيره من علمائهم وإيراد كلامهم تطويل وسيأتي لهذه القاعدة مزيد إيضاح.

---

(١) وهم كما ترى خمسة نفر ولم يذكر المؤلف الشخص السادس.

أعمام العباس الأكبر «عليه السلام» الذين هم أعمام أبيه وهم ولد عبد المطلب

أعمام العباس الأكبر «عليه السلام»

أختلف النسابون في عددهم وضبط أسمائهم على أقوال ثلاث:

(١) هم عشرة وهو المشهور.

(٢) اثنى عشر.

(٣) ثلاثة عشر وهو الأقرب للصواب.

وقيل: إيراد أقوال النسابين ما الذي يقتضيه النظر الصحيح في الكثرة والقلة فالترجيح عندي للقول بالأكثر وذلك لأن النسابين والمؤرخين وأهل الحديث والتراجم قد أتفقوا على نذر عبد المطلب إن رزقه الله عشر بنين يدفعون عنه فيذبح أحدهم قرباناً للكعبة فلما تموا بعبد الله عشرة وفى بنذره، وهم يقولون أصغر إخوته لأمه لا أصغرهم على الاطلاق، فجاز أن يكون ولد عبد المطلب أولاد تم به العدد فكانوا اثني عشر غير عبد الله وخصوصاً ما ذكره أهل العلم بأتفاق منهم أن عبد المطلب عاش بعد موت ابنه عبد الله ثمان سنين وهو كافل رسول الله ﷺ هذه المدة ولم يبلغنا أن عبد المطلب في ظرفها قد اعتزل النساء أو عرض له عارض يمنعه من مقاربة النساء أو أن نساؤه الكثيرة عقمن جميعاً فما ولدن بعد ذلك فإذا انتفت هذه الأشياء جاز أن يولد له والنذر باستيفاء العدد المنذور لا يمنع الزيادة فلو نذر إنسان أن يذبح شاة إن رزقه الله عشرة دنانير أفلا يجوز أن يرزقه عشرين ديناراً؟!

وإذا انضم إلى هذه قاعدة المثبت مقدم على النافي وشواهد آخر مثل اتفاقهم أن حمزة رضيع رسول الله ﷺ ارضعتهما ثويبة بلبن ابنها مسروح وقالوا هذا في أوله وهذا في آخره، فيكون حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين.

وقالوا أيضاً: إن العباس بن عبد المطلب اسن من رسول الله ﷺ بسنتين

ويعدون من فضائله وقد سئل أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أكبر وأنا ولدت قبله وعليه فالحمزة والعباس أسن أشقائهما فإخوتهما فيهم من هو أصغر سناً من النبي ﷺ.

ويحصل من جميع هذه الأمور القطع بأنهم أكثر من عشرة.

قول من قال إنهم ثلاثة عشر:

منهم نقيب نقباء مصر أبو علي محمد بن القاضي أسعد بن علي الحسيني الجواني النسابة في «الشجرة المحمدية» التي ألفها لخزانة السلطان الناصر صلاح الدين: أعمام النبي ﷺ:

(١) أبو لهب عم النبي ابن عبد المطلب (٢) حجل عم النبي ابن عبد المطلب
(٣) قثم عم النبي ابن عبد المطلب (٤) عبد الكعبة عم النبي ابن عبد المطلب
(٥) الغيداق عم النبي ابن عبد المطلب (٦) ضرار عم النبي ابن عبد المطلب
(٧) حمزة عم النبي ابن عبد المطلب (٨) المقوم عم النبي ابن عبد المطلب
(٩) أبو طالب عم النبي ابن عبد المطلب (١٠) الزبير عم النبي ابن عبد المطلب
(١١) الحارث عم النبي ابن عبد المطلب (١٢) العباس عم النبي ابن عبد المطلب

هكذا ذكر النسابة ووالده ﷺ ثالث عشرهم.

وقال المحب الطبري في ذخائر العقبى[1]: كان له (يعني النبي ﷺ) اثنى عشر عماً بنو عبد المطلب، أبوه ﷺ ثالث عشرهم، الحارث وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير ويُكنى أبا الحارث وحمزة وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل ويسمى المغيرة، وقيل: كانوا أحد عشر فأُسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة، وقيل: عشرة وأُسقط الغيداق وحجل، وقيل: تسعة، ولم يذكر ابن قتيبة وابن إسحاق وأبو سعيد غيره.

وأمهاتهم شتى فحمزة والمقوم وحجل لام وهي هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، والعباس وضرار وقثم لام هي نثيلة بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط والحارث من صفية بنت حنيذ من بني عامر بن صعصعة وأبو لهب من لبنى بنت هاجر من خزاعة وعبد الله أبو النبي ﷺ وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة لام وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ولم يعقب منهم إلَّا

(١) ذخائر العقبى: ص١٧٦.

الأربعة: الحارث والعباس وأبو طالب وأبو لهب[١]، إنتهى.

والمراد بالعقب الباقي إلى اليوم وإلا فقد عقب غيرهم ولكنه انقرض كالزبير وعبد الله وحمزة.

قال القلقشندي في نهاية الأرب[٢]: وكان له من الولد اثنى عشر على عمود النسب: عبد الله أبو النبي ﷺ، وخارج على عمود النسب أبو طالب والزبير وعبد الكعبة وأُمهم فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم والعباس وضرار أُمهما نثيلة بنت جناب من ولد النمر بن قاسط وحمزة والمقوم وحجل وأُمهم هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأبو لهب وقثم والغيداق والحارث، الخ.

وأما السويدي في سبائك الذهب فكتابه ترتيب نهاية الارب كما صرح بذلك في ديباجته فلا يعد قوله قولاً مستقلاً.

وذكر الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار[٣] وسنذكر قوله فيهم في الأفراد وهم عنده اثني عشر ذكراً.

وفي السيرة الحلبية[٤]: أعمام النبي ﷺ اثنى عشر: الحارث وهو أكبر أولاد جده عبد المطلب وبه كان يُكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيراً، وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبي ﷺ وقيل: الحارث لا شقيق له، وحمزة وشقيقه المقوم - بفتح الواو وكسرها مشددة وسنذكر باقي كلامه في المفردات، وحجل - بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة العباس وشقيقه ضرار، وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب، وذكر بعضهم في أعمامه العوام، الخ، وعلى هذا القول فأولاد عبد المطلب أربعة عشر وأهل هذا القول كثيرون.

القائلون بالأقل:

ابن قتيبة في المعارف[٥] فجعلهم عشرة وأسقط عبد الكعبة وجعل الغيداق وحجل واحداً.

وابن إسحاق كما في السيرة الهشامية وهذا لفظه[٦]: وولد عشرة أولاد أتفاقاً وأثنى عشر وثلاثة عشر على خلاف في ذلك وستة نسوة أتفاقاً، قال ابن هشام:

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٧١ - ١٧٢. (٢) نهاية الارب: ص٢٧٨.
(٣) إسعاف الراغبين بهامش نور الإبصار: ص٨١.
(٤) السيرة الحلبية ٣/ ٣٥١.
(٥) المعارف: ص٥١. (٦) سيرة ابن هشام ١/ ١١٣.

فولد لعبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وستة نسوة: العباس وحمزة وذكر أسماء الباقين، وأسقط الغيداق وعبد الكعبة وذكر أسماء البنات وهن: صفية شقيقة حمزة وعاتكة وأُم حكيم البيضاء وأُميمة وأروى وبرة شقيقات أبي طالب وذكر نسب امهاتهم وسيأتي.

ووافقه ابن واضح اليعقوبي وابن شهر آشوب المازندراني في مناقبه والدياربكري في تاريخه وآخرون غيرهم، والمتحصل اثنى عشر سوى أبي طالب «عليه السلام».

شرفهم على الإجمال:

قال ابن واضح في تاريخه[١] بعد ذكر أسمائهم: ولكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد: حج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال: رجال كأنهم جمال جون بهؤلاء تمنع مكة.

وحج أكثم بن صفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون بالأرض جرانهم فقال: يا بني تميم! إذا أحب الله أن ينشأ دولة انبت لها مثل هؤلاء، هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال.

وقال الحافظ الماوردي في أعلام النبوة: وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر مطاع الأمر نجيب النسل حتى مر به أعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالاسد فقال: إذا أحب الله انشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الأنام وصاروا الأعلام وصار كل من قرب من رسول الله ﷺ من آبائه أعظم رياسة وتنوهاً وفضلاً وتألُّهاً، الخ.

قال أبو حيان التوحيدي في الأمتاع والمؤانسة[٢]: انصرف العباس بن مرداس السلمي من مكة فقال: يا بني سليم! إني رأيت أمراً وسيكون خيراً، رأيت بني عبد المطلب كان قدودهم الرماح الردينية وكأن وجوههم بدور الدجنة وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية وكأن منطقهم مطر الوبل على المحل وإن الله إذا أراد ثمراً غرس له غرساً، وإن أولائك غرس الله فتوقعوا ثمرته وتوكفوا غيثه وتفيئوا ظلاله واستبشروا بنعمة الله عليكم به، الخ.

قال ابن عساكر في التأريخ[٣]: قال ابن الكلبي لم يكن في العرب بنو اب مثل بني عبد المطلب ولا أشرف منهم ولا أجسم، شم العرانين تشرف أنوفهم قبل شفاههم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٨.
(٢) الأمتاع والمؤانسة ١/ ٧٦.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩١.

وعمومة العباس «عليه السلام» وهم عمومة أبيه ولد عبد المطلب قسمان: قسم حاز شهرة عظيمة ورياسة ضخمة وبقي ذكره حتى اليوم وقسم له شهرة في عصره وأما اليوم فقد تلاشت واضمحلت ولم يبق إلَّا ذكره في الكتب النادرة ولا يعرفه إلَّا علماء الأنساب والمؤرخون المطلعون، ونذكر هذا القسم أولاً والمشاهير أخيراً.

(١) ضرار بن عبد المطلب:

قال ابن إسحاق: أم ضرار والعباس نثيلة بنت جناب بن كلب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

في تاريخ ابن عساكر[١]: وضرار بن عبد المطلب وكان أفضل فتيان قريش جمالاً وسخاءاً ومات أيام أُوحي إلى النبي ﷺ ولا عقب له.

وقال ابن قتيبة في المعارف: وأما ضرار بن عبد المطلب فمات قبل الإسلام وكان يقول الشعر ولا عقب له.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين: وأما ضرار فإنه مات أيام أُوحي إلى النبي ﷺ ولم يسلم وكان من فتيان قريش جمالاً وسخاءا، إنتهى.

ومثله في جوهرة الكلام: ص(٤٥) تأليف السيد محمود بن وهيب البغدادي الحنفي.

وقد بيّنا مراراً أن أهل هذا البيت على التوحيد كأنهم وهم على دين إبراهيم الخليل «عليه السلام» فمن لم نعلم كفره حكمنا بإسلامه والقاعدة تقتضي أن من كان على شيء ثبت عليه حتى يعلم يقيناً مفارقته له، وهذا ما يسميه أهل علم أصول الفقه بالاستصحاب ويعضد هذا الأصل قاعدة اليقين لا يزول إلَّا بيقين مثله وفي بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ أخفى أكثر المسلمين إسلامهم للضغط الشديد على مظهر الإسلام وعقوبة من تفوه به وبالأخص آل عبد المطلب لتكالب قريش عليهم لأن النبي ﷺ منهم.

(٢) المقوم بن عبد المطلب شقيق حمزة:

قال ابن إسحاق: وأم حمزة والمقوم وحجل وكان يلقب الغيداق لكثرة ماله وسعة خيره وصفية هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، الخ.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩١.

وقوله الغيداق هو حجل يخالفه به أكثر النسابين.

قال ابن قتيبة في المعارف: وأما المقوم بن عبد المطلب فلم يدرك الإسلام ولا عقب له وكانت له بنت تسمى هند تحت عبد الله بن مسروح أخي بني سعد بن بكر ابن هوازن، إنتهى.

وفي الإصابة أنها أم عبد الله بن مسروح وهذا لفظه[١]: عبد الله بن أبي مسروح بن عمرو بن سعد بن بكر وأُمه بنت المقوم بن عبد المطلب، الخ.

قال الحلبي في سيرته: حمزة وشقيقه المقوم - بفتح الواو وكسرها مشددة - ومثله قال الصبان في إسعاف الراغبين، وذكره ابن حبيب في المحبر[٢] أن له ثلاث بنات.

وقال السيد محمود بن وهيب الحنفي في جوهرة الكلام[٣]: إنه لم يدرك الإسلام وقد ولد له وانقطع عقبه.

وقال السيد عباس نور الدين المكي في نزهة الجليس[٤]: وحمزة والمقوم وقيل المقرام أُمهم هالة بنت وهيب بنت عم أُمه ﷺ.

(٣) جحل بن عبد المطلب:

بالجيم قبل الحاء كما ضبطه قوم كذلك، وقيل: حجل بتقديم المهملة على المعجمة كما ذهب إليه آخرون.

قال الصبان في إسعاف الراغبين: جحل بتقديم الجيم المفتوحة الساكنة وقيل بتقديم الحاء على الجيم الساكنة ويسمى المغيرة.

وقال في موضع آخر: وأما جحل فولد له وانقطع عقبه وكذلك المقوم.

وقال الحلبي في سيرته[٥]: وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة، والجحل السقاء الضخم وقيل بتقديم الحاء المفتوحة على الجيم وهو في الأصل الخلخال، إنتهى.

وعلى التفسير الأول الجحل إناء من الطين كبير يعرف عند عوام أهل البصرة القرويين بالجحلة والحجل بكسر الحاء مصاغ من ذهب أو فضة تجعله المرأة في رجلها عوض الخلخال لأنه لا صوت له، والعوام يفرقون بين الحجل والخلخال بالتصويت وعدمه فالمصوت الخلخال.

---

(١) الإصابة ١/ ٣٦٧.
(٢) المحبر: ص٦٤.
(٣) جوهرة الكلام: ص٩٥.
(٤) نزهة الجليس ٢/ ٢٠.
(٥) السيرة الحلبية ٣/ ٣٥١.

قال السهيلي في الروض الانف[١]: جحل بتقديم الجيم على الحاء هكذا في رواية الكتاب، وقال الدارقطني هو بتقديم الحاء، والحجل السقاء الضخم والحرباء، ثم ذكر الخلاف في إسمه وقال: جحل لقب والجحل ضرب من اليعاسيب، قاله في كتاب العين، إنتهى.

ولحجل ابن يقال له قرة كان شاعراً ذكر السيد عباس نور الدين المكي في نزهة الجليس[٢]: فائدة في عدة اعمام النبي ﷺ: نظم قرة بن حجل بن عبد المطلب أورده العلامة السيوطي في المحاضرات، فقال:

أعدد ضراراً إن أردت فتى ندا ... والليث حمزة واعدد العباسا
واعدد زبيراً والمقدم بعده ... والصخر جحلاً والفتى الرآسا
وأبا عتيبة فأعددته ثامناً ... والقرم عبد مناف الحماسا
والقرم غيداقاً وعد جحاجحاً ... سادوا على رغم العدو الناسا
والحارث الفياض ولى ماجداً ... أيام نازعه الهمام الكاسا
ما في الأنام عمومة كعمومتي ... خيري ولا كأُناسنا أُناساً

قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٣] بعد أن ذكر هذه الابيات لقرة بن جحل، قال: وكان الحمزة والمقرم والزبير وجحل أولاد لأصلابهم فماتوا.

(٤) عبد الكعبة بن عبد المطلب:

شقيق أبي طالب والزبير وعبد الله، أُمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة ومات عبد الكعبة قبل البعثة النبوية.

وجعل ابن واضح عبد الكعبة هو المقوم وهو خطأ قطعاً لأن المتفق عليه أن المقوم شقيق الحمزة وعبد الكعبة شقيق عبد الله والد النبي ﷺ نص عليه الحلبي وغيره.

قال الصبان في إسعاف الراغبين: وأما عبد الكعبة فلم يدرك الإسلام ولم يعقب.

وذكره السيد عباس نور الدين في نزهة الجليس[٤] وجعله شقيقاً لأبي طالب وعبد الله والزبير.

---

(١) الروض الانف: ص٧٨.
(٢) نزهة الجليس ٢/ ٢٠٣.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩١.
(٤) نزهة الجليس ٢/ ٢٠٣.

وذكره في جوهرة الكلام بمثله[١].

وكذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٢].

(٥) قثم بن عبد المطلب:

مات صغيراً وهو شقيق العباس وضرار على المشهور وشقيق الحارث عند بعض العلماء فعلى الرأي الأول أُمه نثلة وعلى الرأي الثاني أُمه صفية.

قال ابن واضح في تاريخه: أُمه صفية ومات صغيراً.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين بهامش نور الابصار[٣]: قثم - بقاف مضمومة فمثلثة مفتوحة -.

وقال[٤]: وأما قثم فمات صغيراً.

وقال الحلبي في سيرته: الحارث وشقيقه قثم هلك صغيراً.

وقال السيد عباس نور الدين المكي في نزهة الجليس[٥]: والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه يكنى وشقيقه قثم مات صغيراً.

وفي جوهرة الكلام[٦]: وأما قثم فمات صغيراً.

وذكر الحلبي عن الامتناع: لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجداً شديداً، فلما ولد رسول الله ﷺ وسماه قثم أخبرته أُمه امنه أنها أُمرت في منامها أن تسميه محمداً فسماه محمداً.

(٦) الغيداق بن عبد المطلب:

وهو لقب بالأتفاق وأختلف في إسمه فقيل: جحل وهو قول ابن إسحاق وابن واضح وهو ضعيف وقد مضى قول ابن إسحاق ويأتي قول ابن واضح وقيل: نوفل وقيل: مصعب وهو الراجح.

قال ابن واضح في تاريخه: والغيداق هو جحل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام، وأُمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي، الخ.

وكذلك قال ابن قتيبة: الغيداق هو حجل.

---

(١) جوهرة الكلام: ص٩٥. (٢) تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩٢.
(٣) إسعاف الراغبين بهامش نور الإبصار: ص٨١.
(٤) إسعاف الراغبين بهامش نور الإبصار: ص٨٤.
(٥) نزهة الجليس ١/ ٢٠٣. (٦) جوهرة الكلام: ص٥٥.

وقال الحلبي في سيرته: إسم الغيداق مصعب وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده أي لأنه كان أجود قريش وأكثرها مالاً.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين[١]: والغيداق بفتح الغين المعجمة وهو لقبه واسمه مصعب وقيل نوفل.

وقال[٢]: وأما الغيداق فكان من أجود قريش وأكثرها طعاماً ومالاً ولهذا لقب بالغيداق.

وقال السيد عباس بن علي نور الدين الموسوي المكي في نزهة الجليس[٣]: والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل وأُمه ممنعة بنت عمرو بن مالك.

وفي جوهرة الكلام[٤]: وأما الغيداق فكان أجود قريش وأكثرهم طعاماً ومالاً ولهذا لقب بالغيداق.

و[قال أيضاً][٥]: والغيداق بفتح الغين المعجمة وهو لقبه واسمه مصعب وقيل نوفل.

وقال ابن عساكر في تاريخه[٦]: والغيداق بن عبد المطلب واسمه مصعب وأُمه بنت عمرو بن مالك بن سويلم بن سويد بن مجد بن جبير بن عدي بن سلول بن عمرو بن خزاعة وأخوة لأمه عوف بن عبد عون بن عبد بن الحارث بن زهرة.

القسم الثاني من مشاهير ولد عبد المطلب:

وهم الباقون وقد تقدم أبو طالب في آباء العباس بن علي «عليهما السلام» ونحن نذكر ما بقي منهم إلى تمام اثنى عشر:

(٧) الحارث بن عبد المطلب:

وبه كان يُكنى، وهو أكبر ولد عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم والمنافرة مع قريش بسببها والمنافرة مع ثقيف وحرب بن أُميّة بسبب البئر التي حفرها عبد المطلب بالطائف.

وكانت أم الحارث سمراء بنت جندب بن حجير بن رئاب بن سواءة بن عامر بن صعصعة، الخ، وغيره يقول: اسمها صفية ويمكن أن يكون اسمها صفية ولقبها سمراء.

---

(١) إسعاف الراغبين: ص٨١.
(٢) إسعاف الراغبين: ص٨٤.
(٣) نزهة الجليس ٢/ ٢٠٣.
(٤) جوهرة الكلام: ص٩٥.
(٥) جوهرة الكلام: ص٨٨.
(٦) تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩١.

قال ابن قتيبة في المعارف: الحارث بن المطلب أكبر ولده وبه كان يكنى فهو أكبر ولده وشهد معه حفر زمزم.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين: وأما الحارث بن عبد المطلب وبه كان يكنى فلم يدرك الإسلام وأسلم أولاده، إنتهى.

ذكر أبو نعيم الأصبهاني الشافعي في دلائل النبوة في سلسلة حديث أصحاب الفيل وقال فيها[1]: فلما أصبحوا من الغد أصبح عبد المطلب ومن معه على جبالهم فلم يروا أحداً غشيهم فبعث ابنه على فرس له سريع ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون جميعاً فرجع يرفع رأسه كاشفاً عن فخذه فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلَّا بشيراً أو نذيراً فلما دنى من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت قالوا: ما ورائك؟ قال: هلكوا جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم فكانت أول أموال بني عبد المطلب من ذلك المال وقال عبد المطلب:

أنت منعت الحبش والأفيالا وقد رعوا بمكة الأميالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل أمر لهم معضالا
شكراً وحمداً لك ذا الجلالا

ثم يقول بعد كلام: وذكر أن عبد المطلب بعث بأبنه عبد الله فهو وهم من بعض النقلة لأن الزهري ذكر أن عبد الله بن عبد المطلب كان موته عام الفيل، وأن الحارث بن عبد المطلب كان أكبر ولد عبد المطلب وكان هو الذي بعثه على فرسه لينظر ما لقي القوم، الخ.

وما ذكره أبو نعيم مقبول لأتفاق المؤرخين على ولادة النبي ﷺ عام الفيل ووفاة أبيه وهو حمل.

أولاد الحارث بن عبدالمطلب:

هم ستة خمسة ذكور وبنت واحدة بأتفاق النسابين وهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والمغيرة، ونوفل، وعبد شمس، وربعة، والبنت أروى وهي التي شتمت معاوية شتماً بليغاً لما بلغها عنه أنه كان يسب علياً «عليه السلام» وبني هاشم وقصتها ذكرها الجاحظ في المحاسن والأضداد، والبيهقي في المحاسن والمساوئ.

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٤٤ طبع حيدر أباد.

قال ابن قتيبة والمحب الطبري والديار بكري وغيرهم: أما نوفل فشهد بدراً مع المشركين كُرهاً وأُسر ففداه عمه العباس ثم أسلم وهو أسن إخوته وأسن من أسلم من بني هاشم حتى العباس وحمزة، قاله المحب الطبري في ذخائر العقبى ومات في خلافة عمر بالمدينة سنة (١٥ هـ) وله عقب.

وأما أبو سفيان بن الحارث فكان لدة النبي ﷺ وهو ممن أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعت النبي ﷺ وحمزة «رضي الله عنه» ثم لما كبر كان أليفاً له ثم عاداه لما بعث بالرسالة وهجاه وكان شاعراً ثم أسلم وعفىٰ عنه وقربه وشهد معه حنينا وثبت فيمن ثبت واسمه كنيته على المشهور، وقيل أرضعته حليمة مع النبي ﷺ مات أيضاً بالمدينة أيام عمر بن الخطاب سنة (٢٠) هـ وليس له عقب، إنتهى.

ليس له عقب يعني مستطيل وإلا فقد ولد له ابنه الشهيد أبو الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب البطل الشجاع الفصيح المفوه وله مقام مشكور في مجلس معاوية بن أبي سفيان يشتم فيه عمرو بن العاص كما ذكره الحافظ الدمشقي في تاريخ الشام[1] وليس هذا موضع ذكرها وإن عزاها الجاحظ والبيهقي لابن عباس فما قاله ابن عساكر أقرب إلى الصحة واحرى بالصواب واستشهد أبو الهياج مع سيد الشهداء «عليه السلام» بكربلا.

قال ابن عساكر أيضاً وهذا نصه[2]: وقتل المترجم يعني عبد الله بكربلاء مع سيدنا الحسين «عليه السلام» في يوم عاشوراء سنة (٦١) هـ.

وأما ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتوفي في المدينة أيضاً سنة (٢٣) هـ في خلافة عمر بن الخطاب وهو أسن من العباس بن عبد المطلب، وشهد ابنه العباس بن ربيعة بن عبد المطلب الجمل وصفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو صاحب القصة المشهورة بصفين في مبارزة غرار بن أدهم فارس أهل الشام، وابنه الفضل بن العباس بن ربيعة شاعر بني هاشم.

وأما عبد شمس بن الحارث فمات بالصفراء في حياة رسول الله ﷺ وله عقب قليل وكثرة العقب لنوفل وربيعة.

وأما المغيرة بن الحارث فأسلم أيضاً وهاجر كإخوته وينبغي أن نحرر في هذا الموضوع ما ورد في كتب السير والتأريخ من التباين والأضطراب في بادئ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٤٣٨.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٤٣٩.

النظر وذلك أن بعضهم ذكر فيمن شهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» المغيرة بن الحارث ومنهم نصر بن مزاحم وتبعه آخرون على هذا ومن شعره فيها قوله[١]:

يا شرطة الموت صبراً لا يهوّلكم ... دين ابن حرب فإن الحق قد ظهرا
وقاتلوا كل من يبغي غوائلكم ... فإنما النصر في الضرا لمن صبرا
سيفوا الجوارح حد السيف واحتسبوا ... في ذلك الخير وأرجوا الله والظفرا
وأيقنوا إن من أضحى يخالفكم ... أضحى شقياً وأضحت نفسه خسرا
فيكم و صي رسول الله قائدكم ... وأهله وكتاب رسول الله قد نشرا
ولا تخافوا ضلالاً لا أبا لكم ... سيحفظ الدين والتقوى لمن صبرا

أورد منها ابن أبي الحديد في شرح النهج[٢] ثلاثة أبيات وقال: إنها للمغيرة بن الحارث.

وعند آخرين إن الذي شهد صفين مع علي «عليه السلام» هو المغيرة بن نوفل بن الحارث وأهل هذا القول كثيرون منهم ابن قتيبة والمحب الطبري والمؤرخان الكبيران وبن عبد البر وابن حجر العسقلاني وهو عندهم الذي رمى القطيفة على ابن ملجم «لعنه الله» وقبض عليه وهو المتولي لعقد الصلح والمهادنة بين الحسن «عليه السلام» ومعاوية.

والآمر مضطرب عند حملة الأثر ولم أجد من تنبه لهذا فأزال مشكل هذه القصة المشوشة وربما يضطر الناظر إلى طرح أحد القولين اعتماداً على قاعدة التعارض في الأقوال المتباينة والتحقيق عندي الجمع بأن يكون العم وابن الأخ كل واحد منهما شهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» والشعر الذي رواه نصر للعم لا أشك في ذلك والمتولى لعقد الهدنة والقابض على ابن ملجم «لعنه الله» وهو ابن الأخ وهو الذي خرج مع الحسين «عليه السلام» إلى العراق ليشهد معه كربلاء فأصابه مرض فأقسم عليه الحسين «عليه السلام» بالرجوع إلى المدينة فرجع من الطريق.

قال المرزباني في معجم الشعراء: المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب كان مع الحسين «عليه السلام» فاصابه مرض في الطريق فعزم «عليه السلام» أن يرجع فرجع، فلما بلغه قتله قال يرثيه:

---

(١) وقعة صفين: ص٣٠٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ٥٠.

أحزنني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان
أفردني من تسعة قتلوا بالطف أضحوا رهن أكفان
وستة ليس لهم مشبه بني عقيل خير فرسان
والمرء عون وأخيه مضى كلاهما هيج أحزاني
من كان مسروراً بما نالنا وشامتاً يوماً فمل الآن

ترجمنا للمغيرة بن نوفل في كتابنا «الميزان الراجح» ترجمة أوعبنا فيها وفاتنا هذا البيان هناك فأستدركناه هنا والله ولي التوفيق.

أبو لهب عبد العزى:

ابن عبد المطلب الأحول المشؤوم حطب النار سارق غزالي الكعبة المشرفة عدو الله وعدو رسوله كان شر خلق الله زنديقا ملحدا من مشاهير زنادقة العرب يحذو في زندقته وإلحاده حذو أبي جهل المخزومي وعتبة بن ربيعة الأموي وينحو منحاهما في شدة الوطأة على المسلمين والأذى لرسول الله ﷺ وكان من المستهزئين بالنبي ﷺ وكان متجاهراً بالفجور أحد العهار المشاهير والسكيرين والمقامرين، وكان متمولاً مثرياً، وهو مع ذلك فقد كان جميلاً صبيحاً جواداً سمحاً شجاعاً مقداماً رئيساً مسوداً وممدوحاً، تمدحه الشعراء وتقرضه الأدباء، وزوجته حمالة الحطب وهي أم جميل العوراء بنت حرب بن أُميّة عمة معاوية بن أبي سفيان شر انثى على وجه الأرض.

في السيرة الهشامية[1] قال ابن إسحاق: أبو لهب إسمه عبد العزى وأُمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس[2]: أبو لهب إسمه عبد العزى قيل كناه به أبوه لحسنه وإشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان ناراً، كذا في العمدة.

وقال ابن قتيبة في المعارف[3]: وأما أبو لهب فأسمه عبد العزى ويكنى أبا عتبة، وكان أحول، وقيل له أبو لهب لجماله، أصابته العدسة فمات بمكة وهو سارق غزال الكعبة وكان من ذهب.

وقال الحلبي في سيرته[4]: ثم إن الغزالة «يعني غزالة الكعبة» سرقت وبيعت

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٣.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٩١.
(٣) المعارف: ص٥٥.
(٤) السيرة الحلبية ١/ ٣٨.

من قوم تجار قدموا بخمر وغيرها وقد ذكر أن أبا لهب مع جماعة نفذت خمرهم في بعض الأيام وأقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة الكعبة واشتروا بها خمراً وطلبتها قريش فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب أبو لهب هرب إلى أخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشاً ومن ثم كان يقال لأبي لهب سارق غزالة الكعبة، إنتهى.

له قصة مطولة مدحه بسببها ابن غانم العدوي ومدح أباه عبد المطلب وإخوته بني عبد المطلب ذكرها ابن أبي الحديد[١] في ترجمة عبد المطلب، تركناها.

قال الحلبي في سيرته[٢]: كان أبو لهب يطرح القذر على باب رسول الله ﷺ ومر يوماً من الأيام فرآه أخوه حمزة وقد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفض برأسه ويقول: صابئي أحمق.

وقال رسول الله ﷺ كنت بين شر جارين: أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي.

مهلك أبي لهب:

بعد غزوة بدر ولم يشهدها فإنه بعث عنه بديلا.

في السيرة الهشامية[٣] قال ابن إسحاق: كان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا يصنعون لم يتخلف رجل إلَّا بعث مكانه رجلاً فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً.

قال «يعني أبو رافع»: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، قال: فقال له أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال فجلس والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلَّا أن لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيض على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء.

---

(١) ابن أبي الحديد ٣/ ٤٥٩.
(٢) السيرة الحلبية ١/ ٢٤٤.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٥.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تللك والله الملائكة.

قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فأحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته وضربته به ضربة قلعت في رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته إن غاب عنه سيده «تعني العباس»، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلَّا سبع ليالي حتى رماه الله بالعدسة فقتله.

زاد الحلبي[١]: العدسة هي بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى الحائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه لأن العدسة قرحة كانت العرب تنشأم بها ويرون أنها تعدي أشد العدوى، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه بقي بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى أنتن، فلما خافوا البسة في تركه فعلوا به ما ذكر.

وفي رواية: حفروا له ثم دفعوه بعود في حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

قال في النور: هذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة إلى الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس لما أصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا الفاعل فمسكوهما بعد أيام فصُلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن، إنتهى.

والعدسة هي التي تسميها العوام حب الحرم، يتشأمون به ويعتزلون المصاب به خوفاً من العدوى.

أولاد أبي لهب:

اتفق النسابون أنهم ثلاثة ذكور، وأختلوا في الإناث فقيل: اثنان: درة وسبيعة، وقيل: واحدة، وأحدهما إسم والآخر لقب.

قال: في تاريخ الخميس: وجملة أولاده أربعة: عتبة وعتيبة ومعتب ودرة ثم ذكر حديث أبي هريرة في سبيعة وقال: إن كان درة وسبيعة واحدة فالأولاد أربعة وإن كانت غيرها فهم خمسة ثلاثة ذكور وبنتان، الخ، وجزم في ذخائر العقبى بالأربعة وفيهم درة[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٢٠٠.

(٢) ذخائر العقبى: ص٢٤٨.

أما ابن قتيبة في المعارف[١] فلفضه: وولد عتبة وعتيبة ومعتب وبنات وأُمهم أم جميل بنت حرب بن أُميّة حمالة الحطب وهي أخت أبي سفيان بن حرب وعمة معاوية ثم ذكر أن عتبة افترسه الأسد بدعوة رسول الله ﷺ وسنذكرها عن غيره، ثم ذكر أن عتيبة ومعتب أسلما يوم الفتح وشهدا حنيناً مع النبي ﷺ وهذا معلوم عند العلماء.

وشهد عتيبة و معتب صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» نص عليه ابن عبد البر وغيره.

أما الذي أفترسه الأسد بدعوة رسول الله ﷺ فأختلف فيه: فقيل هو عتيبة وعليه قوم من المؤرخين وقيل هو عتبة - مكبرا - وهو المشهور وذاك هو الراجح.

قال الحلبي في سيرته[٢]: ولما نزلت هذه السورة التي هي: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٣]، قال أبو لهب لابنه عتبة - أي بالتكبير - فإنه أسلم يوم الفتح: رأسي من رأسك حرام إن لم تفارق ابنة محمد - يعني رقية - فإنه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوه عتيبة - بالتصغير - متزوجاً أم كلثوم ولم يدخل بها فقال: وأراد الذهاب إلى الشام: لآتين محمداً فلأوذينه في ربه، فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم وفي لفظ برب النجم إذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم بصق في وجه النبي ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها، فقال النبي ﷺ: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك - وكان أبو طالب حاضراً - فوجم لها.

فقال: ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة؟

فرجع عتبة إلى أبيه أبي لهب فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه إلى الشام في جماعة فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم: إن هذه الأرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: إنكم قد عرفتم نسبي وحقي، فقالوا: اجل، فقال: أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فأجمعوا أمتعتكم إلى هذه الصومعة ثم أفرشوا لابني عليه ثم أفرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم فأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله.

وفي رواية: فضغمه ضغمة فكانت إياها فقال أبوه: قد عرفت والله ما كان يفلت من دعوة محمد.

---

(١) المعارف: ص٢٥٥.
(٢) السيرة الحلبية ٢/ ٢١٧.
(٣) سورة المسد: ١.

ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق «عليه السلام» قيل له: هذا فلان ينشد الناس هجائكم - يعني أهل البيت - بالكوفة، فقال لذلك القائل: هل علقت من قوله شيء؟ قال: نعم، فأنشد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

(٩) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم:

رجل بني هاشم في العصر الجاهلي وسيدهم بعد أبي طالب وفي الحقيقة أولاد عبد المطلب كلهم عظماء سادات أشراف قريش وزعماؤهم لكنهم يتفاضلون بحسب عظم الأقدار وأجلهم عند العرب في الجاهلية قدراً وأعظم في أنفسهم أبو طالب ثم الزبير ثم عبد الله والد النبي ثم حمزة ثم أبو لهب ثم العباس هكذا كان ترتبهم في السؤدد والمجد في الدور الجاهلي ولكل واحد من الباقين شرف كما سمعت.

فالزبير بن عبد المطلب في غاية النباهة والصيت وعظم القدر والجلالة وأجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من قريش والعرب من الأوصاف الجميلة والمآثر الكريمة والأخلاق الفاضلة والسجايا المحمودة فقد كان رئيساً وقائداً، قاد قريشاً في حرب الفجار فإن القائد المطلق لهم فيها أبو طالب وينوب عنه أخوه الزبير إذا غاب.

وكان شاعراً مجيداً وخطيباً مفلقاً وجواداً متلافاً وشجاعاً مقداماً ووفياً يحمي الجوار ويمنع المستجير وينفي الظلم وينتصف للمظلوم وما ترك بمكة مظلمة إلّا ردها، وهو صاحب حلف الفضول، وهو الذي أجار التميمي على حرب بني أمية.

وبالجملة فقد قام الزبير بأعمال كلها مفاخر.

قال في تاريخ الخميس: يكنى أبا الحارث وكان من أشراف قريش، وفي تارخ ابن واضح: هو أبو الطاهر.

قال ابن قتيبة في المعارف[1]: وأما الزبير بن عبد المطلب فكان من رجالات قريش في الجاهلية وكان يقول الشعر وهو القائل شعراً:

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

الحمس كنانة وقريش.

---

(١) المعارف: ص٥٥.

وكان يكنى أبا الطاهر.

وقال الآمدي في المختلف والمؤتلف[١]: الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد كريم وشاعر محسن، وهو القائل شعراً:

وقد علمت قريش أن بيتي بحيث يكون فضل من نظام
وإنّا نحن أكرمها جدوداً وأصبرها على العجم العظام
وإنّا نحن أولى من تسنى بمكتنا البيوت مع الحمام

وله أشعار حسان في كتاب بني هاشم.

وقال ابن أبي الحديد: قال الزبير بن بكار: وأما الزبير بن عبد المطلب فكان من أشراف قريش ووجوهها وهو الذي استثناه بنو قصي على بني سهم حين هجا عبد الله بن الزبعري بني قصي فأرسلت بنو قصي عتبة بن ربيعة فقال لهم: إن قومكم كرهوا أن يعجلوا عليكم فأرسلوني اليكم في هذا السفيه الذي هجاهم في غير ذنب اجترموا إليه فإن كان ما صنع عن رأيكم فبئس الرأي رأيكم وإن كان عن غير رأيكم فأدفعوه اليه.

فقال القوم: نبرأ إلى الله أن يكون عن رأينا.

قال: فأسلموه إليهم.

فقال بعض بني سهم: إن شئتم فعلنا على أن من هجانا منكم دفعتموه إلينا.

فقال عتبة: ما يمنعني أن أقول ما تقول إلّا أن الزبير بن عبد المطلب غائب بالطائف وقد عرفت أنه سيفرغ لهذا الأمر ولم أكن أجعل الزبير خطراً لابن الزبعري.

فقال قائل منهم: أيها القوم! ادفعوه إليهم فلعمري إن لكم مثل الذي عليكم.

فكثر في ذلك الكلام واللغط.

فلما رأى العاص بن وائل ذلك دعا برمة فأوثق بها عبد الله بن الزبعري ودفعه إلى عتبة بن ربيعة، فأقبل به مربوطاً حتى أتى له قومه، فأطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ثم ذكر شعره في مدح بني قصي وسنذكره.

وقال: وقدم الزبير بن عبد المطلب من الطائف فقال قصيدته التي يقول فيها «ولولا الحمس» وقال الزبير ابن عبد المطلب:

قومي بنو عبد مناف إذا أظلم من حولي بالجندل

(١) المختلف والمؤتلف: ص١٣٠.

لا أسد لن يسلموني ولا تيم ولا زهرة للنيطل
ولا بنو الحارث إن مر بي يوم من الأيام لا ينجلي
يا أيها الشاتم قومي ولا حق له عندهم أقبل
إني لهم جائر لئن أنت لم تقصر عن الباطل أو تعدل

قيادة الزبير بن عبد المطلب لقريش وكنانة في حرب الفجار

والفجارات أربعة كلها بين قريش وكنانة وبين فيس عيلان، أشهرها وأفضعها الفجار الأخير الذي هاجه قتل البراض الكناني لعروة الرحال العامري وتعددت أيام هذه الفجار ووقائعه وتلفت فيها نفوس كثيرة من الفريقين.

قال ابن أبي الحديد[١] فيما حكاه عن الجاحظ: قال أبو عثمان: إن رؤساء قبائل قريش خرجوا إلى حرب بني عامر متساندين، فكان حرب بن أُميّة على بني عبد شمس وكان الزبير بن عبد المطلب على بني هاشم وكان عبد الله بن جدعان على بني تميم وكان هشام بن المغيرة على بني مخزوم وكان على كل قبيلة رئيس منها فكانوا متكافئين في التساند ولم يحقق واحد منهم الرياسة على الجمع ثم اب هاشم بما لم تنله يد متناول ولا يطمع فيه طامع.

إن النبي ﷺ قال: شهدت الفجار وأنا غلام فكنت أنبل فيه على عمومتي.

فنفى مقامه «عليه السلام» أن تكون قريش هي التي فجرت، وثبت أن الفجور كان ممن حاربهم وصاروا بيمنه وبركته ﷺ لما يريده الله تعالى من إعزاز أمره وإعظامه الغالبين العالين، ولم يكن الله ليشهده فجره ولا غدره فصار مشهده نصراً وموضعه فيها حجة ودليلاً.

وقال ابن واضح في تاريخه[٢]: وكان على كل قبيلة رئيس وعلى بني هاشم الزبير بن عبد المطلب وقد روي أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بني هاشم وقال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة وأستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من أهلي، فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرهاً.

وقال عبد الله بن جدعان وحرب بن أُمية: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم فخرج الزبير.

وقيل: إن أبا طالب كان يحضر في بعض الأيام ومعه رسول الله ﷺ فإذا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٤٥٦.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١١.

حضر هزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره، فقالوا: يا بن مطعم الطير وساقي الحجيج! لا تغب عنا فأنا نرى مع حضورك الظفر والغلبة.

قال: فأجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم.

قالوا: ذلك لك، فلم يزل حتى فتح الله عليهم.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: شهدت الفجار مع عمي أبي طالب وأنا غلام.

وروى بعضهم أنه شهد الفجار وهو ابن ثلاثين سنة، وطعن أبا براء ملاعب الأسنة فأرداه عن فرسه وجاء الفتح من قبله.

هرب حرب بن أُميّة من الزبير بن عبد المطلب

ذكر البيهقي في المحاسن والمساوئ، والجاحظ في المحاسن والأضداد، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ولفظ الجاحظ عن ابن عباس قال: قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع بني أُميّة ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت، فقال: يا بن عباس، من الناس؟ قلت: نحن، قال: فإذا غبتم؟ قلت: فلا أحد، قال: فإنك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم؟ قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال: بمن كان مثل حرب بن أمية، قلت من كفأ عليه إنائه وأجاره بردائه؟ قال: فغضب وقال: أرحني من شخصك شهرا، قد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك.

فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: إلَّا تسألوني ما الذي أغضب معاوية؟ قالوا: بلى، قل بفضل علمك.

قال: إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلَّا تقدمه حتى يجوزه، فلقيه يوماً رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب: أنا حرب بن أُمية فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكة، فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن امية؟ فقيل له: عبد المطلب، فقال: عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب، فأتى ليلاً إلى دار الزبير بن عبد المطلب فطرق بابه فقال الزبير لعبده: قد جاءنا رجل إما طالب قرى وإما مستجير، وقد أجبناه إلى ما يريد ثم خرج الزبير إليه فقال التميمي شعراً:

لاقيت حرباً في الثنية مقبلاً والصبح أبلج ضوءه للساري
نادى ملياً واكتنى ليروعني وسما علي سمو ليث ضاري

فتركته كالكلب ينبح ظله وقصدت قرم معالم وفخار
ليثاً هزبراً يُستجار بعزّه رحب المباءة مكرّماً للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذو الأحجار والأستار
إن الزبير لما نعى من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام إليه فلطمه، فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب وقال: أجرني من الزبير، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قال له: أخرج، قال: وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم؟! فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرفان خضراوان، فخرج عليهم فعلموا أن أباهم قد أجاره، فتفرقوا عنه، إنتهى.

وابن أبي الحديد يذكر أن هذه المحاورة بين يزيد ومعاوية وابن عباس في مجلس معاوية وأن يزيد أفتخر على ابن عباس بآبائه، فقال ابن عباس: بأي آبائك تفتخر؟ بعبد شمس الذي كفلناه؟ أم بامية الذي ملكناه؟ أم بحرب الذي أجرناه؟ وساق القصة وفيها بيان حال عبد شمس وأنه عيال على هاشم وحالة أُميّة لما نافر هاشماً فملكه عبداً، ثم هذه القصة.

كما ذكرنا تأسيس الزبير بن عبد المطلب قانون الانتصار للمظلوم واحداثه قاعدة الأجتماع على مكافحة الظلم والعدوان بعقد حلف بين القبائل يُدعى بـ«حلف الفضول» ولهذه النهضة المحترمة أسباب ودواعي شتى حركت عواطف هذا الرجل العظيم وأثارت شعوره فنهض لمكافحة المسيطرين على ضعفاء البشر وقمع عاديتهم وكبح جماحهم فإن في مكة أناس لهم السلطة والسيطرة وهم أهل بغي وعدوان يغتصبون الأموال والفروج للفجور من التجرة والقادمين إليها للأعتمار مثل أبي جهل في بني مخزوم، وأُبي بن خلف في بني جمح والعاص بن وائل ونبيه بن الحجاج في بني سهم.

وقصة هذا الحلف مشهورة ذكرها جماعة منهم المسعودي واليعقوبي وابن إسحاق وابن أبي الحديد وكون الداعي إلى هذا الحلف هو الزبير بن عبد المطلب أمر منصوص.

قال المسعودي في مروج الذهب[1]: كان الحلف في ذي القعدة بسبب رجل

(١) مروج الذهب ١/ ٢٩٦.

من بني زبيد من اليمن كان باع له سلعة من العاص بن وائل السهمي فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعاً صوته منادياً يقول:

يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الحي والنفر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لي يومي لابس الغدر

فمشت قريش بعضها إلى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وأجتمعت قريش في درا الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن أجتمع بها من قريش بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فأتفقوا على أنهم ينتصفون للمظلوم من الظالم فساروا إلى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هناك ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب شعراً:

حلفت لنعقدن حلفا تميماً وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يبلغه الغريب لذي الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنّا أُباة الضيم نهجر كل عار

إنتهى.

زاد اليعقوبي في القبائل المتحالفة: أسد بن عبد العزى وهي زيادة صحيحة، وأسقط ابن إسحاق بن الحارث بن فهر.

قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: كان هذا الحلف في بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن العزى وبني زهرة وبني تيم بن مرة فتعاقدوا في دار ابن جدعان في شهر حرام قياماً يتماسحون بأكفهم صعداً ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه ما بل بحر صوفة وفي التأسي في المعاش والتساهم بالمال وكانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب ولعبد الله بن جدعان أما ابن جدعان فلأنه عقد في داره أما الزبير فلأنه هو الذي نهض فيه ودعا إليه وحث عليه وهو الذي سماه «حلف الفضول»، ثم ذكر قصة الزبيدي وقال بعد البيتين: فحمى وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون قريش يمنعون القوي من ظلم الضعيف والقاطن من عنف الغريب ثم ذكر شعر الزبير المتقدم، ثم قال: فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف بـ«حلف الفضول» وهم الذين كانوا سببه والقائمين به دون جميع القبائل العاقدة له، والشاهدة لأمره، قال أبو عثمان: وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً أبياً وجميلاً مهيباً وكان شاعراً خطيباً وسيداً جواداً، وهو

الذي يقول:

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا
ثيابهموا شمال[1] أو عباء بها دنس كما دنس الحميت
ولكنا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت
وكاس لو تبين لهم كلاماً لقالت إنما لهموا سبيت
تبين لنا القذى إن كان فيها رصين الحلم يشربها هبيت
وتقطع نخوة المختال عنا رقاق الحد ضربته صموت
بكف مجرب لا عيب فيه إذا التقما الكريهة يستميت

قال: والزبير هو الذي يقول:

وأسحم من راح العراق مملأ محيط عليه الجيش جلد مرائره
صبحت به طلقاً يساق إلى الندى إذا ما انتشى لم يختصره معاقره
ضعيف بجنب الكاس قبض بنانه كليل على جلد النديم أظافره

قال: وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته وكانت عند العاص ابن وائل، وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أُبي بن خلف الجمحي وفي ذلك يقول البارقي:

يأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بني جمح والحق يؤخذ بالغضب

وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج السهمي قتولاً الحسناء بنت التاجر الخثعمي وكان كابره عليها حين رأى جمالها، وفي ذلك يقول نبيه:

وخشيت الفضول حين أتوني قد أراني ولا أخاف الفضولا
إنني والذي يحج له شمط أياد وهللوا تهليلا

وفيها يقول:

لولا الفضول وإنه لا أمن من عروائها
لدنوت من أبياتها ولطفت حول خبائها

في رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات ولم يكن يظلم بمكة إلَّا رجال أقوياء ولهم العدد والعارضة منهم من ذكرنا قصته ثم ذكر هذه القصة بصفة مفصلة لا

---

(١) جمع شملة معروفة.

يحتمل هذا الكتاب إيرادها، وقد ذكرناها في كتابنا «السياسة العلوية»، وإن أردت أخذها بلا واسطة فأطلبها في رسائل الجاحظ[١].

شاعرية الزبير بن عبد المطلب

قد عرفت أنه كان عربياً قحاً ذا عبقرية وشعره فحل ذا جزالة وهو بين الجودة على مذاهب العرب ومسالكها الأدبية في ضخامة الألفاظ وشظف القوافي إلَّا أنها محكمة رصينة وقد سمعت بعض أشعاره ولعله أول عربي أسس تأبين الرجل الشريف لنفسه قد عقد لذلك فصلاً صاحب الأغاني، فقول الزبير بن عبد المطلب في تأبين نفسه بديع جداً وهو كما قال وصدق في القول:

يا ليت شعري إذا ما حمتي وقعت ما ذا تقول ابنتي في القول تنعاني
تنعى أباً كان معروف الدفاع عن الـ ـمولى المضام وفكاكاً عن العاني
ونعم صاحب عان كان رافده إذا تضجع عنه العاجز الواني

ومن شعره ينفي الظلم في حلف الفضول:

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا إن لا يقيم ببطن مكة ظالم

وقوله يرقص النبي ﷺ وهو طفل ذكره السهيلي في الروض الآنف وحيث أن القصة عند القالي مطولة وهي تمثل مقدرة الزبير الأدبية أوردناها عن القالي ونصه في أماليه[٢] باسناده إلى رافع بن بكار ونوح بن دراج قالا: دخل النبي ﷺ على عمه الزبير بن عبد المطلب وهو صبي فأقعده في حجره وقال:

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم
ودولة ومغنم في فرع عز أسنم
مكرمٌ معظم دام سجيس الأزلم[٣]

ثم دخل عليه العباس بن عبد المطلب وهو غلام فأقعده في حجره وقال:

إن أخي عباس عف ذو كرم فيه عن العوراء إن قيلت صمم
يرتاح للمجد ويوفي للذمم وينحر الكوماء في اليوم الشمم

ثم دخل عليه ضرار بن عبد المطلب وهو أصغر من العباس، فقال:

ظني بمياس ضرار خير ظن أن يشتري الحمد ويغلي في الثمن

---

(١) رسائل الجاحظ: ص٧١، الطبعة الأولى بمصر.
(٢) أمالي القالي ٢/ ١١٥.
(٣) أي: أبد الدهر.

ينحر للأضياف ريان السمن ويضرب الكبش إذا البأس ارجحن

ثم دخلت عليه ابنته أم الحكم فقال:

يا حبذا أم الحكم كأنها ريم أحم

يا بعلها ماذا يشم ساهم فيها فسهم

ثم دخلت عليه جارية له يقال لها أم مغيث، فقالت: مدحت ولدك وبني أخيك ولم تمدح بني مغيثاً، فقال: علي به عجلية، فجاءت به، فقال:

وإن ظني بمغيث إن كبر أن يسرق الحج إذا الحج كثر

ويوقر الأعيار من قرف الشجر ويأمر العبد بليل يعتذر

ميراق شيخ عاش دهراً غير حر

أولاد الزبير بن عبد المطلب

له ولدان ذكران مات أحدهما صغيراً في الجاهلية وهو الذي به يُكنى، ولم يذكره النسابون لموته صغيراً، وثانيهما أدرك الإسلام فالذي توفي صغيراً هو الطاهر وبأسمه سمى رسول الله ﷺ ولده الطاهر وللزبير بنتان هما ضباعة وأم الحكم، وقيل: واحدة وأحدهما كنية والصحيح أنهما اثنان.

ففي ذخائر العقبى[1]: جملتهم ثلاثة: عبد الله وابنتان أم الحكم ويقال أم حكيم وضباعة وأم عبد الله عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومية أدرك الإسلام وثبت مع النبي ﷺ يوم حنين فيمن ثبت يومئذ، ذكره الدار قطني فقتل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر ثم ذكر أنه قاتل رومياً فضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب فقطع السيف الدرع وأسرع إلى منكبه ووجد عبد الله مقتولاً في ربضة من الروم عشرة، الخ وذكرنا ترجمته مفصلة في كتابنا «السياسة العلوية» وكانت سنه ثلاثون سنة ولم يعقب فأنقرض عقب الزبير بن عبد المطلب.

ويظهر من كلام محمد بن حبيب النسابة أن له ولداً يسمى علياً، ولعلي ولد يسمى عتيقاً، وهذا لفظه في كتاب المحبر[2]: تزوجت أم سفيان بنت إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الأسد بن مالك بن حسل عتيق بن علي بن عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، إلى آخر ما هناك وفيه ذكر أزواجها.

أما البنتان فذكر ابن قتيبة في المعارف أن أم الحكم كانت تحت ربيعة بن

---

(١) ذخائر العقبى: ص٢٤٨. (٢) المحبر: ص٤٥٣.

الحارث بن عبد المطلب، ولم يذكر ضباعة على أنه ذكر في ترجمة المقداد بن عمرو البهرائي المعروف بابن الأسود الكندي أن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أم ولده معبد بن المقداد وهذا هو المشهور بل المتفق عليه والمنصوص عند علماء الرجال، وقتل معبد بن المقداد يوم عائشة يوم الجمل ولأمير المؤمنين «عليه السلام» كلام يذمه فيه ويمدح أباه المقداد وذلك حين وقف عليه قتيلاً، ذكره الشيخ المفيد وغيره.

(١٠) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم والد رسول الله ﷺ

أجمل فتى في العرب وأفصحهم وأظرفهم، وأجمعهم لخصال الخير ومحاسن الأخلاق وأعلاهم سناءاً ومجداً، وأشرفهم حسباً، وهو عند عرب الجاهلية أعظم ولد أبيه بعد أخويه أبي طالب والزبير شقيقه وعند عرب الإسلام أعظم الكل بشرف رسول الله ﷺ وولادته إياه وهو أحب ولد أبيه عبد المطلب إليه وأحب إخوته إلى أخويه أبي طالب والزبير.

أما خصال الخير المجتمعة في عبد الله فالشجاعة والسخاء وفصاحة اللسان والجمال البديع والوفاء والعفة والآباء وحماية النزيل والجار والذب عن العشيرة والدفاع عن المظلوم وما شابه هذه الخصال ثم كانت له منقبة لم يدركها الأولون ولم ينل مثلها الآخرون وهي ولادة رسول الله ﷺ وهو سيد من مضى وسيد من بقي من ولد آدم إلى يوم القيامة.

قال السويدي في سبائك الذهب: يكنى أبا قثم، وقيل أبا محمد، وقيل أبا أحمد.

وفي السيرة الهشامية[1]: كان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه «يعني إخوته لأمه» كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

وفي تاريخ الخميس[2]: قال أصحاب السير والتواريخ كانت ولادة عبد الله بن عبد المطلب لأربعة وعشرين سنة من ملك كسرى أنو شروان، وكان يوم ولد عبد الله علم بمولده جميع أحبار الشام وذلك أنه كانت عندهم جبة صوف بيضاء وكانت الجبة مغموسة في دم يحيى بن زكريا وكانوا قد وجدوا في كتبهم إذا رأيتم الجبة البيضاء والدم يقطر منها فأعلموا أن أبا محمد المصطفى قد ولد تلك الليلة

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٤٣.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ٢٠٦.

وقدموا بأجمعهم إلى الحرم و أرادوا أن يغتالوا عبد الله فصرف الله شرهم عنه ورجعوا إلى بلادهم ولم يكن يقدم عليهم أحد من الحرم إلَّا سألوه عن عبد الله فيقولون: تركناه نوراً يتلألأ في قريش فتقول الأحبار: ليس ذلك النور لعبد الله إنما ذلك النور لمحمد ﷺ.

قال: فخرج عبد الله أجمل قريش، فشغفت به كل نساء قريش وكِدْنَ أن تذهل عقولهن، فلقى عبد الله في زمنه من النساء ما لقى يوسف في زمنه من أمرأة العزيز وكان عبد الله يخبر أباه بما يلقى من العجائب يقول: يا أبت! إني إذا خرجت إلى بطحاء مكة وصرت على جبل بثير خرج من ظهري نوران أخذ أحدهما شرق الأرض والآخر غربها ثم إن ذينك النورين يستديران حتى يصيرا كالسحابة ثم تنفرج لهما السماء فيدخلان فيها ثم تخرجان ثم يرجعان في لمحة واحدة، وإني لأجلس في الموضع فأسمع فيه من تحتي: «سلام عليك أيها المستودع ظهره نور محمد ﷺ»، وإني لأجلس في الموضع اليابس أو تحت الشجرة اليابسة فتخضر وتلقي علي أغصانها فإذا قمت وتركتها عادت إلى ما كانت.

فقال له عبد المطلب: إبشر يا بني فإني أرجوا أن يخرج الله من ظهرك المستودع المكرم فأنا قد وعدنا ذلك وإني قد رأيت قبلك رؤيا كلها تدل على أنه يخرج من ظهرك أكرم العالمين.

وكان عبد الله أبو النبي ﷺ كلما أصبح وذهب ليدخل على صنمهم الأكبر صاح كما تصيح الهرة ونطق وهو يقول: ما لنا ولك أيها المستودع ظهره نور محمد ﷺ الذي يكون هلاكنا و هلاك أصنام الدنيا على يديه، إنتهى.

وذكر هذه الأرهاصات من علمائنا «رضوان الله عليهم» ابن شهرآشوب «نوّر الله مرقده» في كتاب المناقب[1].

تحيُّل اليهود على الفتك بعبد الله ومحق الله لهم وظهور شجاعة عبد الله وثباته الباهر

في تاريخ الخميس[2]: روي أنه خرج عبد الله يوماً إلى قنصه وقد قام عليه تسعون رجلاً من أحبار الشام معهم السيوف المسمومة أن يغتالوه ويقتلوه وكان وهب بن عبد مناف أبو آمنة صاحب قنص أيضاً، قال: فلما نظرت إلى الأحبار قد أحدقوا بعبد الله وعبد الله يومئذ وحده تقدمت إليه لأعينه عليهم، فنظرت إلى رجال

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١/ ١٦.
(٢) تاريخ الخميس ١/ ٢٠٧.

لا يشبهون رجال الدنيا على خيل شهب قد حملوا على الأحبار حتى هزموهم عن عبد الله، الخ.

وقال الفاضل المجلسي «رحمه الله» في بحاره[1]: من قصة مطولة ذكر فيها حفلة القسس والرهبان التي أقاموها في سوريا وعقدوا جلسة خاصة أجتمع فيها علماؤهم للمفاوضة في كيفية التخلص من نبي العرب قبل أن يولد فاتفق رأيهم على تأجيل هذه المفاوضة إلى أن يطالعوا رأي أكبر حبر لهم يقطن شرق الأردن لم يحضر جلسة لهم ولا مفاوضة فساروا إليه وفاوضوه في كيفية التخلص من نبي الإسلام العربي قبل أن يولد وأعلموه أنهم على أهبة واستعداد للمسير إلى مكة للفتك بأبيه وأغتياله قبل أن يخرج ذلك النبي العربي السافك لدماء العبرانيين الذي يستأصل الصهيونية اليهودية، فخالف رأيه آراءهم محتجاً بأن الأمر الرباني لا يقاومه شيء وأن هذا النبي لابد من ظهوره على الرغم من أنف مبغضيه فالحراسة الإلٰهيّة تصاحب أباه كما تصاحبه إذا ولد ولكن المعارض له وهو الشقي المسمى هيوبا حاز كل أصوات اليهود بالموافقة له فكان رأيه المعمول به عندهم في هذه الجلسة الأخيرة ودحض رأي ذلك الحبر المثقف السديد فأجمعوا برئاسة هيوبا الفاجر على قصد مكة بزي التجار ليرصدوا بها عبد الله فيوقعوا به غيلة وفتكاً، فساروا بالرغم من نصيحة ذلك الحبر العاقل ونهيه إياهم وبالرغم أيضاً من نصيحة الهاتف الذي أسمعهم قوله وهم في الطريق:

قصدتم لأزر القوم في السر والجهر ... تريدون مكراً بالمعظم في القدر
ومن غالب الرحمٰن لا شك أنه ... سيرديه باريه بقاصمة الظهر
ستضحون يا شر الانام كأنكم ... نعام اسيقت للذباحة والنحر

ثم قال في سياق تلك القصة المطولة: وكان عبد الله قد رأى رؤيا فقصها على أبيه فقال: رأيت سيوفاً مجردة في أيدي قردة وهي قعود على أدبارها وأنا أنظر إليهم وهم يهزون السيوف يشيرون بها إليّ فبينما أنا كذلك إذا نار من السماء فوقعت على القردة فأحرقتهم، فقال أبوه: وقاك الله شر ما تحاذر من الحساد والأضداد فإن الناس يحسدونك على هذا النور الذي في وجهك ولكن لو أجتمعت أهل الأرض إنسها وجنها لم يقدروا على شيء لأنه وديعة من الله لخاتم الأنبياء

---

(١) بحار الأنوار٦/ ٢٩.

وهاهنا أحبار من اليهود من الشام وفيهم الحكمة والمعرفة فقم معي حتى اقصن عليهم رؤياك، فقبض عبد المطلب يد ولده عبد الله ودخلا عليهم فلما نظر إليه الأحبار وهو كأنه البدر نظر بعضهم إلى بعض وقالوا هذا الذي نطلبه.

قال: فلما قص عليهم عبد المطلب الرؤيا زادهم حنقاً وقال له هيوبا: أيها السيد! إنها أضغاث أحلام وأنتم سادة كرام وليس لكم معاد ولا مضاد.

ثم انصرف عبد المطلب بولده وأقاموا أياماً وكان عبد الله مغرماً بالصيد وكان إذا خرج إلى الصيد لا يرجع إلَّا ليلاً، فخرج ذات يوم وحده فخرجوا ورائه من حيث لا يشعر بهم أحد وقد أخفوا سيوفهم تحت ثيابهم والعبد أمامهم حتى أوقفهم على عبد الله وكان عبد الله قد صاد حمار وحش فهو يسلخه فما أحس عبد الله إلَّا وقد أحاطوا به وكانوا قد أفترقوا فرقتين وزعموا أنهم قد حكموا عليه فرفع عبد الله رأسه إلى السماء ودعا الله وأقبل إليهم وقال: ما شأنكم؟ فوالله ما بسطت يدي إلى واحد منكم بمكروه ولا اغتصبت لكم مالاً، واليهود عدد كثير لم يبن منهم إلَّا الحدف، فلم يردوا جواباً وأشار بعضهم إلى بعض وهموا بالهجوم عليه فجعل نبلة في كبد قوسه ورمى بها نحوهم فأصابت رجلاً منهم فوقع ميتاً فرماهم بأربعة نبال أصابت أربعة رجال، وأنشأ يقول:

ولي همة تعلو على كل همة وقلب صبور لا يروع بالحرب

ثم ركب فرسه وأخذ قوسه وعطف على ناحية المضيق فلما رآه القوم قد أقبل يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وهو يكر فيهم وكلما رمى رجلاً خر صريعاً، فنزل عن فرسه واستند إلى المضيق وقد أقبلوا إليه من كل جانب وهم يرمونه بالحجارة فبينما هو كذلك وإذا برجال أقبلوا وبأيديهم السيوف مشهورة وهم مسرعون وإذا هم بنو هاشم وفتيان مكة وكان أخبرهم الخبر رجل يقال له وهب بن عبد مناف لأنه أشرف عليهم في المعركة فهم أن ينزل فخاف على نفسه من كثرتهم فأتى الحرم ونادى في بني هاشم فلما رآهم اليهود أيقنوا بالهلاك فهرب منهم جماعة والتجأوا إلى جبل وظنوا أنهم قد نجوا ولحقهم عبد المطلب وأصحابه وقتلوا منهم أُناساً كثر، والقصة مطولة هذبنا منها هذا المقدار حسب الوسع والإمكان.

نذر عبد المطلب والعزم على ذبح ابنه عبد الله ففداه الله بمائة من الإبل

روى الكراجكي «رحمه الله» في كنز الفوائد والماوردي الشافعي في أعلام النبوة واللفظ متفق ولكنه للأخير[١] عن صالح بن كيسان أن عبد المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكور ورآهم بين يديه رجالاً أن ينحر أحدهم للكعبة شكراً لربه حين علم أن إبراهيم أمر بذبح ولده تصورا من أنه أفضل قربة فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من أظهر العدد قال لهم: يا بني! ما تقولون؟ قدكنت نذرت نذراً علمتموه قبل اليوم، قالوا: الأمر إليك ونحن بين يديك.

فقال: لينطلق كل واحد منكم إلى قدحه وليكتب عليه اسمه.

ففعلوا ثم أتوه بالقدح فأخذها وجعل يرتجز:

عاهدته وأنا موف عهده والله لا يحمد شيء حمده
إذ كان مولاي وكنت عبده نذرت نذراً لا أحب رده
ولا أحب أن أعيش بعده

ثم دعا بالأمين الذي يضرب القداح فدفع إليه قداحهم وقال: حرك ولا تعجل وكان عبد الله أحب ولد عبد المطلب إليه فضرب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب الشفرة فأُتي بعبد الله واضجعه بين امساق ونائلة وأنشأ مرتجلاً:

عاهدته وأنا موف نذره والله لا يقدر شيء قدره
هذا بني قد أردت نحره وإن يؤخره ليقبل عذره

وهم بذبحه فوثب أبو طالب وكان أخا عبد الله لأبيه وأُمه وأمسك يد عبد المطلب بن أخيه وأنشأ مرتجزاً يقول:

كلا ورب البيت ذو الأنصاب ما ذبح عبد الله بالتلعاب
يا شيب إن الريح ذو عقاب إنا لنا الخيرة في الخطاب
أخوال صدقٍ كأُسود الغاب

فلما سمعت مخزوم هذا من أبي طالب وكانوا أخواله قالوا: صدق ابن

---

(١) أعلام النبوة: ص١٢٦.

أختنا ووثبوا إلى عبد المطلب فقالوا: يا أبا الحارث! إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره.

فقال: إني نذرت نذراً وقد خرج القدح عليه ولا بد من ذبحه.

قالوا: كلا لا يكون ذلك أبداً وفينا روح وإنّا لنفديه بجميع أموالنا من طارف وتالد، وأنشأ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزاً يقول:

يا عجباً من فعل عبد المطلب وذبحه ابناً كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ما ذبح عبد الله فينا باللعب
فدون ما يبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب وقالوا: يا أبا الحارث! إن هذا الذي عزمت عليه عظيم وإنك إن ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش من بعده ولكن لا عليك أنت على رأس أمرك تثبت حتى نسير معك إلى كاهنة بني سعد فما أمرتك من شيء فامتثله.

فقال عبد المطلب: لكم ذلك وكانوا يرون الكاهنة حقاً ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام إلى الكاهنة فلما دخلوا عليها أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ابنه وأرتجز:

يا رب إني فاعل لما ترد إن شئت ألهمت الصواب والرشد
يا سائق الخير إلى كل بلد قد زدت في المال وأكثرت العدد

فقالت الكاهنة: انصرفوا عني اليوم، فأنصرفوا وعادوا من الغد، فقالت كم دية الرجل عندكم؟

قالوا عشرة من الإبل.

قالت: فارجعوا إلى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعلى الإبل بالقداح فإن خرج القدح على الإبل فانحروها وإن خرج على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم.

فانصرفوا إلى مكة وأقبلوا عليه يقولون: يا أبا الحارث! إن لك في إبراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه على ذبح إسماعيل وأنت سيد ولد إسماعيل فقدم مالك دون ولدك.

فلما أصبح عبد المطلب غدا بإبنه عبد الله إلى الذبح وقرب معه عشرة من

الإبل ثم دعى بأمين القداح وجعل للأبل قدحاً ولابنه قدحاً وقال: اضرب ولا تعجل، فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله وجعلها ثلاثين وضرب فخرج القدح على عبد الله ولم يزل كذلك حتى بلغ بها مائة وضرب فخرج القدح على الإبل فكبر عبد الله وكبرت قريش وقالوا: يا أبا الحارث! قد أُنهي رضاء ربك وقد نجى ابنك من الذبح.

فقال: لا والله حتى أضرب عليه وعلى الإبل ثلاثاً، فضرب ثانية وثالثة فخرج على الإبل فعلم عبد المطلب إنه قد أُنهي رضاء ربه في فدا ابنه، فارتجز يقول:

دعوت ربي خلصاً وجهرا ... يا رب لا تنحر بني نحرا
وفادي بالمال تجد لي وفرا ... أعطيك من كل سوام عشرا
عفواً ولا تشمت عيوناً خزرا ... بالواضح الوجه المغشى بدرا
فالحمد لله الأجّل شكرا ... فلست والبيت المغطى سترا
مبدلاً نعمة ربي كفرا ... ما دمت حياً أو أزور القبرا

ثم قربت الإبل وهي مائة من جملة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركت في مواضعها لا يصد عنها أحد ينتابها من دب ومن درج فجرت السنة في الدية بمائة من الإبل إلى يومنا هذا، وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً فكان عبد الله يُعرف بالذبيح، ولذلك قال النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل بن إبراهيم وأباه عبد الله «عليهم السلام»، إنتهى.

وإني لأعجب كلما مررت بهذه القصة المدهشة في سيرة أو تاريخ لأُم عبد الله فاطمة إذ لم أكن أسمع لها بذكر وقد قدم عبدالله للذبح، أتراها كانت أصبر من الرجال؟ لا أظن هذا، أم أصابها الأغماء خوفاً على ولدها؟ هذا في نظري اصوب إذ المرأة للرقة والجزع أقرب.

عفة عبد الله وصيانته

ذكر عامة المؤرخين منهم الطبري وابن إسحاق والديار بكري وغيرهم ولفظ الماوردي في أعلام النبوة[1]: حكى أن كاهنة بمكة يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية قرأت الكتب فمر بها عبد الله مع أبيه عبد المطلب يريد أن يزوجه آمنة

(١) أعلام النبوة: ص١٣٢.

بنت وهب، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت: هل لك أن تغشاني وتأخذ مائة من الأبل؟ فعصمه الله تعالى من اجابتها وقال لها:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله ﷺ قال لها: هل لك فيما قلت؟ فلم تر ذلك النور في وجهه، فقالت له: قد كان لك ذلك قبل أما اليوم لا، ماذا صنعت؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب الزهرية، فقالت: قد أخذت النور الذي كان في وجهك، وأنشأت تقول:

الآن قد ضيعت ما كان ضاهرا عليك وفارقت الضياء المباركا
غدوت علينا خالياً فبذلته لغيري هنيئاً فالحقن بنسائكا
ولا تحسبن اليوم أمس وليتني رزقت غلاماً منك في مثل حالكا

وداخلها الأسف على ما فاتها والحسرة على ما تولى عنها، فحسدت آمنة على ما صار إليها، فأنشأت تقول:

إني رأيت مخيلة نشأت فتلألأ لأت كتلألؤ الفجر
ولما بها نور يضيء به ما حولها كإضاءة البدر
ورأيتها مبينا شرفاً ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت ثوبيك ما استلبت ولا تدري

وأنذرت بني هاشم فقالت:

بني هاشم قد غادرت من أخيكموا أُمنية إذ للباه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خموده فتائل قد ميتت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من بلاده بحزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل إذا ما طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جدان يعتلجان
ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك ثاني
سيكفيكه إما يد مقفعلة وإما يد مبسوطة لبنان

وهذا من آيات الله تعالى في رسوله أن عصم أباه حين كان في ظهره أن يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح ثم زالت العصمة بعد وضعه حتى عرض بالطلب بعد أن كان مطلوباً وراغباً بعد أن كان مرغوبا، إنتهى.

وقد أخطأ هذا العلامة الماهر في توجيه هذا الحديث من وجهين:

أولاً: إن طلب عبد الله منها أخيراً ما طلبته منه أولاً لم يكن عدولاً عن رأيه في العفة التي هي غريزة نفسية ومنعة عقل وعلم لحرمة الزنا كما هو صريح شعره، وإنما أراد أن يعرف لم بذلت هذه الامرأة على نفسها هذا المقدارالكثير من الإبل وإن العادة تقضي ببذل الرجل للمرأة فهل هذه الرغبة للجمال وطلب اللذة النفسية فقط؟ وهذا بعيد أم إنه لداع مهم يوجب الرغبة ولو يبذل هذا المقدار؟ فلما صارحها بالإجابة أخيراً استكشافاً منها ذلك أخبرته بأنها أيضاً عفيفة مصونة غير راغبة في الزنا ولا طالبة للذة ولم يدعها الجمال ولكنها تطلب ذلك النور الذي كان في وجهه.

ثانياً: إن عصمة الله التي صاحبته ما دام رسول الله ﷺ في صلبه غير ممتنع على الله أن يجعلها مصاحبة له إلى آخره إكراماً له ﷺ عن أن يلحقه دنس التعيير فإن عهر الآباء وصمة تعير به الأبناء كما عير حرب بن أُميّة بعهر أبيه أُميّة حتى قال نفيل له في مفاخرته لعبد المطلب:

أبوك معاهر وأبوه عف وذاد الفيل عن بلد حرام

وقد صان الله ورسوله وحماه عن كل عيب ووصمة تلحق نسبه الشريف فالماوردي مخطأ فيما قال.

جمال عبد الله المعجب:

قال الحلبي في سيرته[١]: وكان عبد الله أحسن فتى يرى في قريش وأجملهم، وكان نور النبي ﷺ يرى في وجهه كأنه الكوكب الدري حتى شغفت به نساء قريش ولقي منهن عناء، قيل: إنه لما تزوج آمنة لم تبق أمرأة من قريش إلَّا مرضت أسفاً على عدم تزوجها به.

و«قال»[٢]: كان عبد الله أحسن رجل في قريش خلقاً وخُلقاً وكان نور النبي ﷺ، في وجهه وفي رواية: كان أكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم إلى قريش.

وفي تاريخ الخميس[٣]: قال ابن عباس عن أبيه: إنه ليلة بنى عبد الله بآمنة أحصينا مائتي أمرأة من بني مخزوم وعبد مناف متن وخرجن من الدنيا ولم يتزوجن أسفاً على ما فاتهن من عبد الله، الخ.

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٤٢.
(٢) السيرة الحلبية ١/ ٣٥.
(٣) تاريخ الخميس ١/ ٢٠٨.

وحيث أن الاحاطة بأخبار هذا الرجل الزعيم تطول نكتفي بهذا وقد ترجمنا له في «الميزان الراجح» ترجمة مطولة وأجبنا عن جسارة المتجاسرين من أهل السنة على القول بكفره.

وفاة عبد الله

كثر الأختلاف في ذلك بين الناقلين والأقوال في ذلك كثيرة نقتصر على ما أورد الحلبي منها فإنه قال في سيرته[1] عن ابن إسحاق: لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي وأُم رسول الله ﷺ حامل به، وعليه أكثر العلماء، قيل: إن موت والده ﷺ بعد أن تم لها من حملها شهران وقيل: قبل ولادته بشهرين، وقيل: كان في المهد حين توفي أبوه ابن شهرين وذكر السهيلي أن عليه أكثر العلماء، وقيل: كان ابن سبعة أشهر، وقيل: ابن تسعة أشهر وعليه الأكثرون، وقيل: ابن ثمانية عشر شهراً، وقيل: ابن ثمانية وعشرين شهراً.

وكانت وفاته بالمدينة، خرج إليها ليمتار تمراً أو لزيارة أخواله بها، أي أخوال أبيه عبد المطلب بني عدي بن النجار، وقيل: خرج إلى غزة تاجراً في عير من عيرات قريش خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه أخاه الحارث فوجده قد توفي.

وفي أُسد الغابة: إن عبد المطلب أرسل إليه ولده الزبير وهو شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن في دار التابعة - بالتاء المثناة من فوق، والباء الموحدة والعين المهملة - وهو رجل من بني عدي بن النجار، الخ.

أما الطبري المؤرخ فردد بين كونها التابعة - بالتاء - أو دار النابغة - بالنون -.

موقع هذه الدار على ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ١/ ١٥١: قال المطري: وتبعه من بعده أن دار النابغة كانت غربي مسجد رسول الله ﷺ وهي دار بني عدي بن النجار، الخ.

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٥٥.

تأبين عبد الله

أبّنته زوجته آمنة بنت وهب أُم رسول الله ﷺ فقالت:

عفى جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها فقد كان معطاء كثير التراحم

. . . الخ، إن هذه الابيات بديعة وهي من التأبين المشجي والرثاء المحزن.

أولاد عبد الله:

لا خلاف بين العلماء إنه لم يعقب سوى سيد الكائنات نبينا محمد ﷺ وليس له ولد غيره لا ذكر ولا أنثى.

قال ابن قتيبة في المعارف: وأما عبد الله بن عبد المطلب فلم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ ذكر ولا أُنثى، وكان أخواله في المدينة فأتاهم فهلك بها وهو شاب، إنتهى، وهذا متفق عليه.

أولاد رسول الله ﷺ

فاختلف فيهم فقيل خمسة ذكور: أربعة من خديجة بنت خويلد «عليها السلام» وواحد من مارية إبراهيم، وأربعة بنات لا خلاف في ذلك وكلهن من خديجة وهن: زينب ورقية وأُم كلثوم وسيدة النساء فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ومنها كان نسل رسول الله ﷺ لقوله ﷺ - ورواه الحفاظ من علماء السنة -: إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وبعضهم يسقط الطاهر، ويجعله صفة وبعضهم يسقط الطيب، والصحيح أنهم خمسة ذكور وأربعة إناث، وهذه نبذة من كلمات العلماء:

قال ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي: وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة فولد له منها قبل مبعثه ﷺ القاسم ورقية وزينب وأُم كلثوم وولد له بعد البعثة الطاهر والطيب وفاطمة «عليهم السلام»، الخ.

وقال ابن شهراشوب في المناقب: ولده من خديجة: القاسم وعبد الله وهما

الطاهر والطيب وأربع بنات: زينب ورقية وأُم كلثوم وهي آمنة وفاطمة «عليه السلام» وهي أم أبيها ولم يكن له ولد من غيرها إلَّا إبراهيم «عليه السلام» من مارية.

وقال الحافظ بن عبد البر في الأستيعاب: وأما ولده ﷺ فكلهم من خديجة إلَّا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وولده من خديجة أربع بنات لا خلاف في ذلك، أكبرهن زينب بلا خلاف وبعدها أم كلثوم وقيل رقية وهو الأولى وقد قيل إن رقية أصغرهن والصحيح أن أصغرهن فاطمة «عليها السلام»، وأختلف في الذكور فقيل أربعة: القاسم وعبد الله والطيب والطاهر، وقيل ثلاثة ومن قال هذا قال عبد الله سمي الطيب لأنه ولد في الإسلام ومن قال غلامان قال القاسم وبه كان يكنى وعبد الله وقيل له الطاهر والطيب لأنه ولد في الإسلام، إنتهى.

وقال ابن إسحاق: ولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلَّا إبراهيم القاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب وزينب ورقية وأُم كلثوم وفاطمة «عليها السلام».

وقال ابن هشام: أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة «عليها السلام».

قال ابن إسحاق: أما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن.

قال ابن هشام: وأما إبراهيم «عليه السلام» فأُمه مارية.

وحكى المحب الطبري في ذخائر العقبى هذه الأقوال المترددة في ضبط كمية الذكور أهم أربعة أم خمسة؟ قال: وقيل كان له ﷺ الطيب والمطيب في بطن والطاهر والمطهر في بطن، ذكره صاحب الصفوة فيكون على هذا أحد عشرة ثم قال: قيل: ولد له قبل المبعث ولد يقال له عبد مناف فيكون على هذا اثنى عشر.

ثم قال: فتحصل من مجموع الأقوال ثمانية ذكور: اثنان متفق عليهما القاسم وإبراهيم وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر، الخ.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: أما الذكور فالقاسم وبه كان يُكنى، وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين وعبد الله وهو الطاهر والطيب ولد له في الإسلام، وقال عروة: ولدت له خديجة القاسم والطاهر وعبد الله والمطيب، وقال سعيد بن عبد العزيز: كان للنبي ﷺ أربعة غلمة: إبراهيم والقاسم والطاهر والمطهر ولدا في بطن، الخ.

وروى الصدوق «رحمه الله» في الخصال[١]: عن الصادق «عليه السلام» أنهم سبعة ثلاثة ذكور وأربعة بنات وعلى هذا فالرواية مقدمة على أقوال أهل النسب خصوصاً مع تصريح بعضهم أن الطاهر والطيب ألقاب لا أسماء.

ولعبد الله بن عبد المطلب شعر، ففي مسالك الحنفا للسيوطي[٢] عن تذكرة الصفدي قوله مفتخراً:

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
وإن أبي ذو المجد والسؤدد الذي ... يُشار به ما بين نشز إلى خفض
وجدي وآباء له أبلوا العلا ... قديماً لنيل العرف والحسب المحض

(١١) أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم

أبو عمارة وأبو يعلى الذي يقول له القائل:

ابا يعلى بك الاركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول

إني لا أشك أنك تجزم بأن الحمزة أعظم مثال لحقيقة الشهامة والمجد وأجل مظهر من مظاهر السؤدد العربي، فإن عُد نوابغ العرب العظماء فالحمزة من ساداتهم وإن ذكر أبطال الرجال كان من مقدميهم فقد كانت عرب الجاهلية والإسلام مجمعة على أن حمزة بن عبد المطلب من ساداتهم وأشرافهم وفي الطبقة الأولى من شجعانهم، وأعز فتى فيهم والدليل على عزه أن بإسلامه عز الأسلام، والدليل على شجاعته لقبه الذي لقبه به رسول الله ﷺ «أسد الله وأسد رسوله»، وشجاعته مغروسة في نفوس البشر حتى العوام ويلقبونه لذلك «بالحمزة الهيجاء».

ليست الشجاعة وحدها من نعوته بل اتسم بسمة كل فضيلة وتخلق بكل خلق جميل فقد كان من أهل الحفاظ والفخر وكبرياء النفس ومن حماة الجار والنزيل والحوزة ومن مطعمي الضيف ومانحي الوفد وفكاكي الأسير، وممن يحملون الحملات وكان من أهل الأنفة والآباء وشموخ الأنف والشمم، وأهل العظمة والاعتلاء وكانت طواغيت قريش وجبابرة العرب تخضع له وترهب سطوته وتحاذر صولته ولسنا نقدر على استيفاء مآثره في هذا الكتاب وله عندنا ترجمة مبسوطة في كتاب «الميزان الراجح» ونورد هنا ما يناسب هذا الكتاب، وقد يظن المتجدد أنا نسهب في هذا الموضوع، ولو علم أنا وضعنا هذا الكتاب لإعانة القاصر عن

---

(١) الخصال ٢/ ٣٧.
(٢) مسالك الحنفا: ص٦٢.

التنقيب عن آثار العظماء ومن ليست عنده معلومات تاريخية كافية لعذرنا والله الموفق للصواب.

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: وأما حمزة بن عبد المطلب كان يُكنى أبا عمارة وهو أسد الله وأسد رسوله وقتل يوم بدر شيبة بن ربيعة وطعيمة بن عدي وسباعاً الخزاعي، وقُتل يوم أُحد، زرقه وحشي غلام طعيمة فمات وكان رضيع النبي ﷺ وأبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أرضعتهم أمرأة من أهل مكة يقال لها ثويبة، الخ.

ثويبة هي مولاة أبي لهب، وسباعاً الخزاعي هو ابن أم أنمار الختانة قتله الحمزة يوم أُحد، وبتشاغله بقتله أمكنت العبد وحشي الفرصة فزرقه بالحربة فقضى نحبه «سلام الله عليه».

ولد حمزة قبل رسول الله ﷺ بسنتين نص عليه في الإصابة ومعنى رضيع النبي ﷺ يعني أن التي أرضعته أرضعت رسول الله ﷺ فيما بعد فهو رضيعه لهذا السبب لأنه ارتضع معه بلبن واحد، وله توجيه آخر.

قال المحب الطبري في ذخائر العقبى[٢]: كان أسن من النبي ﷺ بأربع سنين.

قال أبو عمر: وهذا يرده ما تقدم ذكره انفا من تقييد رضاع ثويبة بلبن ابنها مسروح إذ لا رضاع إلَّا في حولين ولولا التقييد لأمكن حمل الرضاع على زمنين مختلفين، قلت: ويمكن أن يكون أرضعت حمزة في آخر سنتيه في أول رضاع ابنها وأرضعت النبي ﷺ في أول سنتيه في آخر رضاع ابنها فيكون أكبر بأربع سنين.

وقيل: كان أسن بسنتين، ولم يزل إسمه في الجاهلية والإسلام حمزة، ويُكنى أبا عمارة وأبا يعلى بأبنين له عمارة ويعلى، وكان يُدعى أسد الله وأسد رسوله.

حلم حمزة وشرفه

قال الآلوسي في بلوغ الإرب[٣]: هجا عبد الله بن الزبعري السهمي بني قصي فدفعوه برمته إلى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان

---

(١) المعارف: ص٥٤.
(٢) ذخائر العقبى: ص٧٢.
(٣) بلوغ الإرب ٣/ ٨٤.

شاعراً مفلقاً شديد العارضة، قذع الهجاء فلما وصل عبد الله بن الزبعري إليهم، أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال عبدالله بن الزبعري:

لعمري ما جائت بنكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها
فود جناة الشر إن سيوفنا بأيماننا مسلولة لا نشيمها
فيقطع ذو العمر القريب ويتركو غماغم منها ما أجد بريمها
فإن قصياً أهل مجد وثروة وأهل فعال لا يرام قديمها
هموا منعوا يومي عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها

إلى هنا عن الآلوسي، وزاد ابن أبي الحديد فيها والقصة مضت في ترجمة الزبير بن عبد المطلب:

وان كان هيج قدموا فتقدموا وهل يمنع المخزاة إلّا جميعها
محاشيد للمقري سراع إلى الندى مرازبة غلب رزان حلومها

وهذه شهامة عربية وشيمة هاشمية منوطة بهمة عالية لا يتسنى لأكثر العرب الأرتقاء إليها ولا السلوك عليها فإنهم ظفروا بمن هجاهم وأقذعهم بلا سبب يوجب الهجاء ونذروا دمه إن ظفروا به، فلما ظفروا به عفوا عنه عفة وتكرماً وحبوه وأكرموه كما صنع حمزة بن عبد المطلب فعدت هذه في محاسن بني هاشم واحتسبت من بعض مفاخرهم، ولسنا نعرف في العرب من فعل مثل هذا سوى رجلين: أوس بن حارثة بن لام الطائي هجاه بشر بن أبي خازم الأسدي فنذر دمه، فلما ظفر به أكرمه وحباه، وعلقمة بن علاثة العامري هجاه الأعشى الأكبر ظلماً فنذر دمه فلما ظفر به حباه وأكرمه فتحول هجاهما لهذين الكريمين مدحاً وثناء.

إباء حمزة وأنفته من الهوان:

كان حمزة ذا أنف وإباء وفيه حمية وشمم وحفاظ يأبى له الرضوخ على المذلة تعرفه له قريش والعرب ذلك، وقد جره ذلك الآباء وقاده ذلك الأنف إلى اعتناق الإسلام الذي هو أشرف الأديان.

قال الفاضل المجلسي «رحمه الله»[1]: كانت قريش تجد في أذى النبي ﷺ وكان أشد الناس عليه عمه أبو لهب فكان ﷺ ذات يوم جالساً في الحجر فبعثوا إلى سلا شاة فألقوه على رسول الله ﷺ فاغتم ﷺ من ذلك فجاء لأبي طالب

(١) بحار الأنوار ٦/ ٤٤٦.

فقال: يا عم كيف حسبي فيكم؟ فقال: وما ذاك يا ابن اخي؟ قال ﷺ: إن قريشاً ألقوا علي السلا، فقال لحمزة: خُذ السيف - وكانت قريش جالسة في المسجد - فجاء أبو طالب ومعه السيف وحمزة ومعه السيف، فقال له: مر السلا على سبالهم، ومن أبى فاضرب عنقه، فما تحرك أحد حتى أمر السلا على سبالهم ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا، الخ.

وفي تاريخ الطبري وتاريخ الخميس والسير الثلاثة الحلبية و الدحلانية والهشامية - ولفظ الأخيرة[1] -: قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه التضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب «رضي الله عنه» أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلَّا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة.

فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته فقالت: يا أبا عمارة! لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد أنفاً من أبي الحكم بن هشام وجده هاهنا فأذاه وسبه بلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد.

فأحتمل حمزة الغضب لما أراد الله من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظراليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه، أقول ما يقول، فرد ذلك عليّ إن استطعت؟

فقام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

وتم حمزة «رضي الله عنه» على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وأمتنع، وأن حمزة سيمنعه، وكفوا عن بعض ما كانوا ينالونه منه، إنتهى.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٤.

وهذه الأنفة متوارثة في بني هاشم فقد جاء في الخبر المأثور: إن مسلم بن عقيل قد حطم أنف معاوية بن أبي سفيان بالسيف لما أغضبه في قضية الضيعة التي باعها من معاوية وأمتنع من ردها لما نهاه الحسين «عليه السلام» أن يبيعها فيقال: إن معاوية ضحك وقال: بهذا أوعدني أبوك..

وقد قال الحسين بن علي «عليهما السلام» لعمر بن الخطاب ـ وهو خليفة ـ: إنزل عن منبر أبي، فضحك عمر ونزل إليه واحتضنه وقال: صدقت، منبر أبيك لا منبر أبي، رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والمحب الطبري في ذخائر العقبى والهيثمي في الصواعق وغيرهم.

وقال حمزة في شعره يذكر قصة أبي جهل ولفظ محمد بن علي بن شهر آشوب (رحمه الله) في كتاب المناقب[1]: كان «عليه السلام» جالساً على الصفا فشتمه أبو جهل ثم شجه حمزة بن عبد المطلب، وقال حمزة:

لقد عجبت لأقوام ذوي سفه ... من القبيلين من سهم ومخزوم
القائلين لما جاء النبي به ... هذا حديث أتانا غير ملزوم
فقد أتاهم بحق غير ذي عوج ... ومنزل من كتاب الله معلوم
من العزيز الذي لا شيء يعدله ... فيه مصاديق من حق وتعظيم
فإن تكونوا له ضداً يكن لكموا ... ضداً بغلباء مثل الليل عكوم
فأمنوا بنبي لا أباً لكموا ... ذي خاتم صاغه الرحمٰن مختوم

شجاعة حمزة وثباته في الحروب

أجمع الناقلون على أختلاف نزعاتهم في سائر الفنون أنه أشجع عربي بعد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام» ولا شاهدٌ أقوى ولا برهان أعظم من قول النبي ﷺ: «حمزة أسد الله وأسد رسوله».

قال الأبشيهي في المستطرف[2]: طبقات الشجعان: الطبقة الأولى الذين أدركوا الجاهلية والإسلام: حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسوله قتل في غزوة أُحد، رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي ﷺ ونذر أن يقتل به سبعين من قريش وكبر عليه سبعين تكبيرة، إنتهى.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١/ ٣٣.
(٢) المستطرف ١/ ٢٢١.

ولا يثبت مجد الإنسان إلَّا أعماله الصالحة وفعاله الحميدة ولم يلتحم المسلمون مع المشركين في ملحمة هي أعظم عليهم من يوم بدر وأُحد وذلك لقلة عدد المسلمين وكثرة العدو.

أما بدر فكان جيش العدو ضعفي جيش المسلمين ويزيد عليه فقد كان جيش مشركي قريش يتراوح بين الثمانمائة والتسعمائة، وجيش المسلمين مع النبي ﷺ ثلثمائة أو يزيد قليلاً، ويفوقهم جيش الكفرة بالعدد الكاملة من السيوف والرماح وأنواع الأسلحة والجواشن والادراع المحكمة والخيول الجياد يركبون فرساً ويقودون أخرى ويضاهرون بين الادرع وهكذا، على حين كان الصحابة يتعاقبون على النواضح ويتراوح الأربعة والثلاثة على البعير الواحد وقد كان من جملة أسلحتهم على ما قيل جريد النخيل وأكثرهم حُسر بلا دروع فكان جيش قريش شعلة نار من الأسلحة اللامعة البارقة ويظاهر الرجل بين درعين يحمل على قطاة فرسه درعاً لا حاجة له فيها وإنما قصدوا بذلك المباهات والأفتخار، فقد حكى الله ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[1] فكانوا في استكمال الأُهبة للغزو والاستعداد للحرب على ما هو خارج عن طور العادة في ذلك العصر.

وأما يوم أُحد فقد كان جيش المشركين ثلاثة أضعاف جيش الإسلام وزيادة لأنهم كانوا ثلاثة آلاف والمسلمون ثمانمائة أو يزيدون قليلاً، وانخزل عنهم عدو الله ابن أُبي رأس المنافقين ففت في أعضاد المسلمين وقد همت مجنبتاهم أن تفشلا ولكن الله سلم وثبت وحيث كان في هذين الجيشين الصغيرين رجلان كل واحد منهما خير من جحفل جرار وهما حمزة بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن طالب بن عبد المطلب، هذا أسد الله وأسد رسوله وهذا الذي تهتف فيه ملائكة السماء «لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا علي»، فثبت الله بهما أركان المسلمين وقتلا في المعركتين أشد رجال قريش بطشاً وأعظم طواغيتهم عتواً وتجبراً.

وما ضنك برجال من عتوهم ونخوتهم أنفوا من مبارزة الأنصار لهم والأنصار فرسان اليمن وأبطال العرب، فقالوا: إرجعوا إنما نريد أكفاءنا من قريش، ومن كان بهذه الأنفة والشموخ لا يرى له مكافئاً إلَّا حمزة فعلي فعبيدة، فالتحموا في ذلك المعترك الضنك متصاولين تصاول الفحول الهائجة.

أتدري ما عتبة المبارز لعبيدة؟ بطل لم يجدوا له مغفراً يسع رأسه لكبره فأُتي

(١) الأنفال: ٤٧.

بعمامتين فعصب بهما رأسه، ولست تدري ما شيبة المبارز لحمزة؟ كان جبار قريش ومارداها وطاغوتها، أقبل يهدر نحو حمزة يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله.

وهل الوليد بن عتبة المبارز لعلي «عليه السلام» إلَّا جبل صلد لا تستر وجهه الدرقة فيسترها بكفه لغلظها وعبالتها فطحنهم ولد عبد المطلب طحناً ولولا التطويل لما تركنا ذكر من قتل حمزة وعلي يوم بدر من طواغيت قريش.

وقول أكثر المؤرخين أن المبارز لحمزة هو عتبة لا يستقيم لأن عتبة أسن بني أُميّة وعبيدة أسن من حمزة فكان المبارز له عتبة لأن مبارزتهم كانت على الاسنان أتفاقاً ولهذا كان قرن علي «عليه السلام» الوليد بن عتبة لأن علياً أصغر بني هاشم والوليد أصغر بني أُمية.

وان أردت أن تعرف من قتلا وجرحا وأسرا يوم بدر وأُحد فراجع سيرة ابن هشام وابن أبي الحديد من أهل السنة، وإرشاد المفيد ومناقب ابن شهر آشوب وبحارالمجلسي من الشيعة.

محل حمزة عند الأئمة «عليهم السلام»

كان له عند أمير المؤمنين والحسن والحسين «عليهم السلام» محل سامي ومنصب رفيع وقد عدوه مفخراً كما سمعت في ترجمة جعفر الطيار ونوهوا بأسمه في الشدائد والأهوال التي مرت بهم، والعظائم التي جرت عليهم من جور أعدائهم.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين[1]: لما بلغ علياً «عليه السلام» ما صنع معاوية وعمرو بن العاص، قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا ... كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ... ما كان يرضى أحمد لو أُخبرا
أن يقرنوا وصيه والأبترا ... شاني الرسول واللعين الأخزرا
كلاهما في جنده قد عسكرا ... قد باع هذا دينه فأفجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا ... يملك مصر إن أصاب الظفرا
إني إذا الموت دنا أو حضرا ... شهرت سيفي ودعوت قنبرا
قدِّم لوائي لا تؤخر حذرا ... لن يدفع الحذار ما قد قُدِّرا

(١) وقعة صفين: ص٢٥.

لما رأيت الموت موتاً أحمرا عبأت همدان وعبوا حميرا
حيي يمان يعظمون الخطرا قرناً إذا ناطح قرناً كسرا
قل لابن حرب لا تدب الخمرا أورد قليلاً أبد منك الضجرا
لا تحسبني يا بن هند غمرا فسل بنا بدراً معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا إذ وردوا الأمر فدقوا الصدرا
لو أن عندي يا ابن هند جعفرا أو حمزة القرم الهمام الأزهرا
رأيت قريش نجم ليل ظهرا

أما سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» فاستغاثته يوم كربلاء مشهورة نحو قوله «عليه السلام»: «وا حمزتاه! ولا حمزة لي اليوم! وا جعفراه! ولا جعفر لي اليوم! وا جداه! وامحمداه! وا أبتاه! وا علياه!»... الخ.

مكانة الحمزة عند النبي ﷺ

كانت لحمزة عند رسول الله ﷺ مكانة مكينة ومرتبة سامية من أعلا المراتب، ولما وقف عليه قتيلاً بكى بكاءاً شديداً وقال ﷺ: «ما وقفت موقفاً هو أغيظ علي من هذا، لأُمثلن بسبعين من قريش»، وذلك لأن هنداً أم معاوية قد مثلت به وإن من فوادح الدهر العظيمة أن يكون قاتل حمزة وحشي عبداً أجدع، وتمثل به أمرأة ساقطة.

وهذه الحالة المحزنة التي رآها رسول الله ﷺ بعمه حمزة هي التي جرت له مزيد الأسف وأيدت عليه علامات التلهف والاحتراق غيظاً وغضباً على أعدائه من قريش حتى أعدهم بالتمثيل بهم بهذا العدد الوافر وهذا يدل بمفهومه أن الأعداد التي دون السبعين لا تقع مكافأة لحمزة ولا تجدي في التشفي ما لم تبلغ هذا العدد، فالمثلة بما دونه لا تشفي اللوعة ولا تطفئ غليل الكبد، وليس قوله هذا جزعاً وأنفة وإنما كان غضباً لمخالفتهم أصول العقل بارتكابهم القبيح الشائن ولذا إن الله تعالى أخبره أن المقابلة بالمثل دون الزيادة حيث قال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[1] الآية، فاحتسب وعفا وأخذ في تشكيل محافل المناحة على عمه حمزة فإنه ﷺ لما سمع صراخ نساء الأنصار على قتلاهم قال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فسمع السعدان: سعد بن عبادة الخزرجي الساعدي وسعد بن

(١) النحل: ١٢٦.

معاذ الأوسي الأشهلي وجمعا نساء الأنصار إلى دار النبي ﷺ وأمرهن بالنياحة على عمه حمزة فأجتمعن ونِحْنَ عليه فجزاهن رسول الله ﷺ خيراً وأثنى على الأنصار بالمواساة.

شهادة حمزة وصفة مقتله وتلهف رسول الله ﷺ

وذكر الشيخ المفيد والطبري وابن شهر آشوب والمجلسي وابن أبي الحديد والحلبي والدحلاني وابن هشام وغيرهم لفظ ابن أبي الحديد[١]: قال الواقدي: كان وحشي عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل ويقال كان لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقالت له ابنة الحارث: إن أبي قُتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر: محمداً أو علياً أو حمزة، فإني لا أرى في القوم كفؤ لأبي غيرهم فقال وحشي: أما محمد فقد علمت إني لا أقدر عليه وإن أصحابه لن يسلموه، وأما حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقضته من هيبته، وأما علي فألتمسه.

قال وحشي: فكنت يوم أُحد ألتمسه، فبينا أنا في طلبه إذ طلع علي، فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات، فقلت: ما هذا بصاحبي الذي ألتمس إذ رأيت حمزة يفري الناس فرياً، فكمنت له إلى صخرة وهو مكبس له كثيب، فأعترض له سباع بن أم أنمار وكانت أُمه ختانة بمكة مولاة لشريق بن علاج الثقفي وكان سباع يكنى أبا نيار فقال له حمزة: وأنت أيضاً يا ابن مقطعة البظور ممن يكثر علينا؟! هلم إليّ فاحتمله حتى برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحطه شحط الشاة ثم أقبل علي حين رآني، فلما بلغ المسيل وطئ على جرف فزلت قدمه فهززت الحربة حتى رضيت منها فأضرب به في خاصرته حتى خرجت من ثنته، وكر عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم يقولون: أبا عمارة! فلا يجيب، فقلت: قد مات والله الرجل، الخ.

وقال الحلبي[٢]: وخرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب «رضي الله عنه» فقال له رجل: رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر: أبو سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم فجاء رسول الله ﷺ نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه وقطعت مذاكيره، فنظر رسول الله ﷺ إلى شيء لم ير مثله قط كان أوجع لقلبه منه، وقال ﷺ: لن أُصاب بمثلك ما وقفت

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٨٥.
(٢) السيرة الحلبية ٢/ ٢٥٨.

موقفاً أغيظ إليّ من هذا، وقال: رحمة الله عليك فأنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم، أما والله لأمثلن بسبعين رجلاً منهم.

ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه قالوا: لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن عباس: فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[1] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة.

وعن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ بكى أشد من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أبين نشقة حتى بلغ به الغشا، يقول: يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله! يا حمزة يا فاعل الخيرات! يا حمزة يا كاشف الكربات! يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله! ثم ذكر في حديث صفية وبكائها على أخيها حمزة وصارت كلما بكت بكى رسول الله ﷺ.

ثم ذكر هو وغيره أن فاطمة «عليها السلام» بكت على حمزة وذكروا كلهم قول رسول الله ﷺ: «لاكن حمزة لا بواكي له»، وكل هذه الأحاديث مشهورة.

فأُمية قد مثلت بسيد الشهداء قتيل أُحد، ومثلت بسيد الشهداء قتيل الطف فقطعت رأسه ورفعته على قناة، وقطعت يده لأجل تكته، وإصبعه لأجل خاتم، وطحنت جناجنه بحوافر الخيل على أن حمزة لم يقطع رأسه ولم تدس خيلهم صدره.

شاعرية حمزة

فقد كان شاعراً مجيداً رقيق اللفظ قوي المعاني فمن شعره يحمد الله على الإسلام ذكره السهيلي في الروض الأنف:

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تُليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبيّنة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول الضيف

---

(١) النحل: ١٢٦.

فـلا والله نـسـلـمـه لـقـوم ولـمـا نـقـضـي مـنـهـم بـالـسـيـوف
وقـد خـبـرت مـا صـنـعـت ثـقـيـف بـه فـجـزى الـقـبـائـل مـن ثـقـيـف
إلٰـه الـنـاس شـر جـزاء قـوم ولا سـقـاهـم صـوب الـخـريـف

ومن قوله يذكر قتلى بدر من المشركين، وذكره ابن إسحاق:

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبيّنة الأمر

يقول فيها:

فلما التقينا لم تكن مثنوية لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب بيض يختلي إلهام حدها مشهرة الألوان بينة الأسر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاوياً وشيبة في قتلى تحرجم في الجفر
وعمرو ثوى إذ أنه من حماتهم فشقت جيوب النائحات على عمرو[1]
جيوب نساء من لؤي بن غالب كرام تفر عن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ظلالهم وخلوا لواء غير محتضر النصر
لوءا ظلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت اليكم ما لها اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا وكان بما لم يخبر القوم ذو خبر
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبرئيل تحت لوائنا لدى مأزق فيه منإياهم تجري

وقوله حين التقى بأبي جهل وكان أميراً لرسول الله ﷺ على ثلاثين راكباً، وأبو جهل في ثلثمائة فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يقع قتال، فذكر هذه القصة حمزة بشعر منه:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل وللنقص من رأي الرجال وللعقل

يقول فيها:

فلما ترائينا أناخوا فعقلوا مطايا فعقلنا مدى غرض النبل

---

(١) عمرو هو أبو جهل.

فقلنا لهم حبل الآله نصيرنا ... وليس لكم غير الظلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً ... فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلّا في ثلاثين راكباً ... وهم مئتان بعد ثالثة فصل
فيا آل لؤي لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخشى أن يصب عليكم ... عذاباً فتدعوا بالندامة والثكل

أولاد حمزة:

له ولدان وبنتان: قال ابن قتيبة في المعارف[١]: وولد لحمزة ابن يقال له عمارة من أمرأة من بني النجار ولم يعقب، وبنت يقال لها أم أبيها أُمها زينب بنت عميس الخثعمية وكانت تحت عمر بن سلمة المخزومي.

وقال المحب الطبري في ذخائر العقبى[٢]: كان له من الولد عمارة أُمه خولة بنت قيس بن فهد بن مالك بن النجار ويعلى، قال مصعب: لم يعقب واحد من ولد حمزة، وكان يعلى قد ولد له خمسة رجال ماتوا كلهم من غير عقب وتوفي رسول الله ﷺ ولكل واحد منهم أعوام، ولم يحفظ لواحد منهم رواية، وكان له ابنة يقال لها أم أبيها،قاله ابن قتيبة، وقال صاحب الصفوة: إسمها أمامة امها زينب بنت عميس الخثعمية وكانت تحت عمر بن أبي سلمة المخزومي ربيب رسول الله ﷺ، الخ، ومثله قال الديار بكري في تاريخ الخميس[٣].

ولكن ذكر بن أبي الأثير في أُسد الغابة في حديث الخمر في القطعة التي شقها رسول الله ﷺ خمراً بين الفواطم: فاطمة بنت حمزة.

وذكر المجلسي في عاشر البحار في فضل فاطمة الزهراء «عليها السلام»: فاطمة بنت حمزة.

وذكر جماعة من العلماء في حديث الهجرة وحمل علي «عليه السلام» للفواطم: فاطمة بنت حمزة.

وعلى هذه الأقوال كلها ينتج أن لحمزة ولدان هما عمارة ويعلى وبنتان: أمامة وهي المكناة بأم أبيها، وفاطمة، وترجم لها في الإصابة وقال: تُكنى أم الفضل، وذكر حديث الفواطم وقال: الرابعة زوجة عقيل.

---

(١) المعارف: ص٥٥.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٨٥.
(٣) تاريخ الخميس ١/١٨٦.

(٤٢) أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم

كان العباس رجلاً طوالاً وكل بني عبد المطلب طوال لكنه أمد قامة، وكان جسيماً ظاهر الوسامة جهير الصوت نبيلاً، من عظماء قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام وقادهم في بعض الحروب وكان أحد الموظفين بالوظائف النبيلة عند عرب الجاهلية بحيث كانت له عمارة المسجد الحرام وله السقاية والرفادة بعد موت أخيه أبي طالب، وكان مثرياً عظيم الثروة من أغنياء قريش، وكانت فيه مروة وكرم وشجاعة وفصاحة اللسان خطباً وشعراً، وكان معروفاً بجودة الرأي مقدراً ومحترماً عند الملوك، مخلصاً في ولاء ابن أخيه أمير المؤمنين «عليه السلام» بالرغم مما تخيله فيه بعض الحمقاء حتى قدح فيه بذلك وعابه وقد ذكرناه في كتابنا «الميزان الراجح» ودفعنا كل شبهة له فصولاً في مفاخره ومعاليه، ووردنا كثيراً من مآثره في الجاهلية ونورد هنا ما لا بد منه:

إسلام العباس بن عبد المطلب

أسلم قديماً واستفدنا من المصادر المعتبرة والمعاجم التي تطمئن النفس بنقل أهلها أنه قد أسلم قبل وقعة بدر وأخفى إسلامه ذلك الوقت عن قريش وأخرج مكرهاً إلى بدر، وفي هذا حديث نبوي ورد في السيرة ثم أظهر إسلامه قبل الحديبية ولم يقدر على الهجرة لثروته وتموله ومن قال إنه أسلم يوم الحديبية أو قبل الفتح بقليل فمحمول على وقت إضهاره الإسلام ومجاهرته فيه، وقويت الرأي الأول بأدلة سقتها في كتابي «الميزان الراجح».

فأقام بمكة عيناً لرسول الله ﷺ وجاسوساً له على قريش، يكتب إليه بالأخبار ويراقب حركاتهم ويطالعه بأنباء الحوادث المتجددة عندهم.

ولادة العباس بن عبد المطلب:

ولد بمكة قبل ولادة النبي ﷺ بسنتين، وقيل بثلاث.

قال العسقلاني في الإصابة[1]: ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين.

---

(١) الإصابة ٢/ ٣٧٠.

وقال المحب الطبري في ذخائر العقبى[١]: وكان مولده قبل آلفيل بثلاث سنين وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين وقيل بثلاث، عن أبي رزين: قيل للعباس: أيكما أكبر أنت أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

وفي تاريخ الخميس بعد هذا الحديث: هو أصغر ولد عبد المطلب، الخ،ولعله يريد من أدرك الإسلام منهم وإلا فأشقاؤه أصغر منه كما سمعت.

صفة العباس عم النبي ﷺ

قال في ذخائر العقبى[٢]: كان «رضي الله عنه» جميلاً وسيماً أبيض بضاً، له ضفيرتان، معتدل القامة، وقيل: كان طوالاً، عن جابر: إن الأنصار لما أرادوا أن يكسوا العباس يوم أُسر ببدر فلم يصلح عليه قميص إلَّا قميص عبد الله بن أُبي فكساه إياه.

جهارة صوته:

قد ثبت أنه كان جهورياً صيتاً بعيد مدى الصوت، وكان للجهارة أثرها في الارهاب عند العرب ووقع منهم في الإنذار.

قال الجاحظ في البيان والتبيين[٣]: قد كان العباس بن عبد المطلب جهيراً، جهير الصوت وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة! هذا رسول الله ﷺ فتراجع الناس، وأنزل الله عز وجل النصر وأتى الفتح.

وقال الحموي في معج البلدان[٤]: روى محمد بن الضحاك عن أبيه قال: كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل وبين سلع والغابة ثمانية أميال، إنتهى.

وذكرها الحلبي في سيرته كذلك[٥]، وذكر أنه يوم حنين حين أنهزم الناس عن رسول الله ﷺ نادى: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة السمرة، فصاحوا: لبيك لبيك، قال: وغارت الخيل يوماً على المدينة فنادى: يا صباحاه! فلم تسمع حامل إلَّا وضعت من عظيم صوته.

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٨٢.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٨٦.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١١٥.
(٤) معجم البلدان ٦/ ٢٦.
(٥) السيرة الحلبية ٢/ ١٢٤.

أخلاق العباس عم النبي ﷺ:

كان جواداً سمحا شاعراً خطيبا شجاعاً وقد تفرس فيه أبوه عبد المطلب هذه الخصال فقال له وهو صغير على ما ذكره ابن عساكر في تاريخه[١]:

ظني بعباس حبيبي إن كبر ... أن يمنع الأُخرى إذا ضاع الدبر
ويترع السجل إذا اليوم أقمطر ... ويسبأ الزق العظيم الفنخر
ويفصل الخطبة في الأمر المبر ... ويكشف الكرب إذا ما اليوم هر
أكمل من عبد كلال وحجر ... لو جمعا لم يبلغا منه العشر

يقال: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم وجفنة لجائعهم ومقطرة لجاهلهم وفي ذلك يقول إبراهيم بن علي بن هرمة:

وكانت لعباس ثلاث نعدها ... إذا ما جناب الحي أصبح أشهبا
فسلسلة تنهي الظلوم وجفنة ... تباح فيكسوها السنام المزغبا
وحملة عصب ما تزال معدَّة ... لعار ضريك ثوبه قد تهببا

وكان العباس يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب، الخ.

أما شجاعته:

فبرهنها ثبوته يوم حنين مع رسول الله ﷺ في ثمانية من بني هاشم وقد اجفل الجيش البالغ اثني عشر ألفاً هزيمة، وطار يميناً وشمالاً.

وظائف العباس عم النبي ﷺ في العصر الجاهلي:

كانت لقريش عشر خصال تعدها من مآثر الشرف، قيل كانت مقسومة بين بطون قريش كما هو رأي المتعصبين لبني أُميّة مثل ابن عبد ربه القرطبي مولى بني أُميّة في العقد الفريد ولكن لا يصح ما ذكر وتعصبه لبني أُميّة معروف لأنه من مواليهم والصحيح أنها كلها أو أكثرها لبني هاشم وللعباس بن عبد المطلب إمرتان منها فكانت له عمارة البيت وسقاية الحاج بعد وفاة أخيه أبي طالب «سلام الله عليه»، أما السقاية فانتظرها في ألقاب العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام».

وأما العمارة فذكر الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب ونقله عن المحب في ذخائر العقبى بما نصه[٢]: **كان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش وإليه عمارة المسجد الحرام السقاية بعد أبي طالب، أما السقاية فمعروفة، وأما عمارة المسجد**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٢٢٧.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٨٦.

الحرام فكان لا يدع أحداً يشبب فيه ولا يقول فيه هجراًو وكانت قريش قد أجمعت وتعاقدت على ذلك فكانوا له عونا عليه واسلموا ذلك اليه، ذكره الزبير بن بكار وغيره من علماء النسب، حكاه أبو عمر، إنتهى، وذكره في الإصابة ولم يبينه.

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد[١]: فكانت سقاية الحاج وحلوان النفر في بني هاشم، أما السقاية فمعروفة، وأما العمارة فهو أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته، وكان العباس ينهاهم عن ذلك وأما حلوان النفر فإن العرب لم تكن تملك عليها أحداً في الجاهلية فإن كان حرب اقرعوا بين أهل الرياسة فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيراً كان أو كبيراً، فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المجن.

تألم النبي ﷺ لأسر العباس وأنينه:

قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة[٢]: حدثنا يزيد بن الأصم أن العباس عم النبي ﷺ كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر فأُسر فيمن أُسر منهم وكانوا قد شدوا وثاقه فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم فقال له بعض أصحابه: ما اسهرك يا نبي الله؟ فقال: أسهرني أنين العباس، فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه فقال رسول الله ﷺ: ما لي لا أسمع أنين العباس؟ فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ فافعل ذلك بالأسرى كلهم، الخ.

للمؤلف:

ما نامت الليل عين المصطفى سهراً ... ما دام يعلو أنين العم عباس
والآسرون له قوم لهم شرف ... ما فيهم وعلاه قط من باس
فكيف لو ينظر السجاد تسحبه ... لابن الطليقين أرجاس لأرجاس
القيد والغل في جيد الإمام غدا ... مثل المحاجم لكن حاسر الراس
لذاك يطلب من سهل كما ذكروا ... ثوباً عتيقاً وهذا شاع في الناس
فالقيد كان ثقيلاً لا يطيق له ... حملاً وحادي المطايا فاجر قاسي
ليت الرسول رآه حين أوقفهم ... بباب جيرون يوماً أفسق الناس
أقامهم فرجة للناظرين بها ... مدنس العرض من أبناء أدناس

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٣٢٠.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٩٥.

موقف العباس عم النبي ﷺ من الخلافة الإسلامية:

لا يرتاب العاقل أن موقف العباس هنا موقف المدافعين عن ابن أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» والمناصحين له والحريصين على نيله حقه من الخلافة والمجتهدين في توليته والكلام في هذا طويل عريض نورد منه ما ذكره ابن قتيبة الدينوري في تاريخه المعروف بـ (الامامة والسياسة) ومن القصة المطولة في حديث السقيفة منها ما نصه[١] قال: أتى المغيرة بن شعبة فقال: أترى يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم إذا كان العباس معكم؟

قال: فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح حتى دخلوا على العباس «رضي الله عنه» فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً نبيّاً و للمؤمنين ولياً فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى أختار الله له ما عنده فخلى على الناس أمرهم فاختاروا لأنفسهم ومصلحتهم متفقين لا مختلفين، فأختاروني عليهم والياً لأمورهم راعياً وما أخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة، ولا جُبناً، وما توفيقي إلّا بالله العلي العظيم عليه توكلت وإليه أُنيب، وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما أجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافاً، فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع، فإما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو دفعتموهم عما مالوا إليه، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عم رسول الله ﷺ وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم يا بني عبد المطلب فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم.

ثم قال عمر: أي والله وأخرى إنا لم نأتكم حاجة منا إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما أجتمع عليه العامة فتفاقم الخطب بهم ولكم فيما نظروا لأنفسكم ولعامتكم.

فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً - كما زعمت - نبيّاً وللمؤمنين ولياً، فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى أختار له ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم[٢] مصيبين الحق لا مائلين عنه بزيغ

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٢.

(٢) لم يكن العباس ممن يكون بصحة الخلافة بالرأي ولا يعتقد إهمال النبي ﷺ لهذا المهم الديني ولكن المحاورة الجدلية ألجأته الى التسليم ليفحم الخصم بحل حجته ودحضها فإن ذلك أبلغ، فلهذا قال: إن كان ترك النبي ﷺ لأمته حرية الانتخاب وأباح لهم ولوج باب الاختيار انما هو حيث يختاروا وينتخبوا المحق فإذا أخطأوا هذا فلا حق لهم في الاختيار إذ النبي ﷺ لا يرضى بترك الحق.

الهوى فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمين، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين فأما ما بذلت فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض.

وأما قولك أن رسول الله ﷺ منا ومنكم فإنه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، إنتهى.

زاد ابن أبي الحديد في القصة[1] في جوابه لعمر: وأما قولك يا عمر إنك لا تأمن الناس علينا فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، إنتهى.

للمؤلف:

جاءت عدي وتيم وهي طامعة ... أن تخدع الشهم عباساً وتغويه
لما رشته بقسط من إمارتها ... كي تقوي حجتها في زعمها فيه
ويصبح المرتضى ذو الحق منفرداً ... وينزل الوهن في شتى نواحيه
إذ أنها أغوت الأنصار فانخدعت ... يوم السقيفة في زيف وتمويه
رامت خداع أبي الفضل بزخرفها ... وربما زبرج قد راق رائيه
لكن عباس شهم ليس يخدعه ... زخارف القول مهما كان مبديه
هناك قابلها بالجد فانخزلت ... والسبق تحرزه حقاً مذاكيه
أصابت الهدف الأقصى قواذفه ... إن المسدد لا تخطي مراميه
أبدى لها حجة أودت بحجتها ... وفال رأي الذي قد غرها فيه
برهان عم رسول الله أحكمه ... إذ خاصموه فما أجلى معانيه
ونبّه الناس للمعنى وألفتهم ... نحو الذي فيهم الأقوام تنويه
لكنما الناس في ذاك الزمان مضت ... على الجمود وردت كل تنبيه

شاعرية العباس بن عبد المطلب

لا يرتاب المتبحر في شاعريته ولا يشك في مهارته وإنه من شعراء قريش المبرزين وله جزالة الألفاظ وحسن السبك وجودة المعاني، وأورد له البحتري في حماسته شعراً جيداً، ومن شعره يصف ثباتهم مع النبي يوم حنين وقد اجفل

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ١٧٣.

الصحابة كلهم منهزمين رواها الشيخ المفيد وابن عبد البر والمرزباني وابن عساكر وبعضهم يزيد وبعضهم ينقص والمتحصل من المجموع تسعة أبيات هي:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي ... بوادي حنين والأسنة شُرَّعُ
نصرنا رسول الله كالبدر تسعة ... وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا
وعاشرنا[1] لاقى الحمام بنفسه ... لما ناله في الله لا يتوجع
حنون إليه حين لا يحنئ أمرء ... على بكره والموت في القوم مقنع
وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه ... على القوم أُخرى يا بني ليرجعوا

وعند ابن عساكر بعد البيت الأول هكذا:

وقولي إذا ما النفس جاشت لها قري ... وهام تهتدي بالسيوف وأذرع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة ... بزوراء تعطي في اليدين وتمنع
كأن السهام المرسلات كواكب ... إذا أدبرت عن عجسها وهي تلمع
وما أمسك الموت الفظيع بنفسه ... ولكنه ماض على الهول أروع

وقال لأخيه أبي طالب يحرضه على قريش وذكر بعضها المرزباني في معجم الشعراء، والبحتري في حماسته وابن عساكر في تأريخه ونصها عنه[2]:

أبا طالب لا تقبل النصف منهم ... وإن أنصفوا حتى تعق وتظلما
أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطع في أيماننا تقطر الدما
إذا خالطت هام الرجال رأيتها ... كبيض نعام في الوغى قد تحطما
وزعناهم وزع الحوامس غدوة ... بكل يماني إذا عض صمما
تركناهم لا يستحلون بعدها ... لذي رحم يوماً من الدهر محرما
فسائل بني حسل وما الدهر فيهم ... يقيناً ولكني سألت ليعلما
أغشماً أبا عثمان أنتم قتلتم ... ستعلم حسل أينا كان أغشما
ضربنا أبا عمرو خداشاً بعامر ... وملنا على ركنيه حتى تهدما

وقال يمدح رسول الله ﷺ بقصيدة رنانة وهي مشهورة وأنا أذكر بعضها بلفظ الدميري في حياة الحيوان:

---

(١) عاشرهم أيمن الانصاري، أستشهد «رحمه الله» في هذه الوقعة.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٢٢٨.

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً و أهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما ... في صلبه أنت كيف يحترق
حتى اجتوىٰ بيتك المهيمن من ... خندف عليا وتحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد تخترق

وفاة العباس

قال في الإصابة: مات في المدينة في رجب أو في رمضان سنة (٣٢) هـ وكان طويلاً جميلاً أبيض.

وفي الاستيعاب كانت وفاته في خلافة عثمان يوم الجمعة لاثني عشر ليلة خلت من رجب سنة (٣٢) هـ وعمره (٨٨) سنة وقيل (٨٩) سنة أدرك في الإسلام (٣٢) سنة وفي الجاهلية (٥٦) سنة.

وحكى هذا صاحب تاريخ الخميس وزاد: قيل في رمضان سنة (٣٢) هـ وقيل (٣٣) هـ وهو ابن (٨٨) سنة وقيل (٨٧) سنة بعد أن كف بصره أدرك منها في الإسلام (٣٢) سنة وصلى عليه عثمان ودفن في البقيع ودخل قبره ابنه عبد الله ومروياته في كتب الحديث خمسة وثلاثين حديثاً، وهذا بعينه لفظ ذخائر العقبى[١].

تسلية وتعزية على فقدان العباس

قال الغزالي في الإحياء[٢]: إن أعرابياً عزى ابن عباس عن أبيه فقال:

إصبر تكن من صابرين فإنما ... صبراً لرعية بعد صبراً لراس
خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباس

(١) ذخائر العقبى: ص٢٠٦.
(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ١١٣.

أولاد العباس بن عبد المطلب

أختلف النسابون في كمية الذكور منهم فقيل تسعة وقيل عشرة وقيل اثني عشرة أو سبعة أُمهم أم الفضل الكبرى لبابة بنت الحارث الهلالية.

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: كان له من الولد عبد الله والفضل وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمٰن وأُم حبيب أُمهم أم الفضل بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وإسم أم الفضل لبابة، وتمام وكثير والحارث وآمنة وصفية لأمهات أولاد.

ومثله في ذخائر العقبى لكنه قال: إن أم الحارث بن العباس هذلية، وقال: قال هشام بن الكلبي: وصبيح ومسهر ابنا العباس، ولم يتابع على ذلك، قال إبراهيم المزني: ولبابة وأمينة، ذكر ذلك كله الدار قطني.

وذكر في تاريخ الخميس[٢]: في أولاد العباس بن عبد المطلب، عون بن العباس، حكى ذلك ابن عبد البر وإنه لم يعرف إسم أمه، وقال: هؤلاء عشرة يعني غير من ذكرهم ابن الكلبي وقال: كان تمام أصغرهم وكان العباس يحمله ويقول شعراً:

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فأجعلهم كراماً بررة

وأجعل لهم ذكراً وأنمي الشجرة

وذكر ابن عبد البر وغيره أن كثير ولد قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر وكذلك تمام أيضاً، فإذا كان الأمر كذلك فمن الجائز أن يولد للعباس في المدة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ وهي (٢٣) سنة لأنه مات سنة (٣٣) هـ وفي ظرف ثلاثة وعشرين سنة في قوة الإمكان ولادة ذكرين للعباس كما قال هشام الكلبي فيكون مجموع ولد العباس اثني عشر ذكراً، وقول هشام وهو المعتمد في علم الأنساب وأخبار الناس وقد قال ياقوت الحموي في بعض مواضع معجم البلدان: لله در ابن الكلبي ما أختلف الناس في علم الأنساب وأخبار الناس إلّا رجعوا إلى قوله لضبطه وإتقانه، أو ما هذا معناه.

وقد وضعنا تراجم لولد العباس في كتابنا «الميزان الراجح» كل على حسبه وعلى مقدار نباهته ووصيته.

---

(١) المعارف: ص٥٣.

(٢) تاريخ الخميس ١/ ١٩١.

إخوة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

ولد أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أختلف النسابون في عددهم أختلافاً عظيماً فبين من أقتصر في الذكور منهم على أحد عشر وبين من وصل بهم إلى الثلاثة وعشرين ذكراً، ونحن نسير في هذه المواضيع مع من أثبت الأكثر، وليست قاعدة الاختصار على الأقل تجدي هنا فيقال إنه المتيقن لأن ذلك في التكليف الذي هو خلاف الأصل عند علماء أصول الفقه على أن تلك القاعدة هناك يرجح فيها أيضاً جانب الأكثر لأن قاعدة الأحتياط تعضده ويكون معها الخروج عن عهدة التكليف متيقنة ومع الاقل مشكوكة وفي مقامنا هذا يجب المصير إلى قول من أثبت الأكثر لأمرين:

أحدهما: إن المثبت مقدم على النافي وذلك لأن النافي لم يعلم فنفى، والمثبت قد علم وعرف فأثبت.

وثانيهما: تعبير من أقتصر على الأقل بقوله فلان الأكبر ولم يذكر الأصغر والقاعدة تقضي في قول القائل جاء فلان الأكبر وهي قاعدة أفعل التفضيل أن يكون هناك صغير وهذا أكبر منه ومثله قول القائل فلان الكبير أو فلان الصغير كل واحد منهما دليل وجود الآخر وإلّا لم تكن فائدة لهذا التقييد.

إذا عرفت هذا ووثقت بما عرفناك سقنا إليك الأقوال المتعارضة في كميتهم في طرفي القلة والكثرة ونبدأ بكلام الشيخ المفيد وندع كلام الطبري المؤرخ إلى التراجم المخصصة للأفراد:

قال في الإرشاد[1]: أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأُنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم، أُمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ.

ومحمد المكنى بأبي القاسم أُمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية.

وعمر ورقية كانا توأمين أُمهما أم حبيب من ربيعة.

والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع أخيهم الحسين «عليه السلام» بطف كربلاء أُمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم.

ومحمد الأصغر المكنى بأبي بكر وعبيد الله الشهيدان مع أخيهما الإمام

(١) الإرشاد للمفيد: ص١٣٩.

الحسين «عليهم السلام»، أُمهما ليلى بنت مسعود الدارمية.

ويحيى وأُمه أسماء بنت عميس الخثعمية «رضي الله عنها».

وأُم الحسن ورملة أُمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

ونفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأُم هانئ وأُم الكرام وجمانة المكناة أم جعفر وامامة وأُم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة رحمة الله عليهن لأمهات شتى، وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة «عليها السلام» أسقطت بعد النبي ﷺ ذكراً كان سماه رسول الله ﷺ وهو حمل محسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» ثمانية وعشرون والله أعلم وأحكم، إنتهى كلامه «قدس الله روحه ونور ضريحه».

وفيما حرره قلمه الشريف مجال للنظر من وجوه من حيث أثبت في آباء والدة العباس «عليه السلام» دارم وقد ظهر مما ذكرنا نفى ذلك وسيأتي زيادة إيضاح له، ومن حيث قصره في المحسن بن فاطمة الزهراء «عليها السلام» على قول بعض الشيعة وستعلم أنه قول أكثر الشيعة وأكثر السنة وقد أثبته من علماء الطائفتين من لا يُستهان بهم.

وقال ابن شهر آشوب «رحمه الله» في كتاب المناقب[١] وزاد في أولاد فاطمة «عليها السلام» محسن وذكر أبا بكر وعبيد الله ابني النهشلية وهو صريح في أن محمد الأصغر غير أبي بكر وهو رأي المحققين غير المفيد، ثم قال: ومن أمامة بنت أبي العاص وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ محمد الأوسط ومن محياة بنت أمرء القيس الكلبية جارية هلكت صغيرة، الخ، وهذه الكلبية أخت الرباب بنت أمرء القيس الكلبية زوجة الحسين بن علي «عليهما السلام»، وقد قال الطبري عنها[٢]: محياة بنت أمرء القيس بن عدي بن أوس ابن جابر بن كعب بن عليم من كلب فولدت له جارية هلكت وهي صغيرة، قال الواقدي: كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية، فيقال لها: من أخوالك؟ فتقول: وه وه «تعني حو حو» تعني كلباً. فجميع ولد علي «عليه السلام» لصلبه أربعة عشر ذكر وسبعة عشر أنثى.

وقال السيد الداوودي في عمدة الطالب[٣]: ولد لأمير المؤمنين «عليه السلام» ثمانية عشر ذكراً وثمانية عشر أنثى، وروي خمسة وثلاثون وحكى الشيخ العمري بخط الشيخ الشرف العبيدلي النسابة ما صورته: قال محمد بن محمد -

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣/ ١٦٢.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٩٠. (٣) عمدة الطالب: ص٤٦.

يعني نفسه -: مات من أولاد علي «عليه السلام» الذكور وهم تسعة عشر ستة في حياته وورثه منهم ثلاثة عشر قتل منهم بالطف ستة، والله أعلم.

وقال كمال الدين بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[١]: أعلم أيدك الله بروح منه أن أقوال الناس أختلفت في عدد أولاده ذكوراً وإناثاً، فمنهم من أكثر فعد فيهم السقط ولم يسقط ذكر نسبه ومنهم من أسقط ولم يرى أن يحتسب في الذكور فجاء قول كل واحد بمقتضى ما اعتمده في ذلك، والذي نقل في كتاب صفة الصفوة وغيره من تآليف الائمة المعتبرين أن أولاده أربعة عشر ذكراً، والإناث تسعة عشر أنثى، وهذا تفصيل أسمائهم الذكور: (١) الحسن، (٢) الحسين، (٣) محمد الأكبر، (٤) عبيد الله، (٥) أبو بكر، (٦) العباس، (٧) عثمان، (٨) جعفر، (٩) عبيد الله، (١٠) محمد الأصغر، (١١) يحيى، (١٢) عون، (١٣) محمد الأوسط، (١٤) عمر، ثم ذكر الإناث.

وذكر ابن قتيبة في أولاد فاطمة «عليها السلام»: محسناً[٢].

وفي ذخائر العقبى والرياض النضرة للمحب الطبري[٣] - وسنذكر بعضه في التراجم - كذلك عدهم أربعة عشر ذكراً، أثبت في أولاد فاطمة «عليها السلام» محسناً، وقال: مات صغيراً وغاير بين محمد الأصغر وأبي بكر.

وكذلك الكنجي الشافعي في كفاية الطالب أثبت محمد الأصغر وقال: أُمه أم ولد، وعوناً وسنذكر كلامه في التراجم الآتية، وقال[٤]: وأسقط أبو عبد الله المفيد العون من الخثعمية وجعل أبا بكر كنية لمحمد الأصغر ولم يذكر محمد الأوسط، وذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل آل أبي طالب جعفر وعبد الله وعثمان والعباس ومحمد الأصغر وأسقط عبيد الله وما ذكره المفيد «رحمه الله» أشبه عندي بالصواب، إنتهى.

وكل هؤلاء يقولون العباس الأكبر وعمر الأكبر.

أثبت السويدي في سبائك الذهب المحمدين الثلاثة: محمد الأكبر ومحمد الأوسط ومحمد الأصغر أُمه جارية.

وقد ذكر الشبلنجي الشافعي في نور الابصار أكثر الأقوال في عددهم

---

(١) مطالب السؤول: ص٣٦.
(٢) المعارف: ص٩١.
(٣) ذخائر العقبى: ص١١٦، الرياض النظرة ٢/ ٢٤٩.
(٤) كفاية الطالب: ص٢٦٦.

وأسمائهم وهذا لفظه[١]: اعم أن الناس قد أختلفوا في عدد أولاده ذكوراً وإناثاً فمنهم من أكثر ومنهم من أقل، ففي كتاب الأنوار لأبي القاسم أن أولاده اثنان وثلاثون: ستة عشر ذكراً وستة عشر أنثى، وقال اليعمري: تسع وعشرون: اثنى عشراً ذكر وسبعة عشر أنثى، وقال المحب الطبري: كان له من الولد أربعة عشر ذكرا وثمان عشر أنثى، وفي الصفوة: أربعة عشر ذكر وتسعة عشر أنثى، وفي بغية الطالب أولاده «عليه السلام» خمسة عشر ذكر وثمان عشر أمرأة بالأتفاق، وأختلف في الذكور إلى عشرين والإناث إلى اثنين وعشرين.

أما الذكور: (١) فالحسن، (٢) والحسين، (٣) والمحسن، وفي كلام غيره مات صغيراً، أُمهم فاطمة البتول بنت رسول الله ﷺ، سميت البتول لأنقطاعها عن النساء فضلا ودينا وحسبا قيل لأنقطاعها عن الدنيا، يقال أمرأة بتول منقطعة عن الرجال، وبه سميت أم عيسى «عليه السلام»، (٤) ومحمد الأكبر وأُمه من سبي بني حنيفة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، (٥) وعبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد، (٦) وأبو بكر قتل مع الحسين «عليه السلام» أُمهما ليلى بنت مسعود النهشلي، (٧) والعباس الأكبر ويلقب بالسقا، (٨) وعثمان، (٩) وجعفر، (١٠) وعبد الله قتلوا مع الحسين «عليه السلام» أُمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية، (١١) ومحمد الأصغر قتل مع الحسين «عليه السلام» أُمه أم ولد، (١٢) ويحيى، (١٣) وعون أُمهما أسماء بنت عميس، (١٤) وعمر الأكبر أُمه أم حبيب الصهباء التغلبية من سبي الردة، (١٥) ومحمد الأوسط أُمه أم امامة بنت العاص ابن الربيع العبشمية وهي التي حملها رسول الله ﷺ في صلاة الظهر وامها زينب بنت رسول الله ﷺ.

ثم ذكر البنات وقال: والعقب من ولده «عليه السلام» من الحسن والحسين «عليهما السلام» ومحمد الأكبر وعمر والعباس السقاء، وفي حاشية البجيرمي على المنهج في باب الوصايا نقلاً عن البرماوي ما نصه: جملة أولاد علي بن أبي طالب «عليه السلام» من الذكور أحد وعشرون والذي أعقب منهم خمسة: الحسن والحسين ابنا فاطمة «عليها السلام» والعباس بن الكلابية، ومحمد ابن الحنفية نسبة إلى بني حنيفة وعمر بن التغلبية نسبة لقبيلة يقال لها بني تغلب ومن الإناث ثمان عشرة والتي عقبت منهن واحدة فقط وهي زينب أخت السبطين من فاطمة «عليها السلام»، إنتهى.

---

(١) نور الإبصار: ص٩٣.

وقال الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين على هامشه[١]: رزق علي «عليه السلام» من الأولاد الذكور أحد وعشرون ومن الإناث ثمان عشرة على خلاف في ذلك والذين أعقبوا خمسة فذكرهم كما تقدم.

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة خواص الأمة[٢]: أتفق علماء السير على أنه كان له «عليه السلام» من الولد ثلاثة وثلاثون: أربعة عشر ذكراً وتسعة عشر أنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأُم كلثوم الكبرى وأُمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة «عليه السلام» بنت رسول الله ﷺ إسمه محسن مات طفلاً، وفاطمة «عليها السلام» أول زوجاته لم يتزوج عليها حتى توفيت، ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفية وأُمه خولة بنت جعفر من سبي بني حنيفة، وعبد الله قتله المختار بن أبي عبيد وأُمه ليلى بنت مسعود من بني تميم، وأبو بكر قتل مع الحسين «عليه السلام» أُمه أيضاً ليلى بنت مسعود، والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين «عليه السلام» أُمهم أم البنين بنت حزام، وقيل بنت خلة كلابية، تزوجها بعد فاطمة «عليها السلام»، ومحمد الأصغر قتل مع الحسين «عليه السلام» أُمه أم ولد، ويحيى وعون أُمهما اسماء بنت عميس وكان جعفر بن أبي طالب قد تزوج أسماء، ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر فمات عنها فتزوجها علي «عليه السلام» بعد أم البنين فأولدها.

وعمر ورقية أُمهما الصهباء سبية تزوجها بعد أسماء بنت عميس والصهباء يقال لها أم حبيب بنت ربيعة من بني وائل أصابها خالد بن الوليد لما أغار على بني تغلبَ بناحية عين التمر، وهذا عمر الأكبر نذكر سيرته فيما بعد وقد روى عمر الحديث وكان فاضلاً، وتزوج أسماء بنت عقيل بن أبي طالب وعاش (٨٥) سنة حتى حاز نصف ميراث أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومحمد الأوسط وأُمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وتزوجها بعد الصهباء.

ثم ذكر البنات وقال: النسل منهم لخمسة فذكرهم كما تقدم، وقال: وقيل: لمحمد الأصغر عقب أيضاً، الخ، أما الفاضل المجلسي (رحمه الله) في تاسع البحار فساق كلام المفيد وسبط ابن الجوزي وابن أبي الحديد وغيره.

ولم يذكر هؤلاء العلماء في أولاد أميرالمؤمنين «عليه السلام» إبراهيم الشهيد

---

(١) إسعاف الراغبين بهامش نور الإبصار: ص١٥٦.
(٢) تذكرة خواص الامة: ص٣١.

ونفاه أبو الفرج وأثبته ابن قتيبة وغيره وسنذكر عند ذكره منفرداً.

وذكر القلقشندي في نهاية الارب في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» من إسمه موسى ومن إسمه إسحاق ومن إسمه إسماعيل والسجاد وطلحة ويعقوب[١]، ولم نتحقق في ذلك ولم نثبته حيث أنه حكاه عن المحب الطبري في الرياض النظرة ولم أجده في الرياض النظرة ولا في ذخائر العقبى كتابي المحب الطبري فقوله مردود عليه غير مقبول عندنا لما ذكرنا.

ويستفاد من مجموع الأقوال أن الشهداء من ولد أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم كربلاء أحد عشر رجلاً سيدهم وسيد الناس جميعاً: (١) الحسين بن علي «عليه السلام»، (٢) العباس الأكبر وإخوته الأشقاء، (٣) جعفر الأكبر، (٤) عبد الله الأكبر، (٥) عثمان الأكبر، (٦) أبو بكر، (٧) محمد الأصغر، (٨) محمد الأوسط، (٩) عون، (١٠) عمر الأصغر، (١١) إبراهيم (على قول مشهور).

ونحن نذكر تفصيلاً ونبدأ بساداتهم وسيدي شباب أهل الجنة ونعتذر عن ترجمة الحسنين «عليهما السلام» بمثل ما اعتذرنا به في ترجمة أبيهما أمير المؤمنين «عليه السلام» من أن الاستيفاء لأحوالهما يدعو إلى تأليف أكبر كتاب ذا أعداد ومجلدات والاختصار يشرف بصاحبه على التقصير في حقهما، ونحن نقتصر في فضائلهما على نقل بعض ما أورده الحفاظ المتقنون من علماء السنة.

ونبدأ أولاً بإيضاح السبب في تفاوت سياستهما الموجبة لأختلاف سيرتهما حتى أختار كل واحد منهما خُطة تباين خطة الآخر بينما كان الحسن «عليه السلام» يتحرى بكل جهوده ما يؤكد تأسيس القواعد السلمية واختيار الراحة، كان الحسين «عليه السلام» يسعى جاهداً في إثارة الحرب واختيار الحالة المقلقة لراحته المزعجة له وهذا على ما يظن الظان المحطئ بظنه ويتخيل المتخيل برأيه القائل إن الحسن «عليه السلام» أكثر أنصاراً من أخيه الحسين «عليه السلام» وأقوى استعداداً وقد نهض معه أهل العراق وسائر الأمصار التي كانت مطيعة لأبيه فسالم معاوية طائعاً ومختاراً، والحسين «عليه السلام» رفض المسالمة بتاتاً على حين لم يكن له ناصر وليس عنده من الاستعداد من القوة ما يقاوم به أهل الشام وحكومة بني أُميّة القوية الرابطة سيطرتها على أنحاء المدن الإسلامية فقام والحال هذه يطلب أمراً يحتاج إلى جيش ضخم في أكمل الأهبة والاستعداد حتى يغلب على ظنه معه السلامة ويظن بواسطته الوصول إلى الغرض ونهضته كانت في أشد حراجة من

(١) نهاية الارب: ص١٣٠.

الموقف الخطر حتى إنه القى بنفسه إلى التهلكة.

فنقول وبالله نستعين: أما الحسين «عليه السلام» إن ظن من لم يحقق الأشياء ولم يتبحر في مصادر التاريخ المعتبرة في جهتي النظر والتحقيق معاً وليس له فكرة ولا رؤية صادقة توقفه على معاني الأشياء وحقائقها قد يتخيل ذلك لما يراه من فخفخة الجيش الناهض مع الحسين «عليه السلام» وعظمة تلك المواكب المحتشدة وضخامتها أنها شيء عظيم وعند التحقيق إنها خيالات وأوهام وسراب رقراق في بيداء بقلع لا يجدي الضمآن ولا ينقع غلة الصادي.

هذه الآثار التأريخية التي يعول عليها وأنباء السير الصحيحة التي لا تدفعها التشهيات الخاطئة ولا تردها نظرات المستعجلين عن التفكير الذين يصيبون البعرة ويخطئون البعير كلها تصرح بانتقاض صفو ف أهل العراق المتراصة أمام زحوف أهل الشام جُبناً ورعُباً ووهناً وتخاذلاً ورجاءً وطمعاً، كل هذه الأسباب أوجبت لجيش أهل العراق الظافر المتقدم في جميع هذه الحروب أن ينحط انحطاطاً فاضحاً ويتقهقر تقهقراً شنيعاً ليس في عهد الحسن «عليه السلام» فقط بل في أواخر عهد أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى كانت غارات أهل الشام تغير على ضواحي أهل العراق وأمهات مدنها كالأنبار حبانية وعين التمر شفاثة وما إلى ذلك الصقع من ناحية البر وأهل العراق قد احتجروا احتجار الضباب في حفرها لا تحركهم الحمية الدينية ولا تهزهم عواطف الحفاظ العربي والشعور الإنساني والنخوة البشرية التي يتصف بها أحرار الشعوب وخصوصاً العرب المشهورة في إبائها وأنفتها من الذل والاهتضام، وأمير المؤمنين «عليه السلام» يقرعهم بأمض القوارع الكلامية ويرميهم بما هو أمضى من السهام نفوذاً فيشتمهم طوراً ويتبرأ من فعلهم أخرى ويقبح ما ارتكبوه تارة وتارة يود أن يبادله معاوية بكل عشرة من جيشه بواحد من جيش أهل الشام ومرة يتمنى بدل جميع أهل العراق مائة فارس من بني فراس بن غنم الكنانيين ولم يجد في جميع ذلك منفعة ولا رأى فيهم خيراً حين استنهضهم لحماية أعراضهم ووقاية أموالهم من عادية أجلاف أهل الشام وطلب منهم أن يخرجوا معه وأن يفروا عنه فما فعلوا فحينئذٍ دعا على نفسه بفراقهم قائلاً: «اللهم أبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني».

فهذا هو الجيش الناهض مع الحسن بن علي «عليهما السلام» الذي يستعظمه المستعظم ويرى أنه ذا أثر في القوة واستعداد للمقاومة، ولا يرى أن في مثل هذا الجيش رجال الأطماع والخيانة وأهل الأوتار والأحقاد الذين قتل أمير المؤمنين

«عليه السلام» آبائهم وأبنائهم وإخوانهم بالنهروان فهم يتذكرون تلك الأحقاد لذا أغاروا على رحل الحسن «عليه السلام» فانتهبوا كلما في فسطاطه وطعنوه في فخذه، هذه أمور لا ينكرها منكر فكيف يوثق بجيش يخذل فيه حتى ابن العم ويخون فيه الحميم القريب ذو الرحم الماسة والقرابة القريبة؟! هذا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب قائد القوات المتقدمة المقدمة وأمير القوة الأولى الزاحفة لملاقاة أهل الشام وهي عمدة الجيش ونخبة العسكر قد التحق بمعاوية رغبة منه في عطائه وأسلم ابن عمه الحسن السبط «عليه السلام» مع كونه كان موتوراً وله ثار عند معاوية، فإنه وتره بقتل ولديه الصغيرين في سرية بسر بن أرطأة العامري وغارته على اليمن.

وقد حكى المؤرخون أن بعض الأشراف من الكوفيين قال لعمه: دعنا نقبض على الحسن ونسلمه إلى معاوية قبضاً باليد لنضع عنده يداً وننال به من عنده الحباء الجزيل.

فقال له عمه: بئس ما قلت، أتأمرني بتسليم ابن بنت رسول الله ﷺ لمعاوية يقتله؟ فبماذا أعتذر عند جده؟ وقد صرحت الآثار الصحيحة فيما نقله عمدة المؤرخين أن معاوية كاتب وجوه أهل العراق واطمعهم بالأموال والولايات أن هم خذلوا الحسن «عليه السلام» فأجابوه إلى ذلك ووعدوه بتسليم الحسن «عليه السلام» قبضاً باليد عندما يلتقي العسكران، وقد أرسل معاوية إلى الحسن «عليه السلام» بتلك الكتب وأعلمه بنية أصحابه.

ولم تزل أفعال أهل العراق على هذه الوتيرة قديماً وحديثاً ويكفيك فعلهم مع المختار بن أبي عبيدة ومصعب بن الزبير ويزيد بن المهلب وغيرهم.

فخاف الحسن «عليه السلام» أن يسلموه أو يسلموه لعدوه قبضاً باليد وإن حارب حارب بإخوته خاصة لا يشركهم في ذلك إلّا نفر يسير من أهل الكوفة خُلَّص شيعة أبيه وخاصته وهم أعداد قليلة لا تقوم لدفاع ذلك التيار الجارف ولا شك أنهم يستأصلون لو أراد المحاربة فيقتل هو وإخوته وينقطع بقتلهم نسل رسول الله ﷺ وقد كان أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين إذا رأى تسرع الحسن والحسين «عليهما السلام» إلى الحرب يقول: «أملكوا عني هذين الغلامين لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ».

وخذ من التاريخ ما لك فيه مقنع ولعلك لا تشك بعد هذا أن هذه السياسة الحسنية والحال هذه هي التي يجب اتباعها والعمل بموجبها عقلاً وشرعاً.

قال الطبري في التاريخ[١] في أخبار الحسن السبط «عليه السلام»: ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألف وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن فبينما الحسن «عليه السلام» في المدائن إذا نادى مناد في العسكر: إلّا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا فنفروا فنصبوا سرادق الحسن «عليه السلام» حتى نازعزه بساطا كان تحته وخرج الحسن «عليه السلام» حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان عم المختار بن زيد عاملاً على المدائن وكان إسمه سعد بن مسعود فقال له المختار - وهو غلام شاب - هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه؟ بئس الرجل انت.

فلما رأى الحسن «عليه السلام» تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس فقدما على الحسن «عليه السلام» بالمدائن فأعطياه ما أراد وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها ثم قال الحسن «عليه السلام» في أهل العراق: يا أهل العراق إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم لي وانتهابكم متاعي.

وقال أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال[٢] من جملة حديث المصالحة: فوقف عبد الله بن عامر فنادى: يا أهل العراق! إني لم أر القتال وإنما أنا مقدمة معاوية وقد وافى الانبار في جموع أهل الشام فاقرأوا أبا محمد الحسن «عليه السلام» وقولوا له: أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك، فلما سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال.

وذكر المسعودي في مروج الذهب[٣] خطبة الحسن «عليه السلام» في الخصال الثلاثة التي ذكرها الطبري وقال: وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن «عليه السلام» ورحله وطعنوه بالخنجر في جوفه، فلما تيقن ما نزل به أنقاد إلى الصلح.

وقال الحافظ العسقلاني في كتابه الإصابة[٤] عن الشعبي: بايع أهل العراق بعد علي «عليه السلام» الحسن «عليه السلام» فسار إلى الشام وفي مقدمته قيس بن

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٩٢.
(٢) الأخبار الطوال: ٢١٩.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٥٣.
(٤) الإصابة ١/ ٣٢٠.

سعد في اثنى عشر ألف يسمون شرطة الخميس فنزل قيس بمسكن من الأنبار، ونزل الحسن «عليه السلام» المدائن فنادى مناد في عسكر الحسن «عليه السلام»: ألا إن قيساً بن سعد قد قُتل، فوقع الانتهاب في العسكر حتى انتهبوا فسطاط الحسن «عليه السلام» وطعنه رجل من بني أسد بخنجر فدعا عمرو بن سلمة الأرحبي وأرسله إلى معاوية يشترط عليه وبعث معاوية عبد الرحمٰن بن سمرة وعبد الله بن عامر فأعطيا الحسن «عليه السلام» ما أراد.

وقال الحافظ الدميري في حياة الحيوان[١]: بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ثم سار إلى المدائن وأستقر بها، فبينما هو بالمدائن إذ نادى مناد أن قيساً قد قُتل فانفروا، وكان الحسن قد جعله مقدمة الجيش وهو قيس بن سعد بن عبادة فلما خرج الحسن «عليه السلام» عدا عليه الجراح الأسدي قاتله الله وهو يسير معه فوجأه بالخنجر في فخذه ليقتله فقال الحسن «عليه السلام»: قتلتم أبي بالأمس ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهداً في العادلين ورغبة في القاسطين، والله لتعلمن نبأه بعد حين، ثم كتب إلى معاوية بتسليم الأمر اليه.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين[٢]: وجه معاوية إلى عبيد الله بن العباس أن الحسن قد راسلني بالصلح وهو مسلِّم إليّ الأمر فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم يعجل لك النصف في هذا الوقت وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعد، الخ.

وقال ابن أبي الحديد[٣]: فسار معاية قاصدا إلى العراق وبلغ الحسن «عليه السلام» مسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك وبعث حجر بن عدي، فأمر العمال بالتهيؤ ونادى المنادي: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يوثبون ويجتمعون وقال الحسن «عليه السلام»: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال له: أخرج فخرج الحسن «عليه السلام» وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلون ما تحبون إلَّا بالصبر على ما تكرهون، بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا بالمسير إليه فتحرك

---

(١) حياة الحيوان ١/ ٥٣.
(٢) مقاتل الطالبيين: ص٢٩.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٤.

لذلك أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون ونرى وترون، قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له.

قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام، ألا تحبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فراغون كالثعالب؟ أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها؟ ثم استقبل الحسن «عليه السلام» بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره ووفقك لما تحمد وروده وصدوره قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليوافي، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكر.

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعقل بن قيس الرياحي وزياد بن خصفة التيمي فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلموا الحسن «عليه السلام» بمثل كلام عدي بن حاتم في الاجابة والقبول، فقال لهم الحسن «عليه السلام» صدقتم رحمكم الله ثم نزل وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج.

ثم ساق القصة وفيها خذلان عبيد الله بن العباس للحسن «عليه السلام» وغدره به وما صنع أهل العراق بالحسن «عليه السلام» من نهب أمتعته حتى انتزعزا مطرفه وكل ذلك مشهور يكفي فيه ما أوردنا، وإن معاوية نفسه ليعترف بخذلانهم للحسن «عليه السلام» فاعتبر وصيته لابنه يزيد عند موته وقد ذكرها كثير من أهل العلم وأنا أحكيها لك بلفظ الجاحظ فإنه قال في البيان والتبيين[1]:

لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المري والضحاك بن قيس الفهري وقال بلغا عني يزيد وقولا له: أنظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعهده، وانظر إلى أهل العراق فإن سألوك عن عامل لهم كل يوم فاعزله عنهم فإن عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدري ما أنت عليه منهم ثم أنظر إلى أهل الشام فأجعلهم الشعار دون الدثار فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم فإن أظفرك الله به فارددهم إلى بلادهم ولا يقيموا بغير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم ولست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فأما عبد

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٠٨.

الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسين فإني أرجوا أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل اخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، الخ.

وليس غرضنا الاستيفاء في نقل القصص ولكن حسبك أن تعرف كيف كانت حال الحسن «عليه السلام» مع تلك الجماهير الخونة والجموع الغدرة التي لا ثبات لها ولا وفاء.

شاعر:

تسر وفاء ثم تظهر غدرة لعمرك إن الرأي فيك لعازب

فقد عرف المنصف أن تلك الموادعة والمصالحة كانت اضطرارية وتنازل الحسن «عليه السلام» عن سلطانه لمعاوية الغاصب كان مقهوراً عليه قد غلبته على رأيه من المضي في طلب حقه خيانة الخائنين على أعطائه مادة السلم ورضاه به ثم تجلت المصلحة في هذه الموادعة بأجلى مضاهر النفع العام لراحة الأمة والمصلحة الخاصة بنشر التشيع حتى في الشام القطر الأموي كما ظهرت ثمرة مصالحة النبي ﷺ وموادعته لقريش بالحديبية فقد كره ذلك جماعة من الصحابة وأنكره بعضهم أشد الإنكار، ورأى أن ذلك من الوصمة والعار الذي يلحق المسالم بظنه القاصر وكذلك الآراء القاصرة بهجن المطالب المهمة ذات المصالح الكبرى والفوائد الجمة فاستبان رغم إنكارهم ثمرة متاركة الحرب وتقرير القاعدة السلمية بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش حيث أن بها سهل اختلاط المسلمين بالمشركين لما رفعت الموانع عنهم وزالت التحجيرات فتمكنوا بذلك من بث الدعاية إلى الإسلام ونشر عقائد الدين وتقرير أصول الشريعة فاتسع بسبب ذلك نطاق الإسلام وكثر المعتنقون له.

حتى قال بعض المحققين من العلماء: إن المسلمين الذين أسلموا في مدة صلح الحديبية أربوا أضعافاً على المسلمين الذين أسلموا في بدء الدعوة الإسلامية ومن زمن البعثة إلى مدة الصلح وعقد الهدنة تحت الشجرة بالحديبية، وفي موادعة الحسن بن علي «عليهما السلام» لمعاوية ومهادنته لأهل الشام أختلط العراقي بالشامي لأن التحجير قد ارتفع وزال المنع من اختلاط القطرين حيث أصبحت مملكة واحدة وحكومة واحدة فلما حصل الاختلاط بين أهل القطرين وتآلفت المجتمعات وضمت الأندية حفلات جامعة للعراقي المفكر والشامي البسيط فجرت محادثة أدى فيها العراقي جهوداً بذلها في إقناع الشامي المنحرف عن أهل البيت فعرف حقهم كثير من أهل الشام ودان بولاياتهم جماعات حتى أنتشر التشيع في جميع عواصم سوريا وقراها.

حتى قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في أهل حمص[١]: ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وترابها الذين يفسدان العقل حتى يضرب بحمقهم المثل، إن أشد الناس على علي «عليه السلام» بصفين مع معاوية كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً وجداً في حربه، فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى أن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية وأصلهم الإمامية الذين يسبون السلف فقد التزموا الظلال أولاً وأخيراً فليس لهم زمان كانوا فيه على الصواب، إنتهى.

وحمله الغيض والحنق حتى تكلم بالبهت والباطل وينطق بالكذب ولا يُلام لأنه خارجي والخارجي يرى تكفير المسسلمين ديناً ويبغض بطبعه محب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فهو يتحرى التشنيع عليه في كل اموره ويتطلب انتقاصه بكل صفة ويجهد في تشويه سمعته بكل ما أمكن ولا ذنب للإمامية إلَّا محبة من أحبه الله ورسوله ﷺ وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام» كما في حديث خيبر المتواتر روايته من الفريقين السنة والشيعة، وإنما أوردنا كلامه لتعرف أن التشيع أنتشر في عواصم الشام بعد الموادعة والمصالحة العامة وإلقاء تلك الحروب أوزارها.

وقد ذكر البيهقي الشافعي في كتاب المحاسن والمساوئ[٢]: إن أهل حمص أوفدوا رجلاً إلى ابن عباس فاستفسره عن فضل علي بن أبي طالب «عليه السلام» فأخبره بحجج قاطعة وأقنعه بدلائل ساطعة وبراهين لامعة في قصة مطولة يقول في آخرها[٣]: فقال الشامي: يا ابن عباس! ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عني فرج الله عنك، أشهد أن علياً مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وجميع ذلك نتج عن اختلاط الشعبين العراقي والسوري عند الموادعة وعقد الهدنة وقبل ذلك ما كان يخطر في أذهان أهل الشام فضل لآل محمد ﷺ حتى يوفدوا وفدهم مستفسراً من علماء الصحابة وأكابر أهل البيت، مضت أيام الحروب كلها بعد مقتل عثمان وامرة معاوية ولم تذكر لرسول الله ﷺ قرابة حتى أن بعض الشاميين لما مضت تلك الشدة كان يحلف بالله أنهم لم يعرفوا لرسول الله ﷺ قرابة غير آل أبي سفيان، وبسبب مهادنة الحسن «عليه السلام» زالت تلك التمويهات وتجلى الحق بارزاً بأجلى مظاهره وانكشف الستر المسدول على الحقيقة فتألقت ناصعة.

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٤٠.
(٢) المحاسن والمساوئ ١/ ٣٠.
(٣) المحاسن والمساوئ: ص٣٢.

فسياسة الحسن «عليه السلام» في هذه الموادعة هي السياسة الوحيدة في نوعها وهي التي يتحراها كبار الرجال السياسيين ولا سيما الدول الحرة والحكومات المتمدنة التي تطمع في استعمار الشعوب فمدت نفوذها على الأقطار فأستعمرتها بهذا الأسلوب فهذه الخطة التي رسمها شبيه رسول الله أبو محمد الحسن «عليه السلام» هي دستور الرجال السياسيين اليوم ولا يجهل فضيلتها إلَّا مطموس البصيرة معدوم العقل والتفكير جاهل بمواد السياسة وشؤون الإدارة وليس له حظ من علم ولا ميزة من عقل ولو عقل لعلم أن الظافر الحسن «عليه السلام» لا معاوية وأن المغلوبة أُميّة لا هاشم وقد ظهرت النتيجة أخيراً بانحطاط أُميّة واستعلاء هاشم في الشرق والغرب ولم يبق لأُمية رسم إلَّا رسم المقت ولا إسم إلَّا إسم المذمة والتهجين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

سياسة الحسين بن علي «عليهما السلام»

وأما سياسة الحسين «عليه السلام» ونهضته فقد علم كل أحد إنه «عليه السلام» لم ينهض طلبا للملك ولا إرادة للسلطنة وإنما كان نهوضه لنصرة العدل وإحياء الشرع والسنة النبوية وإماتة الجور والبدعة، ولو تيقن أنه يقتل في سبيل ذلك لا يحل له إلَّا النهوض ومقاومة أئمة الجور وإن ضحى بنفسه وبذل نفيسه ونفوس الأعزاء من أهل بيته وصحبه الكرام، ومن لم يعرف الحسين «عليه السلام» حق معرفته لم يقدر نهضته تقديرها اللائق بها ولم يعرف رموز سياسته العجيبة ومقاصده العالية نهض الحسين «عليه السلام» لكبح جماح نزوة الجور الفرعوني ورد طيش النزق الأموي.

وليس ذلك كما يتخيله من لا علم له ولا فقه في الدين ولا نظر في مدارك العقل إنها من الثهلكة المنهي عنها لأن التهلكة المذمومة هي المخاطرة بالنفس من حيث يتلف الإنسان نفسه بلا فائدة دينية ولا ثمرة تعود على الإسلام بكبير نفع وإلا لو كان كلما يجر إلى تلف النفس تهلكة لسقط فرض الجهاد من أصله وهل الجهاد إلَّا القتل وإلقاء النفس في التهلكة؟ وكيف وقد عير الله الفارين من الزحف بفرارهم واوعدهم بالعقوبة، وقرن فعلهم بالمقت، وأوعد الثابتين في مراكزهم بالحباء الجزيل والكرامة التي لا تفنى، وأخبر أنهم: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2] وأنه يحب الواقفين في مراكزهم الحربية متراصين تراص البناء.

---

(١) الأنعام: ٤٥. (٢) آل عمران: ١٦٩.

فلو كانت كل مخاطرة بالنفس في سبيل نشر العدل وإقامة الحق تعد تهلكة ممقوتة لسقط الفرض من أصله ولأصبحت تكاليف الأنبياء في ردع جبابرة الملوك عن الكفر والجور واتباع النفس السبعية من التكاليف الساقطة لأنها تهلكة في زعم هذا المتخيل، لا أحسب أن الجاهل الصرف يعتقد هذا في الأنبياء فضلاً عن المتنور صاحب الذوق الحلو والسليقة المستقيمة.

ولكن بين المتجددين من أبناء هذا العصر فئة متكتلة في محاشدها تحمل على عاتقها نقد كل مسألة من مسائل الدين الإسلامي مع علمها بموافقتها للعقل والمدنية وفي ضمن تلك الفئة ناشئة تمت بنزعة أموية لا علاقة لها مع الأديان والمذاهب، ولا نصح عندها ولا إخلاص لسائر الفرق والطوائف التي تنضوي إليها وتتحيز لها وتنضم إليها ظاهراً وإنما قصدها الغش بالقاح الفتنة بين أمة محمد ﷺ لذلك تجدها تبحث أشد البحث عن سيرة أهل بيت النبوة لتنقدها وتقدح في فاعلها ليثور لذلك ناصروهم ويثاورهم مناؤوهم فيتوتر الخلاف بين الأمة ويستحكم الشقاق بين المسلمين، وكم أخبرني مخبر وأعلمني مطلع عن هؤلاء أنهم يقدحون بالحسين «عليه السلام» بأنه ألقى نفسه في التهلكة ولا تعلم الجرباء بمن احتكت ولا الجماء لمن نطحت.

وخذ الجواب مني مفصلاً: إن ملاقات التهلكة لا تعاب إلَّا لمخالفة العقل أو لمخالفة الشرع لا ثالث لهذين الأمرين.

أما العقل: فلا يقف دون تضحية النفس ممانعاً بأي طرقها كانت بل يحبذ التهلكة ويحث على الانتحار لأقل شيء يمس كرامة أرباب النباهة من الشخصيات النبيلة ولذلك كان مذهب جماعة من الفلاسفة القدماء والحكماء السالفين الانتحار في سبيل خلاص هذه الروح الشفافة من العلاقات الفيزيقية الكثيفة لتلحق بعالمها الأثيري الروحي وتتخلص من شوائب الأكدار الجثمانية التي تلازمها مدة التقمص به فتعيش تحت ظل الصفاء الخالص من الكدورات في عالم الأرواح الدائم الأبدي.

وأما رجال السياسة وعضماء الدول المتمدنة الحرة وهم من اجلى مظاهر العقل البشري وأعظم العقلاء تفكيراً، فالانتحار لهم سنة لازمة وشريعة متبعة في سبيل أي عرض سياسي عرض لهم لا يمكن التخلص منه إلَّا بالانتحار فلا تحول التهلكة بينهم وبين الانتحار لم نجد من ذمهم على هذا وعابهم بهذه التهلكة من جميع العقلاء، بل نجد العكس وهو الثناء عليهم والتقريض لهم، وربما يقيم

الشعب لهم تذكاراً إذا كان ذلك في سبيل إحياء مجدهم، ولو عددنا أسمائهم لخرجنا عن البحث المقصود لنا.

فاذا كان ديدن العقلاء من فلاسفة وسياسيين على إلقاء أنفسهم في التهلكة وإتلافها بأيديهم لثمرة يتخيلونها وفائدة يضنونها فلا يعاب عليهم ولا يقدح فيهم، فكيف يعاب من لم يفعل ذلك بنفسه وإنما فعله عدوه به لامتناعه من الرضوخ للمذلة والأنقياد للهوان فالقادح في مثل هذه الشخصية يعد من الغوغاء السفلة لا من العلماء البارزين.

وأما الشرع: فلا يخلو الناقد إما أن ينتحل مذهب التشيع أو يعتنق أحد المذاهب السنية والأول لا حق له في قدح الحسين «عليه السلام» لأن إمامته وعصمته تمنع كل نقد يتوجه إليه فإنه أعرف وأعلم بما صنع.

واما المتسنن وليس معه حجة إلّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1] هذه الآية عمدة ما يموه بها مبغض آل محمد ﷺ وعدو الحسين «عليه السلام» خاصة بأن مقاومة من لا تقدر عليه تهلكة نهى الله عنها في القرآن، فيرى البسيط الذي لا علم عنده ولا إحاطة أن هذه الحجة لازمة ويغتر الساذج بهذه التعمية ونحن خدمة الحسين «عليه السلام» نكشف الغطاء عن وجه الحقيقة.

إن القرآن المجيد حجة على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة لكن بمعناه الذي نزل به وتلقاه الصحابة عن مصدره الأصلي، ومن نزل عليه وهو النبي ﷺ لا ما تخيله الجهلة وظنه الأغبياء أنه معناه فإن ذلك خيال واهي وظن باطل وتحكم على القرآن وعلى من نزل عليه القران، وفي الحديث: «لا تفسروا القران بآرائكم»، وفيه: «إن من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، ولسنا ننقل هنا ما قالته الشيعة في تفسير هذه الآية فيكابر الخصم ويباهت وإنما ننقل له ما قاله أهل مذهبه من أهل السنة والجماعة لتكون حجتنا أبلغ ودليلنا اقوى.

إن أهل العلم من أهل السنة يرون أن التهلكة في هذه الآية هي ترك طاعة الله من الجهاد وغيره لا قتل النفس كما يموه به هذا الغبي، وقد جاء في تفسيرها أحاديث كثيرة وضمنتها المعاجم الستة الموسومة بالصحاح الستة لأهل السنة ومنها سنن أبي داوود الذي قالوا إنه أصح الصحاح بعد الصحيحين وقدمه بعضهم على صحيح مسلم ونص الحديث فيه[2]: باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) سنن أبي داود ١/ ٣٩٣ المطبعة التازية في مصر.

﴿ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾، وذكر إسناد الحديث عن أبي عمران، قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه لا اله إلَّا الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾[1]، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها ونترك الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية، إنتهى.

أبو أيوب هو صاحب منزل رسول الله ﷺ والحديث رواه جماعة من الحفاظ كما رواه أبو داود وقد تعرض لهذه المسألة كثير من علماء السنة ونحن نكتفي بأيراد كلام رجلين من أعيان علماء أهل السنة أحدهما حنفي والآخر شافعي:

أما الحنفي فهو شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ولفظه في شرح السير الكبير[2] وذكر عن البراء بن عازب «رضي الله عنه» أن رجلاً سأله عن التهلكة أهو الرجل إذا ما التقى الجمعان فحمل فقاتل حتى يقتل؟ فقال: فقال: لا ولكنه الرجل يذنب ثم لا يتوب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾ فوقع عند السائل أن من حمل على جماعة من الأعداء يكون ملقياً بنفسه إلى التهلكة فبين له البراء بن عازب أن الملقي نفسه في التهلكة من يذنب ثم لا يتوب فإنه يصير مرتهناً لصنيعه، فأما من حمل على العدو فهو يسعى في إعزاز الدين ويتعرض إلى الشهادة التي يستفيد بها الحياة الابدية فكيف يكون مُلقياً نفسه في التهلكة.

ثم بيّن المذهب فقال: لا بأس بأن يحمل الرجل وحده وإن ظن أنه يُقتل إذا كان يرى أنه يصنع شيئاً يقتل أو يجرح أو يهزم فقد فعل ذلك جماعة من الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد ومدحهم على ذلك.

وقيل لأبي هريرة: ألم تر إن سعد بن هشام لما التقى الصفان حمل فقاتل حتى قتل وألقى بيده إلى التهلكة؟ فقال: كلا ولكنه تأول آية من كتاب الله وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٩٥.
(٢) شرح السير الكبير ١/ ١١١ طبع حيدر آباد.
(٣) البقرة: ٢٠٧.

فأما إذا كان يعلم إنه لا ينكى فيهم فإنه لا يحل له أن يحمل عليهم لأنه لا يحصل بحملته شيء مما يرجع إلى إعزاز الدين ولكنه يقتل فقط وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[١] وهذا بخلاف ما إذا أراد أن ينهى قوماً من فساق المسلمين عن منكر وهو يعلم أنهم لا يمتنعون بنهيه وإنهم يقتلونه لا بأس له بالإقدام على ذلك وهو العزيمة وإن كان يجوز له أن يترخص بالسكوت لأن القوم هناك يعتقدون ما يأمرهم به فلا بد من أن يكون فعله مؤثراً في باطنهم.

أما الكفار غير معتقدين لما يدعوهم إليه فالشرط أن تكون حملته بحيث ينكى فيهم ظاهراً فأما إذا كان لا ينكى فلا يكون مفيداً فيما هو المقصود فلا يسعه الإقدام عليه، والله الموفق، إنتهى.

وهذا الفقيه صرح بأن الاقدام على ردع المسلمين عن المنكر واجب وإن قتل لأنه قال عزيمة فما بال الجاهل الأحمق يعترض نهضة الحسين «عليه السلام» ويقول تهلكة وأهل العلم يقولون عزيمة وفريضة محتمة.

أما الشافعي فهو الحافظ أحمد بن حجر المكي الهيثمي حجة سنة أهل الحجاز ومصر وكلامه مطول فلا بد أن نتصرف فيه بحذف بعض الفصول، قال في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر[٢]: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٣]، قال: التهلكة ما أمكن التحرز وقيل هي نفس الشيء المهلك وقيل هي ما تضر عاقبته وأختلفوا في تغيير الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، فقيل: هو راجع إلى نفس النفقة وعليه قول ابن عباس والجمهور وإليه ذهب البخاري ولم يذكر غيره على أن لا ينفقوا في جهات الجهاد أموالهم فيستولي العدو عليهم فيهلكهم فكأنه قيل: إن كنت من رجال الدين فأنفق مالك في سبيل الله وإن كنت من رجال الدنيا فأنفق مالك في دفع الهلاك والضرر عن نفسك.

وقيل: هي الإسراف في النفقة لأن إنفاق جميع المال قد يؤدي إلى الهلاك عند الحاجة الشديدة إلى المأكول والمشروب.

وقيل: هي السفر إلى الجهاد بلا نفقة وقد فعل ذلك قوم فانقطعوا في الطريق.

وقيل: المراد غير النفقة وعليه فقيل: هي أن يخلوا بالجهاد فيتعرضوا للهلاك الذي هو عذاب النار.

---

(١) النساء: ٢٩.
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ١٣٦ مطبعة المكتبة التجارية بمصر.
(٣) البقرة: ١٩٥.

وقيل: هي اقتحام الحرب بحيث لا يقتل من غير نكاية تحصل منه للعدو لأنه حينئذ قاتل نفسه تعدياً، ورده بعضهم ثم ذكر الاستدلال الراد له بحديث أبي أيوب المتقدم، ثم قال: واستدل أيضاً بأن جماعة من الصحابة ألقوا بنفوسهم إلى العدو وأثنى عليهم النبي ﷺ وكذا وقع في زمن عمر لرجل فقيل ألقى بنفسه إلى التهلكة فقال: كذبوا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1]، ثم قال: وقيل: هي إحباط الإنفاق في الجهاد بالرياء والسمعة والمنة، وقيل: هي القنوط بأن يصيب ذنباً فيرى إنه لا ينفعه معه عمل فينهمك في المعاصي، وقيل: انفاق الخبيث، وقيل غير ذلك.

قال الطبري: وهي عامة في جميع ما ذكر لأن اللفظ يحتمله، وما مر في قصة أبي أيوب رواها بنحوها الترمذي وقال: حسن غريب صحيح، الخ.

فإذا عرفت بأن القائل بإلقاء النفس إلى التلف في خصوص حرب الكفار لا في دعاية المسلمين وردعهم من القول الشاذ الساقط فكيف يجوز أن تنتقد سياسة الحسين «عليه السلام» لقول شاذ في معنى خاص لا يتناول نهضته كما عرفك شمس الأئمة فاتق الجهل واحذر الغباوة فإن المتصف بهما ممقوت ومذموم، والإمام الحسين «عليه السلام» قد أوجب عليه الشرع هذه النهضة والعقل أيضاً أوجب عليه القيام بحفظ واجب الشرف والمجد على دنس الاستعباد إذ إن خلع نير الاستعباد من واجب العقل فالعقل يمنح كل كريم من سلالة كرام أن يتمتع بحرية العيش ولا يرضى له الهوان والمذلة فقد كانت بنو أُميّة لا ترى حرمة لصلحاء الأمة ولا ناموساً لأشرافها ما دامت لها السلطة والسيطرة، فقد ضربوا سعيد بن المسيب الفقيه القرشي مائة سوط وشهروه وأركبوه على حمار وطافوا به سكك المدينة وألبسوه التبان، ولم يصدر منه ذنب يستحق به العقوبة سوى إنه قال: لا أبايع بيعتين في الإسلام في وقت واحد، وقد دُعي إلى بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان وقد منعته عن ذلك رواية عن رسول الله ﷺ في النهي عن بيعتين في وقت واحد.

وضربوا ثابت البناني الفقيه العبد الصالح مائة سوط أيضاً وسيروا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ ونفوه حتى مات طريداً في البادية، ونفوا جماعة من صلحاء الأمة وملأووا السجون بعباد الله المسلمين على الظنة والشبهة.

ولا شك أن الحسين «عليه السلام» لا يبايع ليزيد بن معاوية المتجاهر

(١) النساء: ٢٩.

بالفسق والفجور فإما أن يقيم على امتناعه من بيعته ويبقى تحت سلطتهم وسيطرتهم يقاسي أنواع المذلة وضروب الهوان من الضرب والتشهير وربما قتل مضيعة إن أصر على الامتناع فيقتل قتلة ذليلة لا فخر فيها ولا علاء وحمية الحسين «عليه السلام» وإباؤه وشرفه ومجده يأبى كل ذلك، فالعقل يأمره بالمخاطرة بنفسه لأجل حماية مجده عن المنقصة وتحرير هذه الأمة المسكينة التي باتت تقاسي ضربات الاستبداد الأموي القاسية والتي بقيت تئن تحت ضغط الجور المجتاح لها برهة من الزمن، فإما أن يتمكن من دفع ما جابهته بلاده وقومه من الصعوبة والحراجة، أو يموت كريماً محمود العاقبة يوجب له العقلاء الأحرار الثناء في كل دور من ادوار الحياة ما عاش الاحرار من بني الإنسان الذين يأنفون من الرضوخ لذل الاستعباد للأدنياء المتسلطين عليهم بالجبروتية والعنف، ويأبون الخضوع لقساوة الاستعمار.

فسيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» من الوجهتين الشرعية والعقلية كان من واجبه النهوض بالدعوة إلى العدل والخروج عن طاعة أُمراء الجور، وليس في الموت عار ولا عنه محيص وقد ردد ذلك في خطبته الرنانة كقوله «عليه السلام»: «لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم»، وغيرها من خطبه العجيبة وقد جرى على لسانه كثير التمثل بأشعار الحماسيين من العرب كقول بعضهم:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وقد تخيل بعض من لا المام له ولا وقوف على الحقائق أن خروجه «عليه السلام» عن الحجاز قاصداً للعراق طالباً مصر الكوفة خاصة عن اختيار منه وإرادة، ويضن ذلك في فكره القاصر أن هذا القصد خطأ في الرأي ولكن المصيب الحسين «عليه السلام» والمخطأ غيره كائناً من كان.

فالتحقيق أن الحسين «عليه السلام» اضطرته الضروف الحرجة إلى قصد الكوفة فقصدها غير واثق بأهلها ولا مطمئن باستقامتهم وإن كاتبوه، وقد أكد فكرة الناقدين لسيره إلى الكوفة أعتراض المعترضين عليه من النصحاء كابن الحنفية وابن عباس وغيرهما ونهيهم له عن الخروج عن الحجاز وأن يتوجه إلى غيرها من العواصم الإسلامية كاليمن أو يلتحق بالشعاب والأودية ورؤوس الجبال، هذا رأيهم أجمع، نعم كل ناصح يشير بمبلغ علمه من الرأي بعد أن يبذل مجهوده ولكن لا ينبغي الأخذ بالنصيحة ما لم تكن على جانب السداد لكن الناصح لا يهتم إذا كان أخطأ الرأي الأصوب بعد أن أدى واجب النصيحة في بذل مجهوده من التفكير.

وقد أشار غير ابن عباس وابن الحنفية على الحسين «عليه السلام» بقصد اليمن ولم يكن عند الحسين «عليه السلام» ذلك بالرأي السديد لعلمه «عليه السلام» وجهلهم بحقيقة الأمر غفلة وذهولاً.

كانت اليمن في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» وعليها ولاته وأُمراؤه وبها شيعته كما ذكروا، فأرسل إليها معاوية جيشاً بقيادة بسر بن أبي أرطأة العامري، ففتك بهم ذلك الفتك ولم يقفوا أمامه ساعة من نهار ولا انتصفوا منه وقد أحل بهم الدمار وأشرف بهم على البوار، هذا ولم تجر لهم معه معركة ولا دافعوا عن أنفسهم، ودفعوا عدوهم الجائر المتسلط السافك لدمائهم الذي بقر بطون الحبالى واستخرج الأجنة وذبح الأطفال فلم يقاوم تيار جوره منهم مقاوم وهم ألوف أضعاف الجيش الغازي لهم بكثير ولولا همة أمير المؤمنين «عليه السلام» بإرسال ألفي عراقي إلى اليمن بقيادة جارية بن قدامة السعدي التميمي أحد ثقاته فطرد بسراً عن اليمن ونفاه عن أرضهم وأرجعه صادراً خاسئاً ذليلاً فاراً منه فرار الأرنب من الذئب، ولولا ذلك لأفناهم وأبادهم.

فاذا كانت هذه همة هؤلاء فكيف يثق الحسين «عليه السلام» بهم ويقصدهم سيما وقد تمركزت فيهم الدعوة الأموية، وسرت فيهم روح النفاق وأنتشرت جراثيم الفساد في تلك الأصقاع وقد سيطر الجور والظلم على المتمسكين بالعدل من أهالي تلك البلاد فأصبح المحق منهم اسير السلطة الأموية الجائرة موثق بقيد وثيق من طاعتهم وولاة يزيد في أقطارهم هم المهيمنون على اليمن بأسره كبحير بن ريسان الحميري وأضرابه، فلا بد من قصد العراق، وقد علم الناس قاطبة غدر أهل العراق وخاصة الكوفة وهي إلى اليوم وشيجة نابتة وسجية ثابتة ذات عروق مشتبكة والعوام في عصرنا إذا تبين لهم خيانة عشيرة أو غدر قبيلة بأخرى أو ميلها مع المتسلط الغالب بعد توكيدها الحلف مع المغلوب يقولون في أمثالهم بلغتهم الدارجة «هوسة ما سرع دورة كنداغج» ولذلك شواهد لا يهمنا إثباتها من نقض العهود والمواثيق فيما شاهدنا وسمعنا ولا همنا إلَّا التعرض لقديمها.

فلظهور الخيانة في أهل الكوفة وتواتر الغدر فيهم أنتقل عنهم أبو العباس السفاح إلى المدينة الهاشمية فاختطها وسكنها وكررها أخوه أبو جعفر المنصور لقربها منهم فأنتقل إلى بغداد بعد أن بناها.

وقد أكثر أهل البيت في أشعارهم من وصفهم في ذلك العصر بالغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق ومن أعظم ما افتضح به هذا الشعب وانكشفت به

سرائرهم الخبيثة وبان به نفاقهم وفجورهم، واختزنوا به أمام الأمم والشعوب مقتهم فيه جميع أهل الأديان وسائر العقلاء وبقي وسماً في جباههم إلى يوم القيامة يمقتهم به كل أحد، ويشنؤهم به كل حليم، ويشتمهم به كل متدين، ويلعنهم به كل ملَك وملِك غدرهم بالحسين ابن رسول الله ﷺ وعجزهم عن الوفاء له بما كتبوا به إليه وهم سبعون ألف كوفي مسلح سوى أبنائهم وعبيدهم ومواليهم.

وأقبل إليهم عبيد الله عبد بني علاج وابن عاهرة ثقيف العبد الزنيم ابن زياد في عبيده وخوله بسوطه وعصاه فأنقادوا له وأذعنوا بالطاعة ولم يسل عليهم سيفاً، فيقال خافوه وإنما هو تهديد وتوعيد ستجيء إليكم جيوش أهل الشام، سيقبل إليكم جند يزيد سيطرقكم ما لا قبل لكم به وما لا تقاوموه وأمثال هذا الوعيد والتهديد الذي لا يزيد حقيقة على تفزيع الصبي الرضيع والطفل الصغير إذ يقال في تفزيعه وتخويفه «أتاك الواوي» أي الثعلب، جائك الأرنب فيسكت عن البكاء خوفاً ورعباً يتخيل أن الأرنب والثعلب «الواوي» لقلة علمه وقصور فهمه عن الإدراك أن هذا من البلاء العظيم الذي لا يقاوم فيتغلغل في دماغه الجامد من الرعب ما لا يتغلغل في أدمغة الكبار المميزين من خوف السباع المفترسة كالأسد والنمر.

هكذا يتخيل أهل الكوفة من مواعيد ابن زياد لقلة إدراكهم وقصور أفهامهم عن إدراك وتمييز العقلاء وقد قال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «حلول الأطفال وعقول ربات الحجال» يظنون من جمود أدمغتهم أن الجيوش الشامية مطلة عليهم وحسبوا أن اثرها كبير في الملتقى، وأن أمرهم مرهوب، ونسوا من جهلهم أنهم كافحوهم في بلادهم وضاربوهم في عواصمهم وقارعوهم حتى أغصوهم بالريق فما استطاعوا أن يبتلعوه خوفاً ورهبة فالجؤوهم إلى الفرار ولولا أنهم لاذوا منهم بالمصاحف لاستأصلوهم أجمع فكانت تلك لهم أيضاً خدعة الصبي عن اللبن وهم الذين طردوهم في الغارات بشرقي تدمر عين التمر واليمن وغيرها.

ولم يدر عليهم العبد الأجدع ابن مرجانة الأموال والعطايا ويفرق فيهم الجوائز حتى يقال غرتهم الأطماع وإن المال ليرغب فيه السفاء أرباب الدنيا، إنما كانت مواعيد باطلة وتمنيات كاذبة تشبه مواعيد عرقوب ولمحات السراب، يقول لهم: «إن يزيد أمرني أن أزيد في عطائكم مأة مأة ولم تكن تلك المأة المحقرة في النظر الموعود بها هؤلاء الالاف الغدرة والخونة الفجرة أثر يحس ولا شبح يجس فهي أيضاً تشبه الأولى من كونها كخديعة الصبيان الرضع والأطفال الصغار، أو إن

الفطام متى ما طلب الصبي الثدي أو حن إلى الرضاع يقال له سيجيء أبوك بالرمان وقرص النعناع والحلاوة فيسكت السفيه المغرور وينخدع ذلك الصبي اللكع.

هكذا يظن هؤلاء الأجلاف سخفاء العقول والأوباش الساقطون الأدنياء، وإن عدهم من لا خبرة له أشرافاً إذ لا يكون مولانا الحسين «عليه السلام» ممن تخفى عليه رذالتهم وخلقهم الذميم ولا عنصرهم الفاجر ولا عاداتهم التعيسة، وأقدم عليهم لا لكونهم كاتبوه وإنه وثق منهم بالنصرة راج منهم الوفاء فليس ممن ينسى عاداتهم في الغدر وانطباعهم على الخيانة، كلا، قد غدروا بأبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وأخيه الحسن «عليه السلام» وقد شاهد بنفسه ذلك الغدر ونظر بعينه إلى تلك الخيانة لكنه «عليه السلام» سدت في وجهه الدنيا وضاقت عليه مسالك الأرض العريضة فليس له مستقر ولا مأوى ولا ملجأ.

أما المدينة النبوية فقد علم كل أحد أخذ عمال يزيد بن معاوية بالتشديد عليه حتى خرج عنها مطروداً مشرداً خائفاً مترقباً لا يدري متى يدركه الطلب وتحيط به كتائب المعتدين ولما علم يزيد بن معاوية بأستقراره في مكة المشرفة حرم الله المنيع ومحل الأمن الذي جعله الله حرماً آمناً ويتحطف الناس من حوله وعرف يزيد أن وإليه الأول على المدينة ومكة لا ينفذ أوامره في الحسين «عليه السلام» ولا يفعل جميع إرادته وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وإن كان ابن عمه وحميمه الأدنى ورحمه الأقرب لكن فيه لين عريكة وسمة إنصاف وميل وانجذاب غريزي لحفظ ناموس القرشية ومعرفة، ويصر بالعواقب التي يجهلها يزيد وهي أن في التعرض لسفك دماء ذرية رسول الله قصف العمر ومحق الدولة فهو من الوجهة الأولى لا يضغط على من تخلف عن بيعة يزيد يتألفهم ويداريهم ليجذبهم إليه بجاذب السياسة والسلاسة ويدري أنهم إنما تخلفوا عن بيعة يزيد تحرجاً وتديناً، ومن الوجهة الثانية حيث أنه كان مفكر نظاراً في العواقب يخشى من ناحية الحسين «عليه السلام» أن يصاب في دولتهم فيعجل الله لها البوار ويعاجلها بالدمار فلم يرضا تلك الخطة التي سار عليها ملكه الشقي وآمره الفاجر يزيد بن معاوية ولا أعجبت يزيد هذه الرياضة وسلاسة الأخلاق وإستاء كثيراً من تأخير الفتك بالحسين «عليه السلام» أو إلقاء القبض عليه، فعاجله بالعزل، فكانت هذه أول خطوة خطاها يزيد لإثارة الفتنة التي طغت نيرانها المشعلة بين المسلمين فأبدله على الفور بالمارد المتكبر جبار بني أميّة عمرو بن سعيد بن العاص الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «يرعف على منبري جبار من جبابرة بني امية» فكان ذلك الجبار الراعف

عمرو بن سعيد فإنه حين ولاه يزيد الحجاز والموسم ودخل المدينة رقى المنبر النبوي الشريف فرعف أنفه دماً فتلقاه بعضهم بالعمامة فخطب خطبة قاسية قال بعدها: اركبوا كل بعير بين السماء والأرض واطلبوا الحسين، ثم دس مع الحجاج بصفة الحاج ثلاثين من مردة بني أُميّة وأمرهم على أمر يزيد بقتل الحسين «عليه السلام» فتكاً واغتيالاً أينما كان وحيثما وجد ولو كان معلقاً بأستار الكعبة، وقد علم الحسين «عليه السلام» بذلك فخاف أن تهتك حرمة الحرم بقتله وقد قال «عليه السلام»: «لأن أُقتل خارجاً عنه بباع خيراً من أن أقتل دانياً إليه بذراع» فأحل من إحرامه وجعلها عمرة مفردة وتهيأ للخروج.

وقد كان «عليه السلام» وعد أخاه محمد بن الحنفية وقد أشار عليه أن لا يبرح الحرم ولا يفارق مكة فمنّاه بإعادة النظر فيما قال فلم يفجأ محمد إلَّا تصميم الحسين «عليه السلام» على مغادرة مكة والارتحال عن الحرم فطالبه محمد بالوفاء بما أوعده من النظر والإمام الحسين «عليه السلام» لا يخلف وعده بالاختيار وحيث أن الأمر لم يكن متضحاً لمحمد بن الحنفية ولا عالماً به لم يشته الحسين «عليه السلام» أن يكشفه له لئلا يتكدر عليه عيشه ويستاء من الوقوف عليه أو لضرب آخر من المصلحة التي رآها الإمام وخفت علينا، فأجابه أن رسول الله ﷺ أمره بأمرٍ هو ماض إليه، وقد كان رسول الله ﷺ قد أمر الحسين «عليه السلام» في حياته لما نزلت الملائكة كجبرئيل وملك القطر وغيرهما لتهنئة النبي ﷺ بولادة الحسين وأخبروه بما يجري عليه من أمته بعده، فلما شب «عليه السلام» وترعرع اكد عليه جده محمد رسول الله ﷺ بأن لا يرضخ لحكم بني أُميّة ولا يقارهم على سيرتهم وقد رآهم في منامه ينزون على منبره نزو القردة فسائه ذلك وما أستجمع ضاحكاً حتى مات وهذه الرؤيا المشار إليها بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾(١)، ونزلت سورة القدر والكوثر تسلية له.

ثم لما كانت الليلة التي ارتحل في صبيحتها الحسين «عليه السلام» من مكة رأى جده النبي ﷺ في المنام فأمره بالخروج عن مكة لئلا تستباح بقتله حرمة البيت الحرام وأنه لابد أن يقتل في سبيل إحياء الشرع الذي أماتته أعمال بني أُميّة الماحقة للدين حقيقة، ولما خرج «عليه السلام» لم يدري أين يتوجه كما قالت أخته الحوراء زينب «عليها السلام» في قولها ليزيد بعد دخولها مع السبايا مجلسه الفاضح: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء أن بنا

(١) الإسراء: ٦٠.

على الله هوانا وبك عليه كرامة،» الخطبة المشهورة، وقال السيد جعفر الحلي في رثائه شعراً:

لم يدر أين يريح بدن ركابه فكأنما المأوى عليه محرم

ويقول السيد حيدر الحلي في رثائها «عليها السلام» شعراً:

ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت رأت الحتوف أمامها ووراءها

وهذا السبب قد خفي على جميع من تصدى لذكر هذه الفاجعة العظمى فأغفله المتقدمون والمتأخرون، وأنا أراه من الواضح الجلي الذي يرى بأدنى التفات إلى واقع الأمر وذلك أنه «عليه السلام» خاف القتل بالمدينة وخشي الاغتال بمكة فلم يجد بالبلدين محل أستقرار فتردد أمره بين المسير إلى اليمن أو الشام أو البصرة أو الكوفة وبقية الأقطار تبع لهذه العواصم الأربعة:

أما الشام فسبيلها واضح وهي عاصمة بني أُميّة ومحل تخت يزيد بن معاوية.

وأما اليمن فقد عرفت أمرها وأنها قد استقامت ليزيد وتمهدت له وقد احتلها عماله وولاته وليس لأهل اليمن إلَّا طاعة يزيد ومن بها من الشيعة فتحت الضغط، وبحير بن ريسان الحميري والي يزيد بن معاوية متسلط عليها وتمكن سلطانه بها ونفذ أمره فيها وتمت سلطته وسيطرته عليها فلا يمكن الحسين «عليه السلام» أن يصير إلى اليمن على هذه الصفة وهذه الحال وإنه لا بد له من قوة حربية كافية يتمكن بها من احتلال البلاد وليس معه حين خرج إلَّا أهل بيته الأدنون ونفر يسير من خُلَّص شيعته.

وأمام البصرة فهي بالطبع عثمانية وأحقاد يوم الجمل متوغلة في صدور أهلها وبغض أهل البيت سائد على الغالب من سكانها عليهم رجل من الأزد على بغض أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: كيف لا أبغض من قتل أكثر من خمسمائة من قومي في غداة واحدة! أو ما هذا معناه، اذن فقد تمركزت أيضاً بها دعوة بني أُميّة وضبطها ابن زياد ضبطاً فوق العادة وقد كاتب الحسين «عليه السلام» أشرافهم فلم يحمد ردهم، وأول ما اختبر مما يوجب عدم الوثوق بهم قبضهم على رسوله سليمان ابن رزين وتسليمه إلى ابن زياد فقتله «رحمة الله عليه»، فكيف يطمئن الحسين «عليه السلام» بهم أو يثق فيهم حتى يسير إليهم، فلم يبقْ إلَّا الكوفة.

وإذا عرفت أنه «عليه السلام» مقتول لا محالة أقام أم ظعن، وسواء قصد الشام أو اليمن أو البصرة أو الكوفة كان قصد الكوفة متعين لما فيها من شيعته وأنه لو سبق ابن زياد لاستقاموا له، هذا ما تعرفه الناس من المسوغ لقصد الكوفة وهو

الظاهر عند المؤرخين وأهل السير، والذي أراه حيث أن القتل كان محيطاً به فقصد الكوفة هو المتعين إتماماً للحجة عليهم وتأكيداً للبرهان إذ أنهم كاتبوه وأوثقوا له حتى لا يقولوا لو قصد غير مصرهم من الأمصار فقتل إنه ما جاءنا لو جاءنا لنصرناه ومنعناه ودفعنا عنه كل ما يحيط به من الأعداء وقد قالوا لأبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» مثل ذلك وقد أراد الرجوع إلى المدينة بعد فراغه من حرب البصرة ليغزو منها الشام: امض معنا إلى الكوفة نسير معك إلى الشام ثم في رفع المصاحف خذلوه فذكر ذلك في رجز له:

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا قد قلتموا لو جئتنا فجيت

وقد كان ما كتبوا به إليه ينبئ «عليه السلام» عن هذا حيث كتبوا إليه أن النعمان بن بشير لا نحضر معه جمعة ولا جماعة فلو أقبلت إلينا لأخرناه حتى نلحقه بالشام، الخ.

ولأهل الأمصار التي يقصدها الحسين «عليه السلام» غير الكوفة أن يعتذروا ويقولوا لم نرسل إليك ولم نكاتبك ونحن عاجزون عن مقاومة السلطان وغير قادرين على حمايتك، وليس لأهل الكوفة هذا العذر بل يقال لهم إن كنتم لا تقدرون على منعه فلم غررتموه كما قال لهم سليمان بن صرد الخزاعي حين أجتمعوا في داره ليكاتبوا الحسين «عليه السلام»: إن كنتم تعلمون أنكم ناصروه وقاتلوا أنفسكم دونه فاكتبوا إليه وإلا فلا تغروا الرجل ودعوه في حرم جده، فقالوا كلنا نموت دونه وقد وبخهم الحر الرياحي بعد أن تحول من عسكرهم إلى عسكر الحسين «عليه السلام»: إنكم قد دعوتم هذا العبد الصالح وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه تقاتلونه، الخ، وكثير مثله في كلام أصحاب الحسين «عليه السلام».

ولعلك لا تدري وإن عرفت أنه بهذا السبب قصد مصر الكوفة ولم يبق في البوادي ينتقل في فجاجها الفسيحة وفيافيها الوسيعة فإنه أقرب للسلامة لا سبيل إلى ذلك وإن كان مظنه السلامة لأنه يحمل عائلة مخدرة ذات ترف ورفاهية عيش قد ربيت في ظل القصور وغضارة المدينة ونعومة الحضارة فهي لا تقوى على مكافحة الهجير ولا تقدر على مقاسات لفحات السموم ولا سبيل إلى تركها في الحرمين لأن بني أميّة يلقون القبض على عائلته لكي يدفع نفسه بيده إليهم مستسلماً، وسياسة بني أميّة الجائرة تسري على جهة القاء الحصار على عائلات

الأشراف وأرباب الشهامة والغيرة وأهل المروات الذين يرون أعراضهم أعز عليهم من أنفسهم، فالحر يأنف من تسلط المغتصب على حرمه فيسلم نفسه بيده طائعاً مختاراً صوناً لعرضه وحمية على العقائل المخدرة وقد صدرت هذه الأعمال من بني أُميّة فإنهم ذبحوا الاطفال وحبسوا النساء بجرائر الرجال وأخذوا الجار بالجار والبريء بالجاني وحبسوا على الظنة وقتلوا على التهمة.

وقد قال اليعقوبي في تاريخه: أول من حبس النساء بجرائر الرجال معاوية وقد صدق هذا عمرو بن الحمق الخزاعي قد حبس معاوية أمرأته وحملها من الكوفة إلى دمشق وحبس عبيد الله بن زياد أمرأة عبيد الله بن الحر الجعفي ليقبض عليه وأمثال ذلك.

وقد صرح السيد ابن طاوس في كتاب الملهوف أن الحسين «عليه السلام» يخاف على عائلته لما حملها معه.

فإذن لا سبيل للحسين «عليه السلام» إلَّا التوجه بظعنه نحو الكوفة ليرى وينظر ما تجري به الأقدار ولم يكن مصمماً جازماً بدخول الكوفة ولذلك امتنع على الحر لما أراده على دخول الكوفة لما عرف حالات أهلها بالخيانة وتبينت له مجاهرتهم له بالغدر والنفاق ونزعوا جلباب الحياء والعفاف وإنما عزم على المرور عليها يعلمهم بقصده إياهم ومن نيته السير في الأرض الطويلة العريضة كما هو فحوى امتناعه من مطاوعة الحر طالباً فيها المأمن والملجأ برجاء السلامة في دينه وحياته ولو بقصد الأقاصي من المدن الشاسعة والأقطار النائية كفارس وطبرستان وغيرها لو تهيأ له السبيل إلى قصدها وهو في أثناء مواصلة السير لم يفتر من الاستظهار على أهل الكوفة ويحتج عليهم توكيدا للحجة وتشددا في التبليغ بارسال الرسل تلو الرسل كعبد الله بن يقطر الحميري وقيس بن مسهر الأسدي رسوليه المقتولين في الكوفة ظلماً وعدواناً، وعرفنا بذلك رِأيه عن قصد الكوفة أخيراً بإمتناعه على الحر بن يزيد الرياحي أشد الامتناع ولو كان باقياً على عزمه في قصدها لقال سر أمامي فإني متبع أثرك داخل إليها ولم يقل له إذن لا أتبعك حتى كثر الخطاب بينهما وطال التشاجر فذعرت لذلك المذاعير من النسوة، ثم إن الحر لحسن أدبه تنازل عن حق وظيفته ورضا بأن يسلك الحسين «عليه السلام» معه نصفاً بسيره على جادة لا يدخل بها الكوفة ولا يعود بها إلى الحجاز حتىإنتهى بهما المسيرالى كربلاء وقد تكاثرت عليه الجنود حتى اضطروه إلى النزول ومنعوه من السير إلى الإمام ولو بمقدار ربع ميل.

وقوله «عليه السلام»: «دعوني أمضي إلى بعض الثغور» دليل قوي على أنه «عليه السلام» لم يكن يقصد إلَّا نجاة نفسه من القتل والخلاص من سيرة بني أُميّة الجائرة التي يجب على كل مسلم مكافحتها وعلى كل حر غيور مقاومتها لأنها كما خرجت عن سمت الدين خرجت عن طور الإنسانية فلم يدعه الذين كاتبوه وبايعوه وأكدوا له المواثيق والعهود في النصرة والمعاونة على تغيير تلك السنة الأموية الممقوتة أن يمض في طلب الموضع الذي يامل فيه السلامة في الدنيا والمعافاة في الدين وساموه خطة دنيئة يلفظها كل ذي شعور أبي ويعافها كل حر غيور وهي الرضوخ لسنن بني أُميّة والنزول على حكم العبد اللئيم ابن مرجانة، وفي أمثال العوام العبد ثمن الرحا، فأبى وهو الأبي الذي أسس الإباء وعلمه الكرام العزيز النفس الذي لا يألف الدنيئة ولا يقرب الخسيسة ولا يسأم المذلة ولا يرضخ للهوان:

فسامته يركب إحدى اثنتين ... وقد صرت الحرب أسنانها
فأما يرى مذعناً أو تموت ... نفس أبي العز أذعانها
فقال لها اعتصمي بالإبا ... فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان ... فبالموت تنزع جثمانها

وهذا السيد قائل هذه الابيات هو السيد حيدر الحلي «رحمه الله» قد نظم معنى كلام الحسين «عليه السلام» في خطبته الحماسية المشهورة التي يقول فيها: «ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت جحور طهرت ونفوس أبية وأُنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»، الخ.

واذا عرفت حقيقة السياستين الحسنية والحسينية أوردنا لك ما أوعدناك من سياق بعض الأحاديث في فضائلهما مما روته حفاظ السنة خاصة مقتصرين على ذلك ولسنا نقصد بما نورده الاحاطة ولا حصر الكتب التي روت ذلك فإنها مروية في الصحاح العشرة وكتب الصحابة الثلاثة وكتب الرجال كحلية الأولياء والطبقات الكبرى وميزان الاعتدال وأمثالها وكتب التاريخ كالطبري وابن عساكر وابن الأثير وغيرها وكتب التفسيركالكشاف والدر المنثور والرازي وغيرها وسائر كتب المناقب كالصواعق ونور الأبصار وذخائر العقبى والرياض النظرة، وكتب الحديث المسانيد كمسند أحمد والدارمي وغير ذلك مما يطول بتعداده الكتاب، والأحاديث نوعان: مشتركة ومختصة.

أما المشتركة فكثيرة:

منها في مشارق الانوار للحمزاوي المالكي[١]: عن ابن عمر: إن النبي ﷺ قال: إن الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا، أخرجه الطبراني.

وأخرج الترمذي والطبراني عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: هذان ابنا ابنتي، اللهم أحبهما وأحب من يحبهما، الخ، وهذا متفق عليه عند الجميع.

وفي الجامع الصغير للسيوطي وشرحه للعزيزي: الحسن والحسين سبطان من الأسباط[٢].

وعن معاوية بن حيدة: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

وعن أبي سعيد وعن عمرو وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة وعن أسامة وعن البراء بن عازب - قال في المؤتلف: وهو متواتر -: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما[٣].

وعن أبي سعيد الخدري «قال صحيح»: الحسن مني والحسين من علي، قال الحافظ العزيزي: أي الحسن يشبهني والحسين يشبه علياً «عليه السلام» وكان الغالب على الحسن «عليه السلام» الحلم والأناة كالنبي ﷺ وعلى الحسين «عليه السلام» الشدة كعلي «عليه السلام»[٤].

وروى ابن عساكر عن المقدام بن معد يكرب الكندي وإسناده جيد: الحسن والحسين شنفا العرش وليسا بمعلقين، قال العزيزي: الشنف القرط المعلق في الأذن والمراد أن أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يساره.

وعن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ «قال الشيخ حديث صحيح»: أتاني ملك سلم علي نزل من السماء لم ينزلها قبلها، بشرني أن الحسن والحسين «عليهما السلام» سيدا شباب أهل الجنة[٥].

وعن أسامة بن زيد «وهو حديث صحيح»: أحب أهل بيتي إليّ الحسن والحسين، إنتهى، وكل هذه الأحاديث متفق على روايتها عندهم.

وفي كفاية الطالب الأريب[٦]: أخرج البيهقي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحل هذا المسجد لحائض ولا لجنب إلّا لرسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام».

---

(١) مشارق الأنوار: ص١٤١.
(٢) السراج المنير ٢/٢٠٨.
(٣) السراج المنير ٢/٢١٨.
(٤) السراج المنير ١/٢٩.
(٥) السراج المنير ١/٥٠.
(٦) كفاية الطالب الاريب: ص١٢٥.

وروى الحافظ ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة أحاديثاً منها ما تقدم ومنها: عن انس: إن رسول الله ﷺ قال: نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي[١].

وأخرج عن فاطمة «عليهما السلام» أن النبي ﷺ قال: أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي[٢].

وعن بريدة أن النبي ﷺ قال: صدق الله: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣]، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني[٤].

وعن عمران بن سليمان قال: الحسنِ والحسين إسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت بهما العرب في الجاهلية، إنتهى.

وسيجيء عنه وعن غيره أن النبي ﷺ سماهما بأسماء ولدي هارون، وقد ذكر المحب الطبري هذه الأحاديث وغيرها، منها: عن علي «عليه السلام»: إن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة، خرجه أحمد والترمذي، وقال: كان معي في الجنة[٥].

وعنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله! فمحبونا؟ قال: من ورائكم، خرجه أبو سعد.

وعن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين «عليهما السلام» يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده على عنقه فظمه إلى بطنه وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال: إني أحبهما فأحبوهما، أيها الناس! الولد مبخلة مجبنة مجهلة، خرجه أحمد والدولابي.

وعن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يصلي والحسن والحسين «عليهما السلام» يتواثبان على ظهره فباعدهما الناس فقال رسول الله ﷺ: دعوهما بأبي

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١١٢.
(٢) الصواعق المحرقة: ص١١٤.
(٣) الأنفال: ٢٨.
(٤) الصواعق المحرقة: ص ١١٥.
(٥) ذخائر العقبى: ص ١٣٤.

هما وأمي، من أحبني فليحب هذين، خرجه أبو حاتم.

وعن إسرائيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب الحسن والحسين «عليهما السلام» فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، خرجه أبو سعيد في شرف النبوة.

وعن أبي هريرة مثله، خرجه ابن حرب الطائي والسلفي وأبو طاهر البالسي.

وأورد[١] حديث هما ريحانتي وذكر له طرقاً عديدة، وذكر حديث شبههما بالنبي ﷺ وتقدم في ترجمة جعفر الطيار وحديث انهما سيداً شباب أهل الجنة ذكر له طرقاً.

وقال[٢]: روى أبو سعيد في شرف النبوة باسناده عن النبي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ جالساً فأقبل الحسن والحسين «عليهما السلام» فلما رآهما قام لهما واستبطأ بلوغها إليه فأستقبلهما وحملهما على كتفيه، وقال: نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان أنتما.

وعن ابن عباس: بينما نحن مع النبي ﷺ ذات يوم إذ أقبلت فاطمة «عليهها السلام» تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: فداك أبوك ما يبكيك؟ قالت: إن الحسن والحسين خرجا ولا أدري أين باتا.

فقال لها رسول الله ﷺ: لا تبكين فإن خالقهما ألطف بهما مني ومنك، ثم رفع يديه فقال: اللهم احفظهما وسلمهما.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» وقال: يا محمد! لا تحزن فإنهما في حظيرة بني النجار نائمين، وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما.

فقام النبي ﷺ ومعه أصحابه حتى أتى الحضيرة فإذا الحسن والحسين «عليهما السلام» معتنقين نائمين وإذا الملك الموكل بهما قد وضع أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يظللهما، فأكب رسول الله ﷺ عليهما يقبلهما حتى انتبها من نومهما ثم حمل الحسن «عليه السلام» على عاتقه الأيمن والحسين «عليه السلام» على عاتقه الأيسر، فتلقاه أبو بكر وقال: يا رسول الله! ناولني أحد الصبيين أحمله عنك، فقال النبي ﷺ: نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما.

حتى أتى المسجد فقام رسول الله ﷺ على قدميه ثم قال: معاشر المسلمين!

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٣٠.

(٢) ذخائر العقبى: ص١٣٠.

ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟

قالوا بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، جدهما رسول الله خاتم المرسلين وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة، ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قال: الحسن والحسين، عمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب، أيها الناس، إلّا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: اللهم أنت تعلم إن الحسن والحسين في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار، خرجه الملا في سيرته وغيره، إنتهى.

وفي هذه الرواية حذف معلوم ما أدري عن عمد أم سهو وهو قوله ﷺ: ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أبوهما علي بن أبي طالب وأُمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، كما ذكره غيره.

ثم قال المحب وذكر حديث بريدة[1]: إن أولادكم فتنة.

وقال عن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاته فأقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه وقلت: يا رسول الله! أردهما؟ فبرقت برقة فقال لهما: إلحقا بأمكما، قال: فمكث ضوءها حتى دخلا، خرجه أحمد.

وعن أنس بن مالك قال: كتب النبي ﷺ لرجل عهداً فدخل الرجل يسلم على النبي ﷺ والنبي ﷺ يصلي، فرأى الحسن والحسين «عليهما السلام» يركبان على عنق النبي ﷺ مرة ويركبان على ظهره مرة أخرى ويمران من بين يديه ومن خلفه فلما فرغ من الصلاة قال له الرجل: ما يقطعان الصلاة؟ فغضب النبي ﷺ، فقال: ناولني عهدك، فأخذه فمزقه ثم قال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا، فليس منا ولا أنا منه، خرجه ابن أبي الغراني وذكر غيره أحاديثاً بهذا المضمون.

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٣١.

وعن أم عثمان[١] أم ولد لعلي «عليه السلام» قالت: كان لآل رسول الله ﷺ وسادة يجلس عليها جبرئيل لا يجلس عليها غيره، فإذا عرج رفعت وكان إذا عرج انتفض فسقط من زغب ريشه فتقوم فاطمة «عليها السلام» فتتبعه فتجعله في تمائم الحسن والحسين «عليهما السلام»، خرجه الدولابي.

وعن أبي هريرة قال: كان الحسن والحسين «عليهما السلام» يصطرعان بين يدي النبي ﷺ فكان النبي ﷺ يقول: هن يا حسن، فقالت فاطمة «عليها السلام» يا رسول الله! لم تقول هن يا حسن؟ فقال ﷺ: إن جبرئيل «عليه السلام» يقول: هن يا حسين، خرجه ابن المثنى في معجمه، ورواه عن جعفر الصادق «عليه السلام» وإن القائل علي «عليه السلام» لرسول الله ﷺ والحديث مثل الأول، وقال: خرجه ابن بنت منيع، ولا مانع أن يكون كل واحد من علي «عليه السلام» وفاطمة «عليها السلام» سأل رسول الله ﷺ عن سبب تحريضه الحسن على الحسين «عليهما السلام» فأخبرهما أن جبرئيل يحرض الحسين على الحسن «عليهما السلام».

وعن أبي هريرة[٢] عن النبي ﷺ قال: تبعث الأنبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة «عليها السلام» على ناقتي العضباء والقصواء وأحشر أنا على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة، خرجه الحافظ السلفي.

وفي هذا الحديث وهم في بلال، فإن الذي يحشر على ناقة من نوق الجنة هو أمير المؤمنين «عليه السلام» كما في حديث الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٣] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة.

فقام إليه عمه العباس بن عبد المطلب فقال: من هم يا رسول الله؟

فقال: أما أنا فعلى البراق ووجهها كوجه الإنسان وخدها كخد الفرس وعرفها لؤلؤ ممشوط وأدناها زبرجدتان خضراوان وعيناها مثل كوكب الزهرة توقدان مثل النجمين المضيئين لها شعاع مثل شعاع الشمس بلقاء محجلة تضيء مرة وتنمي أخرى ينحدر من نحرها مثل الجمان مضطربة في الخلق ذنبها مثل ذنب البقرة طويلة اليدين والرجلين، أظلافها كأظلاف البقر، تسمع الكلام وتفهمه وهي

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٣٤.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٣٥.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٣٥.

فوق الحمار ودون البغل، قال العباس: ومن يا رسول الله؟ قال ﷺ: وعمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله على ناقتي.

قال العباس: ومن يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأخي علي على ناقة من نوق الجنة زمامها من لؤلؤ رطب عليها محمل من ياقوت أحمر قضبانها من الدر الأبيض، على رأسها تاج من نور، لذلك التاج سبعون ركناً، ما من ركن إلّا وفيه ياقوتة حمراء تضيء للراكب المحث عليه حلتان خضراوان بيده لواء الحمد وهو ينادي: أشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله فيقول الخلائق: ما هذا إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب فينادي منادٍ من بطنان العرش: ليس هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، إنتهى.

واستيفاء مثل هذا يوجب القطع في الكلام لأن الراكب الرابع في غير رواية الخطيب هي فاطمة الزهراء «عليها السلام».

قال المحب[1]: عن علي «عليه السلام» قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة كنت أنت وولدك على خيل بلق متوجة بالدر والياقوت فيأمر الله بكم إلى الجنة والناس ينظرون، خرجه الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام»، ولا تضاد بينه وبين حشرهم على العضباء والقصواء إذ يكون الحشر عليهما أولاً، ثم ينقلون إلى الخيل أو يحمل على ولده غير الحسن والحسين «عليهما السلام» منهم، إنتهى.

وهذا توجيه جيد، إذ مثل العباس بن علي «عليهما السلام» وإخوته الشهداء بالطف ومحمد بن الحنفية لهم لياقة بهذا الإكرام وليس بلال بأجل قدراً منهم.

وعن علي بن الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في الحالة التي قبض فيها فإذا فاطمة «عليها السلام» عند رأسه، فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع ﷺ طرفه إليها فقال لها: يا حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك، فقال: يا حبيبتي، أما علمت أن الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة فأختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع اطلاعة فأختار منها بعلك وأوحى إليّ أن أُنكحك إياه، يا فاطمة! ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تُعط أحداً قبلنا، ولا تُعط أحداً بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرمهم على الله عز وجل

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١١٣.

وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما.

يا فاطمة! والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتضاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً، وصغير يوقر كبيراً فيبعث الله عز وجل عند ذلك من يفتح حصون الظلالة وقلوباً غلفاً ويقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملأت جوراً، خرجه الحافظ أبو العلاء الهمداني في أربعين حديثاً في المهدي، إنتهى.

وهذا حديث لا شك فيه وكون المهدي منهما لا ريب في ذلك لأنه ينتمي من جهة الآباء إلى الحسين بن علي «عليهما السلام» وينتمي من جهة الأمهات للحسن «عليه السلام» لأن أم جده محمد بن علي وهو الإمام باقر العلم «عليه السلام» فاطمة بنت الحسن السبط «عليه السلام» وقال النبي ﷺ: أنا ابن العواتك وليست واحدة من العواتك أُماً للنبي ﷺ وإنما هن جميعاً جدات له ﷺ.

وأخرج ابن سعد عن سلمة بن عبد الرحمٰن قال: كان رسول الله ﷺ يدفع لسانه للحسن بن علي «عليهما السلام» فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش اليه.

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن «عليه السلام» يخطب فقام رجل من أزد شنؤة فقال: أشهد لقد رأى رسول الله ﷺ واضعه على على حبوته وهو يقول: من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبي ﷺ ما حدثت به أحداً.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر قال: كان النبي ﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن «عليه السلام» وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبي ﷺ رفعاً رفيقاً، فلما فرغ من الصلاة قالوا: يا رسول الله! إنك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد؟ فقال النبي ﷺ: هذا ريحانتي وإن هذا ابني سيد وحسبي أن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين، الخ.

وهذه الأحاديث رواها غيره من الحفاظ وبعضها في صحيح مسلم

والبخاري، ورواها المحب الطبري في ذخائر العقبى وزاد[١]: عن معاوية قال: كان رسول الله ﷺ يمص لسان الحسن وشفته وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ، خرجه أحمد.

وعن أبي هريرة إنه لقي الحسن بن علي «عليهما السلام» في بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لي عن بطنك فداك أبي حتى أقبل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبله، قال: فكشف عن بطنه فقبل سرته، خرجه أبو حاتم، ثم قال: لو كانت العورة ما كشفتها.

وعن خالد بن معدان قال[٢]: وفد المقدام بن معد يكرب وعمرو بن الأسود إلى معاوية، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي قد توفي؟ فرجع المقدام فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟ قال: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره وقال: هذا مني وحسين من علي، الخ، والأحاديث كثيرة في فضله يطول استيفاؤها ولنذكر صفته وبعض أخلاقه وشيمه، كل ذلك مما روته السنة:

صفته «عليه السلام»:

قال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[٣]: كان الحسن «عليه السلام» أبيض مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر حسن البدن، ذكره الدولابي وغيره.

نبذة يسيرة من أخلاقه وشمائله، التي لا يصل إليها الطالب

حلمه «عليه السلام»:

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء[٤] والحافظ الهيثمي في تطهير الجنان على هامش الصواعق - ولفظه - بسند رجاله ثقاة: إن مروان لما ولى المدينة كان يسب علياً «عليه السلام» على المنبر كل جمعة، ثم ولى بعده سعيد بن العاص فكان لا يسب ثم أُعيد مروان فعاد للسب، وكان الحسن «عليه

---

(١) ذخائر العقبى: ١٣٥.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٣٦.
(٣) نور الأبصار: ص١٠٨.
(٤) تاريخ الخلفاء: ص١٢٧، تطهير الجنان بهامش الصواعق المحرقة: ص١٤٢.

السلام» يعلم ذلك فسكت ولا يدخل المسجد إلّا عند الأقامة فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن «عليه السلام» في بيته بالسب البليغ لأبيه وله، الخ.

نصها في رواية سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[١]: إن رسالة مروان كانت هكذا: أبوك الذي فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد - يعني الخوارج - وأنت تفخر بغيرك، فإذا قيل لك من أبوك تقول خالي الفرس، ثم ساق القصة كما ذكروا.

وإن الحسين «عليه السلام» تهدد الرسول بالقتل فأخبره بقول مروان، فقال: قل له: يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة «عليهم السلام»: يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ وابن طريد رسول الله ﷺ ولعينه، فأعرف من أنت ومن أمك ومن أبوك.

فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا، فقال: ارجع للحسن وقل له: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ وقل للحسين: أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب، فقال للرسول: قل له: كلاهما لي ورغماً لك.

قال المبرد في الكامل[٢]: ذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأ قلبي بغضاً له، وحسدت علياً أن يكون له ابنا مثله، فقلت: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه، فقلت: فبك وبأبيك أسبّهما، فلما انقضى كلامي، قال لي: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: فمل بنا إلى المنزل فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحد أحب إليّ منه.

نزاهته عن البذائة والفحش:

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء[٣]: أخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم أحد عندي كان أحب إليّ إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن «عليه السلام» وما سمعت منه كلمة فحش قط إلّا مرة فإنه كان بين الحسن «عليه السلام» وعمرو بن عثمان خصومه في أرض فعرض الحسن «عليه السلام» أمراً لم يرضه

---

(١) تذكرة خواص الامة: ص١١٩.
(٢) الكامل للمبرد ٢/ ٤.
(٣) تاريخ الخلفاء: ص١٢٧.

عمرو فقال الحسن «عليه السلام» فليس له عندنا إلَّا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها، وذكرها الهيثمي في الصواعق[١].

تواضع الحسن «عليه السلام»:

ذكر الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين[٢] قال: مر «عليه السلام» بصبيان - يعني مساكين - يأكلون كسراً من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم أنواعاً وكساهم وقال: اليد لهم لأنهم لا يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد كثيراً مما أعطيناهم.

علمه وحكمه وأجوبته الشافية:

لا شك أن الحسن «عليه السلام» بعد جده وأبيه أعلم الناس.

قال ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[٣]: كان الله عز وجل قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه ومنحه الفكرة الصائبة لاصلاح قواعد الدين ومبانيه وخصه بالجبلة التي ردت له أخلاف مادتها بصور العلم ومعانيه، فحبي بفكرة منتجة نجاح مقاصد ما يقتضيه وقريحة مصحبة في كل مقام يقف فيه ثم اكتنفه الأصلان الجد والأب وفي المثل السائر أن ولد الفقيه نصف فقيه وكان يجلس في مجالس رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله ويتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج القائلين.

روى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ فقال: نعم، فأما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام آخر كأن وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فحمد ﷺ وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[٥]، فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس وعن الثاني فقالوا ابن عمر وعن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام»

---

(١) الصواعق المحرقة: ص٨٣.
(٢) إسعاف الراغبين: ص١٦٥.
(٣) مطالب السؤول: ص٦٥.
(٤) الأحزاب: ٤٥.
(٥) هود: ١٠٣.

فكان قول الحسن «عليه السلام» أحسن، الخ، ورواها الصبان الشافعي وابن الصباغ المالكي.

قال ابن طلحة: ونقل عنه «عليه السلام» أنه اغتسل يوماً وخرج من داره في حلة فاخرة وبزة ظاهرة بمحاسن سافرة وقسمات ناضرة ونفحات ناشرة ووجهه يشرق حسناً، وشكله قد كمل صورة ومعنى والإقبال يلوح من أعطافه، ونظرة النعيم تعرف من أطرافه، ثم ركب بغلة فارهة غير قطوف وسار مكتنفاً بحاشية وغاشية بصفوف فعرض له في طريقه من محاويج اليهود في هدم قد أنهكته العلة، وأنكبته الذلة، وأهلكته القلة، وجلده يستر عظامه وضعفه يقيد أقدامه وضره قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبب إليه حمامه، وشمس الظهر تشوي شواه، وأخمصه يصافح ثرى ممشاه وعذاب عريه عراه وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه، فاستوقف الحسن «عليه السلام» وقال: يا ابن رسول الله أنصفني، فقال «عليه السلام»: في أي شيء؟ قال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلَّا جنة لك تنعم فيها وتستلذ بها وما أراها إلَّا سجناً لي قد أهلكني ضرها وأتلفني فقرها، فلما سمع الحسن «عليه السلام» كلامه أشرق عليه نور التأييد، فاستخرج الجواب الحق بفهمه من خزانة علمه وأوضح لليهودي خطأ ظنه، فقال: لو نظرت إلى ما أعد الله للمؤمنين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من نعيم الجنان والخيرات الحسان في الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أنني قبل انتقالي إليه من هذه الدنيا في سجن ضنك ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في الآخرة من سعير نار الجحيم ونكال العذاب المقيم لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في جنة واسعة ونعمة جامعة، فانظر إلى هذا الجواب بالصواب، إنتهى.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء[1] عن الحارث الهمداني قال: سأل علي ابنه الحسن «عليهما السلام» عن أشياء من أمر المروءة، فقال: يا بني، ما السداد؟ قال: يا أبت، السداد دفع المنكر بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال، قال: فما الرأفة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير، قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه، قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر.

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦.

قال: فما الشح؟ قال: أن ترّ ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً، قال: فما الاخاء؟ قال: المواساة في الشدة والرخاء، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول على العدو، قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس، قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل، وإنما الغنى غنى النفس، قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء، قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعزاء الناس، قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة، قال: فما العي؟ قال: العبث باللحية وكثرة البزق عند المخاطبة، قال: فما الجرأة؟ قال: مواقفة الأقران، قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك، قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفوا عن الجرم، قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كما استوعيته، قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك، قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح، قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة، قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناة ومصاحبة الغواة، قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المجد وطاعتك المفسد، قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك، قال: فما السيد؟ قال: الأحمق في ماله المتهاون في عَرَضَه[1] يشتم فلا يجيب والمتحزن بأمر عشيرته هو السيد.

فقال علي «عليه السلام»: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل.

شفقة الحسن وسخاؤه:

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[2]: روي عن الحسن بن علي «عليهما السلام» أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسوداً «يعني عبداً» بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف، فقال الحسن «عليه السلام»: ما حملك على أن شاطرته ولم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: استحت عيناي من عينيه أن أغابنه، فقال له: غلام من انت؟ قال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ قال: لابان بن عثمان، فقال الحسن «عليه السلام»: لا تبرح حتى أعود إليك، فمر وأشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام قد

(١) عَرَضَ بالحركات الثلاثة وهو العَروض عن الاموال.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٣٤.

اشتريتك، قال: فقام الغلام قائماً وقال: السمع والطاعة لله ولرسول الله ﷺ ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط وأنت حر لوجه الله والحائط هبة مني اليك، فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتني له.

أما سخاؤه: فلا يحتاج إلى برهان فإنه أعظم الناس سخاءاً وكان يعرف بـ«(كريم أهل البيت» فمن بعض أخباره ما ذكره ابن الصباغ في الفصول المهمة وابن طلحة في مطالب السؤول والمحب الطبري في ذخائر العقبى ولفظه فيها[١]: عن سعيد بن عبد العزيز: إن الحسن «عليه السلام» سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف فأنصرف الحسن «عليه السلام» فبعث بها إليه، خرجه في الصفوة.

قال أبو نعيم في الحلية[٢]: عن علي بن زيد عن جدعان قال: خرج الحسن بن علي «عليهما السلام» من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات حتى أنه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خُفاً ويمسك خُفاً.

وعن ابن سيرين قال: تزوج الحسن «عليه السلام» أمرأة فأرسل إليها مائة جارية مع كل جارية ألف درهم.

وقال البيهقي في المحاسن والمساوئ[٣]: كان بينه وبين أخيه الحسين «عليه السلام» طهر واحد وكان أسخى أهل زمانه، ذكروا أنه أتاه رجل في حاجة، فقال: اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وأرفعها إلينا نقضيها لك، قال: فرفع إليه حاجته فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله! فقال: بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداءاً من غير مسألة فأما من أعطيته عن مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه وعسى أن يكون بات ليلة بكآبة الرد أم بسرور النجح فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك.

وقال[٤]: كان الحسن «عليه السلام» أشبه برسول الله ﷺ من صدره إلى قدمه وكان أيضاً أحد الأجواد، دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول: وا كرباه! وا حزناه! فقال: وما الذي أحزنك يا عم؟ قال: يا ابن رسول الله! ستون ألف درهم دين علي لا أجد لها قضاءاً، قال: هي علي، قال: فك الله رقبتك يا ابن رسول الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٣٧.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٨.
(٣) المحاسن والمساوئ ١/ ٤٠.
(٤) المحاسن والمساوئ ١/ ٤١.

وقال الشبلنجي في نور الابصار[١]: وكان كريماً فمن كرمه ما نقل عنه أن رجلاً سأله وشكا إليه حاله، فدعا الحسن «عليه السلام» وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقضاها، فقال له: هات الفاضل، فاحضر خمسين ألف درهم، ثم قال ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك؟ قال: هي عندي، قال: فأحضرها، فما احضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه، الخ.

عبادة الحسن «عليه السلام» وصلاحه:

بلغ من محبته «عليه السلام» للعبادة أن أختار حج بيت الله الحرام ماشياً على قدميه والنجائب تقاد بين يديه، ذكر ذلك الكثير من السنة والشيعة، فمن حفاظ السنة الهيثمي والخطيب والمحب والصبان وغيرهم كثير.

قال الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء[٢]: عن محمد بن علي قال: قال الحسن «عليه السلام»: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة ماشيا على رجليه.

وعن ابن أبي نجيح قال: إن الحسن بن علي «عليهما السلام» حج ماشياً وقسم ماله نصفين.

وقال ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[٣]: أعلم أن العبادة تنقسم إلى ثلاثة أنواع: بدنية ومالية ومركبة، فالبدنية كالصلاة والصيام وتلاوة القران وأنواع الأذكار والمالية كالصدقات والمبرات، والمركب منها كالجهاد والحج وقد كان الحسن «عليه السلام» ضارباً في كل واحد من هذه الأنواع بالقدح الفائز والقدح الحائز، أما الصلاة والأذكار وما في معناها فقيامه بها مشهور واسمه في أربابها مذكور، وأما الصدقات فقد صح النقل فيما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده في حلية الأولياء وأنه قد خرج من ماله مرتين وقاسم الله ثلاث مرات وساق كلام صاحب الحلية وقال عن صاحب صفة الصفوة عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال: حج الحسن بن علي «عليهما السلام» خمسة عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه، إنتهى.

والحافظ الهيثمي بعد رواية أبي نعيم قال[٤]: أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لقد حج الحسن «عليه السلام» خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد بين يديه.

---

(١) نور الإبصار: ص١١٠.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٧.
(٣) مطالب السؤول: ص٦٦.
(٤) الصواعق المحرقة: ص ٨٣.

زهد الحسن «عليه السلام» وورعه:

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[١]: كان الحسن «عليه السلام» من ازهد الناس في الدنيا ولذاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان «عليه السلام» يتمثل بهذا البيت شعراً:

يا طالباً لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترار بظل زائل حمق

وقوله «عليه السلام» في بعض مواعظه: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلاً، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فجد بما في يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وكان «عليه السلام» يتلو بعد هذه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

فصاحة الحسن «عليه السلام» وبلاغته:

لا يستريب أحد أن الحسن «عليه السلام» من بيت الفصاحة والبلاغة، جده رسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وأبوه أمير المؤمنين «عليه السلام» ساد كل خطيب ببيانه وقد قيل لعبد الحميد الكاتب: ما أبلغك؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد حفظت من خطب الأصلع ثلاثين خطبة ومثله قال ابن المقفع صاحب رسائل البلاغة وقد أجمعوا أنهما من أبلغ البلغاء في عصرهما فالحسن «عليه السلام» غصن من الدوحة المحمدية ونبعة من الشجرة العلوية وله الخطب الرنانة ذات الفصاحة المدهشة وله معها شعر جيد في مكارم الأخلاق والأدب الديني فمن خطبه المشهورة خطبته التي خطبها في صبيحة الليلة التي فقد فيها أباه أمير المؤمنين «عليه السلام».

قال المحب الطبري[٣]: عن زيد بن الحسن قال: خطب الحسن «عليه السلام» حين قُتل علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون قد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل بها، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله فما يرجع حتى يفتح الله عليه وما ترك على وجه الأرض لا صفراء ولا بيضاء إلَّا سبعمائة درهم فُضلَت من

---

(١) الفصول المهمة: ص١٦١.
(٢) البقرة: ١٩٧.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٣٨.

عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي أنا ابن الوصي أنا ابن البشير أنا ابن النذير أنا ابن الداعي إلى دين الله باذنه والسراج المنير أنا من أهل بيت اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأنا من أهل البيت الذين أفترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾[1]، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت، خرجه الدولابي، إنتهى.

وتروى هذه الخطبة بطرق عديدة بألفاظ متفاوتة ذكر بعض ألفاظها الطبري في التاريخ[2] إنه «عليه السلام» قال وقد قام خطيباً: لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم «عليها السلام» وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى «عليه السلام»، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، الخ.

وقد رواها أكثر العلماء من أصحابنا «رضوان الله عليهم»، ورواية أبي الفرج الأصبهاني في كتاب المقاتل كرواية المحب الطبري.

ومن خطبه «عليه السلام» في مجلس معاوية المحتشد بالوفود المكتضة بالمستمعين وقد أمره معاوية أن يخطب ليسقطه وذلك بمشورة ابن العاص.

قال ابن البيهقي في المحاسن والمساوئ[3]: ذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم: ابعث إلى الحسن بن علي «عليهما السلام» فمره أن يخطب على المنبر فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيره به، فبعث إليه فأصعده المنبر وقد جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من عرفني فأنا الذي يعرف ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» ابن عم النبي ﷺ أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعث رحمة للعالمين وسخطاً على الكافرين، أنا ابن من بعث إلى الجن والانس أجمعين أنا ابن المستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب عن مسيرة شهرين.

فافتن في هذا الكلام ولم يزل حتى اظلمت الدنيا على معاوية، فقال: يا حسن، قد كنت ترجوا أن تكون خليفة ولست هناك.

---

(١) الشورى: ٢٣.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٩١.
(٣) المحاسن والمساوئ ١/ ٦٣.

فقال: إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعة الله وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكاً يتمتع فيه قليلاً، وكان قد انقطع عنه واستعجل لذاته وبقيت عليه تبعته فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] ثم انصرف، فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلّا هتكي وما كان أهل الشام يرون أن أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا، إنتهى.

وذكرها الجاحظ في المحاسن والأضداد[2] بهذا اللفظ وخطبه «عليه السلام» كثيرة ومشهورة.

شعر الحسن بن علي «عليهما السلام»

لم يكن شعر أهل البيت تكلفاً ولا صنعة كما هي عند الشعراء، والشعر من حيث هو شعر نقص في الكامل ولكن شعر أهل البيت نفثة صدر ينطق بالحكمة الموزونة والأدب المؤسس المحكم فيجيء أحكم شعر وأبدع منظوم، وخير الشعر ما جاء طبعاً عفواً وخلا من التكلف والمبالغة التي هي عادة الشعراء وسجية الادباء.

قال الشبلنجي في نور الأبصار[3]: ومن كلامه المنظوم كما ذكره العلامة عبد القادر الطبري المالكي في شرح الدرية:

اغن عن المخلوق بالخالق ... تغني عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمٰن من فضله ... فليس غير الله بالرازق
من ظن أن الناس يغنونه ... فليس في الرحمٰن بالواثق
من ظن أن الرزق من كسبه ... زلت به النعلان من حالق

وقال[4]: قيل للحسن «عليه السلام» لأي شيء نراك لا ترد سائلاً؟ قال: عودني عادة وعودته عادة، عودني أن يفيض نعمه علي وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة، وانشد:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً ... بمن فضله فرض علي معجَّلُ
ومن فضله فضل على كل فاضل ... وأفضل أيام الفتى حين يسألُ

---

(١) الأنبياء: ١١١.
(٢) المحاسن والاضداد: ص٩٦.
(٣) نور الإبصار: ص١١٠.
(٤) نور الإبصار: ص١١١.

شهادة الحسن الزكي «عليه السلام»

توفي مسموما بأتفاق أمة محمد ﷺ ولكن بعض المتعصبين من حفاظ أهل السنة يحيلون ذلك إلى يزيد بن معاوية تحرجاً منهم أن ينسبوه لمعاوية الذي هو عندهم صحابي مقدر، وهذا باطل بلا شبهة لأن وفاة الحسن «عليه السلام» على أكثر الأقوال في سنة (٥١) ومعاوية هو الخليفة والسلطان فكيف يقدم يزيد على هذا الأمر العظيم بدون مطالعة رأي ابيه؟

وكيف كان فقد قال الحافظ الهيثمي في الصواعق[١]: وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد أن تسمه فيتزوجها، وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوماً فمات فبعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها: إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟! وبموته مسموماً شهيداً جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبي بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقي في مقدمة شرح التقريب، الخ.

وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة[٢]: قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سم الحسن بن علي «عليهما السلام» سمته أمرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك، الخ.

وهذا أمر مفروغ منه، فقد ذكروا في سعد بن أبي وقاص أن معاوية دس إليه وإلى الحسن بن علي «عليهما السلام» سُماً ليتفرغ لبيعة ابنه يزيد لانهما أكبر معارض له ولهما أهلية الخلافة وهما المستحقان لها في نظر العامة لأنها للحسن «عليه السلام» بالشرط، ولسعد بالشورى، وإيراد المقال تطويل قليل الجدوى.

تعطيل الأسواق لموت الحسن بن علي «عليهما السلام»

إن من أعظم الفواجع وأمض الفوادح وأوجع المصائب على المسلمين عامة وعلى بني هاشم خاصة فقد الحسن «عليه السلام» ولا تعبأ بسرور أُميّة الشجرة الملعونة فإن مصاب الحسن «عليه السلام» من أشد المصائب التي طرقت المسلمين ولا ينسى أهل المدينة ولا سائر أهل الحجاز أنهم خسروا بموته أعظم كافل وأجل مصلح وأشبه مخلوق بالنبي العظيم ﷺ فافتقاده افتقاد لرسول الله ﷺ

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١١٣.
(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٣٧٥.

لأنه بفقده تم أنقطاع رؤية رسول الله ﷺ عن الأبصار فقد كانوا إذا عاينوه فكأنما كانوا يشاهدون رسول الله ﷺ في هيكله وافتقدوا به أهل الكساء لأنه الرابع منهم، وافتقداو كنزهم به لأنه «عليه السلام» كان يعول قطراً ويمول إقليماً، وعطاياه وهباته دارة عليهم، فهم يتذكرون تلك الطلعة الغراء وتلك اليد البيضاء التي غمرتهم بنائلها فيتأسفون لتلك الشمائل الرائعة ويتلهفون لتلك الفضائل اللامعة.

وقد كان مروان بن الحكم عدوه الألد وخصمه الأنكد الذي كان يجرعه الغيظ في حياته ويقصده بأنواع الأذى وهو الذي رمى جنازته بالسهام جاء حين عزموا على دفنه بالبقيع فاحتمل نعش الحسن «عليه السلام» ومشى به إلى البقيع فقال له الحسين «عليه السلام» - فيما ذكره السيوطي وغيره - اتفعل هذا وقد كنت تجرعه الغيظ؟ فقال: نعم، أفعل هذا بمن يوازن حمله الجبال الرواسي.

وعن أبي جعفر[١] قال: مكث الناس يبكون على الحسن بن علي سبعاً ما تقوم الأسواق، وعن عائشة بنت سعد قالت: حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة.

وعن داود بن سنان قال: سمعت ثعلبة بن مالك قال: شهدنا الحسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع وقد رأيت البقيع ولو طرحت فيها إبرة ما وقعت إلّا على رأس إنسان، إنتهى.

قال المحب الطبري في ذخائر العقبى[٢]: قال أبو عمر وغيره: توفي الحسن «عليه السلام» بالمدينة سنة (٤٩) هـ وقيل سنة (٥٠) هـ وقيل سنة (٥١) هـ وهو يومئذ ابن (٤٧) سنة منها (٧) مع النبي ﷺ و(٣٠) مع أبيه و(١٠) بعدها، وقيل: مات وهو ابن (٤٥) سنة وغسله الحسين ومحمد والعباس بنو علي بن أبي طالب «عليهم السلام» ودفن بالبقيع، الخ.

أولاد الحسن بن علي «عليهما السلام»

قد وقع الأختلاف فيهم كثرة وقلة ونحن نورد بعض الأقوال فيهم.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف: ولد الحسن «عليه السلام» حسناً وهو المثنى أُمه خولة بنت منظور بن زبان الفزارية وزيداً وأُم الحسن أُمهما بنت عقبة ابن مسعود البدري وعمر وأُمه ثقفية والحسين الأثرم لأم ولد وطلحة وأُمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله وأُم عبد الله لأم ولد.

---

(١) ذكره الطبري في الذيل ١٣/ ١٥.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٤١.

وقال المحب الطبري في ذخائر العقبى[١]: وخلف الحسن بن علي «عليهما السلام» من الولد: (١) حسن بن الحسن، (٢) وعبد الله، (٣) وعمر، (٤) وزيداً، (٥) وإبراهيم، ذكره الدولابي، وذكر ابن الذراع أبو بكر بن أحمد في كتاب مواليد أهل البيت إنه ولد أحد عشر ابناً وبنتاً: (١) عبد الله، (٢) والقاسم، (٣) والحسم، (٤) وزيداً، (٥) وعمرو، (٦) وعبد الله، (٧) وعبد الرحمٰن، (٨) وأحمد، (٩) وإسماعيل، (١٠) والحسين، (١١) وعقيل، (١٢) وأُم الحسين.

وقال السبط ابن الجوزي في التذكرة[٢]: قال الواقدي وهشام: كان له خمسة عشر ذكراً وثمان بنات، فمن الذكور: (١) علي الأكبر، (٢) وعلي الأصغر، (٣) وجعفر، (٤) وفاطمة، (٥) وسكينة، (٦) وأُم الحسن، (٧) وعبد الله، (٨) والقاسم، (٩) وزيد، (١٠) عبد الرحمٰن، (١١) وأحمد، (١٢) وإسماعيل، (١٣) والحسين، (١٤) وعقيل، (١٥) وحسن، وهذا هو ترتيب الواقدي وهشام، وأما محمد بن سعد فرتبهم في الطبقات على غير هذا الترتيب وزاد فقال: كان للحسن «عليه السلام» من الولد: محمد الأصغر وجعفر وحمزة وفاطمة درجوا أُمهم أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ومحمد الأكبر - وبه كان يكنى - والحسن أُمهم خولة بنت منظور غطفانية، وزيد وأُم الحسن وأُم الخير أُمهم أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري واسمه عقبة بن عمرو، وإسماعيل ويعقوب أُمهما جعدة بنت الأشعث بن قيس التي سمته، والقاسم وأبو بكر وعبد الله قتلوا مع الحسين «عليه السلام» يوم الطف أُمهم أم ولد ولا بقية لهم وقيل إسم أُمهم نفيلة، وحسين الأثرم وعبد الرحمٰن وأُم سلمة لام ولد تسمى ظمياء، وعمرو لام ولد لا بقية لهم، وأُم عبد الله وهي أم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين «عليه السلام» وامها أم ولد تدعى صافية، وطلحة لا بقية له أُمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التميمي، وعبد الله وأُمه زينب بنت سبيع بن عبد الله أخي جرير بن عبد الله، وهذا أصح، والشيخ المفيد «رحمه الله» أقتصر على خمسة عشر ذكراً.

والسيد الداوودي ذكر سبعة عشر وأعقب منهم أربعة اثنان انقرض عقبهما في أوائل دولة بني العباس وهما عمرو والحسين، وبقي زيد والحسن.

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٤٣.
(٢) تذكرة خواص الامة: ص١٢٣.

الشهداء من أولاد الحسن «عليه السلام»

أُستشهد منهم مع عمهم الحسين «عليه السلام» خمسة وجرح السادس ثم برأ من جراحاته وهو الحسن المثنى والقاسم الأكبر استشهد بسبب جراحات أصيب بها في النهروان مع جده أمير المؤمنين «عليه السلام».

(٢) الحسين السبط «عليه السلام» شهيد كربلاء

ريحانة رسول الله ﷺ ما أختص به من الفضل نحن لا نذكر في فضله إلَّا ما روته حفاظ أهل السنة وهو إن كان كثيراً نذكر منه ما لا يخل ولا يمل.

روى الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي في الجامع الصغير عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط.

قال الحافظ العزيزي الحنفي في السراج المنير في شرحه[1]: وسببه كما في ابن ماجة عن سعيد ابن أبي راشد أن يعلى بن مرة حدثهم أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دُعوا له فإذا حسين يلعب في السكة، قال: فتقدم النبي ﷺ أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفر ها هنا وها هنا فيضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فاس رأسه فقبله وقال: حسين مني وأنا منه، الحديث، وهذا حديث صحيح ومشهور عند الحفاظ وله طرق عديدة وليس قوله: «حسين مني وأنا منه» إنه منسوب إليه نسبة القرابة للقرابة ولا أنه منسوب إليه نسبة المنتسب لمن نسب إليه فقط وإلا لما كان لهذا التخصيص كبير فائدة لمشاركة غيره من الأرحام له، ولا المقصود بيان أنه ابن بنته خاصة وإلا فقد شاركه غيره من أبناء بناته كعلي بن زينب ابنته الكبرى شقيق امامة ولكنه ورد لبيان أن دم الحسين «عليه السلام» ولحمه أختلط بدم النبي ﷺ ولحمه على جهة الامتزاج وأن نفسيهما واحدة في واقع الأمر وإن اختلف الجسمان، على حد ما قيل:

روحي مع روحك ممزوجة ... وربما تمزج روحان

لانه ورد في الأحاديث المعتبرة وصرح به بعض فطاحل العلماء أنه ﷺ ظهرت معجزته في الحسين «عليه السلام» حيث كان يلقمه إصبعه ولسانه فيمتص

(١) السراج المنير ٦/٢٠٨.

منها ما يغذيه ويغنيه عن لبن المرضعات حتى نبت لحمه من لحم رسول الله ﷺ وأختلط جوهره بجوهره فكان الحسين «عليه السلام» منه بهذه النسبة وقد قال السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم «رحمه الله» في قصيدته:

ذادوا عن الماء ظمئاناً مراضعه ... من جده المصطفى الساقي أصابعه
يعطيه إبهامه آناً وأونة ... لسانه فاستوت منه طبائعه
مرتضع لم يرتضع أبداً ... من ثدي أُنثى ومن طٰه مراضعه
لله غرس سقاه رسول الله من يده ... فطاب من بعد طيب الأصل فارعه

وهنا يحمل الحقد واللجاج السيد علي جلال الحسيني في كتابه (الحسين) على انكار المعجزة النبوية لأنها فضيلة للحسين «عليه السلام» إمام الشيعة فينتقد الكليني وغيره من علماء الشيعة الذين رووا هذا الحديث بأنه لا يقبله العقل وأنه مخالف لطبيعة البشر ومن الأسف جداً أنه يدعي كل واحد حكم العقل ولا يدري ما العقل وما الذي يحيله العقل وما الذي يخالف الطبيعة.

ويقال لهذا الماهر الفني: ما المعجز؟ وهل هو إلَّا نقض الطبيعة ومصادمتها؟ وهل سمعت في أخبار الخليل «عليه السلام» واختفائه في الغار وأن الله فجر له من إبهامه لبناً وعسلاً عاش عليه أياماً؟ قل هذا لا يقبله العقل وهذا خلاف الطبيعة.

بقاء موسى «عليه السلام» في التابوت وتحريم الله تعالى عليه المراضع أياماً حتى أعيد إلى أمه، لا يقبل العقل.

بقاء يونس في بطن الحوت بلا طعام لا يقبله العقل وهو خلاف الطبيعة:

أيها الأستاذ، ليس من شرط حياة المولود التغذية بلبن الأنثى بل شرط التغذية بما يناسب الطبيعة من أي لبن كان واي غذاء كان، حتى من الألبان الصناعية، ويزعم الأطباء أن اللبن الصناعي أنفع للمولود، فإذا كانت الطبيعة لا تحيل الحياة بغير لبن الانثى فما الذي تنكر من هذه المعجزة؟ وما سُقته من الشواهد التاريخية من أن له أخاً من الرضاعة ورؤيا أم الفضل كل ذلك لا يجديك نفعاً لأمرين:

الأول: إن إسم المرضعة يطلق على الظئر والحاضنة وإن لم ترضع، ويقال «الأخ الرضاعي» توسعاً في الكلام.

والثاني: إن القائل بأنه لم يرضع من ثدي انثى الرضاع الكامل وعليه فيجوز

أنه ارتضع بعض الرضعات من بعض الإناث، فكان له إخوة من الرضاعة، بهذا فالحسين قطعة من لحم رسول الله ﷺ غُذيت بروحه حيث تفجر له اللبن من إبهامه كما تفجر لأبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما رواه الحلبي الشافعي وغيره والسيوف التي وزعت جسم الحسين «عليه السلام» بكربلاء إنما وزعت جسم رسول الله ﷺ والخيل التي وطأت جثمانه إنما وطأت جثمان رسول الله ﷺ.

«أحب الله من أحب حسيناً» المراد بالمحبة محبة التبجيل والاحترام والطاعة والانقياد والاعتراف بما له من واجب الحق وهو الإمامة على ما نص عليه في قوله: «ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا»، ومن آثار المحبة سلامته من القتل والمذلة جميعاً فالأمة لو امتثلت في الحسين وآل محمد أمر النبي ﷺ بالمحبة التي هي الطاعة والانقياد لهم، لكانت القوة والغلبة لهم على أعدائهم فلم يقتل علي والحسين بالسيف، ولا الحسن بالسم ودعوى المدعين إنهم يحبون آل الرسول وميلهم لغيرهم حتى سبب ذلك إضعافهم وتقوية أعدائهم فحلت فيهم بأسباب ذلك الفوادح والنكبات فمن المكابرة الصرفة والمباهتة المحضة والتمويه المزيف إذ المحبة شرطها مشاركة المحبوب في السراء والضراء، حلو العيش ومُرَّه.

ألا ترى المحبة الصادقة كيف قادت صاحبها إلى الجنان المزخرفة؟ هذا جون مولى أبي ذر يعرب عن محبته الصادقة وهو عبد أسود يقول له الحسين «عليه السلام»: يا جون! إنما تبعتنا لطلب العافية فلا تبل بنا، أنت في حل فاذهب حيث شئت، فيقول الصادق المودة المخلص في الولاء: أفي الرخاء ألحس قصاعكم وعند الشدائد أخذلكم؟ لا والله حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم.

ويقول الآخر وقد أذن له الحسين «عليه السلام» أن يمضي ليسعى في فكاك ولده المأسور بثغر الري: أكلتني السباع حياً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان.

فلا تصدق المحبة الصحيحة والمودة الخالصة إلَّا بالطاعة والانقياد وقد قال الشاعر الموحد في حكمياته:

تعصي الآله وأنت تُظهر حبه هذا لعمرك في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فالمحبة من المعاني الخفية والأسرار القلبية وإنما تظهرها الأفعال والأعمال فمن كان صادق المحبة أطاع محبوبه وامتثل أوامره ونواهيه، وتابعه في العسر واليسر والسراء والضراء وتحمل معه المصاعب ولاقى في سبيل محبته المشاق والمتاعب وكابد الاهوال والشدائد كما فعل المخلصون من شيعتهم فالمحبة ليست

دعوى مجردة ولا مقالة كاذبة فقد قطعت الألسن والأيدي وأبينت الرؤوس والمفاصل على المحبة.

ونعود إلى ما قطعنا من ذكر الأحاديث في فضل الحسين «عليه السلام».

روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر المالكي في الاستيعاب على هامش الإصابة[١] عن معاوية بن مزرد عن أبيه قال: أبصرت عيناي هاتان وسمعت أُذناي رسول الله ﷺ وهو أخذ بكفي الحسين وقدماه على قدم رسول الله ﷺ وهو يقول: «ترق عين بقة»، قال: فرق الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال له رسول الله ﷺ: افتح فاك، ثم قبله، ثم قال: «اللهم إني أُحبه».

وروى عز الدين ابن الأثير الجزري الشافعي في أُسد الغابة[٢] عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال كنت في مسجد رسول الله ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص فمر بنا الحسين بن علي فسلم فرد القوم السلام فسكت عبد الله حتى فرغوا فرفع صوته وقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: إلّا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ولان يرضى عني أحب إليّ من أن يكون لي حمر النعم.

فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى، فتواعدا أن يغدوا إليه، قال فغدوت معهما فاستأذن أبو سعيد فإذن له فدخل ثم استأذن لعبد الله فلم يزل به حتى أذن له فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول الله ﷺ إنك لما مررت بنا أمس فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمر.

فقال الحسين «عليه السلام»: يا عبد الله أعلمت إني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: أي ورب الكعبة، قال: فما حملك على أن قاتلتني وأبي بصفين، فوالله لأبي خير مني؟!

قال: أجل، ولكن عمرو شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار فقال لي رسول الله ﷺ: صل ونم وصم وافطر وأطع عمراً، قال: فلما كان يوم صفين أقسم علي فخرجت، أما والله ما اخترطت سيفاً ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم.

---

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٣٨٢.
(٢) أسد الغابة ٣/ ٢٣٤.

وأخرجه الحافظ العسقلاني الشافعي في الإصابة مختصراً، وهذا يدل على جمود أدمغة أهل الحجاز وبلادة هذا الصحابي الفقيه بزعمهم وقلة فقهه في الدين أما علم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ ولا يُطاع الله من حيث يُعصى؟! وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[1].

وأما قول النبي ﷺ «أطع أباك» يعني في تخفيف الصوم والصلاة خاصة لا مطلقاً لأنه شكى إليه إكثاره منهما فخاف أن ذلك يضنيه وحيث أن العبادة على مقدار الوسع والطاقة كان التخفيف هو المطلب الشرعي وكان موافقاً لإرادة أبيه فأمره به، وهو صريح قوله: «صل ونم وصم وافطر وأطع عمراً» في هذا المتقدم من قوله «صل ونم» لا مطلقاً.

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[2] في ترجمة محمد بن الحسن النقاش عن أبي العباس قال: كنت عند النبي ﷺ وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم تارة يُقبل هذا وتارة يقبل هذا إذ هبط جبرئيل «عليه السلام» بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه قال: أتاني جبرئيل «عليه السلام» عن ربي فقال لي: يا محمد! إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك فأفتدي أحدهما بصاحبه.

فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى ثم قال: إن إبراهيم أُمه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأُم الحسين فاطمة وابوه علي ابن عمي ولحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه وأنا أؤثر حزني على حزنهما، يا جبرئيل، يقبض إبراهيم، فديته بإبراهيم، قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين «عليه السلام» مُقبلاً قبله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم، إنتهى.

ورميه أحد رواته بالكذب مردود عليه بعد أن رواه العمد والمعتبرون من الحفاظ وهم أجل المراجع عندهم مثل الدارقطني وابن شاهين وابن رزقويه وابن مجاهد وغيرهم من رواته من الحفاظ المذكورين ولولا هؤلاء ما عرف الخطيب ولا غيره غث الحديث من سمينه فالقادح فيهم منهم متهم وقدحه فيهم قدح في نفسه بلا أرتياب وقد تكلم في أعظم العلماء نباهة كأبي حنيفة أحد أئمة المذاهب والشيخ المفيد أعظم فقهائنا الإمامية وقدح في صحيح مسلم ومن كان هذا سبيله

(١) لقمان: ١٥.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٣٠٤.

وحاله فقدحه لا يضر ويجب الوقوف على عكس قوله لما عرفت.

وذكر المحب الطبري في ذخائر العقبى حديث البراء ويعلى المتقدمين عن السراج المنير[١]، ثم قال[٢]: عن أنس: لما قتل الحسين بن علي «عليهما السلام» جيء برأسه إلى ابن زياد «لعنه الله» فجعل ينكته بقضيب على ثناياه وقال: إن كان لحسن الثغر، فقلت في نفسي: لأسوأنك، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبل موضع قضيبك، خرجه ابن الضحاك، رواه الحافظ الهيثمي وغيره بأتم من هذا.

وعن يزيد بن أبي زياد قال[٣]: خرج النبي ﷺ من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة «عليها السلام» فسمع حسيناً يبكي فقال: ألم تعلمي أن بكائه يؤذيني؟! خرجه ابن بنت منيع، إنتهى.

أحسب أن بكاء الحسين «عليه السلام» لفقد أحبته في كربلاء عند فقد أخيه العباس وابنه علي الأكبر أشد أذى لرسول الله ﷺ من بكائه وهو طفل في المهد.

وفي كفاية الطالب[٤] عن ربيعة السعدي قال: لما أختلف الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زادي وخرجت حتى دخلت المدينة فدخلت على حذيفة بن اليمان فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، قال: من أي العراق؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: مرحباً بكم يا أهل الكوفة، قال: قلت: قد أختلف الناس علينا في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك.

فقال: على الخبير سقطت، أما إني لا أحدثك إلّا ما سمعته أُذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي: خرج علينا رسول الله ﷺ - كأني أنظر إليه كما أنظر إليك - حامل الحسين بن علي على عاتقه، كأني أنظر إلى كفه الطيبة وأضعها على قدمه يلصقها إلى صدره، فقال: أيها الناس، لأعرفن ما أختلفتم فيه من الخيار بعدي: هذا الحسين بن علي خير الناس جدّاً وجدّة، جدّه محمد رسول الله سيد النبيين، وجدته خديخة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الايمان بالله ورسوله.

هذا الحسين بن علي خير الناس أباً وخير الناس أماً، أبوه علي بن أبي طالب أخو رسول الله ووزيره وابن عمه وسابق رجال العالمين إلى الايمان بالله وبرسوله، وأُمه فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين.

هذا الحسين بن علي خير الناس عماً وعمة، عمه جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وعمته أم هانئ بنت أبي طالب.

(١) ذخائر العقبى: ص١٢٢.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٢٧.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٤٣.
(٤) كفاية الطالب: ص٢٧٢.

هذا الحسين بن علي خير الناس خالاً وخير الناس خالة، خاله القاسم بن محمد رسول الله ﷺ.

وخالته زينب بنت محمد.

ثم وضعه على عاتقه فدرج بين يديه وجثا، ثم قال: أيها الناس! هذا الحسين بن علي جده وجدته في الجنة وأبوه وأُمه في الجنة، وعمه وعمته في الجنة وخاله وخالته في الجنة وهو وأخوه في الجنة إنه لم يؤتى من ذرية النبيين ما أُوتي الحسين بن علي ما خلا يوسف بن يعقوب.

قلت: هذا السند أجتمع عليه جماعة من أئمة الأمصار منهم ابن جرير ذكره في كتابه ومنهم إمام أهل الحديث ومحدث العراق ومؤرخه ابن ثابت الخطيب ذكره في تاريخه ومنهم محدث أهل الشام وشيخ أهل النقل ابن عساكر الدمشقي ذكره في تاريخه، إنتهى، وهذا القدر كاف.

نبذة من مزاياه وسجاياه:

ولنذكر نبذة من مزاياه وسجاياه المحمودة وليعلم الناظر أن لسيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» اكمل المزايا وأجل الصفات التي بها يحصل الشرف ويتكامل المجد إذ كل خصلة منها توجب بنفسها استقلالاً لمن اتصف بها التقدم على غيره فكيف إذا أجتمعت كلها كالعلم والشجاعة وجرأة الجنان وفصاحة اللسان وحسن البيان والعفة والإباء والزهد والصلاح والعبادة والإيثار والشفقة والمروءة والسخاء وبذل المعروف والحلم إلى غير ذلك من معالي الأخلاق مع ما له من شرف الآباء المتصل والمجد الوراثي المتسلسل وله مكرمة قصرت عنها يد المتناول ودقت دونها عنق المتطاول وهي أعظم مكرمة وأجل فضيلة وهي ولادة رسول الله ﷺ ولجميع هذه الخصال كانت له المنزلة الرفيعة عند أعيان الصحابة، وقد سمعت قصة عبد الله بن عمرو بن العاص وهاك بعض القضايا لتعرف حقيقة ذلك تفصيلاً.

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد والكنجي في كفاية الطالب، والحافظ العسقلاني في الإصابة[1] - ولفظه -: عن عبيد بن حنين قال: حدثني الحسين بن علي «عليهما السلام» قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: إنزل عن منبر أبي وأذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني

(١) الإصابة ١/ ٣٣٣.

وأجلسني معه أقلب حصى بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال لي: من علمك؟ قلت: والله ما علمني أحد، قال: بأبي لو جعلت تغشانا.

قال: فأتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت معه فلقيني فقال لي: لم أرك، قلت: إني جئت وأنت خال بمعاوية فرجعت مع ابن عمر، فقال لي: أنت أحق من ابن عمر فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم، سنده صحيح وهو عند الخطيب، إنتهى.

فيه ثلاثة أمور يستراب منها: اتهام علي «عليه السلام» بتلقين الحسين «عليه السلام» ما قاله له وخلوته بمعاوية وهو من الطلقاء وقد كان يقصي الطلقاء ويبعدهم من كل كرامة كما فعل بأبي سفيان وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام، وإلزامه الحسين «عليه السلام» بالوقوف كل يوم على باب داره.

وفي كفاية الطالب للكنجي عن أبي مهزم قال: كنا في جنازة أمرأة ومعنا أبو هريرة فجيء بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، فلما أقبلنا إلى الحسين فقعد في الطريق فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه فقال الحسين «عليه السلام»: يا أبا هريرة! وأنت تفعل هذا؟ فقال أبو هريرة: دعني فوالله لو علم الناس ما أعلم لحملوك على رقابهم، رواه كاتب الواقدي في كتابه وأخرجه محدث الشام.

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة[١] وذكر ابن سعد في الطبقات قال: كان ابن عباس يمسك بركابي الحسن والحسين «عليهما السلام» حتى يركبا ويقول هما: ابنا رسول الله ﷺ، الخ، وهذا القدر يكفي.

علم سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام»:

وللعلم في صدر الإسلام مسالك محدودة منحصرة في الفقه والحديث والتفسير والخطابة وما شاكلها وفي كلها للحسين «عليه السلام» خبرة تامة ومهارة بالغة أقصاها، وليس هذا مذهبنا نحن الشيعة بل مذهبنا أن الإمام أعلم الخلق بكل العلوم ولكن نذكر مذهب أهل السنة فإنهم ذكروا للحسين «عليه السلام» فتاوى كثيرة ورووا عنه أحاديثاً وذكروا له خطباً وأشعاراً سنذكر بعضها.

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[٢]: قال بعض أهل العلم:

---

(١) تذكرة خواص الامة: ص١٣٤. (٢) الفصول المهمة: ص١٧٩.

علوم أهل البيت لا تتوقف على التكرار والدرس ولا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس لأنهم المخاطبون في أسرارهم المحدثون في النفس فسمو معارفهم وعلومهم بعيدة عن الإدراك واللمس من أراد سترها كمن أراد ستر وجه الشمس هذا مما يجب أن يكون ثابتاً مقرراً في النفس فهم يرون عالم الغيب ويقفون على حقائق المعاني في خلوات العبادة وتناجيهم ثواقب أفكارهم في أوقات أذكارهم بما تسنموا به غارب الشرف والسيادة وحصلوا بصدق توجههم إلى جناب القدس فبلغوا منتهى السؤدد والإرادة فهم كما في نفوس أوليائهم وأحبائهم وزيادة فما تزيد معارفهم في زمان الشيخوخة على معارفهم في زمن الولادة ومناقب واضحة الحجول بادية الغرر ومزايا تشرق اشراق الشمس والقمر ومزايا تزين عيون التواريخ وعنوانات الأثر فما سألهم مستفيد أو ممتحن فوقفوا ولا أنكر منكر أمراً إلَّا علموا وعرفوا ولا جرى معهم غيرهم في مضمار شرف إلَّا سبقوا وقصر محاوروهم وتخلفوا، إلى آخر كلامه[1].

ويعني هذا الفاضل أن علوم أهل البيت نقوش وارتسامات في النفس لصفائها وقوة إدراكها المعاني وسرعة الفهم والاستنباط والحدس وكل نفس مصفات عن دنس الأقذار، مطهرة من كل خبث ورجس فهي شديدة التعلق بالآثار العلوية وحقائق الأشياء لها منكشفة تمام الانكشاف، مشاهدة لها حاضرة لديها ومرئية عياناً ومعنى، محدثة أن لها مدداً إلٰهياً بواسطة الإلهام والإيحاء الرباني بإلقاء ما يطابق السؤال في النفس عند أول نظرة في إفاضات يفيضها على النفس الشفافة الصافية المصفات عن كل كدورة وهذه النفس الصقيلة النورانية تنطبع فيها عامة المعقولات المدركة انطباع المحسوسات في المرايا المجلوة بالواسطتين الإلهامية والحدسية من دون واسطة غريبة محصلة ومكتسبة من معاناة وممارسة فإذا كانت علوم أهل البيت كذلك فهي لا تحتاج إلى درس وتحصيل.

وقد كنت إسمع كثيراً من الاغاليط الشائعة التي تجري على ألسنة العوام نسبتهم للحسين «عليه السلام» القول المشهور عندهم وهو «من علمني حرفاً صيّرني عبداً» وهذا مثل من أمثال العقلاء وليس من كلام الحسين «عليه السلام» وما كنت أظن الجهل يبلغ بأربابه إلى هذه المرتبة من البلادة، إذ ليس للحسين «عليه السلام» ولا لواحد من الأئمة المعصومين من أهل البيت «عليهم السلام» معلم سوى الله تعالى بوسائط ثلاثة:

---

(١) وهو كلام ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، رواه عنه ابن الصباغ المالكي.

أولها: بالوحي النازل على رسول الله ﷺ الواصل منه إليهم، وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب، وقوله «عليه السلام»: هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله ﷺ.

ثانيها: بواسطة الإلهام وقد دلت على هذا أحاديث كثيرة من طريق أهل البيت استوفى روايتها علماء الشيعة كالكليني والطوسي والصدوق «رحمهم الله جميعاً».

ثالثها: صدق الحدس من حيث صفاء النفس وقوة استعدادها في تلقي إفاضات يفيضها عليها واهب العلوم، وهذا كما ذكرنا من ارتسام الحقائق المدركة في هذه النفس كما ترتسم الصور الموجودة في المرآة الصقيلة ويشهد لهذا نفوس الفلاسفة المخترعين وهم دون أهل البيت في صفاء النفس وقوة استعدادها وهناك قسم رابع وهو عند علمائنا لا شك فيه وهو النقر في الأسماع وذلك حيث يسمع الإمام ملكاً يقرر الجواب لا يرى شخصه كما كانت العرب تسمع الهواتف تخبر بالأحداث المقبلة وفي هذا روايات من طريق أهل البيت «عليهم السلام» ومن كان مؤيداً بجميع هذه التأييدات الإلٰهيّة كيف يحتاج إلى تعليم البشر؟ اليس البشر بالنسبة إليه جهلاء والناس بالإضافة إلى معرفته أغبياء؟ وقد أجاد الشيخ بهاء الدين العاملي في رائيته التي مدح بها الإمام المهدي صاحب الزمان «عجل الله تعالى فرجه»، بقوله:

فعلم الورى إن قيس في جنب علمه كغرفة كف أو كغمسة منقار

قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة[1] عن بشر بن غالب قال: سمعت عبد الله بن الزبير يسأل الحسين بن علي «عليهما السلام»: يا أبا عبد الله! ما تقول في فكاك الأسير على من هو؟ قال: على القوم الذين أعانهم، وربما قال: قاتل معهم، قال: وسمعته يقول: يا أبا عبد الله! متى يجب عطاء الصبي؟ قال: إذا استهل وجب له عطاؤه ورزقه، وسأله عن الشرب قائماً، فدعا بلقحة له فحلبت وشرب قائماً وناوله وكان يعلق الشاة المصلية فيطعمنا منها ونحن نمشي معه[2].

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٣٨٣.
(٢) هذا الحكم في الأكل ماشياً لبيان الجواز وأنه غير حرام وإن كان مكروهاً كما هو مذهب الفقهاء.

وقال الحافظ العسقلاني في الإصابة[١]: روى له أصحاب السنن أحاديثاً يسيرة، روى ابن ماجة وأبو يعلى عنه قال: سمعت رسو ل الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلَّا أعطاه الله ثواب ذلك، وورى عن أبيه وأُمه وخاله هند بن هالة، روى عنه أخوه الحسن «عليه السلام» وبنوه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة وحفيده الباقر والشعبي وعكرمة وشيبان الدؤلي وكرز التيمي وآخرون.

شجاعة الحسين «عليه السلام»:

لا برهان على شجاعته أعظم من موقفه في بكربلاء إزاء تلك الجيوش والكتائب المحيطة به إحاطة الرحا بالقطب وقد أحدقت به من الجهات الأربعة وليست بمنقطعة بل العسكر يتلو العسكر وهو في نفر يسير حصروه في فلاة جرداء قاحلة لا ماء لهم ولا أقوات، فوقف سلام الله عليه غير مكترث بذاك الجمع الغفير ولا مرتهب، وأبدى من فنون البسالة ما أبهر العقول وحير الألباب، وقد كان «عليه السلام» إذا شد على كتيبة من الكتائب طارت كاليعافير أو قصد جمعاً فروا كالحُمُر المستنفرة، وقد اعترف له العدو المتكالب والخصم الألد بشدة البأس وصدق المراس.

قال الطبري في التاريخ[٢]: قال أبو مخنف عن الحجاج بن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقي وعتب على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين «عليه السلام» فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشم ليداً، فقلنا له: وما يدك عندهم؟

قال: حملت على الحسين بالرمح فانتهيت إليه فوالله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت: ما أصنع أن أتولى قتله، يقتله غيري، قال: فشد عليه رجال ممن عن يمينه وشماله فحمل على من عن يمينه حتى انذعروا وعلى من شماله حتى انذعروا وعليه قميص له من خز وهو معتم، قال: فوالله ما رأيت مكسوراً[٣] قط قد قتل أهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرأ مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجال تنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد عليها الذئب، الخ.

وقال كمال الدين ابن طلحة في مطالب السؤول[٤]: فدعا الناس إلى البراز

---

(١) الإصابة ١/ ٢٣٢.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٥٩.
(٣) مكثوراً (نسخة).
(٤) مطالب السؤول: ص٧٢.

فلم يزل يقاتل ويقتل كل من برز إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة كبيرة، الخ.

ونحن لا نحتج على إثبات شجاعة الحسين «عليه السلام» في هذا المختصر بأكثر مما ذكرنا، فإنها لا تحتاج إلى دليل كما لا يحتاج النهار إلى دليل، فقد ذكر أرباب المقاتل من أصحابنا أن الحسين «عليه السلام» لما ندب أهل الكوفة لمبارزته فكان كلما تقدم إليه بطل جدله وسقى الأرض بدمه حتى أكثر فيهم القتل، فصاح عمرو بن الحجاج الزبيدي بهم: أتدرون يا حمقاء لمن تبارزون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، والله لو بارزه أهل الدنيا واحداً بعد واحد لأفناهم، ولكن الرأي أن نفترق عليه فرقاً: فرقة بالسيوف وفرقة بالرماح وفرقة بالنبل والحجارة، ففعلوا ذلك حتى أثخنوه بالجراح، إلى آخر ما ذكروه في مقتله «عليه السلام»، وقد ظهر من شجاعته الباهرة ما لم يظهر من شجاع قبله فإنه ملأ قلوب الشجعان رهبة ورعباً وهو صريع فقد كان يرمق البطل بعينه فإذا فعل ذلك أرعد البطل ووقع السيف من يده، وإلى هذا يشير السيد حيدر الحلي «رحمه الله» في رثائه «عليه السلام» بقوله:

فما أجلت الحرب عن مثله ... صريعاً يجبن شجعانها

وقول السيد جعفر الحلي فيه «عليه السلام»:

ويوم الوغى تكفيه عن سيفه ... كرّات عينيه إذا ما رنا

وليس علماء الشيعة رووا ذلك خاصة بل رواه مؤرخوا أهل السنة كالإسحاقي وغيره، وهذا لفظ الإسحاقي في تاريخ الأول[1]: فطعنه سنان فألقاه عن فرسه وأجهز عليه خولى بن يزيد من حمير ونزل ليحز رأسه فارتعد فنزل أخوه شبل يزيد فاحتز رأسه ودفعه إلى أخيه خولى، الخ، ولكن الذي رواه أصحابنا أنه ابتدر إليه جماعة كل يرمي سيفه ويفر إذا رمقه الحسين «عليه السلام» بطرفه حتى جاء الشمر «لعنه الله»، ولذلك يقول الأزري فيه:

وأقبل الشمر والهندي في يده ... فكان ما كان من إنفاذ مسطور

ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء حتى أضربه الضعف وأنهك قواه العطش لافناهم.

قال الهيثمي في الصواعق المحرقة[2]: لما شارف الكوفة سمع به أميرها

---

(١) تاريخ الاول: ص٤٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١١٧.

عبيد الله بن زياد فجهز إليه عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فأبى فقاتلوه وكان أكثر الخارجين لقتاله كاتبوه وبايعوه ثم لما جائهم أخلفوه وفروا منه إلى أعدائه إيثاراً للسحت العاجل على الخير الآجل، فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفساً فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه ولما حمل عليهم وسيفه مصلتٌ في يده أنشأ يقول:

انا ابن علي الطهر من آل هاشم كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

ثم قال: ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول، الخ.

أنفة الحسين «عليه السلام» من الرضوخ للمذلة ورفضه للهوان

قد كان «عليه السلام» حمي الأنف عظيم النفس لا يحتمل ضيماً ولا يحمل هواناً ولا يقبل اهتضاماً ولا يكسر بذخ نفسه وشمم أنفه في جواب أمير ولا يرد لسانه في محاورة سلطان خطير ولاخوف غائلة الاعتداء وحذر السطوة وقد سمعت ما قاله لمروان بن الحكم أمير الحجاز لمعاوية.

قال الحافظ ابن عساكر الشافعي في تاريخ الشام[1]: قدم المسيب بن نجبة الفزاري ومعه عدد من الرجال على الحسين «عليه السلام» بعد وفاة الحسن «عليه السلام» فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك، فقال: إني أرجوا أن يعطي الله أخي على نيته في حب الكف ويعطيني على نيتي في حب جهاد الظالمين.

وكتب مروان بن الحكم إلى معاوية: إني لست آمن أن يكون الحسين مرصداً للفتنة واظن أن يومكم من الحسين طويلاً.

فكتب معاوية إلى الحسين «عليه السلام»: إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء وقد أُنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك فاتق الله واذكر الميثاق فانك متى تكدني أكدك، فكتب إليه الحسين «عليه السلام»: اتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير والحسنات لا يهدي لها إلّا الله وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ولا أعلم فتنة أعظم من

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٢٧.

ولايتك أمر هذه الأمة.

فقال معاوية: إن أثرنا بأبي عبد الله إلَّا أسداً، إنتهى.

وقال اليافعي الشافعي في مرآة الجنان[١]: كان الحسين «عليه السلام» يفر من مبايعة معاوية فضلاً عن مبايعة يزيد.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة[٢]: كان مال حُمِل من اليمن إلى معاوية فلما مر بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي «عليهما السلام» فأخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلى معاوية، من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، فإن عيراً مرت بنا من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً وطيباً إليك لتودعها خزائن دمشق وتعل بها بعد النهل بني أبيك وإني احتجت إليها فأخذته، والسلام.

فكتب إليه معاوية: من عبد الله معاوية إلى الحسين بن علي: أما بعد، فإن كتابك ورد علي تذكر أن عيراً مرت بك من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً وطيباً إليّ لأُودعها خزائن دمشق وأعل بها بعد النهل بني أبي وإنك احتجت إليها فأخذتها ولم تكن جديراً بأخذها إذ نسبتها إليّ لأن الوالي أحق بالمال ثم عليه المخرج منه وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إليّ لم ابخسك حظك منه ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة وبودي أن يكون ذلك في زماني فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك ولكنني والله أتخوف أن تبلى من لا ينظرك فواق ناقة، وكتب في أسفل كتابه:

يا حسين بن علي ليس ما ... جئت بالسائغ يوماً والعلل
أخذك المال ولم تؤمر به ... إن هذا من حسين لعجل
قد أجزناها ولم نغضب لها ... واحتملنا من حسين ما فعل
يا حسين بن علي ذا الأمل ... لك بعدي وثبة لا تحتمل
وبودي أنني شاهدها ... فإليها منك بالخلق الأجل
إنني أرهب أن تصلىٰ بمن ... عنده قد سبق السيف العذل

فهو يتهدد الحسين «عليه السلام» بابنه الفاجر يزيد وفي كتاب الحسين «عليه السلام» لمعاوية في قتله لأصحاب أبيه كحجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي ما يمثل لك الحقيقة جلية فراجعه في تاريخ ابن قتيبة «الامامة والسياسة»

(١) مرآة الجنان ١/ ١٣٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤/ ٣٢٧.

وهو من أهل السنة وفي رجال الكشي وهو من الشيعة.

وأما حفاظ الحسين «عليه السلام» وحفظه الشرف عن كل ما يشينه وحمايته الشرع عن جميع ما يمس كرامته ولو كان فيه تلف النفس وانتهاك الأموال فأمرٌ لا يستريب فيه ذو معرفة فإن نفس الحسين «عليه السلام» الأبية وروحه العزيزة قد أوقفته يوم كربلاء موقف المستميت الذي يرى النفس التي هي أعز الأشياء النفسية وأغلاها وأرخصها كما قيل فيه:

وأرخص نفساً لا تكاد تسام

فقد بذل له الأمان فعافه لأنه مقرون بالدنية وضمن له حفظ سلامته فأباها لأنه محفوف بمذلة وهوان، واختار ما يختار الكرام أحرار النفوس وقد قال في ذلك:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

فكان الموت المر المذاق الكريه المطعم الذي هو عند غيره أمر من العلقم عنده ألذ من الشهد المصفى فسار إلى المنية على العز سير المستعجل وقصدها قصد الطالب المسرع وما سمعنا قبله بمن تلقى المنية مبتهجاً، ولاقى حتفه آنساً طرباً، إن ذلك الموقف الذي وقفه الحسين «عليه السلام» على حين لا ناصر له وقد ضحى بكل أحبته، ولا معين له حيث أباد الأضداد جميع أعوانه.

يتلقى الجموع فرداً ولكن كل عضو في الروع منه جموع

فالحسين «عليه السلام» هو الذي أسس الحفاظ العربي الحر بحماس الدين وحمية النسب وشهامة النفس، وهو الذي سن للأشراف سنّة التضحية كما سيجيء في الفصل الثاني في الآباء وقد سنه تفادياً من الذل وتخلصاً من العدوان الصارم وابتكر طريقة التفادي والأنفة من الاستعباد الشائن بشرف الأحرار الأغيار، فكل من جاء بعده تأسى به كأبني الزبير وبني المهلب وقتيبة بن مسلم الباهلي والمقتدر العباسي ومحمد وإبراهيم الحسنيين، هكذا يزعمون وكل من استمات من الأكابر ذكره واحتج بموقفه كما قال مصعب بن الزبير ومروان بن محمد آخر ملوك بني أُميّة والمقتدر كذا يدعون «وكل يدعي وصلاً بليلى».

سنذكر في إباء العباس «عليه السلام» أن نهج الحسين «عليه السلام» في الآباء لم ينهجه قبله أحد ولا سار أحد بعده مثل سيره، هب إنهم كما زعموا وزعم لهم الزاعم في اقتفاء طريقته فلا شك أن الفضيلة في كل طريقة فخر تخص شارعها

لا تعدوه وكل من سن صالحاً محموداً فهو الواجب الشكر عليه دون غيره ممن حذا حذوه واستن بسنته.

قال ابن أبي الحديد[١]: سيد أهل الآباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ضلال السيوف اختياراً له على الدنية أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام» عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل خاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله فأختار الموت على ذلك[٢].

وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول: كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلّا في الحسين «عليه السلام»:

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الموت حتى كأنه هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حُمراً فما بدا لها الليل إلّا وهي من سندس خضر

لم يعط الحسين «عليه السلام» الأمان مرة واحدة بل تكرر إعطاؤهم إياه الأمان.

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ[٣]: قام عبد بن جعفر إلى عمر بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان وتُمنيه في البر والصلة، وتوثق له في كتابه وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال له عمرو بن سعيد: أكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه.

فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: إختمه وابعثه مع أخيك يحيى بن سعيد فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أن الجد منك.

ففعل، وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ثم انصرفا بعدما قرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به وكان مما أعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رسول الله ﷺ وأمرني بأمر فأنا ماض له عليّ أو لي، فقالا له: ما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت بها أحداً وما أنا مُحدِّث بها حتى ألقى ربي.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٠٢.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢١٤.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٩١.

لم يكن رأي الحسين «عليه السلام» منذ بدأ الأمر إلّا المشي على خطة الآباء والسير على جادة الحفاظ يردد ذلك مراراً في أقواله إنشاءاً وإنشاداً.

قال الطبري[١]: عن أبي سعيد المقبري قال: نظرت إلى الحسين «عليه السلام» داخلاً مسجد المدينة وإنه يمشي وهو معتمد على رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة وهو يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دُعيت يزيدا
يوم أُعطي من المهابة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

قال: فما بلغ يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة، الخ، وذكرها غيره.

وأما من ادعى أنه سار على منهاجه وأقتفى أثره في إباء الضيم ورفض الهوان واختيار الموت على الحياة حفاظاً من أكابر الرجال فكثيرون منهم مصعب بن الزبير - على ما ذكره المبرد في الكامل وغيره - فإنه لما فر أصحابه عنه وبقي نفر يسير من أصحابه كسر جفن سيفه وأنشد:

فإن الأُولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

فعلم أصحابه أنه قد استقتل، ومنهم مروان الحمار الجعدي آخر ملوك بني أُمية.

قال الراغب في المحاضرات[٢]: لما وقعت العزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُميّة، أهاب الناس أن يرجعوا فلم يولوا فانتضى سيفه وقاتل قتال مستقتل، فقيل له: لا تهلك نفسك ولك الأمان، فتمثل بأبيات قالها الحسين «عليه السلام» يوم قُتِل، وهي:

أذل الحياة وذل الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن كان لا بد إحداهما فسيراً إلى الموت سيراً جميلا

وغيره يذكر القصة لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وكان مع مروان هذا وقتله بنو العباس معه.

ومنهم المقتدر العباسي كما في صلة تاريخ الطبري[٣]: إن المقتدر لما عمل على الخروج إلى مؤنس لبس ثيابه وجلس على مسودة وقال لامه: يا أماه! أستودعك الله هذا يوم الحسين بن علي ثم تمثل بقول علي بن الرومي:

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٩١.
(٢) المحاضرات ٢/ ٦٠.
(٣) ذيل تاريخ الطبري ١٢/ ٩١.

طامن حشاك فإن دهرك موقع بك ما تحب من الأُمور وتكره
وإذا حذرت من الأُمور مقدراً فهربت منه فنحوه تتوجه

سخاء الحسين بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»:

كان «عليه السلام» أجود أهل زمانه وأسخاهم كفاً وأبذلهم للجزيل، يعطي الأُلوف ويعتذر من القلة ويغني السائلين ويرى نفسه أنه ما سد لهم خلة.

قال كمال الدين بن طلحة في مطالب السؤول[١]: وقد اشتهر النقل عنه «عليه السلام» أنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل الفقير ويسعف السائل ويكسو العاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشد من الضعيف ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة وقل أن وصله مال إلَّا فرقه وقيل أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وفيرة وكسوة وافية فرد الجميع عليه ولم يقبله منه وهذه سجية الجواد وشنشنة الكريم وسمة ذي السماحة وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق فأفعاله المتلوة شاهدة له بصفة الكرم ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم، إنتهى.

ولا دليل عليه أقوى من قول جده رسول الله ﷺ فيما رواه المحب في ذخائر العقبى[٢] والكنجي في كفاية الطالب[٣] ولفظهما عن أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت أباها بالحسن والحسين «عليهما السلام» في الشكاة التي مات فيها، فقالت: ورثهما يا رسول الله شيئاً، فقال: أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي.

قال نور الدين بن الصباغ في الفصول المهمة[٤]: قال أنس كنت عند الحسين «عليه السلام» فدخلت عليه جارية فجائته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فقلت له: جارية تحييك بطاقة ريحان لا حظ لها ولا بال فتعتقها؟! فقال: أما سمعت قول الله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾[٥]، وكان أحسن منها عتقها.

هذه كلمات له حكمية ذكرها في نور الأبصار في خطبة حكمية هذا لفظها: «أيها الناس! نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه وأكتسبوا الحمد بالمنح ولا تكسبوه بالباطل، فمهما يكن لأحد عند أحد

---

(١) مطالب السؤول: ص٧٣.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٢٩.
(٣) كفاية الطالب: ص٢٧٧.
(٤) الفصول المهمة: ص١٨٤.
(٥) النساء: ٨٦.

ضيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافئته بمكان وذلك أجزل عطاءاً وأعظم أجراً، وأعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً، فلو رأيت المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللئم رجلاً لرأيتموه منظراً قبيحاً تفر منه القلوب وتغض منه الأبصار، أيها الناس! من جاد ساد، ومن بخل ذل وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعفى الناس من عفى عن قدرة وإن أوصل الناس من وصل من قطعه ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين.

عبادة الحسين «عليه السلام» وتقواه:

لقد علم المحققون أن أهل البيت «عليهم السلام» أعبد الناس وأكثرهم صياماً وصلاةً وحجاً وصدقة إلى غير ذلك وبكلمة جامعة هم أخيار الأمة وصلحاؤها، عنهم يؤخذ الزهد والعبادة وقد كان الحسين «عليه السلام» أكثر الناس صلاة فقد كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وحج إلى بيت الله الحرام خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه والنجائب تقاد معه.

قال الحافظ ابن عبد المالكي القرطبي في الاستيعاب[١]: كان الحسين «عليه السلام» فاضلاً ديناً كثير الصوم والصلاة والحج.

وقال مصعب الزبيري[٢]: حج الحسين بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، الخ.

وقال كمال الدين ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: وكان في العبادة مقتدياً بمن تقدم حتى نقل عنه أنه حج خمساً وعشرين حجة إلى الحرم ونجائبه تقاد معه وهو ماش على القدم، الخ.

وقال ابن عبد ربة المالكي القرطبي في العقد الفريد[٣] وذكر الحج ماشياً كما مر، وقيل لعلي بن الحسين «عليهما السلام»: ما أقل ولد أبيك؟ قال: العجب كيف ولدت له، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء؟!.

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٧٨.
(٢) الاستيعاب ١/ ٣٨٢.
(٣) العقد الفريد ٣/ ٤٣.

زهد الحسين «عليه السلام» ونسكه:

وحسبك دليلاً على الزهد في الدنيا بذل الأموال الجليلة في سبيل الطاعات وإنفاقها في البر والصلة والصدقة على الفقراء والمحتاجين، ولو لم يكن زاهداً في الدنيا منصرفاً عنها إلى الآخرة لأنفقها في سبيل مشتهياته وملاذه الدنيوية من ألبسة فاخرة ومراكب فارهة ومساكن مزخرفة عادة المترفين من المتمولين، ومن الزهد الحج مشياً ومجالسة الفقراء والمساكين.

قال المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى: روى الإمام علي بن موسى الرضا «عليهما السلام» أن الحسين بن علي «عليهما السلام» دخل الخلاء فوجد لقمة ملقاة فرفعها فقال: يا غلام أذكرنيها إذا خرجت، فأكلها الغلام، فلما سأله عنها قال: أكلتها يا مولاي، قال: إذهب أنت حرٌّ لوجه الله تعالى ثم قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: من وجد لقمة ملقاة فمسح أو غسل ثم أكلها أعتقه الله من النار، فلم أكن لأستعبد رجلاً أعتقه الله من النار، إنتهى.

فصاحة الحسين «عليه السلام» وبلاغته:

ومن المعلوم لدى كل عارف أن الفصاحة لهم تنتمي واليهم البلاغة تنتهي وهم أمراء الكلام المسيطرون على فنونه، وفي بيوتهم نبتت دوحته وعليهم تهدلت أفنانه، وعندهم نزل الكتاب المجيد وهم أعظم برهان على كون قريش أفصح العرب لأن القرآن المجيد نزل بلغتهم دون سائر اللغات، وأفصح قريش بنو هاشم وأفصح بني هاشم محمد المصطفى ﷺ وقوله ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد» مشهور، وأمير المؤمنين علي المرتضى «عليه السلام» واعتراف البلغاء بأنه إمام أهل البلاغة معلوم، والإمام الحسين «عليه السلام» هو الوارث لهما وقد كانت خطبه «عليه السلام» جديرة أن تسمى معجزة البلاغة من حيث أنها جمعت بين جزالة المعاني وسلاسة الألفاظ، والحماس فيها لامع، وقد تفنن في كل خطبة من خطبه فنوناً شتى في الوعظ والإنذار والتحذير من سخط الله ومقته للجائرين ومن التزهيد بدار الفناء والتهالك على نيل النعيم الزائل والترغيب في النعيم الخالد وإظهار مظلوميته وبيان اغتصاب حقوقه وإبداء ما خفي على الناس من أعمال الجائرين والتسلية لنفسه ولمن وطن نفسه معه على ملاقات الشدائد والأهوال في سبيل تحرير الأمة عن جور الاستبداد.

ولا برهان على فصاحة الحسين «عليه السلام» أقوى من تحرية المناسبات في ذلك الموقف الحرج والموطن الرهيب الذي تزل فيه الأقدام وتطيش فيه العقول

فلا يضع اللفظ إلَّا حيث يقتضيه المقام المناسب له وهذا عجيب جداً فأنا إذا نظرنا في تاريخ الأمم والشعوب قاطبة لا نجد رجلاً أحاطت به الأرزاء من كل ناحية، واكتنفته الكوارث من كل وجهة وهو رابط الجأش مطمئن النفس غير قلق ولا منزعج، وصدق راثيه بقوله فيه:

فما سمعت أُذني ولا أُذن سامع بأثبت منه في اللقا وهو واحد

أنى تسمع أُذن السامع بمثل ثبات هذا الإمام العظيم، فإن أعظم بطل يظهره التاريخ مثالاً للبطولة والفروسية حقيقة هو الحسين «عليه السلام» فأنك لو سحت في فيافي التاريخ الفسيحة وجلت في متسع الأثر منذ الطفولية إلى عصر الشيخوخة لم تشاهد بطلاً كالحسين «عليه السلام» يقف في مثل تلك المعركة الهائلة والمعمعة المدهشة وقد أحاطت به المنية من الجهات الست وقد فدح بأعز الحماة وأحب الأنصار وهو على أعظم ما يكون من الظمأ وتقرع آذانه صرخة الحريم المحجوبة والعقائل المصونة ومع ذلك كله يتحرى أساليب البلاغة وأفاينن الفصاحة بصفاء فكر وحسن رؤية غير مندهش البال ولا قلق الفكر فيأتي بالأشياء منزلة في منازلها المناسبة لها كما يأتي بمثل ذلك الآمن المطمئن الذي يراعي مطالبه العلمية بدقة فكر وتأمل عميق ومع ذلك ربما أخطأ، وهذا الإمام العظيم «عليه السلام» في هذا الموقف المزعج الذي تختلس فيه المهج و النفوس وتستلب فيه الأرواح يضع الكلمات مواضعها ويودعها محلها فيصيب ولا يخطئ فتجدها مستقرة في موضعها غير قلقة ولا ركيكة مفككة فهذا لم يكن في العالم قبله ولم يشتم التاريخ على فرد يشاكله إلَّا ما خلده من صفة جده محمد المصطفى ﷺ وأبيه علي المرتضى بطل العالم لا بطل الإسلام خاصة الذي لم تخف عليه معرفة العسل الطافئ من غيره في خطة الحرب المهولة.

فهذا علي أمير المؤمنين «عليه السلام» له قوة هذا التمييز في معمعة الجمل الشديدة ذات الأهوال وهذا الحسين «عليه السلام» سيد أهل الآباء يقضي أمره بالعجب في تلك المعركة الطاحنة لا يضع الكلمة إلَّا موضعها المناسب لها، ولا يلفظ اللفظة إلَّا في محلها الذي تقتظيه بحيث لو وضعت في غيره لاختلت وتفككت وهذا أعجب العجب لم يشغله ذلك الموقف المرهب ولا ما أحاطت به من المحن الصعبة أن يراعى جانب البلاغة فيضع كل لفظ في محله، فتراه يقول في آل عقيل: «اللهم اقتل قاتل آل عقيل» فهذا الموضع هذا حقه من الكلام وحصته من البلاغة ونصيبه الأوفى من الإعجاز الخطابي لأن هذا البيت قد خلا

ولم يبق منه إلّا طفل صغير فالجائر المعتدي عليهم وأبادهم وأخلا دارهم لحقيق بأن يقتله الله، وحري بأن يقطع دابره.

وفي مقام الشوق وشدة الوله بالولد الصالح والإبن الكافي وجدير بمن أشتد شوقه بولده وتكامل سروره برؤية ابنه الفذ وقرة عينه وثمرة قلبه الوحيد المعدوم النظير والذي لا مثيل له ولا شبيه في ذوي أسنانه أن يقول عند افتقاده: «على الدنيا بعدك العفا» لأنه موضع إعجابه وداعي سروره وابتهاجه في دنياه فعليها الدمار بعده ويعفيها الغبار، فهو لا يحب البقاء بعده فيها لأنه زهرة دنياه وزهوة عيشه.

وفي مقام الاستغاثة التي تجب لها النصرة والمعونة مراعاة لجانب المستغيث وإجابة لدعوة الداعي اللهيف ولم تسمح الظروف له بالمساعدة فكان المناسب له أن يقول: «عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك».

وفي مقام التسلية عن عظيم المصاب حيث لا مجال للذب عن الفقيد المذبوح ظلماً إلى جنبه: «صبراً بني عمومتي».

وفي مقام شكاية العدو في اجترامه جرماً لم يقع نظير في العالم فالمناسب أن يقول عند ذبح طفله الرضيع: «اللهم لا يكن عليك اهون من فصيل...».

وحيث يكون الناصر من الأرحام القرابة شديد الممانعة عظيم المدافعة كالأخ الناصح والشقيق المشفق فإنه يكون على العادة المألوفة تالياً للأخ الرئيس بأن يلزم ظهره فيحميه ويدفع عنه من يأتيه من قبل ظهره لأن الرئيس االكبير يأنف من الالتفات إلى خلفه لأن الالتفات عندهم من أمارات الرعب ودلائل الحماقة فلا يلتفت الرئيس إلى ورائه مهما كان المحيط مهولاً، فإذا كان له أخ شديد البطش عظيم النكاية فهو الذي يحميه من خلفه ويرد عنه من استظهره فهو بحياته واثق بالمنعة فلا ينظر إلّا إلى قدامه، وفي فقده يتمكن العدو من ظهره فمناسب أن يقول: «الآن انكسر ظهري»، فلزمه أن يدافع عن نفسه من جميع الجهات، فهذه الأساليب البليغة لو تحراها الهادئ البال المطمئن الخاطر لما تيسر له ذلك.

ومن خطب الحسين «عليه السلام»: هذه الخطبة الرنانة الحماسية العجيبة التي تقطر كل فقرة منها حماساً وتتفجر كل لفظة منها بسالة رواها جماعة من علماء أهل السنة منهم الحافظ ابن عساكر الدمشقي الشافعي في تاريخه وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول وآخرون، ورواها كثير من الشيعة فأطلبها منهم، إنتهى.

وقال «عليه السلام» في خطبة له في التسلية لنفسه وأصحابه وذكرها الحافظ أبو نعيم الاصفهاني الشافعي في حلية الأولياء[١] ورواها غيره من علماء السنة وذكرها أكثر علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد والمجلسي، نصها عن الحلية: عن محمد ابن الحسن قال: لما نزل القوم بالحسين «عليه السلام» وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلَّا كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل إلَّا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً وإني لا أرى الموت إلَّا سعادة والحياة مع الظالمين إلَّا برما، إنتهى.

هذه الخطبة البليغة الوجيزة لم يرد إلَّا التسلية لنفسه ولسالكي سبيله من أصحابه من أن هذه الدنيا لا تسوى شيئاً، وغرضه «عليه السلام» أن يرغبهم عنها ويزهدهم في هذا العمر المنقضي الذي لم يبق منه إلَّا اليسير بقوله «عليه السلام»: «لم يبق منها... الخ»، أي: إن العمر قد انقضى ولم يبق منه إلَّا اليسير كالصبابة التي هي الماء القليل الباقي في الإناء بعد الشرب، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل لأن العيش إذا كان آخر العمر يكون أخس أوقات الحياة البشرية لأنه يصادف الكبر والهرم ووقت الشيخوخة وانحلال القوى فليست لذته كلذة الشباب، فالأيام الباقية من ذلك العمر القليل التي هي مقدار صبابة الإناء فهي خسيسة بل أخسه وأرذله لأنه وقت ضعف القوى والوهن وانحلال البنية، كما أن المرعى الوبيل وهو التالف الذي أتلفه الرعي فلم يبق منه إلَّا أُصوله وهو مما يزهد فيه الرعاة فيطلبون غيره من المراعي الجميلة ذات النبات الملتف المونق، فكذلك الباقي من هذا العمر فإنه لا خير فيه ويجب أن يزهد في العيش الذي يصاحبه ويرغب فيها هو أحسن وأجل وهو الجنة فينبغي أن لايؤسف على مثل هذا العمر القصير في وقت اقباله فكيف يؤسف عليه في وقت إدباره، فالرغبة عنه أولى من الرغب فيه، مع كون الإنسان لم يصادف معه ذلاً ولا هواناً فكيف إذا قارنته المذلة وأُنيط به الهوان فلا يصلح للعاقل أن يؤثره على العز ونصرة الدين والذب عنه والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فسيد الشهداء «عليه السلام» يخبر أصحابه بما هو المرتكز في النفوس وتعرفه العرب في قديمها وحديثها أن الإنسان منهم إذا عاش زمناً ورأى طلائع

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٥.

الشيب يحتقر الباقي من عمره فيسلي نفسه عن دنياه، فبينما العربي يقول في التسلية لنفسه لم يبق من العمر إلَّا كظمأ حمار - كما قاله مروان بن الحكم بعد وقعة مرج راهط يظهر الندم على إسرافه في الدماء وغيره من العرب تكلموا بهذا - وقد يرتقي العربي إلى ما هو أنبل في نظره فيقول: أنا هام اليوم أو غد - كما قال شتير العامري - وقد جمعهما معاً اليمان أبو حذيفة بن اليمان العبسي وثابت بن وقش الأشهلي الأنصاري «رضي الله عنهما» وكانا شيخين كبيرين خلفهما رسول الله ﷺ يوم أُحد مع الذراري والنساء لكبرهما فقال أحدهما لصاحبه - كما ذكر ابن إسحاق -: لا أباً لك ماذا تنتظر فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلَّا كظمأ حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد ثم ذكر شهادتهما، فليس للعرب قدرة على أبلغ من هذا التعبير عن تصرم العمر ومن استهجن هذا اللفظ ولم يقدر على الإتيان بغيره مما خال من البشاعة لم يتصرف في اللفظ بل يبقيه كما هو ويقول لم يبق من العمر إلَّا اليسير - كما قاله المقطع العامري صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وقد أراد معاوية قتله ـ لقصة ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين - وهكذا يقول العامري اليوم: «ما بقى من العمر شي يسوه».

والإمام الحسين بن علي «عليهما السلام» أراد هذا المعنى ولكنه لما كان أمير الكلام وابن أميره، والفصاحة والبلاغة كائنة له طوع إرادته فهو يأتي بأساليب البيان البديعة ويتنكب ما فيه غضاضة وسماجة فيأتي بأبدع أسلوب وأتقن لفظ وأحكمه فيقول «عليه السلام»: «لم يبق منها إلَّا كصبابة الإناء»، هذا اللفظ البديع المرصف غاية في الفصاحة يأخذ بقلب السامع ويستلب لبه بحسنه ولطفه ويؤكد لنا هذا قول أصحابه الكرام في جوابه «عليه السلام»: «لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها»، وتقسم فقرات هذه الخطبة الوجيزة إلى ثلاثة أقسام من مطالب السعادة الخالدة:

أولها: التسلية عن دنيا تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، أما التغير فبظهور المنكرات والتجاهر بالفسوق والفجور الذي يأنف الغيور من الحياة مع مشاهدته ولا يستطيع تغييرا له، وأما التنكر فعبارة عن اقتران العيش بضروب من المذلة والهوان مما يصعب على الحر الكريم استمرار الحياة في مقاساته وإن خف احتماله على الوضعاء والسفلة والأراذل الساقطين، وأما إدبار المعروف فكناية تقسيم الأذناب وتأخير الرؤوس وتأمير الوضعاء وعزل العظماء، قال الشاعر:

دع الدنيا وزينتها لوغد ... وحاذرها إذا كنت الرشيدا

أترجوا الخير من دنيا أضاعت حسين السبط وأختارت يزيدا

وقال فيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري:

أرى الأيام تفعل كل نكرٍ وما أنا في النوائب مستزيد

وتلك قريشكم قتلت حسيناً وكان على خلافتكم يزيد

الثاني: الدعاية إلى تغيير المنكر وإحياء العدل والإحسان وذلك لما أخذه الله على العلماء أن لا يقاروا الجبابرة على أعمال المنكر وقد صرحت الأحاديث الكثيرة بأن من رأى منكراً فلم يغيره فعليه كذا من التغليظ في العقوبة والمقت الشديد.

الثالث: التأسيس لطريقة حرة والابتكار لسنة صالحة للاقتفاء لها وهي الآباء الخالص من كل شائبة، فإن من يرى الموت سعادة والحياة سأماً ويبرم بها في صحبة الجائر المتعسف والظالم المستعبد للأحرار فجدير بكريم النفس حر الفعال أن بعد الحياة معه مقتاً، والموت في مقاومته سعادة بلى والله، هي السعادة الخالدة والحياة الباقية دنياً وأخرة، قال أبو فراس الحمداني:

هو الموت فاتر ما علا لك ذكره ولم يمت الإنسان ما حيي ذكره

فأصبح موت الحسين «عليه السلام» على الحق حياة خالدة أبدية، وحياة يزيد القصيرة المشؤومة ميتة خامدة سرمدية.

للمؤلف:

فانشر يزيد وعصبة من حزبه أهل الفجور بقية الاشرار

ليروا قباب بني النبوة أصبحت ركن المطاف وكعبة الزوار

ما كان بيت الله أكثر زائراً من قبر سبط محمد المختار

تأتيه من شرق البلاد وغربها وإليه صار الحشر في الأمصار

لا يستطيع الحاسبون عدادها كالقطر عند تراكم الأمطار

فضجيجهم حول الضريح بألسن شتى يزلزل سبعة الأقطار

وتضيء من بعد قباب شيدت للطيبين كأنجم الاسحار

فبأي مزبلة أبِنْ لي مفصحاً ألقي يزيدكم الشرير الشاري[1]

قد كان في التابوت في جبى لظى وبذاك أصبح شر أهل النار

---

(١) الشاري: الخارجي.

وخطب سيد الشهداء «عليه السلام» كثيرة منها ما يأتي وكلها في أعلى درجة من البلاغة والفصاحة وأتمنى على الله تعالى فراغاً وتمكيناً لشرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعاني الجليلة.

أشعار الحسين «عليه السلام»:

ليس الحسين «عليه السلام» ولا أهل البيت «عليهم السلام» ممن يتخذ الشعر صنعة ويعده مهنة، وليست أشعارهم بإجهاد قريحة ولا بتكليف طبع وإنما ينشؤن أشعاراً في المناسبات الوقتية من الوعظ والإرشاد والفخر بدون ترو ولا إمرار على الخاطر كما يفعله الشعراء المتكلفون، والشعر أقل صفاتهم وأدنى وسائلهم وإنما قالوها لميل الناس إلى الشعر وولعهم بالمنظوم من الكلام، وقد قال قيس بن عاصم المنقري سيد الوبر وزعيم تميم لرسول الله ﷺ لما وعظه: أُحب يا رسول الله أن ان تكون هذه الموعضة في أبيات من الشعر لنفخر بها على من يلينا من العرب، القصة المشهورة.

وأشعار الحسين «عليه السلام» كثيرة نذكر بعضها، فمنها ما ذكره الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار عن ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ونصه[1]: وأما نظمه «عليه السلام» فمن ذلك ما نقله ابن أعثم صاحب كتاب الفتوح وهو أنه «عليه السلام» لما أحاطت به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم من الماء وكان له ولد صغير فجاءه سهم فقتله فزمله الحسين «عليه السلام» وحفر له بسيفه وصلى عليه ودفنه وقال:

غدر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه ... حسن الخير كريم الأبوين
]: حسداً منهم وقالوا أقبلوا ... نقتل الآن جميعاً للحسين
خيرة الله من الخلق أبي ... ثم أُمي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد صفيت من ذهب ... فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى ... أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أُمي وأبي ... قاصم الكفر ببدرٍ وحنين
وله في يوم أُحد وقعة ... شفت الغل بغض العسكرين

---

(١) نور الإبصار: ص١٨٦.

ثم في الاحزاب والفتح معاً كان فيها حتف أهل الوثنين

إنتهى، وهي قصيدة طويلة مذكورة في المقتل الصغير المنسوب لأبي مخنف.

قال الشبلنجي: ومن ذلك ما حكي أن الفرزدق لقيه «عليه السلام» وهو متوجه إلى الكوفة فقال: يا ابن رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل؟! فترحم «عليه السلام» على مسلم بن عقيل وقال: أما إنه قد صار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه وقضى ما عليه وبقي ما علينا، وأنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للقتل أُنشأت فقتل امرىء في الله بالسيف افضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

وذكرها ابن عساكر في تاريخه أيضاً، وقوله «عليه السلام» من قصيدة طويلة:

ذا استنصرالمرء أمرءاً لا يداً له فناصره والخاذلون سواء
أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه وليس على الحق المبين خفاء
أليس رسول الله جدي ووالدي أنا البدر إن غال النجوم عماء
ألم ينزل القرآن وسط بيوتنا صباحاً ومن بعد الصباح مساء
ينازعني والله بيني وبينه يزيد وليس الأمر حيث يشاء
فيا نصحاء الله أنتم ولاته وأنتم على أديانه أُمناء
بأي كتاب أم بأية سنة تناولها من أهلها البعداء

ومن شعره «عليه السلام» وذكره ابن عساكر في التاريخ[1] عن الأعمش:

كلما زيد صاحب المال مالاً زيد في همه وفي الأشغال
قد عرفناك يا منغصة العيش ويا درا كل فإن وبالي
ليس يصفوا لزاهد طلب الزهد إذا كان مثقلاً بالعيال

وزار مقابر الشهداء بالبقيع وطاف بها وقال:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٢٤.

ناديت سكان القبور فأسكتوا فأجابني عن صمتهم ندب الحشا
نادت أتدري ما صنعت بساكني مزقت جثماناً وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدما كانت تباينت المفاصل والشوا
وقطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتها رمماً يصول بها البلا

ومن شعره في زوجته الرباب الكلبية وذكره السهيلي في شرح السيرة الهشامية[١]:

أُحب لحبها زيداً جميعاً ونثلة كلها وبني الرباب
وأُخرى إنها من آل لام أُحبهم وطر بني ذياب

ومن شعره فيها وذكره الطبري في التأريخ[٢]:

لعمرك إنني لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جُلّ مالي وليس للائمي فيها عتاب
وليست لهم وإن عتبوا جميعاً حياتي أو يغيبني التراب

دعوات الحسين «عليه السلام» المستجابة:

إن ضبط مثل دعوات الحسين «عليه السلام» يحتاج إلى سفر ضخم ولكنا نقتصر على بعض ما ذكره علماء أهل السنة:

فمنه ما رواه المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[٣] عن رجل من كليب قال: صاح الحسين بن علي «عليهما السلام»: أسقونا ماءاً، فرماه رجل منهم بسهم فشق شدقه، فقال «عليه السلام»: لا أرواك الله، فعطش الرجل إلى أن رمى نفسه في الفرات فشرب حتى مات، رواه الملا.

وعن العباس بن هشام بن محمد الكوفي عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له زرعة، شهد قتل الحسين «عليه السلام» فرمى الحسين «عليه السلام» بسهم أصاب حنكه وذلك أن الحسين «عليه السلام» دعا بماء فشرب فرماه فحال بينه وبين الماء، فقال: اللهم أظمأه، قال فحدثني من شهد موته وهو يصيح من الحر في بطنه والبرد في ظهره وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون وهو يقول: أسقوني أهلكني العطش، فؤتى بالعس العظيم فيه السويق والماء واللبن لو شربه

(١) الروض الانف ١/٦٦.
(٢) تاريخ الطبري ١٣/١٩.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٤٤.

خمسة لكفاهم فيشربه ثم يعود فيقول: أسقوني أهلكني العطش، قال: فانقد بطنه انقداد البعير، خرجه ابن أبي الدنيا، ثم ذكر حديث حوزة وسنذكره عن الطبري.

وحديث زرعة ذكره الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[١]: والحافظ الهيثمي المكي الشافعي في الصواعق المحرقة[٢] ولم يسمه، وهذا الخبيث هو زرعة بن شريك التميمي الدارمي ثم الأباني عدو الله سنذكر خبره في شهادة العباس «عليه السلام» في الجزء الثالث من هذا الكتاب لأنه له شركة في قتله «سلام الله عليه».

قال الطبري في التاريخ[٣]: أبو مخنف عن حميد بن مسلم الازدي قال: بعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين «عليه السلام» وأصحابه وبين الماء أن يُسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين «عليه السلام» بثلاث، قال: ونازله ابن أبي حصين الأزدي وعداده في بجيلة، فقال: يا حسين! ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاناً، فقال الحسين «عليه السلام»: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم: والله لقد عُدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا اله إلّا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغر ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته - يعني نفسه -.

وقال الطبري[٤]: قال أبو مخنف: حدثني حسن أبو جعفر قال: ثم إن رجلاً من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة جاء حتى وقف أمام الحسين «عليه السلام» فقال: يا حسين! يا حسين!، فقال له الحسين «عليه السلام»: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار، قال «عليه السلام»: كلا إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: رب حُزْهُ إلى النار، قال: فاضطرب به الفرس في جدول فوقع فيه وتعلقت رجله في الركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر زكل شجرة حتى مات.

قال أبو محنف وأما سويد بن حية فزعم أن عبد الله بن حوزة حين وقع عن فرسه فقيت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى فطارت به فرسه يضرب رأسه بكل حجر وأصل شجرة حتى مات.

وعن عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال: كنت في الخيل ممن سار إلى الحسين «عليه السلام» فقلت أكون في أوائلها

---

(١) كفاية الطالب: ص٢٨٧.
(٢) الصواعق المحرقة: ص١٢٥.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٢٤.
(٤) تاريخ الطبري: ٦/ ٢٤٠.

لعلي أُصيب رأس الحسين «عليه السلام» فأُصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، قال: فلما انتهيت إلى الحسين «عليه السلام» تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت الحسين «عليه السلام»، فقال: ثانية، فسكت، حتى إذا كانت الثالثة قال «عليه السلام»: قولوا له: هذا الحسين، فما حاجتك؟ قال: يا حسين! أبشر بالنار، قال «عليه السلام»: كذبت بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، قال: فرفع الحسين «عليه السلام» يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال: اللهم حُزْهُ إلى النار، قال: فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط منها فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب، قال: فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، قال: فسألته، فقال: لقد رِأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أُقاتلهم أبداً.

وقال[١]: قال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم! حولوا بينه وبين الماء لا تتام إليه شيعته، قال: ويضرب فرسه وأتبعه الناس وينتزع الأباني بسهم فأثبته في حنك الحسين «عليه السلام»، قال: فانتزع الحسين «عليه السلام» السهم ثم بسط كفيه فامتلآ دماً، ثم قال الحسين «عليه السلام»: اللهم إني أشكوا إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، قال: فوالله إن مكث الرجل إلّا يسيراً حتى صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروي.

وذكر ابن عساكر[٢] سمى الدارمي زرعة «لعنه الله»، وذكر حديث القاسم بن الأصبغ وسيجيء في مقتل العباس «عليه السلام».

الإنذارات بقتل الحسين «عليه السلام»:

من حين ولادته إلى حين شهادته كثيرة جداً ونحن نورد بعض ما أورده حفاظ أهل السنة خاصة مقتصرين على بعض ذلك دون الإحاطة لضيق هذا الكتاب عن احتمال التطويل الزائد.

قال المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[٣]: عن أنس: إن رسول الله ﷺ قال: إن ابني هذا - يعنى الحسين «عليه السلام» - يقتل بأرض من العراق فمن أدركه منكم فلينصره، قال: فقُتل أنس مع الحسين «عليه السلام»، الخ.

---

(١) تاريخ الطبري: ٦/ ٢٢٨.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣٨.
(٣) ذخائر العقبى: ص١٤٦.

وذكر ابن عساكر[١] ليس هو أنس بن مالك خادم النبي ﷺ إنما هو أنس بن الحارث الأسدي ثم الكاهلي «رضوان الله عليه» وكان صحابياً.

وعن أنس بن مالك قال: استأذن ملك القطر ربه أن يزور النبي ﷺ فإذن له وكان في يوم أُم سلمة، فقال النبي ﷺ: يا أُم سلمة! أحفظي الباب علينا لا حل أحد، فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين بن علي «عليهما السلام» طفر فاقتحم فدخل فوثب على رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبله، فقال له الملك: أتحبه؟ قال ﷺ: نعم، قال: إن أُمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل به، فأراه، فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أُم سلمة فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء، خرجه البغوي في معجمه.

وخرجه أبو حاتم في صحيحه، وقال: إن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه؟ قال: نعم، فقبض قبضة من المكان الذي قُتل فيه، فأراه إياه، وذكر باقي الحديث.

وخرجه أحمد في مسنده وقال: قالت: فجاء الحسين «عليه السلام» يدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قالت: فقال الملك، وذكر الحديث، قال: فضرب بيده على طينة حمراء فأخذتها أُم سلمة فصرتها في خمارها، قال ثابت: فبلغنا أنها كربلاء.

وعنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يمسح رأس الحسين «عليه السلام» ويبكي، فقلت: مما بكاؤك؟ فقال: إن جبرئيل أخبرني أن ابني هذا يُقتل بأرض يقال لها كربلاء، قالت: ثم ناولني كفاً من تراب أحمر وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يُقتل بها، فمتى صار دماً فأعلمي أنه قد قُتل، قالت أُم سلمة: فوضعت التراب في قارورة عندي وكنت أقول: إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم، أخرج الملا في سيرته، وأخرج أحاديثاً كثيرة بهذا المعنى.

وقال الحافظ الهيثمي[٢]: أخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة أن النبي ﷺ قال: أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين «عليه السلام» يُقتل بعدي بأرض الطف جائني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه.

وعن أم الفضل بنت الحارث أن النبي ﷺ قال: أتاني جبرئيل «عليه السلام» فأخبرني أن أُمتي ستقتل ابني هذا - يعني الحسين «عليه السلام» - وأتاني بتربة حمراء، خرجه أبو داود والحاكم.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١١٥.

وأخرج أحمد: لقد دخل على البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي: إن ابنك حسيناً هذا مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء.

ثم ذكر حديث ملك القطر وحديث جبرئيل «عليه السلام» بطرق عديدةمنها عن عائشة وعن أم سلمة وروى هذه الأحاديث غيرهما مثل الحافظ ابن عساكر أوضرابه من علماء أهل السنة، ورواها جماعة من الشيعة منهم رئيس المذهب ابن قولويه في كامل الزيارة وابن شهر آشوب في المناقب وغيرهما.

أما الإنذار بشهادة الحسين «عليه السلام» من جهة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد قال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[1]: روى الحافظ عبد العزيز الجنابذي في كتاب معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى الأصبغ بن نباتة قال: أتينا مع علي «عليه السلام» في سفره فمررنا بأرض كربلاء، فقال علي «عليه السلام»: ها هنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم ومهراق دمائهم، فتية من آل محمد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

وقال المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[2]: عن عبد الله بن يحيى عن أبيه إنه سافر مع علي «عليه السلام» وكان على مطهرته، فلما حاذى بنينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي «عليه السلام»: صبراً يا أبا عبد الله، صبراً يا أبا عبد الله، صبراً يا أبا عبد الله بشاطئ الفرات، فقلت له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ فقال: دخلت على رسول الله ﷺ وعيناه تفيضان، ثم ذكر الحديث السابق.

وقال الحافظ الهيثمي الشافعي في الصواعق المحرقة[3]: أخرج ابن سعدعن الشعبي قال: مر علي «عليه السلام» بكربلاء عند مسيره إلى صفين فلما حاذى نينوى «قرية على الفرات» فوقف وسأل عن إسم هذه الأرض، فقيل: هذه كربلاء، فبكى طويلاً حتى بل الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرئيل «عليه السلام»، ثم ذكر الحديث كما مر.

قال: وروى الملا أن علياً «عليه السلام» مر بقبر الحسين «عليه السلام» فقال: ها هنا مناخ ركابهم، هاهنا موضع رحالهم، هاهنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

---

(١) نور الإبصار: ص١١٤. (٢) ذخائر العقبى: ص١٤٨.
(٣) الصواعق المحرقة: ص١١٥.

وقال الكنجي الشافعب في كفاية الطالب[١] عن شيبان من مخروم وكان عثمانياً قال: إني لمع علي «عليه السلام» فقال: يُقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلّا شهداء بدر، فقلت: بعض كذباته، وثم رجل حمار فقلت لغلامي: خذ رجل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيبها، وضرب الدهر ضرباته فلما قتل الحسين انطلقت ومعي أصحابي فإذا بجثة الحسين بن علي على رجل ذلك الحمار وإن أصحابه ربضة حوله، الخ.

وهذا الحديث رواه الحافظ ابن عساكر الشافعي في تاريخ الشام في ترجمة الحسين «عليه السلام»[٢].

وقال الطبراني: عن أبي وثيمة: كنت مع علي «عليه السلام» بنهر كربلاء فمر بشجرة تحتها بعر الغزلان فأخذ منه قبضة فشمها ثم قال: يُحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، قلت: هكذا أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، إنتهى، ورواه ابن عساكر.

وحديث بعر الغزلان رواه الفاضل المجلسي في بحار الأنوار عن ابن عباس مطولاً وفيه مرور المسيح عيسى ابن مريم بكربلاء وإخباره للحواريين بقتل الحسين «عليه السلام» وأنه شم ذلك البعر ودعا الله ببقائه صحيحاً إلى أن يشمه أبوه أمير المؤمنين «عليه السلام»، الحديث بطوله.

وذكر ابن أبي الحديد حديث هرثمة[٣] وذكر أحاديثاً غيره، وكذلك سبط ابن الجوزي.

إنذار الحسين «عليه السلام» عن نفسه بقتله[٤]:

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في الأخبار الطوال من قصة نزوله «عليه السلام» بكربلاء: فقرأ الحر الكتاب «يعني كتاب ابن زياد» ثم ناوله الحسين «عليه السلام» وقال: لا بد من إنفاذ أمر الأمير عبيد الله بن زياد، فأنزله بهذا المكان ولا تجعل للأمير عليّ علة، فقال الحسين «عليه السلام» تقدم بنا قليلاً إلى هذه القرية التي هي منا على غلوة وهي الغاضرية أو هذه الأُخرى التي تسمى السقبة فنزل في أحدهما.

فقال الحر: إن الأمير كتب إليّ أن أحلك على غير ماء ولا بد من الانتهاء إلى أمره.

---

(١) كفاية الطالب: ص٢٧٠.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣١.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣٨.
(٤) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٧٨.

فقال زهير بن القين: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان فيهم كفاية فكيف بمن يأتينا من غيرهم، فهلم بنا نناجز هؤلاء فإن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم، قال الحسين «عليه السلام»: فإني أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدؤنا.

فقال له زهير: ها هنا قرية بالقرب منا على شط الفرات وهي عاقول حصين الفرات يحدق بها إلَّا من وجه، فقال الحسين «عليه السلام»: وما إسم تلك القرية؟ قال: العقر، قال الحسين «عليه السلام»: نعوذ بالله من العقر، فقال الحسين «عليه السلام» للحر: سر بنا قليلاً حتى ننزل، فسار معه حتى أتى كربلاء، فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين «عليه السلام» ومنعوه من المسير وقال: أنزل بهذا المكان فالفرات منك قريب، قال الحسين «عليه السلام»: وما إسم هذا المكان؟ قالوا: كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ولقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف فسال عنه فأُخبر باسمه فقال: هاهنا محط ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم، فسُئل عن ذلك فقال: ثقل من لال محمد ﷺ ينزلون ها هنا، ثم أمر الحسين «عليه السلام» باثقاله فحُطت بذلك المكان يوم الاربعاء غرة المحرم سنة (٦١) هجرية، وقُتل بعد ذلك بعشرة أيام وكان قتله يوم عاشوراء.

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة[١]: فلما قيل للحسين «عليه السلام» هذه أرض كربلاء شمها وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله ﷺ وأنني أُقتل بها.

وفي خطبته «عليه السلام» المشهورة رواها المجلسي وغيره من الشيعة، ومن السنة الشيخ أحمد مفتاح مدرس الإنشاء في كتابه مفتاح الأفكار[٢] التي خطبها بمكة حين عزم على الخروج منها قاصداً أرض العراق:

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مضجع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تتناهبها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضا الله رضانا، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن نشذ عن رسول الله ﷺ لحمته وهي مجموعة له غداً في

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ص١٤٢.
(٢) مفتاح الافكار: ص١٤٨ المطبوع بمصر سنة ١١٣٤.

حضيرة القدس تقر بهم عينه ويثلج بهم قلبه، إلَّا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطِّناً على لقاء الله نفسه فليرتحل معنا فإني راحل مصبحاً غداً إن شاء الله تعالى، إنتهى.

جمع «عليه السلام» في هذه الخطبة القصيرة فنون العلم والحكمة وحري بها أن تسمى معجزة الخطابة، نعم إن سيد الشهداء من بيت النبوة والإمامة وهم أمراء الكلام وملاك الخطاب، قف وانظر نظر الاعتبار فيما تضمنته هذه الكلمات الوجيزة واشتملت عليه عباراتها البارعة من الوعظ والانذار والتحذير من الدنيا والتسلية لنفسه «عليه السلام» ولسالكي سبيله عن العيش التعيس والتبشير بما سيصير إليه والأخبار عما يجري عليه مستنهضاً لنصرته أهل التوطين لأنفسهم على بذل الأرواح النفيسة في سبيل رضا الرب العظيم.

فوعظ «عليه السلام» بقوله: «خُطَّ الموت، الخ» يريد أن الموت أحاط بالبشر واكتنفهم كما تحيط القلادة بالجيد والرقبة وهذه قضية شاهدها الوجدان ودليلها العيان ولا يعني «عليه السلام» أنه يخبر الناس أن الموت لا بد منه فقط، إن هذا أمر مرتكز في النفوس معلوم بالبداهة لدى الجميع ولكنه «عليه السلام» أراد أن ينبههم إلى اختيار الموتة الحميدة التي تكسب صاحبها حمد الدنيا وكرامة الآخرة فأخبر سامعي خطابه أن الموت الذي قد عرفتموه وإنه محيط بكم ولا محيص لكم عنه ولا منجا فاستعدوا له باختيار موتة تنالون فيها الحمد والكرامة وهي الشهادة والقتلة السعيدة في نصرة الدين ثم سلى نفسه وعزاها وأخبر من يريد الالتحاق به والسير على منهاجه باختيار الموتة الكريمة على سائر أنواع الموت.

وبيّن أنه «عليه السلام» على يقين من حمد العاقبة وبصيرة من أن خاتمة الخير له ولأتباعه، فقال: : «ما أولهني إلى أسلافي، الخ» يعني إنه «عليه السلام» شديد الوله والشوق إلى جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الزهراء الحوراء وأخيه المجتبي والشهداء من عمومته الكرام كحمزة أسد الله وأسد واسد رسوله وجعفر الطيار ذي الجناحين فهو «عليه السلام» شديد الاشتياق إلى لقائهم كما اشتاق يعقوب إلى لقاء يوسف بعد الغيبة الطويلة.

ثم إنه «عليه السلام» أخبر الأمة الحاضرة أن خروجه ليس باختيار أختاره ولا رأي رآه ولكنه اختيار إلٰهي وتدبير رباني اوحاه الله إلى نبيه محمد ﷺ يخبره بأن دينه القويم وشرعه المستقيم ستقاومه الحكومة الأموية الظالمة والدولة الفاجرة المبتدعة وإنه قد أمره بأنه ارتضى لمقاومة أولئك الظلمة الفجرة سبطه الحسين «عليه السلام» وأختاره لتجديد ما أخلقته تلك الدولة الأموية المتمردة من طراز

سنته الجديدة ومعيداً لما طمسته من آثار شرعة النيرة وإنه سيقتل في سبيل الدعوة إلى دينه مظلوماً شهيداً نائياً عن الأوطان في فلاة من الأرض تنتابها الضباع الساغبة والذئاب الضارية.

وأخبر «عليه السلام» أنه ماض لهذا الأمر الإلٰهي صابر على شدة هذا البلاء منتظر من ربه مزيد الحباء والكرامة بما وعده على لسان جده الصادق ولهذا يقول: «نصبر على بلاءه».

وقوله «عليه السلام»: «كأني بأوصالي، الخ» بناءاً على أنها السباع السغاب لا يعني أن السباع تأكل لحمه وتملأ أكراشاً وأجربة أجوافها الساغبة منه حقيقة من حيث أن لحوم ولد فاطمة «عليها السلام» محرمةٌ على السباع، بل يريد حمل المخاطبين وقت إلقاء الخطاب على المتعارف المشهور من أن القتيل إذا قُتل في فلاة من الأرض شاسعة أو مفازة نائية عن الاوطان سكانها الوحوش الضارية ونزالها السباع العادية وليس لذلك القتيل فئة ولا أنصار يحملون أشلائه المتوزعة وأعضاءه المتقطعة كان معرضاً لأن تنتهب الضباع والذئاب تلك الأشلاء الموزعة فتملأ أكراشها الساغبة وأجوافها الفارغة، فهو «عليه السلام» يخبرهم أنه قد وطّن نفسه على تلك الحالة طاعة الله وتوصلاً إلى مرضاته ولو فعل به ما وصف لولا الحراسة الإلٰهيّة له «عليه السلام» خصوصاً ولولد فاطمة «عليه السلام» عموماً.

ثم يخبر «عليه السلام» أن له بذلك الأمر تمام الأنس وشدة الرغبة لأنه يروم الالتحاق بجده المصطفى وأبيه وأُمه وأهله البررة الذين هم أعز الخلق عنده وأحبهم لديه وحري بمن يطلب لقاء الأحبة أن يكون شديد الأُنس بادي السرور والابتهاج بلقائهم.

وهذه من الامور التي لا شك فيها إلّا معوج السليقة، إن رسول الله ﷺ لن تشذ عنه لحمته بل يجمع الله تعالى لرسوله ذريته في حضيرة القدس فالحسين «عليه السلام» على علم من ذلك ويقين وقد تضافرت الأحاديث بهذا المعنى وتناقلها الفريقان السنة و الشيعة وكذلك تلتحق شيعة الذرية الطاهرة بالذرية المطهرة حسبما نطقت به الأحاديث المعتمدة.

وفي هذه البيانات كلها ظهرت الحقيقة لأهل مكة ومن حضرها من أهل الاصقاع النائية حالة الحسين «عليه السلام» ولم يبقى شك ولا تشكيك في أن نهضته «عليه السلام» للدفاع عن الدين فقط وأنه مقتول في سبيل الانتصار للملة وتكون تضحيته لنفسه في فلاة موحشة وأرض مقفرة سكنتها الوحوش وكشف بها

لمتبعيه نقاب الحقيقة بأنه قادم على الموت لا على امتلاك العراق وسلطنته حتى لا يقول بعض من لا بصيرة له خدعنا أو غرنا قد كنا نحسب أن السلطان له فأتبعناه فلما كشف الحقيقة وأبان الواقع زال الشك في أنه القتل في سبيل نصرة الدين لا غير.

فندب حينئذٍ طلاب الدين وعشاق الشهادة ومن يروم الانتصار لله والنهوض في الجهاد تقربا إليه خالصاً من كل شائبة طمع بقوله: «فمن كان باذلاً، الخ» لهذا لم يتبعه إلَّا الخُلَّص من أهل بيته والخواص من شيعته.

وهذه الخطبة رواها المجلسي وغيره من العلماء وتركنا أكثر الانذارات الواردة عن جده وأبيه وأخيه وعنه «عليهم السلام» للأختصار.

أما إنذارات أهل الكتاب فكثيرة أيضاً رواها العلماء عن كعب الأحبار وغيره ومها عن الدولابي الحنفي في الكنى والأسماء[١] عن رأس الجالوت قال: كنا نسمع أنه يُقتل بكربلاء ابن بنت نبي فكنت إذا دخلتها ركضت دابتي حتى أخلفها، فلما قتل الحسين جعلت أسير على هنيئتي، إنتهى.

الدلالات على مقتل الإمام الحسين «عليه السلام»

حتى عرف مقتله قبل وصول الخبر بقتله وعلم بذلك جماعة من الصحابة كابن عباس وأُم سلمة بالعلامات التي عندهم وبرؤية رسول الله ﷺ في المنام، وعرفه كثير من الناس بالهواتف، فإن الجن ناحت عليه ومن ظهور الآثار على الأحجار والآفاق وهو باب واسع نذكر منه مقدار ينتفع منه المسلم.

فعن الحافظ الكبيرين العسقلاني[٢] والقرطبي[٣] عن ابن عباس قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث مُغبرٌّ، بيده قارورة فيها دم، قلت بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: دم الحسين «عليه السلام» لم أزل التقطه منذ اليوم، فوجد قد قتل في ذلك اليوم، إنتهى، ورواه المحب والسيوطي[٤] وغيرهما.

وذكر السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء[٥]: أخرج الترمذي عن سلمى

---

(١) الكنى والاسماء ٢/ ٢٠. (٢) الإصابة ١/ ٣٣٥.
(٣) الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة: ص٢٨٠.
(٤) ذخائر العقبى: ص١٤٦.
(٥) تاريخ الخلفاء: ص١٣٩.

قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، قلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى لحيته ورأسه التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً، إنتهى.

ورواه المحب في ذخائر العقبى[١] والحافظ الكنجي في كفاية الطالب[٢] - ولفظه -: عن علي بن زيد بن جدعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين «عليه السلام» والله فقال له أصحابه: كلا يا ابن عباس، قال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: إلّا تعلم ما صنعت أُمتي من بعدي؟ قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعه إلى الله عز وجل فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ذلك وتلك الساعة فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتى جائهم الخبر بالمدينة أنه قُتل ذلك اليوم.

قلت: ذكره الدمشقي «يعني ابن عساكر» في ترجمته وهو كذلك[٣]، قال الحافظ الهيثمي الشافعي في الصواعق المحرقة[٤] في حديث القارورةفي حديث أم سلمة وفي رواية عنها: فأصبته يوم قتل الحسين «عليه السلام» وقد صار دماً، ثم قالت أُم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين «عليه السلام» سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً إبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الانجيل

قالت: فبكت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً، ثم ذكر رؤيا أم سلمة ورؤيا ابن عباس.

وقال ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد[٥]: قال الزهري: خرجت مع قتيبة أُريد المصيصة، فقدما على عبد الملك بن مروان وإذا هو قاعد في إيوان له وإذا سماطان من الناس على باب الايوان فإذا أراد حاجة قالها للذي يليه حتى تبلغ المسألة باب الإيوان.

فقال عبد الملك للذي عن يمينه: هل بلغكم أي شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين؟ قال: فسأل كل واحد منهما صاحبه حتى بلغت المسألة الباب فلم يرد أحد فيها بشيء.

قال الزهري: قلت: عندي في هذا علم، قال: فرجعت المسألة رجلاً رجلاً

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٤٨.
(٢) كفاية الطالب: ص٢٨١.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٤٠.
(٤) الصواعق المحرقة: ص١١٥.
(٥) العقد الفريد ٣/ ١٤٤.

حتى انتهت إلى عبد الملك، قال: فدعيت فمشيت بين السماطين فلما انتهيت إلى عبد الملك سلمت عليه فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، قال: فعرفني بالنسب، وكان عبد الملك طلابة للحديث، فقال: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي؟

وفي رواية أخرى عن الزهري أنه قال: الليلة التي قُتل في صبيحتها الحسين بن علي.

قال الزهري: نعم، قلت: حدثني فلان لم يسمه لنا أنه لم يرفع في تلك الليلة التي قتل في صبيحتها علي بن أبي طالب والحسين بن علي «عليهما السلام» حجر في بيت المقدس إلَّا وجد تحته دم عبيط، قال عبد الملك: صدقت، حدثني الذي حدثك وأنا وإياك في هذا الحديث لغريبان، الخ.

وذكره الحافظ الهيثمي وسبط ابن الجوزي وغيرهما مختصراً.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء[١]: أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن أم سلمة قالت: سمعت الجن تبكي على الحسين «عليه السلام» وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه عن أبي جناب الكلبي قال: أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب أخبرني بما بلغني أنكم تسمعون نوح الجن؟ فقال: ما تلقى أحداً إلَّا أخبرك أنه سمع ذلك، قلت: فأخبرني بما سمعت أنت؟ قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من علیا قريش وجده خير الجدود

وذكر الحافظ محب الدين الطبري في ذخائر العقبى[٢] عن أم سلمة: ما سمعت نوح الجن بعد رسول الله ﷺ إلَّا ليلة قتل الحسين «عليه السلام» فقلت للجارية: أخرجي فوالله ما أرى ابني إلَّا قد مات، أخرجي فاسألي، فخرجت فسألت، فقيل: إنه قُتل، خرجه الملا في سيرته.

وذكر الحافظ الكنجي في كفاية الطالب حديث أبي جناب الكلبي[٣] وزاد في حديث أم سلمة: ما سمعت نوح الجن، الحديث ما لفظه بعد قولها «قد قُتل»: وإذا جنية تنوح:

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص١٣٩.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٥٠.
(٣) كفاية الطالب: ص٢٩٤.

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبرٍ في الملك عبد

وفي حديثها الآخر الذي فيه: «أيها القاتلون جهلاً حسيناً» البيت، وبعده قبل الثاني:

كل أهل السماء سدعوا عليكم من نبي ومرسل وقبيل

وقال[١]: خرجه محدث الشام، يعني ابن عساكر[٢]، وهو كما قال.

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة[٣] بعد أن ذكر نوح الجنية التي سمعتها أُم سلمة: قال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلاً يقول:

أبكي قتيلاً بكربلاء مضرج الجسم بالدماء
أبكي قتيل الطغاة ظلماً بغير جرم سو ى الوفاء
أبكي قتيلاً بكى عليه من ساكن الأرض والسماء
هتك أهلوه واستحلوا ما حرّم الله في الإماء
يا بأبي جسمه المعرَّى ألا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء وما لذا الرزء من عزاء

قوله: «إلا من الدين و الحياء» قد ألم به الشاعر الفحل الشيخ كاظم الأزري البغدادي فقال في مرثية الحسين «عليه السلام»:

قد غيّر الطعن منه كل جارحة إلا المكارم في أمن من الغير

قال السبط: وقال الزهري: ناحت الجن عليه فقالت:

خير نساء الجن يبكين شجيات ويلطمن خدود كالدنانير نقيات
ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات ويندبن حسينا عظمت تلك الرزيات

الأخير عن غير السبط، م ذكر قولهم مسح الرسول وزاد ابن عساكر في تاريخ الشام[٤] بعد البيتين ما نصه: وسمعهم أبو مرثد الفقيمي فأجابهم بقوله:

خرجوا به وفداً إليه فهم له شرّ الوفود
قتلوا ابن بنت نبيهم سكنوا به نار الخلود

---

(١) كفاية الطالب: ص٢٩٥.
(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٤١.
(٣) تذكرة خواص الأمة: ص١٥٣.
(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٤١.

وفي تاريخ ابن عساكر[١]: وروي أنهم سمعوا في الليل صوتاً ولا يرون شخصاً وهو يقول:

عقرت ثمود ناقة فاستوصلوا وجرت سوانحهم بغير الأسعد
بنو رسول الله أعظم حرمة وأجّل من أُم الفصيل المقصد
عجباً لهم لما جنوا لم يمسخوا والله يملي للطغاة الجحد

وأمثال هذا كثير في كتب حفاظ أهل السنة، وروى حفاظ الإمامية أكثر فاطلبه من أمالي الشيخ الطوسي وكامل الزيارة لابن قولويه والبحار للفاضل المجلسي وغيرها من كتب الإمامية.

الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة

التي أظهرها الله تعالى للحسين «عليه السلام» فقد تظافر النقل عن أئمة أهل الحديث بما لا يستريب فيه أحد ولا يتطرقه ريب ولا يتداخله شك أو تشكيك حيث أتفق على روايته علماء الفريقين وكل شيء توافق عليه الخصمان وتسالم عليه الضدان فهو صحيح وحق لا محالة، إن الآيات التي ظهرت عند مقتله الشريف عظيمة جداً وباهرة ومخوفة لأنها من الآيات السماوية التي لا تقع إلّا للدلالة على غضب الله تعالى وسخطه وإرادة انتقامه نحو كسوف الشمس وخسوف القمر على غير مجاري العادة ومطر السماء بالدم والتراب الاحمر وتساقط الكواكب وظهور الحمرة في السماء وطلوع الشمس صفراء كامرأة لبست ثياب معصفرة إلى غير ذلك مما ضبطه الحفاظ وأورده المتقنون من أهل الضبط من أئمة الحدّيث.

قال الحافظ السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء[٢]: ولما قتل الحسين «عليه السلام» مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تُرى فيها بعد ذلك ولم تكن تُرى فيها قبله، وقيل: إنه لم يقلب حجر ببيت المقدس يومئذ إلّا وجد تحته دم عبيط، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ونحر أحدهم ناقة في عسكرهم فكانوا يرون لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم وتكلم رجل في الحسين «عليه السلام» بكلمة فرماه الله بكوكب من السماء فطمس بصره.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٤١.
(٢) تاريخ الخلفاء: ص١٣٨.

وذكر المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[١] حديث الورس وتحوله رماداً، وحديث الذي رماه الله بالكوكب، وقال: عن أبي قبيل: لما قتل الحسين «عليه السلام» بعث به إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيون بالرأس، فبينما هم كذلك خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطراً بدم:

أترجوا أُمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، خرجه منصور بن عمار، إنتهى، وهو حديث مشهور رواه الحافظ الهيثمي وغيره.

وقال المحب الطبري أيضاً[٢]: ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة عن نضرة الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي «عليهما السلام» أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وعن مروان مولى هند بنت المهلب قال: حدثي بواب عبيد الله بن زياد أنه لما جيء برأس الحسين بن علي «عليهما السلام» بين يديه رأيت حيطان دار الإمارة تسايل دما، خرجه ابن بنت منيع.

وعن جعفر بن سليمان قال: حدثتني خالتي أم سالم قالت: لما قتل الحسين «عليه السلام» مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر وبلغني أنه كان بخراسان والشام والكوفة، خرجه ابن بنت منيع وذكر حديث أم سلمة والزهري وقد تقدما.

وقال أبو جعفر الطبري المؤرخ في التاريخ[٣]: فما هو إلّا قتل الحسين «عليه السلام» فسرح برأسه من يومه ذلك مع خولي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فأقبل له خولي فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً فأتى منزله فوضعه تحت أجانة في منزله وله أمرأتان: أمرأة من بني أسد والأخرى من بني الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت: أقبل خولي برأس الحسين «عليه السلام» فوضعته تحت أجانة في الدار ثم دخل البيت فآوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين «عليه السلام» معك في الدار.

---

(١) ذخائر العقبى: ص١٤٤.
(٢) ذخائر العقبى: ص١٤٥.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦١.

قالت: فقلت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ؟ لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً.

قالت: فقمت من فراشي وخرجت إلى الدار فدعا الأسدية فأجلسها إليه، وجلست أنظر قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الاجانة ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها، فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد.

و قال عز الدين ابن الأثير الشافعي في تاريخ الكامل[١]: قال بعض حجاب عبيد الله بن زياد: دخلت معه القصر حين قتل الحسين «عليه السلام» فاضطرم في وجهه ناراً، فقال هكذا بكمه على وجهه وقال: لا تحدث بهذا أحد.

وقال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[٢] عن منهال الأسدي قال: والله لقد رأيت الحسين «عليه السلام» حين حُمِل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[٣] فنطق الرأس وقال: قتلي أعجب من ذلك.

وذكر[٤] بكاء السماء وحديث الزهري في تفجر أحجار بيت المقدس دماً.

وذكر الحافظ الهيثمي حديث الكف التي كتبت الشعر[٥] وقال: وذكر غيره - يعني غير منصور بن عمار - أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه ﷺ بثلثمائة سنة وأنه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يدرى من كتبه، وعلى رواية ابن حجر هذه على هذا الوجه يكون من هذا القسم.

ثم ذكر حديث نظرة الأزدية وقال بعده: وكذا روى في أحاديث غير هذا، ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أن السماء أسودت أسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً ولم يرفع حجر إلَّا وجد تحته دم عبيط ثم ذكر بقاء الشمس سبعة أيام كالملاحف المعصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً، ثم ساق جميع الأحاديث المتقدمة سوى حديث الطبري وابن الأثير، وحيث أن جميع ما ذكره فهو عن تذكرة سبط ابن الجوزي فنحن ننقل عنها بلا واسطة.

قال السبط في التذكرة[٦]: قال ابن سعد في الطبقات: إن هذه الحمرة لم تُرى في السماء قبل قتل الحسين «عليه السلام».

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ١٠٣.
(٢) نور الإبصار: ص١٢٢.
(٣) الكهف: ٩.
(٤) نور الإبصار: ص١٢٠.
(٥) الصواعق المحرقة: ص١١٦.
(٦) تذكرة خواص الأمة: ص١٥٤.

قال جدي أبو الفرج في كتاب التبصرة: لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل بذلك على غضبه وإنه إمارة السخط والحق سبحانه ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين «عليه السلام» بحمرة الأفق وذلك دليل على عظم الجناية.

وذكر جدي في هذا الكتاب: لما أُسر العباس يوم بدر سمع رسول الله ﷺ أنينه فما نام تلك الليلة فكيف لو سمع انين الحسين «عليه السلام»؟ قال ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له ﷺ: غيب وجهك عني فإني لا أُحب من قتل الأحبة، قال ﷺ هذا والإسلام يجب ما قبله، فكيف يقدر الرسول ﷺ أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال.

قال ابن سيرين: لما قتل الحسين «عليه السلام» اظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وعن هلال بن ذكوان: لما قتل الحسين «عليه السلام» مكثنا شهرين أو ثلاثاً كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس.

قال: وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد: ما رُفع حجر في الدنيا إلَّا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

وقال السدي: لما قتل الحسين «عليه السلام» بكت السماء وبكاؤها حمرتها.

قال ابن سيرين: وجد حجر قبل مبعث النبي ﷺ بخمسمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه إلى العربية، فإذا هو «أترجو أمة» البيت.

وقال سليمان بن يسار: وجد حجر عليه مكتوب:

لا بد أن ترد القيامة فاطمٌ وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن خصماؤه شفعاؤه والصور في يوم القيامة يُنفخ

قال البيهقي الشافعي في كتاب المحاسن والمساوئ[1] بعد حديث ابن سيرين «ما رؤيت الحمرة» قال: ولم تطمث امرأة بالروم أربعة أشهر إلَّا أصابها وضح، فكتب ملك الروم إلى ملك العرب، قتلتم نبيّاً أو ابن نبي، وذكر احمرار آفاق السماء وتحول الورس رماداً ولحوم الإبل جمراً، وبهذا القدر كفاية.

---

(١) المحاسن والمساوئ ١/ ٤٦.

ما أحل الله بقتلة الحسين «عليه السلام»

ما أحل الله بقتلة الحسين «عليه السلام» من المذلة والهوان وعاجلهم به من العقوبة والانتقام:

قال الطبري المؤرخ في الذيل[١] عن شيخ من أشجع قال: قال الحاج: من كان له بلاء فليقم، فقام قوم فذكروا، وقام سنان ابن أنس فقال: أنا قاتل الحسين «عليه السلام»، فقال: بلاء حسن ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث في مكانه، إنتهى.

وذكرها البيهقي الشافعي في المحاسن والمساوئ وهذا لفظه[٢]: قيل: ودخل سنان بن أنس النخعي على الحجاج بن يوسف فقال: أنت قتلت الحسين بن علي؟ قال: نعم، قال: أما إنكما لم تجتمعا في الجنة، فذكروا أنهم رأوه موسوساً يلعب ببوله كما يلعب الصبيان.

وذكر[٣] الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٤] - ولفظ الأخير -: قال السدّي: أتيت كربلاء لأبتاع التمر بها فعمل رجل من طي طعاماً فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين «عليه السلام»، فقلت ما شرك أحد في قتله إلّا مات أسوأ ميتة، فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق! فأنا فيمن شرك في قتله، فلم يبرح حتى دنى من السراج وهو يتقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه فأخذت النار فيها فذهب يطفيها بريقه فأخذت النار في لحيته، فغدا فألقى نفسه في الفرات فرأيته كأنه حممة، قلت: طرقه محدث الشام بطرق شتى، إنتهى، يعني ابن عساكر، وقد ذكره كما يقول في تاريخ الشام في ترجمة الحسين «عليه السلام».

وذكره الحافظ الهيثمي الشافعي في الصواعق وسبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة كلاهما عن السدي وعن الزهري: لم يبق ممن قتله أحد إلّا عوقب في الدنيا إما بقتل أو بعمى أو أسوداد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة.

قال الإسحاقي المؤرخ في تاريخ أخبار الأُول[٥] في خبر رأس الحسين «عليه السلام»: ولما قدموا به على يزيد وضعه الحامل بين يدي يزيد وأنشد مخاطباً ليزيد:

---

(١) ذيل تاريخ الطبري ١٣/ ٣٠.
(٢) المحاسن والمساوئ ١/ ٤٦.
(٣) المحاسن والمساوئ: ص٤٦.
(٤) كفاية الطالب: ص٢٨٩.
(٥) تاريخ أخبار الأول: ص٤٨.

إملأ ركابي فضة أو ذهبا أني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد: إذا علمت انه موصوف بهذه الاوصاف فلم قتلته؟ وأمر بضرب عنقه لوقته وفاته ما أمله من الذهب وإلى جهنم قد ذهب، إنتهى.

أما أبو جعفرالطبري المؤرخ فيزعم أن هذا الرجز لسنان بن أنس النخعي قاله لعمر بن سعد وأن عمر بن سعد قال: أشهد إنك مجنون وما صحوت ثم حذفه بالقضيب وقال: يا مجنون! تتكلم بكلام لو سمعه ابن زياد لضرب عنقك.

وقال السبط في التذكرة[1]: حكى الواقدي عن ابن الرماح قال: كان بالكوفة شيخ أعمى قد شهد قتل الحسين «عليه السلام» فسألناه يوماً عن ذهاب بصره، فقال: كنت في القوم وكنا عشرة غير أني لم أضرب بسيف ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم، فلما قُتل الحسين وحُمل رأسه رجعت إلى منزلي وأنا صحيح وعيناي كأنهما كوكبان، فنمت تلك الليلة فأتاني آتٍ في المنام وقال: أجب رسول الله ﷺ، قلت: مالي وله؟ فأخذ بيدي وانتهزني ولزم تلبابي وانطلق بي إلى مكان فيه جماعة ورسول الله ﷺ جالس وهو معتم معتجر حاسر عن ذراعية وبيده سيف وبين يديه نطع وإذا أصحابي التسعة مذبوحين بين يديه فسلمت عليه،فقال: لا سلم الله عليك ولا حياك يا عدو الله الملعون، أما استحيت مني تهتك حرمتي وتقتل عترتي ولم ترع حقي! قلت: يا رسول الله ما قاتلت، قال: نعم ولكنك كثرت السواد، وإذا بطست عن يمينه فيه دم الحسين «عليه السلام»، فقال: اقعد، فجثوت بين يديه فأخذ مروداً فأحماه ثم كحل به عيني فأصبحت أعمى كما ترون، ثم ذكر قصة نذكرها في أحوال العباس «عليه السلام» وذكر بعدها حكاية السدي وكنا ذكرنا حديث السبعين من حملة الرأس الذين ذبحهم رسول الله ﷺ وحذفناه بطوله.

وروى الحافظ الكنجي في كفاية الطالب[2] عن أسد ابن القاسم الحلبي قال: رأى جدي صالح بحلب وكان صالح ديناً في النوم كلباً أسود وهو يلهث عطشاً ولسانه قد خرج على صدره، فقال: هذا كلب عطشان دعني أسقيه الماء أدخل فيه الجنة وهممت لأفعل ذلك وإذا بهاتف يهتف من ورائه: يا صالح! لا تسقه، هذا قاتل الحسين بن علي «عليهما السلام» أعذبه بالعطش إلى يوم القيامة،

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ص١٥٩. (٢) كفاية الطالب: ٢٩٠.

قلت: أخرجه الدمشقي في تر جمته كما سقناه - يعني ابن عساكر -، إنتهى.

وقد روى هذا الحديث من علماء الشيعة الفاضل الدربندي في كتاب أسرار الشهادة مطولاً وفيه عجائب كثيرة وتركناه لأنه على غير شرطنا لالتزامنا بإيراد ما روته العامة وتركنا الكثير مما رواه إيثاراً للاختصار.

الكمية التي أوعد الله تعالى أن يقتلها بالحسين «عليه السلام» انتقاماً منه لقاتليه:

روى الحافظ الهيثمي الشافعي في كتاب الصواعق المحرقة[١] ولفظه: أخرج الحاكم بطرق متعددة أنه ﷺ قال: قال جبرئيل «عليه السلام»: قال الله تعالى: إني قتلت بيحيى ابن زكريا سبعين ألفاً وقاتل بدم الحسين «عليه السلام» سبعين ألفاً.

ولم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنه العدد وعدة المقاتلين له فإنه فتنة أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك وكل من روى هذا الحديث رد على ابن الجوزي في عده موضوعاً حتى سبطه في التذكرة.

ورواه المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[٢] عن ابن عباس وقال: خرجه الملا في سيرته.

وذكره الشبلنجي السافعي في نور الأبصار[٣]، وقال: رواه الحاكم في المستدرك وصححه وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم.

وذكره الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار[٤] ولفظه: أخرج الحاكم في المستدرك وصححه قال الذهبي في التلخيص على هامش مسلم عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وكذلك روى الحافظ الكنجي السبعين ألفاً مكررة في كتاب كفاية الطالب[٥] عن ابن عباس وقال: أخرجه مؤرخ العراق بكتابه وأخرجه عنه محدث الشام في تاريخه يعني بالأول الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والثاني ابن عساكر في تاريخ الشام وقد ذكره الثاني[٦] في ترجمة الحسين «عليه السلام» وذكر سبط ابن

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١١٩. (٢) ذخائر العقبى: ص١٥٠.
(٣) نور الإبصار: ص١٢١.
(٤) إسعاف الراغبين بهامش نور الإبصار: ص٧٧.
(٥) كفاية الطالب: ص٢٨٨. (٦) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣٩.

الجوزي الحنفي في التذكرة[١] وذكر السبعين ألفاً مكررة.

تأثير الفاجعة الحسينية في النفوس

إن لهذه الفاجعة العظيمة والرزية الموجعة أكبر تأثير في النفوس الحرة لا أستطيع توصيفها على الدقة والتحقيق، ولست أُغالي لو قلت أنها من أعظم الفجائع المحزنة وامض الفوادح المؤلمة منذ أول الأزمنة وبدء عصور حدوثها حتى اليوم.

إأن فاجعة الطف العظمى ورزية أهل البيت المطهر قد تركت العيون دامية والأكباد متفتة كمداً وحزناً ليست هذه الفاجعة كبعض الفواجع أنها رقرقت عبرات الرسول المختار على وجناته، وأجرت مدامع الحوراء فاطمة الزهراء ووصي المصطفى كرش المطر بحرقة حزن ولذعة أسى لذا يقول الشريف الرضي الموسوي في تأبينه «عليه السلام»:

ميتٌ تبكي له فاطمة وأبوها وعلي ذو العلا

لست أسمع بمخلوق من ملك وفلك وجماد ونبات وسائر الحيوان من إنس وجان إلَّا وأثرت فيه مصيبة الحسين «عليه السلام» اثراً محسوساً مشاهداً لدى أهل ذلك العصر وخلدت ذكره لنا الأسفار التأريخية المعتمدة فانتشار النجوم وأسوداد الكون وهطول الأمطار دماً ونثر السماء التراب الأحمر إلى غير ذلك، فالأطيار في الهواء نائحة والجنان في الفلوات عند سدود ظلمة الليل تتجاوب بالنياحة في تأبينه «عليه السلام»، والشمس منكسفة الأضواء والكواكب منتثرة في الآفاق والأحجار متفجرة بالدم العبيط، ولله در الأزري الشاعر البغدادي حيث يقول في رثائه «عليه السلام» من رائيته المشهورة:

اي المحاجر لا تبكي عليك دماً أبكيت والله حتى محجر الحجر

فقد والله أنستنا هذه الفاجعة كل الفجائع التي نستاء لها قديماً وحديثاً وأذهلتنا عن كل مصيبة سابقة ولاحقة، وقد أجاد مؤبنه بقوله:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

فأنى لنا بالصبر عن إظهار الجزع في كل يوم يمر وساعة وأوان، ولم لا نبكي بدل الدموع دماً وقد أبكت مصيبته المصطفى وسائر أهل البيت والعظماء من

---

(١) تذكرة خواص الامة: ص١٥٨.

الصحابة كابن عباس وأُم سلمة والصلحاء من التابعين لهم بإحسان كالربيع بن خيثم والحسن البصري وحتى أثرت بقلوب أعدائه القاسية فصدعتها فسالت عبراتها المترقرقة على تلك الوجوه الشريرة الكالحة بما حدثتنا به الأنباء التاريخية أن دموع عمر بن سعد تحادرت على خديه وأبكت يزيد بن معاوية القاسي القلب الجليد الذي هو كالحجارة أو أشد قسوة فلان قلبه القاسي وكبده الجلمود حتى عقدت المآتم في داره وأُقيمت المناحة على الحسين «عليه السلام» في بيته، وهل أعظم من هذه المصيبة وأشد تأثيراً في النفوس منها.

ولا يعزب عن فكرة المتفكر ما صرح به بعض أهل المقاتل من تاثيرها في الحيوانات فقد نقل عند نداء زينب هاتفة بابن أُمها وأبيها الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء منذ سقط عن جواده قتيلاً فيحلف بالله راوي الحديث أنه رأى الخيل ودموعها تتحادر على خديها، وهكذا روى بعض منهم حنين النياق التي جيء بها لتركب عليها العائلة الحسينية، فقد كان الأمر الذي أثر في نفوس الأعداء والحيوانات العجماء أثره فكيف تنسى شيعة الحسين «عليه السلام» ذكر الحسين «عليه السلام» ما مر الجديدان؟!

تـالله لا أنـسـى ابـن فـاطـم إذ غـدا غـرض الـسـيـوف رمـيـة لـرمـاتـهـا

قال الأمير علي في تاريخ العرب وتمدن الإسلام[1]: يقول المؤرخ الانكليزي الأشهر جيبون: إن مأساة الحسين «عليه السلام» لروعة بالرغم من تقادم عهدها وتباين موطنها لابد أن تثير العواطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقساهم قلباً، والآن قد وقفنا على تفاصيل تلك المذبحة النكراء نستطيع أن نفهم مبلغ الحزن الممض الذي يشجي قلوب شيعة علي عند إحياء ذكرى استشهاد الحسين «عليه السلام» وهكذا فاضت نفس من أزكى النفوس في ذلك العصر وكادت تنقرض بموته أفراد أسرة النبي شيباً وشباناً لولا هذا الطفل المريض الذي أنقذته زينب أخت الحسين «عليه السلام» من المذبحة العامة، وقد كان إسمه علياً ولُقب فيما بعد بزين العابدين وهو ابن الحسين «عليهما السلام» من زوجته بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس الساسانيين، وفي شخصه خلدت أُسرة النبي ﷺ.

أولاد سيد الشهداء الحسين «عليه السلام»

وهم على المشهور عشرة ستة ذكور وأربعة إناث، وبعضهم يزيد وبعضهم

(١) تاريخ العرب وتمدن الإسلام: ص٧٤.

ينقص، والرجحان عندنا في جانب الزيادة لما قررنا مراراً من أن الذي يثبت يقدم على من نفى لاطلاعه على من أثبت وخفائه على من نفى، ولنا على ذلك شواهد كثيرة من الوجدان لا يسعنا إيرادها فأنا نرى رجلاً خبيراً يثبت لبعض الأكابر عدداً من الأولاد ويدعي أن ليس له غيرهم فيجيء من يخبره أن له ولداً صغيراً من فلانة زوجته أو إن ابنه فلان نشأ وتربى في مكان كذا وكل من ألف نظره إلى ما ذكرنا تيقن من صحة ما نقول.

وكيف كان فقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله» في كتاب الإرشاد: كان للحسين «عليه السلام» ستة أولاد: علي بن الحسين الأكبر وأُمه شاهزنان بنت يزدجرد، وعلي بن الحسين الأصغر قُتل مع أبيه بالطف وأُمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية، وجعفر ابن الحسين لا بقية له وأُمه قضاعة ومات في حياة الحسين «عليه السلام»، وعبدالله بن الحسين «عليه السلام» قُتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو في حجر أبيه وذبحه، وسكينة بنت الحسين وأُمها الرباب بنت أمرىء القيس بن عدي كلبية معدية وهي أُم عبد الله بن الحسين «عليهما السلام»، وفاطمة بنت الحسين «عليه السلام» وامها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية.

وقال محمد بن شهر آشوب المازندراني السروي في كتاب المناقب[١]: أبناؤه «عليه السلام»: علي الأكبر الشهيد، أُمه برة بنت عروة بن مسعود الثقفي، وعلي الإمام وهو علي الأوسط وعلي الأصغر مهما من شهر بانويه، ومحمد وعبد الله وأُمهما الرباب بنت أمرئ القيس، وجعفر وأُمه قضاعية، وبناته: سكينة وأُمها الرباب بنت أمرئ القيس الكندية، وفاطمة وأُمها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله وزينب، وأعقب الحسين من ابن واحد وهو زين العابدين «عليه السلام»، إنتهى.

وقوله: «كندية» تصحيف من الناسخ لا شك فيه قد صحف الكلبية إلى كندية وإن لم يكن تصحيفاً فهي زلة من قلمه المبارك واشتباه أمرئ القيس الكندي بالكلبي غير عزيز وإن كان الأول مشركاً والثاني مسلماً.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف[٢]: وولد الحسين «عليه السلام» علياً الأكبر وأُمه بنت مرة ابن عروة ابن مسعود الثقفي، وعلياً الأصغر لأُم ولد، وفاطمة أُمها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وسكينة وامها الرباب بنت أمرئ القيس كلبية.

وقال كمال الدين بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[٣]: كان له «عليه

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤/ ٨٢.
(٢) المعارف: ص٩٣.
(٣) مطالب السؤول: ص٧٣.

السلام» من الأولاد الذكور والإناث عشرة: ستة ذكور وأربع إناث، فالذكور علي الأكبر وعلي الأوسط وهو سيد العابدين وعلي الأصغر ومحمد وعبد الله وجعفر، فأما علي الأكبر فقاتل بين يدي أبيه حتى قُتل شهيداً، وأما علي الأصغر فجائه سهم وهو طفل فقتله، وقيل أيضاً أن عبد الله قُتل مع أبيه شهيداً، أما البنات فزينب وسكينة وفاطمة، هذا هو المشهور، وقيل: بل كان له أربع بنين وبنتان، الخ، فترك فاطمة الصغرى المعروفة بالعليلة.

وتابعه نور الدين بن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[١] بعد كلام الشيخ في الإرشاد.

وأما الشبلنجي الشافعي فذكر في نور الأبصار[٢] بعد كلام المفيد ما لفظه: وفي بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب «عليه السلام» للشيخ جمال الدين الطاهر بن حسين ابن عبد الرحمٰن الأهدل ما نصه: كان له - يعني الحسين «عليه السلام» - من الولد ستة بنين وثلاث بنات وهم: علي الأكبر وأُمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وعلي الأوسط وعبد الله وعلي زين العابدين - ومنهم من يزعم أنه الأكبر - ومحمد وجعفر وزينب وسكينة، فأما محمد وجعفر فماتا في حياة أبيهما، وأما علي الأكبر وعبد الله فأُستشهدا مع أبيهما في الطف، وعلي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات، وزاد بعضهم عمر، والمعقب من ولد الحسين «عليه السلام» زين العابدين «عليه السلام» باتفاق، إنتهى، وقصة عمر بن الحسين في مجلس يزيد معروفة وذلك أن يزيد قال له: صارع ولدي خالداً للنظر أيكما يصرع صاحبه، فقال: أنا لا أُصارعه ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً وانظر أينا يقتل صاحبه، فقال يزيد: شنشنة أعرفها من أخزم، وبعض المؤرخين ينيبها لعمر بن الحسن «عليهما السلام»، الخ.

بقي من ولد الحسين «عليه السلام» عتيق على خلاف فيه، ومحسن السقط الذي سقط في حلب.

وهنا أُرجوزة في تاريخ الحسين «عليه السلام» من ولادته إلى شهادته نذكر منها ما يخص أولاده وندع الباقي إيثاراً للاختصار، وذكرها السيد عباس نور الدين المكي في نزهة الجليس[٣] من نظم الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة، منها قوله:

---

(١) الفصول المهمة: ص٢١١.
(٢) نور الإبصار: ص١٢٤.
(٣) نزهة الجليس: ص٨٥ و ٨٦.

أولاده ست وقيل عشر ... وقيل تسع فانقدوه وادروا
منهم علي بن الحسين الأكبر ... ثم علي بن الحسين الأصغر
فالأول ابن بنت كسرى الملك ... ولم يكن في دينه بالمشرك
والثاني من ليلى الفتاة فأعرف ... بنت أبي مرة أعني الثقفي
وجعفر والأُم من قضاعة ... كانت على ما نقل الجماعة
سكينة أخت لعبد الله ... فأحفظ وفكر لا تكن كاللاهي
من الرباب الحرة الأبية ... بنت أمرئ القيس الفتى كلبية
وفاطمة وأُمها في القوم ... بنت لطلحة الشهير التيمي
قيل ومن إخوتهم محمد ... علي الأوسط وهو الأسعد
وذاك زين العابدين الأشهر ... وزينب بنت الحسين نذكر

إلى آخر الأرجوزة.

الشهداء من ولد الإمام الحسين «عليه السلام»:

ستة على خلاف ذلك، وقبل ذكرهم نعلمك أنه لم يستشهد واحد منهم مبارزة إلَّا علي بن الحسين الأكبر والباقون هم أطفال صغار استشهدوا بالسهام وسيوف الأعداء عدواناً وجوراً والمجلسي يذكر فيهم حمزة وزيد وعمر وإبراهيم، وعليه فالشهداء عشرة ذكرناهم في كتابنا «أعلام النهضة الحسينية».

بقية تراجم أخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»

تراجم الباقين من أخوة العباس الأكبر، الذين هم:

المحسن بن علي أُمه فاطمة، جعفر الأكبر، وجعفر الأصغر، وعثمان الأكبر، وعثمان الأصغر، والعباس الأصغر، وعبد الله الأكبر، وعمر الأصغر، وعبيد الله قتيل المذار، وعمر الأكبر وهو الأطرف، وعمر الأصغر وهو الشهيد، ومحمد الأكبر بن الحنفية، ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، ويحيى وعبد الرحمٰن، ومعين، وعمران، وعتيق، ترجمنا لكل واحد منهم ترجمة:

(٣) محسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»

محسَّن كمشبَّر بالتشديد هكذا ضبطه العلماء أبن البتول الحوراء فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت رسول الله ﷺ وهو شقيق الحسن والحسين «عليهما السلام» أثبته علماء الفريقين السنة والشيعة جميعاً ونفاه الشيخ المفيد «رحمه الله» خاصة وهو سقط عند أكثر أهل العلم وولادة عند جماعة، وقد ثبت بالنقل الصحيح أن رسول الله ﷺ سمى الحسن والحسين والمحسن بأسماء ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران شبر وشبير ومشبَّر.

قال ابن شهر آشوب «رحمه الله» في المناقب[١]: المحسن سقط.

وقال[٢]: أولادها «عليها السلام» الحسن والحسين والمحسن سقط، وفي معارف القتيبي: إن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي، إنتهى.

لم نجد هذه العبارة في معارف أبن قتيبة ولعلها أُسقطت من النسخة عند الطبع، وهذا كثير في المطبوعات المصرية والا فإن أبن شهر آشوب متثبت لا ينقل غير صحيح، وقد ذكرنا كلام أبن قتيبة في أولاد أمير المؤمنين في هذا الجزء وقال[٣]: وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير.

وذكره الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[٤] وقال: مات صغيراً.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣/ ١٦٣.
(٢) نفسه ٤/ ٢٣.
(٣) المعارف: ص٩٣.
(٤) نور الأبصار: ص٩٢.

والمحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى وأبو جعفر الطبري في التاريخ[١] وذكرا وفاته صغيراً، وذكره المحب أيضاً في الرياض النظرة وسبط ابن الجوزي في التذكرة[٢].

وقال الحمزاوي المالكي في مشارق الأنوار[٣]: وقد ولدت فاطمة «عليه السلام» من علي «عليه السلام» ستة: ثلاث ذكور وثلاث إناث، فالذكور الحسن والحسين والمُحسن - بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة - والإناث زينب وأُم كلثوم ورقية، قال: وماتت رقية ولم تبلغ، فأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب، وأما محسِّن فأُدرج سقطاً.

وقال إبراهيم بن عبدالرحمٰن الحنفي الطرابلسي في المشجرة[٤] التي صنعها للخليفة الناصر وكتبت لخزانة صلاح الدين الأيوبي: محسن بن فاطمة «عليها السلام» أُسقط وقيل درج صغيراً، والصحيح أن فاطمة «عليها السلام» أسقطت جنيناً، إنتهى.

وقال نور الدين ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[٥]: وذكروا أن فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين «عليهما السلام» ذكرته الشيعة وإنه كان سقطاً، إنتهى.

وقد أغرب هذا الفاضل في نسبة ذكره إلى الشيعة وقد ذكره عامة أهل السنة كما سبق ويأتي.

قال برهان الدين الحلبي الشافعي في سيرته إنسان العيون[٦]: وفي سنة (٤) ولد الحسين «عليه السلام» ووقع إنه لما ولد سماه علي «عليه السلام» حرباً، فلما جاء النبي ﷺ قال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال علي «عليه السلام»: حرباً، قال ﷺ: بل إسمه حسين، كما فعل ذلك بالحسن «عليه السلام»، فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ وقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال علي «عليه السلام» سميته حرباً، قال ﷺ: بل هو محسن، ثم قال ﷺ: إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبّر، إنتهى.

ومثله ذكر الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٧] وقال: رواه شيخ أهل الحديث في مسنده يعني أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، وما كتبناه إلّا من

---

(١) ذخائر العقبى ص٥٥، تاريخ الطبري ٦/ ٨٩.
(٢) الرياض النظرة ٢/ ٢٤٨، تذكرة الخواص: ص٢١١.
(٣) مشارق الأنوار: ص١٣٢.
(٤) المشجرة: ص٦.
(٥) الفصول المهمة: ص١٤٥.
(٦) إنسان العيون أو السيرة الحلبية ٢/ ٢٩٢.
(٧) كفاية الطالب: ص٢٠٨.

مناقب الحسن والحسين للجوهري.

وذكره الحافظ العسقلاني الشافعي في كتاب الإصابة[١] فيمن ولد على عهد النبي ﷺ وهذا لفظه: المحسّن - بتشديد السين المهملة - بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» بن عبد المطلب الهاشمي سبط سول الله ﷺ.

واستدركه ابن فتحون على ابن عبد البر وقال: أراه مات صغيراً.

واستدركه أبو موسى على ابن مندة وأخرج من مسند أحمد من طريق هاني بن هاني عن علي «عليه السلام» قال: لما ولد الحسن «عليه السلام» سميته حرباً فجاء رسول ﷺ فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال ﷺ: بل هو حسن، فلما ولد الحسين «عليه السلام» فذكر مثله وقال ﷺ: بل هو حسين، فلما ولد الثالث قال مثله وقال ﷺ: بل هو محسن،ثم قال ﷺ: سميتهم بأسماء ولدهارون شبر وشبير ومشبّر، إسناده صحيح، إنتهى.

وذكر المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى[٢] وقال: خرجه أحمد وأبو حاتم وهو حديث مشهور عند أئمة أهل السنة وحفاظهم منصوص على صحته، ولولا التطويل لذكرنا من أورده منهم.

وذكره ابن الأثير الجزري الشافعي في تاريخ الكامل[٣] وقال: مات صغيراً.

وذكره الحافظ ابن كثير الدمشقي الشافعي في تاريخ البداية والنهاية[٤] وروى حديث تسميتهم عن أحمد بن حنبل ومحمد بن سعد.

وقال ابن وهيب الحنفي في جوهرة الكلام[٥]: ولدت منه «يعني فاطمة «عليها السلام»» ثلاث ذكور وثلاث إناث، فالذكور الحسن والحسين والمُحَسّن - بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين المكسورة - والإناث زينب وأم كلثوم ورقية، زادها الليث بن سعد وقال: ماتت ولم تبلغ الحلم، نقله ابن الجوزي، أما الحسن و الحسين «عليهما السلام» فأعقبا وأما المحسن فأدرج سقطاً، إنتهى.

وذكره أبو الفدا الحنفي والديار بكري الشافعي في تاريخيهما، والبلوي الشافعي في كتاب ألف با، وعلي القاري الحنفي في شرح الشمائل وزعم أنه مات في حجر النبي ﷺ وإنه بكى عليه.

وذكره كثير من الشيعة كالفاضل المجلسي في بحار الأنوار[٦] نقلاً عن النسابة العمري في التاج، وصاحب الأنوار - الحسن والحسين والمحسن سقط -

---

(١) الإصابة ٣/ ٤٧١.
(٢) ذخائر العقبى: ص١١٩.
(٣) الكامل في التاريخ ٣/ ٢٠١.
(٤) البداية و النهاية ٧/ ٣٣٠.
(٥) جوهرة الكلام: ص١٠٤.
(٦) بحارالأنوار ٩/ ٧٠٥ طبع تبريز.

وصاحب ناسخ التواريخ وأنه مات سقطاً، وذكره المسعودي في مروج الذهب ساكتاً عليه، وابن واضح في تاريخه ونص على وفاته صغيراً، وآخرون، والمشهور أنه مات سقطاً وهو المعتمد، وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا السقط وقد اجاد الخطيب الشيخ محسن أبو الحب الكبير الكربلائي بقوله:

إن قيل حوا قلت فاطم فخرها ... أو قيل مريم قلت فاطم أفضل
كل لها عند الولادة حالة ... منها عقول ذوي البصائر تذهل
هذي لنخلتها التجت فتساقطت ... رطباً جنياً فهي منه تأكل
ولدت بعيسى وهي غير مروعة ... أنّى وحارسها السري الأبسل
والى الجدار وصفحة البيت التجت ... خير النساء فأسقطت ما تحمل

وعدّه علي بن حزم في أولاد علي من فاطمة «عليها السلام» في جمهرة أنساب العرب[1].

أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»

الحسن السبط، أُمه فاطمة الزهراء «عليها السلام».

الحسين السبط، أُمه فاطمة الزهراء «عليها السلام».

المحسن السبط، أُمه فاطمة الزهراء «عليها السلام».

العباس الأكبر، أُمه أُم البنين الكلابية.
العباس الأصغر، أُمه أُم ولد وقيل عربية.
محمد الأكبر أُمه خولة الحنفية.
محمد الأوسط أُمه أمامة.
محمد الأصغر أُمه أُم ولد وقيل عربية.
عمر الأكبر وهو الأطرف أُمه التغلبية.
عمر الأوسط وهو الشهيد أُمه أُم ولد
عمر الأصغر[2] أُمه أُم ولد.
يحيى أُمه الخثعمية.
عمران على قول أُمه أُم ولد.
عتيق على قول أُمه ولد.
إبراهيم أُمه أُم ولد

جعفر الأكبر، أُمه أُم البنين الكلابية.
جعفر الأصغر، أُمه أُم ولد.
عثمان الأكبر أُمه أُم البنين.
عثمان الأصغر أُمه أُم ولد.
عبدالله الأكبر أُمه أُم البنين.
عبد الله الأصغر أُمه النهشلية
عبيد الله قتيل المذار أُمه النهشلية.
عون الأكبر أُمه أُم ولد.
عون الأصغر أُمه الخثعمية وقيل غيرها.
معين أُمه أُم ولد.
عبد الرحمٰن[3] أُمه أُم ولد.
أبو بكر أُمه النهشلية

(١) جمهرة أنساب العرب: ص٣٣.
(٢) على قول صاحب الحدائق الوردية.
(٣) على قول صاحب المجدي.

(٤) من أولاد أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ، محمد بن الحنفية:

محمد الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

أبو القاسم محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية، من جمع له رسول الله ﷺ بين إسمه وكنيته وحرم جمعهما على سائر أُمته حيث قال لامير المؤمنين «عليه السلام»: إنه سيولد لك ولد سمه باسمي وكنه بكنيتي كما ذكرنا ذلك في ترجمته المطولة عندنا في كتاب «الميزان الراجح».

ومحمد الأكبر سيد المحامدة وأفضل ولد أمير المؤمنين بعد الحسن والحسين أتفاقاً، وبعد العباس الأكبر على خلاف مرت الإشارة إليه، وقد أجتمعت فيه محاسن كثيرة لم تجتمع لأحد من العرب وهي الشجاعة وقوة البطش والفصاحة والزهد والعلم بجميع فنونه حتى العلم بالمغيبات، وليست علوم المغيبات عنده لضرب من الكهانة والتنجيم بل هي إضافات إلٰهية أضافها على باب مدينة العلم وورثها منه الحسنان فعلما محمداً قسطاً منها، وكان لمحمد مع ذلك رئاسة وشرف وكان المظور إليه بعد الإمام زين العابدين «عليه السلام» عند ملوك ذاك العصر ولذلك آذوه وجرعوه المر الزعاق، وسقوه الذعاف الممقر خصوصاً وقد اعتقد فئام من الناس يعرفون بالكيسانية فيه الإمامة ولم يعرفوا رمز إشهاره لنفسه ولم يسيروا غوره، إن المقصد دقيق إلَّا على المتبحرين والمسلك دقيق إلَّا على الخريت الحاذق.

إنه قد وقى بنفسه نفس أبن أخيه الإمام زين العابدين «عليه السلام» فتصدر للفتيا وانتصب لمراجعة الشيعة فكان واسطة بين الأمة والإمام وباباً لهم إليه يرجعون لعلمه إن الملوك منصرفة أنظارها عن ولد علي «عليه السلام» إلَّا ذرية الحسين «عليه السلام»، لأنهم استيقنوا أن الإمامة في ولده فمن تصدر منهم للرياسة أو تصدى للفتيا ومراجعة الأُمة قتل أو زُج في السجن المطبق فلم يبال محمد بن الحنفية أن يصيبه البلاء إذا أحرز سلامة الامام زين العابدين «عليه السلام» وقد أصابه رشح من البلاء وصُب عليه شؤبوب من الجور من ناحية أبن الزبير وغيره.

وحيث أنه كان المتصدي لهذا المهم والمتصدر له ظاهراً ظن من لا علم له ولا تحقيق عنده أنه كان يريد الإمامة لنفسه، وقد ذكرنا هذه المسالة في كتابنا

«الميزان الراجح» وذكرنا أقوال القادحين فيه وأجبنا عن ذلك بأبدع أسلوب تحليلي وعضدناه بالشواهد فانحلت هذه الشبهة حلاً فنياً.

كما انحلت الشبهة الثانية وهي تخلفه عن أخيه الحسين «عليه السلام» فأثبتنا أنه كان مأموراً من الحسين «عليه السلام» بالإقامة بالحجاز بصفته سفيراً بينه وبين أهل الأمصار، وبصفته جاسوساً له يراقب حركات بني أُميّة فيرفعها إليه ويرفع إليه أيضاً نبأ ما يتجدد من الحوادث ومع هذا فقد كان مصاباً بمرض الشلل في أصابع يده الذي يمنعه من حمل السلاح بسبب قصة الدرع، وأيضاً أقامه مفتياً للشيعة بالحجاز حيث أنه لا بد للشيعة من فقيه ترجع إليه في أحكامها على مذهب أهل البيت، وقد خرج الإمام الحسين «عليه السلام» وابنه الإمام زين العابدين وأخوه العباس وابن عمه مسلم وولده علي الأكبر فلم يبق من يصلح للفتيا بعد هؤلاء في الحجاز إلّا محمد بن الحنفية وابن عباس ومحمد أفقه من ابن عباس وأعلم بفقه علي والحسن والحسين «عليهم السلام» فأقامه هناك مرجعاً لنشر الأحكام وبث الفتوى.

وكذلك نفينا شبة الزاعمين أن أُمه كانت سبية في صدر الإسلام أيام الردة فأخذها أمير المؤمنين «عليه السلام» منهم وبيّنا أنها سبيت على غير ارتداد من رهطها مجارات للخصوم والا فهي عندنا من المسبيات في العصد الجاهلي الوحشي، وقد أوكلنا عامة التفاصيل لكتاب «الميزان الراجح» ونلخص من ترجمته ما يعرف به قدره ويستبين فيه فضله.

قال الأبشيهي في المستطرف في طبقات الشجعان[١]: أبو هاشم[٢] محمد بن علي بن أبي طالب كان أبوه يلقيه في الوقائع ويتقي به العظائم وهو شديد البأس، ثابت الجنان.

قيل له يوماً: ما بال أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يقحمك في الحروب دون الحسن والحسين «عليهما السلام»؟ فقال: لأنهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقي عينيه بيديه.

وقيل إن أباه علياً «عليه السلام» أشترى درعاً فلما استطالها أراد أن يقطع منها، فقال محمد: يا أبتج علم موضع القطع، فعلم علي «عليه السلام» موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها والأخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطع من موضع الذي حده أبوه.

---

(١) المستطرف ١/ ٢٠٤.

(٢) هذا من غلطه، أبو هاشم كنية ابنه لا كنيته.

وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته وإذا حدّث بهذ الحديث غضب، مات حتف أنفه بشعب رضوى، إنتهى.

وقال المبرد في الكامل وقد ذكر قصة الدرع[1]: وحدث أن ملك الروم في ذلك الأوان بعث إلى معاوية أن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم في أن يغرب على بعض أفتأذن لي في ذلك؟ فأذن له، فوجه إليه برجلين أحدهما جسيم والآخر أيد «يعني قوياً»، فقال معاوية لعمرو: أما الطويل فقد أصبنا كفاءه وهو قيس بن سعد وأما الآخر الايد فقد احتجنا إلى رأيك فيه، فقال: هاهنا رجلان كلاهما إليك بغيض: محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير، فقال معاوية: من هو أقرب إلينا على حال، فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى العلج فلبسها فنالت ثندوته فأطرق مغلوباً، فحُدّثت أن قيساً ليم في ذلك فقيل له: لم تبذلت هذا التبذل بحضور معاوية، هلا وجهت إلى غيرها؟ فقال:

أردت لكي ما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادي نمته ثمود
وإني من القوم اليمانين سيد ... وما الناس إلّا سيد ومسود
وبذ جميع الخلق أصلي ومنصبي ... وجسم به أعلو الرجال مديد

ثم وجه إلى محمد بن الحنفية فدخل فخبره بما دعا له، فقال: قولوا له إن شاء فليجلس وليعطيني يده حتى أُقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد، فأختار الرومي الجلوس، فأقامه محمد وعجز هو عن إقعاده ثم أختار أن يكون محمد هو القاعد فجذبه محمد فأقعده وعجز الرومي عن إقامته فانصرفا مغلوبين، إنتهى.

قال القاضي أبن خلكان في الوفيات[2]: كان محمد كثير العلم و الورع وكان شديد القوة وله في ذلك أخبار عجيبة، ثم ذكر القصتين قصة الرومي وقصة الدرع عن المبرد.

شجاعة محمد بن الحنفية:

لا نبرهن على شجاعته في هذا المختصر لشهرتها وقد استوفينا أخبار مواقفه في الحروب الطاحنة الجمل وصفين في كتابنا «الميزان الراجح».

---

(١) الكامل للمبرد ٢/ ٨٩.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٢ طبع إيران.

علم محمد بن الحنفية:

لا يستراب في أنه كان من فطاحل العلماء وجهابذة الفقهاء، وإنه مشار اليه بالفضيلة في سائر العلوم الدينية والأدبية كالفقه والحديث والتفسير وسائر علوم الأدب، وكان من عظماء المجتهدين له رأي منفرد وفتيا مشهورة وكان أحد حملة العلم المغيب بما اقتبسه من أبيه وأخويه الحسن والحسين «عليهما السلام» نص على علومه القاضي شمس الدين بن خلكان والفقيه أبو إسحاق الشيرازي وكلاهما من الشافعية في في الوفيات وطبقات الفقهاء، وابن أبي الحديد الكاتب المعتزلي وغيرهم من العلماء، وقد أكثر من رواية الحديث عن أبيه علي «عليه السلام» وأخويه الحسن والحسين «عليهما السلام» وعن جابر وغيرهم من الصحابة، وروى عنه أئمة أهل الحديث من السنة والشيعة، راجع كتب الحديث.

فصاحة محمد بن الحنفية:

إنّا لا نجد برهان أقوى ولا دليل أدل على بلوغه الدرجة العالية في الفصاحة من أنه تربى في بيت الفصاحة ونشأ في دار الإبانة والبيان، ولا خلاف في أن قريشاً أفصح العرب، ونزول القرآن بلسانهم من أقوى الدلائل على بلوغهم الغاية القصوى في الفصاحة وإن بني هاشم أفصح قريش، ولا شاهد أعظم من الوجدان فرسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وعلي «عليه السلام» أمير البلغاء، وفي حفظ كلامه بلغ رجال أقوى ذروة للبلاغة كابن المقفع صاحب رسائل البلاغة وعبد الحميد صاحب الكتب الطوال المختارة ثم الحسن والحسين وحمزة وجعفر وأبو طالب وعقيل والزبير بن عبد المطلب وعبد المطلب والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من بني هاشم مما لا يستريب أحد أنهم أفصح العرب وأبلغ الخطباء.

ومحمد بن الحنفية أحد أغصان تلك الشجرة المثمرة وفرع تلك الدوحة الباسقة ولو لم يكن له إلّا هذه الخطبة الرنانة التي ألقاها يوم صفين في ذلك الجمع الرهيب واليوم العصيب والموقف الحرج الذي غص فيه البطل المشيح بريقه، وأخذ الرعب فيه بمخنقه فألقاها محمد القاء مترسل هادئ لا يحس رهبة ولا يهجس في نفسه خيفة فجاء بها محبرة موشاة بأحسن طراز في أبدع أسلوب قل أن تجتمع السلاسة والابتكار والعذوبة والارتجال فلو فكر في مثلها قس وسحبان حولاً كاملاً لما يهيء لهما الإتيان بمثلها، ولو أمهل ابن القرية وابن صفوان عامين لما استطاعا الإتيان بمشاكلها لذلك أدهشت عقول السامعين وأذهلت أفكار المستمعين.

ذكرها الخطيب الخوارزمي الحنفي في كتاب المناقب[١] وسبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٢] قالا: قال الأشتر النخعي لمحمد بن الحنفية يوماً من أيام صفين: قم بين الصفين وأمدح أمير المؤمنين «عليه السلام» واذكر مناقبه فبرز محمد بن الحنفية وأومأ إلى عسكر معاوية وقال:

يا أهل الشام! إخسؤوا يا ذرية النفاق وحشورالنار وحصب جهنم عن البدر الزاهر والقمر الباهر والنجم الثاقب والسنان النافذ والشهاب المنير والحسام المبير والصراط المستقيم والبحر الخضم العليم ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[٣] أو ما ترون أي عقبة تقتحمون؟ وأي هضبة ومسنمة علو تتسنمون؟ فأنى تؤفكون؟ بل ينظرون إليك وهم لا يبصرون، أصنو رسول الله تستهدفون؟ ويعسوب دين الله تلمزون؟ فأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون؟ وأي خرق بعد ذلك ترقعون؟

هيهات هيهات، برزوا لله وفاز بالسبق وفاز بالفصل واستولى على الغاية فاحرز قصبها وفصل الخطاب فانحسرت عنه الأبصار وانقطعت دونه الرقاب، وفرع الذروة العليا التي لا تدرك، وبلغ الغاية القصوى فعجز من رام رتبته في سعيه فأعياه، وعناه الطلب وفاته المأمول والأرب، ووقف عنه شجاعة الشجاع الهمام، وبطل سعي البطل الضرغام، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد، فخفضاً خفضاً ومهلاً مهلاً لا أبا لأبيكم من اللوم، أوسدوا المكان الذي سد، وأنى تسدون؟ أصديق رسول الله ﷺ تثلبون؟ أم لأخيه تسبون؟ وذا قربى منه تشتمون؟ وهو شقيق نسبه إذا نسبوا، ونديد هارون إذا مثلوا، وذا قرباه إذا أمتحنوا، والمصلي إلى القبلتين إذا انحرفوا، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا، والمدعو بخيبر وحنين إذ نكلوا، والمندوب لنبذ عهودهم إذ نكثوا، والمخلف على الفراش ليلة الهجرة إذ جبنوا، والثابت يوم أُحد إذ هربوا، والمستودع الأسرار ساعة الوداع إذ حجبوا.

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأنى يبعد من كل سناء وسمو وثناء وعلو وقد نجلته ورسول الله ﷺ أبوه وأنجبت بهما جدود ورضعا بلبان ودرجا في سنن وتمهدا حجراً وتفيئا في ظل وشبح ذافنن، وتفرعا من أكرم أصل، فرسول الله ﷺ للرسالة، وأمير المؤمنين «عليه السلام» للخلافة، رتق الله به فتق الإسلام حتى أنجابت طخية الريب، وقمع

---

(١) مناقب الخوارزمي ص: ١٣٤. (٢) تذكرة خواص الأمة: ص١٦٧.
(٣) النساء: ٤٧.

نخوة النفاق حتى أرقأن جيشانه، وطمس رسم الجاهلية وخلع ربقة الصغار والذلة، وكف أيدي الخانة ورنق شربها، وحلأها عن وردها وأطأ كواهلها أخذاً بأكظامها، يقرع هامها وينكت ربضها، ويحمل شجومها ويرحضها عن مال الله حتى كلمها الخشاش، وعضها النغاف، وعقها الثقاف، ونالها فرض الكتاب فجرجرت جرجرة العود الموقع فزادها وقراً، ولفظته أفواهها وأزلفته بأبصارها، ونبت عن ذكره أسماعها فكان لها كالسم الممقر والذعاف المرعف لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يزيله عن الحق نقيق متهدد، ولا يحيله عن الصدق ترهيب متوعد.

فلم يزل كذلك حتى انقشعت غيابة الشرك، وخنع طيخ الإفك، وزالت فحمة الإشراك حتى تنسمتم روح النصفة، وتطعمتم قسم السواء بعد أن كنتم لوكة الأكل ومذقة الشارب وقبسة العجلان بسياسة مأمون الحرفة، مكتمل الحنكة، طب بأدوائكم قمن بدوائكم، يبيت بالربوة كالثاً حوزتكم، حامياً لقاصيكم ودانيكم، مثقفاً لأودكم، يقتات الجبنة، ويرد الخمس، ويلبس الهدم، حتى إذا برزت الرجال وطاح الوشيط واستسلم المشيح وغمغمت الأصوات وقلصت الشفاه وقامت الحرب على ساقها، وهدرت شقاشقها، وصرت بأنيابها، وضربت بأذنابها، وخطرت فنقها، وجمع قطريها، وسالت بأبراق الغي أمير المؤمنين «عليه السلام» مثبتاً لقطبها، مديراً لرحاها، قادحاً زنادها، موريا لهبها، مذكياً جمرتها، دلّافاً إلى البهم ضراباً للقمم، غصّاباً للمهج تراكاً للسلب خواضاً للغمرات، مثكل أُمهات مؤتم أطفال، مشتت آلاف، قطاع أعناق، طافياً عن الجولة، راكداً في الغمرة، يهتف بأُولادها فتنكشف أُخراها، فتارة يطويها طي الصحيفة، وآونة يفرقها تفريق الزبرة، فبأي آلاء أمير المؤمنين تمترون؟ وأي حديث بعد حديثه تأثرون، وربنا المستعان على ما تصفون.

فلم يبق في الفريقين إلا من أعترف بفضل محمد، إنتهى.

وإذا كانت محل إعجاب الجميع في ذلك العصر وهم البلغاء الفصحاء كانت نهاية في الفصاحة وصاحب الذوق السليم والفطرة الصحيحة لا يغيب عنه قدرها في البلاغة ومحلها في بديع الخطابة.

وذكرها صاحب الحدائق الوردية وقد ذكرنا سابقاً توصية أمير المؤمنين والحسن والحسين «عليهم السلام» بفضل محمد وأحلناه على كتابنا «الميزان الراجح».

قدرة محمد الأكبر على إيراد الحجة:

قال آبن أبي الحديد في شرح النهج[١]: كان عبد الله بن الزبير يبغض علياً «عليه السلام» وينقصه وينال من عرضه، روى عمر بن شبه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعاءه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي ﷺ.

ثم قال: روى عمر بن شبه عن سعيد بن جبير قال: خطب عبد الله بن الزبير فنال من علي «عليه السلام» فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فجاء إليه وهو يخطب فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته وقال: يا معشر العرب! شاهت الوجوه! أينتقص علي «عليه السلام» وأنتم حضور؟! إن علياً «عليه السلام» كان يد الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه فقتلهم بكفرهم فشنؤوه وأبغضوه وأضمروا له السيف والحسد وابن عمه «عليه السلام» بعد حي، فلما نقله الله إلى جواره وأحب له ما عنده أظهرت رجال أحقادها، وشفت أضغانها، فنهم من أبتزه حقه، ومنهم من أتمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل، فإن يكن لذريته وناصري عترته دولة تنشر عظامهم وتحضر أجسادهم والأبدان يومئذٍ بالية بعد أن تقتل الأحياء منهم وتذل رقابهم فيكون الله عز أسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفى صدورنا منهم، وإنه والله ما يشتم علياً «عليه السلام» إلا كافر يسر شتم منكم من امتد عمره، وسمع قول رسول الله ﷺ فيه: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢].

فعاد آبن الزبير إلى خطبته وقال: عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال آبن أُم حنفية؟!

فقال محمد «رضي الله عنه»: يا آبن أُم رومان! وما لي لا أتكلم وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها لأنه أُم أخوي: أنا آبن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم جدة رسول الله ﷺ، وأنا آبن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله ﷺ والقائمة مقام أُمه، والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد بن عبد العزى عظماً إلا هشمته، ثم قام وخرج، إنتهى.

وقد اقتبس آبن الزبير كلامه من خالته عائشة عند دفن الحسن «عليه السلام»

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٣٥٨.
(٢) الشعراء: ٢٢٧.

في حديث الفاضل المجلسي في البحار[١]: قال: فقام محمد بن الحنفية وقال: ياعائشة! يوم على جمل ويوم على بغل، فما تمليكن نفسك عداوة لبني هاشم، قال: فأقبلت إليه وقالت: يا بن الحنفية! هؤلاء أبناء الفواطم يتكلمون فما كلامك أنت؟ فقال لها الحسين «عليه السلام»: وأنت تبعدين محمداً من الفواطم فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمر بن مخزوم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي، فاطمة بنت أسد بن هاشم، فقالت للحسين «عليه السلام»: نحوا أبنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون، قال: فمضى الحسين «عليه السلام» إلى قبر أُمه أخرجه فدفنه بالبقيع.

ما لاقاه محمد بن الحنفية من جور أُمراء زمانه:

كأبن الزبير وابن مروان والحجاج، ذكرناه مفصلاً في «الميزان الراجح» وكذلك أوردنا هناك الجواب عن قدح القادح فيه بأدعاء الإمامة وملخص الجواب هنا أن ادعاء من أدعى فيه الإمامة لا يقدح فيه كما لا يقدح في المسيح ادعاء من أدعى الربوبية له.

وأما ما قيل من أنه أظهر نفسه وتصدر لها وتصدى لجذب الناس إلى ناحيته ومن رشح نفسه وأشهرها لا يرتاب في أنه يدعي الإمامة ويتطلبها، وجواب هذا إن منع أبن الحنفية لأتباعه من الحرب وتفريقه لأعوانه وأمره لهم بالأنصراف وقد كان لهم شوكة وقوة على الدفاع يدل على نفي دعوى الإمامة، ولا يقال قد كان الحسين إماماً ومتطلباً للإمامة وقد أمر أتباعه بالأنصراف غير مرة إذ نقول: إن الحسين قد كان يعلم أنه مقتول لا محالة وأكثر من تابعه أعراب على غير بصيرة وقد قادتهم الأطماع فهم يتبعونه على شك وأرتياب لذلك أخبرهم بحقيقة الأمر حتى لا ينسب إلى الخديعة والتغرير.

وأتباع أبن الحنفية أهل بصائر واعتقاد دلّ على ذلك عدم أنصارفهم عنه حين رخص لهم، ولا يعلم أنه يقتل ويغلب على ظنه الأنتصار لو قاوم ومع ذلك كله فقد أبى ولو كان طالباً لها لأتاها من أبوابها وقد أمكنته الفرصة بأختلاف طالبي الخلافة فالتحقيق إذاً أنه نصب نفسه لا ليصبح إماماً وخليفة بل ليقي مهجة أبن أخيه الإمام زين العابدين «عليه السلام» من فتك فراعنة عصره فإنهم ولا شك يقتلون كل متظاهر بالأمر من ولد الحسين «عليه السلام» لما عرفوه من سلسلة

---

(١) بحار الأنوار ١٠/ ١٣٤.

النص فيهم دون غيرهم من ولد أمير المؤمنين «عليه السلام» والواقف على ما قاله المنصور الدوانيقي بعد موت الإمام الصادق جعفر بن محمد «عليهما السلام»: أُنظروا إلى من أوصى جعفر فاقتلوه، وحيث أن الإمام الصادق «عليه السلام» كان يعلم بهذه البلية أوصى إلى خمسة نفر أحدهم المنصور وجعل وصيه الحقيقي وهو أبنه الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» واحداً منهم، ولما أُخبر المنصور بهذا كف ونجى الله الكاظم «عليه السلام» من ذلك الجبار الجائر.

فأبن الحنفية يدري أن الشيعة ستراسل علي بن الحسين لعدم استغنائهم عن إمام معصوم يبين لهم ما يحتاجون إليه فيما يتجدد من الوقائع والأحكام فإذا نصب نفسه لهم اشتهر أمره واستراب به الجبابرة وظنوا أنه ظهر للدعاية إلى نفسه وطلب الإمامة فنصبوا له وكادوه وصمموا على قتله وبقتله ينقطع نسل رسول الله ﷺ من أبنه الحسين «عليه السلام» فنصب محمد نفسه لهم ليكون مرجعاً عاماً في ظاهر الأمر، والإمام زين العابدين «عليه السلام» هو المرجع الحقيقي في واقع الأمر وبهذا الاختفاء والتكتم وتظاهر محمد بن الحنفية سلم من معرة مسلم بن عقبة المري يوم الحرة، ومن جور أبن الزبير وضغط الحجاج قائد جيوش عبد الملك بن مروان.

فمحمد بن الحنفية كسفير بين الشيعة والإمام، وما قيل أنه ادعى الإمامة صراحة ونازع متشدداً حتى حاكمه الإمام إلى الحجر الأسعد فنقول: لم يكن ذلك التنازع المدعى في المقام حقيقياً بل هو صوري حيث أن محمد بن الحنفية لا يستطيع إقناع الكيسانية بأن الإمام غيره وهو أبن أخيه لاعتقادهم أنه العم وأفضل ولد علي بعد الحسن والحسين «عليهما السلام» هو محمد بن الحنفية والعم عندهم أولى من أبن الأخ وأحق وهذا رأي جرى عليه أوائل الأمة من تقديم الأعمام على أبناء الإخوة وعلى هذا قامت دعاة الكيسانية في تشييد دولة بني العباس وكذلك رأي ذوي الأغراض في تقديم ذوي الأسنان على فضلاء الأحداث وغير خفي قول القائل لأمير المؤمنين «عليه السلام»: إن في قومك من هو أسن منك وإن طال بك عمر فستنالها.

ومحمد بن الحنفية هو العم والأكبر سناً عند الكيسانية مع أعتقادهم فيه أنه المهدي فهم غير قابلين منه الأعتراف المجرد بإمامة أبن أخيه زين العابدين «عليه السلام» دون البرهان القاطع فتوصل لإقناعهم من باب إظهار المعجزة فنازع صورة إمامهم حتى أتفقا على تحكيم الحجرالأسود فشهد لعلي بن الحسين «عليهما

السلام» بالإمامة فأهتدى بسبب ذلك كثير من علماء الكيسانية ودانوا بإمامة زين العابدين «عليه السلام»، منهم كثير الشاعر، وأبو الطفيل، والجدلي، وأبو خالد الكابلي وغيرهم، وإلا فمحمد لا يشك في صحة عقله ولا يرتاب في صفاء ذهنه فكيف يقدم على تحكيم الحجر وهو يعلم أنه لا يشهد له ولولا ما ذكرنا لما أقدم على ما يفتضح به وهو يطلب الرياسة العامة ويدعي الإمامة عند الكيسانية، والكيسانية رجال الأُمة لا يستهان بهم فإنهم هم الذين زعزعوا مملكة بني أُمية ودكوا صروحها وعروشها ومحوها من لوح الوجود بتاتاً، وأقاما على إنقاضها الدولة الهاشمية العباسية فالدعاة والثوار على بني أُمية كلهم كيسانية.

ولادة محمد بن الحنفية ووفاته وموضع قبره

قال ٱبن خلكان في الوفيات[1]: كانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي «رحمه الله» في أول المحرم سنة (٨٩) وقيل (٧٢)، وقيل (٧٣) بالمدينة، وصلى عليه أبان ٱبن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع، وقيل: إنه خرج إلى الطائف هاربا من ٱبن الزبير فمات هناك، وقيل: إنه مات ببلاد أيلة، الخ.

ونقل الحموي في معجم البلدان في جزيرة خارك من الساحل الفارسي أن له هناك مزاراً، وأصح الأقوال أنه بالمدينة لما رواه الكشي من حضور الإمام محمد الباقر «عليه السلام» وفاته.

أولاد محمد بن الحنفية

قال ٱبن قتيبة في المعارف[2]: فولد محمد بن علي بن أبي طالب الحسن وعبد الله وأبا هاشم وجعفر الأكبر وحمزة وعلياً لأم ولد، وجعفر الأصغر وعوناً أُمهما أُم جعفر، والقاسم وإبراهيم.

فأما أبو هاشم فكان عظيم القدر وكانت الشيعة تتولاه، فحضرته الوفاة بالشام فأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقال له: أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة إليه وليس لأبي هاشم عقب.

وأما علي وحمزة فلا عقب لهما.

وأما إبراهيم وهو الملقب بثعرة.

وأما القاسم فكان مؤخراً عن مسجد رسول الله ﷺ لا يقدر أن يدخله، إنتهى.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٣.

(٢) المعارف: ص٩٥.

قال سبط آبن الجوزي في التذكرة[١]: أولاده أبو هاشم واسمه عبد الله وهو أكبر ولده وكان من العلماء الأشراف، قدم على سليمان بن عبد الملك فأكرمه ثم سار إلى فلسطين فبعث إليه سليمان من قعد له على الطريق بلبن مسموم فلما شرب منه أحس بالموت فعدل إلى الحميمة وأجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأعلمه أن الأمر في ولده وسلم إليه كتب الدعاة وأوقفه على ما يفعل ثم مات عنده بالحميمة من أرض الشراة بالبلقاء، وكان لأبي هاشم هاشم وبه كان يكنى، ومحمد الأصغر أُمهما بنت جلدة كنانية ولا بقية له، ومحمد الأكبر ولبابة أُمهما فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عباس، وعلي وأُمه عثمان بنت أبي جدير قضاعية، وطالب وعون وعبيد الله لأُمهات أولاد شتى، وريطة وهي أُم يحيى آبن زيد المقتول بخراسان، وأُم سلمة لأُم ولد، ذكر آبن سعد في الطبقات: كان أبو هاشم ثقة وكانت الشيعة ـ يعني الكيسانية ـ يتولونه وكان بالشام مع بني هاشم وعندهم توفي.

وكان لمحمد بن الحنفية من الولد: (٢) جعفر الأكبر و(٣) علي و(٤) حمزة و(٥) جعفر الأصغر و(٦) الحسن لأُمهات شتى، وكان الحسن هذا من ظرفاء بني هاشم وهو من تلكم في الأرجاء وكان يقدم على أخيه أبي هاشم، قال آبن إسحاق: أُمه جمال بنت قيس بن محزمة بن المطلب بن عبد مناف وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وليس له عقب، و(٧) إبراهيم وأُمه مسرعة بنت عباد بن شيبان بن جابر عوفية، و(٨) القاسم و(٩) أُم أبيها و(١٠) عبد الرحيم وأُمهم أُم عبد الرحمٰن وأُمها برة بنت عبد الرحمٰن بن الحارث بن نوفل، و(١١) جعفر الأصغر و(١٢) عون و(١٣) عبد الله الأصغر وأُمهم أُم جعفر بنت محمد بن جعفر آبن أبي طالب و(١٤) عبد الله و(١٥) رقية و(١٦) محمد أُمهم أُم ولد سندية، إنتهى.

وقال السيد الداوودي في العمدة: فولد أبو القاسم محمد بن الحنفية أربعة وعشرين ولداً منهم أربعة عشر ذكراً، ثم قال في العقب المتصل من محمد من رجلين: علي وجعفر قتيل الحرة فأما ابنه أبو هاشم عبد الله الأكبر إمام الكيسانية وعنه أنتقلت البيعة إلى بني العباس فمنقرض، إنتهى.

---

(١) تذكرة الخواص: ص١٦٩.

(٥) محمد الأوسط ابن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(٥) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» محمد الأوسط ابن الأموية

ومحمد الأوسط من الذين أهمل ذكرهم شيخنا المفيد فلم يذكره في إرشاده في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد نص عليه جماعة من العلماء الذين يوثق بنقلهم.

قال الفاضل المجلسي «رحمه الله» في البحار[١] نقلاً عن النسابة العمري العلوي في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»: ومن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأُمها زينب بنت رسول الله ﷺ محمداً الأوسط.

وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ[٢]: وتزوج «عليه السلام» أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وأُمها زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له محمد الأوسط.

وقال المحب الطبري الشافعي في ذخائر العقبى والرياض النظرة[٣]: ومحمد الأوسط أُمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وأُمها زينب بنت رسول الله ﷺ.

قال سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٤]: ومحمد الأوسط بن علي «عليه السلام» أُمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأُمها زينب بنت رسول الله ﷺ تزوجها بعد الصهباء، الخ.

وذكره كمال الدين ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»[٥].

ونور الدين ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة[٦] نقلاً عن صاحب الصفوة.

وذكره أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في صفة الصفوة والحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب وصاحب ناسخ التواريخ والشبلنجي الشافعي في نور الأبصار وغيرهم.

---

(١) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٥ طبع تبريز. (٢) تاريخ الطبري: ٦/ ٨٩.
(٣) ذخائر العقبى: ص١١٧؛ الرياض النظرة ٢/ ٢٤٩.
(٤) تذكرة الخواص: ص٣٢. (٥) مطالب السؤول: ص٦٢.
(٦) الفصول المهمة: ص١٤٤.

وعده صاحب ذخيرة الدارين في شهداء الطف وحيث لم أجد نصاً عليه بالشهادة لم أذكره في المستدرك على مقاتل الطالبيين ولا في أعلام النهضة[١] وإن قوي الظن بذلك، وصاحب الذخيرة لا يعتمد على نقله.

(٦) محمد الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(٦) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» محمد الأصغر.

أختلف فيه من ناحيتين: أحدهما في أُمه هل هي الخثعمية أم أُم ولد؟ ثانيهما: هل هو المكنى بأبي بكر أن هو غيره؟ والتحقيق أنه غير أبي بكر فإن أبا بكر إسمه كنيته وأُمه أُم ولد، وخذ نصوص العلماء فيه:

قال أبن شهر آشوب المازندراني «رحمه الله» في المناقب في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»[٢]: ومحمد الأصغر من أُم ولد، ثم ذكره في الشهداء مع الحسين «عليه السلام»[٣].

وقال الفاضل المجلسي في البحار[٤] في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»: ومن أسماء بنت عميس الخثعمية يحيى ومحمد الأصغر، وقيل: ولدت له عوناً ومحمد الأصغر من أُم ولد.

وفي بحاره نقل كلام أبي الفرج الآتي وكلام أبن شهر آشوب[٥].

قال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين: ومحمد الأصغر بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» عن المدائني أن رجلاً من بني تميم من بني أبان بن دارم قتله.

وقال الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد[٦]: ومحمد بن الأصغر المكني بأبي بكر وعبيد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين «عليه السلام» بالطف أُمهما ليلى بنت مسعود الدارمية ألخ، وسنذكر أن أبا بكر غير محمد.

وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ[٧]: وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له فيما حدثت عن هشام بن محمد يحيى ومحمد الأصغر ولا عقب لهما.

---

(١) المستدرك على مقاتل الطالبيين «مجلدين» ـ مخطوط، وأعلام النهضة الحسينية «مجلدات» ـ مخطوط ـ.
(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ١٦٢.
(٣) نفسه ٤/ ٩٩.
(٤) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٥.
(٥) أُنظر: بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٠و ٢٢٧.
(٦) الإرشاد: ص١٩٠.
(٧) تاريخ الطبري ٦/ ٨٩.

وأما الواقدي فإنه قال فيما حدثني الحارث قال: حدثنا ابن سعد قال: أخبرنا الواقدي أن أسماء ولدت لعلي «عليه السلام» يحيى وعونا أبني علي «عليه السلام»، ويقول بعضهم محمد الأصغر لأم ولد وكذلك قال الواقدي في ذلك وقال: قتل محمد الأصغر مع الحسين «عليه السلام».

وقال في الشهداء[١]: ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

وذكره أبو الفدا الحنفي في تاريخه[٢] وقال: أمه أسماء.

وذكره المحب الطبري في الرياض النظرة وذخائر العقبى وقال: أمه أم ولد وقتل مع الحسين «عليه السلام».

وذكره المسعودي المؤرخ في مروج الذهب[٣] وقال: قتل مع الحسين «عليه السلام» محمد بن علي وهو الأصغر.

والشبلنجي في نور الأبصار[٤] قال: قتل مع الحسين «عليه السلام» أمه أم ولد.

وسبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٥]: ومحمد الأصغر قتل مع الحسين وأمه أم ولد.

والحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٦]: محمد الأصغر أمه أم ولد.

وقال[٧]: وأسقط أبو عبد الله المفيد العون من الخثعمية وجعل أبا بكر كنية لمحمد الأصغر ولم يذكر محمد الأوسط، ولكنه في الشهداء[٨] أعتمد قول المفيد.

وابن الصباغ في الفصول المهمة ذكره في أولاد أمير المؤمنين[٩] وقال في شهداء كربلاء[١٠]: وقتل محمد بن علي وأمه أم ولد، قتله رجل من بني أبان بن دارم.

وملا عبد الله في مقتل العوام[١١] عول على كلام أبي الفرج.

---

(١) نفسه ٦/ ٢٦٧.
(٢) تاريخ الطبري ١/ ١٨١.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٩١.
(٤) نور الأبصار: ص٩٢.
(٥) تذكرة الخواص: ص٣٢ و ١٤٥.
(٦) كفاية الطالب: ص٦٢٥.
(٧) نفسه: ص٢٦٦.
(٨) نفسه: ص٢٩٨.
(٩) الفصول المهمة: ص١٤٤.
(١٠) نفسه: ص٢٠٩.
(١١) مقتل العوالم: ص٢٦٠.

وفي ناسخ التواريخ الفارسي[١]: ومحمد بن الأصغر أُمه أُم ولد قُتل يوم الطف وهو ملازم ركاب الحسين «عليه السلام»، قتله رجل من بني أبان بن دارم من بني تميم.

والفاضل الدربندي في أسرار الشهادة أورد كلام أبن شهر آشوب ونقل عنه أنه قال: لم يقتل محمد الأصغر بن علي لمرضه ويقال رجل من بني أبان بن دارم فقتله، هذا قول شاذ قاله بعض المؤرخين ولم يعرج عليه أحد.

وذكر الحافظ المقريزي الشافعي في اتعاظ الحنفاء[٢] ولكنه نسبه لأمامة ونسب محمد الأوسط لأُم ولد.

وعلى كل فالقول أن محمداً هو المكنى بأبي بكر تفرد به الشيخ المفيد ولم يتابع.

وفي زيارة الناحية ذكر محمد بن علي وأبي بكر وهو لا يعرف إلا بالكنية.

وبعضهم قال: إسمه كنيته، وقال بعضهم: إسمه عبد الله، وقال بعضهم: محمد كما سيجيء وكل ذلك يوجب الحيرة عند غير المحقق وأنت إذا تأملت كلمات هؤلاء العلماء وأنهم جميعاً ينصون أن أُم محمد الأصغر ليست نهشلية بل هي إما الخثعمية أو أُم ولد، أنفرد شيخنا المفيد بهذا القول وهو أعرف بما كتب ويجوز لنا مخالفته بعد أتضاح المطلب كما جاز للفقهاء مخالفته في كثير من المسائل الفقهية لأن المسألة لا تخلو من أمرين: إما أن تكون تقليدية فقد قلدنا في النقل غيره، وإما أن تكون اجتهادية فقد أدى أجتهادنا إلى التفرقة كما أدى أجتهاده إلى الأتحاد، والله العالم بحقيقة الأمر.

(٧) عبد الله الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(٧) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عبد الله الأكبر شقيق العباس «عليه السلام»

والعبادلة ثلاثة في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»: عبد الله بن الكلابية، وعبد الله الأصغر وعبيد الله أُمهما النهشلية.

وعبد الله الأكبر شقيق العباس الأكبر يلقب بعبد الله الأكبر هو أحد الشهداء السعداء مع أخيه الحسين «عليه السلام» بكربلاء، أُمه أُم البنين الصغرى الكلابية

---

(١) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٦.

(٢) اتعاظ الحنفاء: ص٦.

تقدم نسبها وهو معروف عند جمهور العلماء.

قال ابن قتيبة في المعارف[١]: وجعفر وعبد الله والعباس أُمهم أُم البنين بنت حزام الوحيدية، وشذ في تاريخه الإمامة والسياسة فأسقطه من الشهداء.

وذكر الشبلنجي في نور الابصار[٢] وقد مر كلامه.

وذكره المحب الطبري في كتابيه ذخائر العقبى والرياض النظرة[٣].

وابن الصباغ في الفصول المهمة[٤] وقد تبع الشيخ المفيد في جعل أُمهم بنت حزام بن خالد بن دارم.

وذكره الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٥] في أشقاء العباس، وفي الشهداء[٦].

وذكره المسعودي في مروج الذهب[٧] في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» وفي الشهداء أيضاً.

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٨]: العباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين «عليه السلام» أُمهم أُم البنين بنت حزام وقيل بنت خالد كلابية، تزوجها علي «عليه السلام» بعد وفاة فاطمة «عليها السلام».

وفي الشهداء قال[٩]: والعباس بن علي قتله زيد بن رقاد، وقتل إخوته جعفر وعثمان وعبد الله أُمهم أُم البنين التي ذكرناها.

وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ[١٠] بعد أن ذكر فاطمة الزهراء «عليها السلام»: وتزوج بعدها أُم البنين بنت حزام وهو أبو المحل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب ابن عامر بن كلاب، فولد له منها العباس وجعفر وعثمان وعبد الله قُتلوا مع الحسين «عليه السلام» بكربلاء ولا بقية لهم غير العباس «عليه السلام»، والشيخ المفيد في الإرشاد وآخرون يطول تعدادهم.

---

(١) المعارف ص ٩٢.
(٢) نور الأبصار: ص٩٢.
(٣) ذخائر العقبى: ص١١٧؛ الرياض النظرة ٢/ ٢٤٩.
(٤) الفصول المهمة: ص١٤٤.
(٥) كفاية الطالب: ص٢٦٥.
(٦) نفسه: ٢٩٨.
(٧) مروج الذهب ٢/ ٩٢.
(٨) تذكرة الخواص: ص٢٣.
(٩) نفسه ص١٤٥.
(١٠) تاريخ الطبري ٦/ ٨٩.

حديث شهادة عبد الله الأكبر

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في الأخبار الطوال[١]: فلما رأى ذلك العباس آبن علي «عليهما السلام» «يعني كثرة القتل في بني هاشم» قال لإخوته عبد الله وجعفر وعثمان بني علي «عليه السلام» وأُمهم جميعاً أُم البنين العامرية من آل الوحيد: تقدموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تمتوا دونه، فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين «عليه السلام» يقونه بوجوههم ونحورهم، فحمل هاني بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله.

ومثله قال الطبري المؤرخ[٢] إلا أنه ذكر أن العباس «عليه السلام» قال لهم: تقدموا لأرثكم فإنه لا وارث لكم، ولنا نظرة في هذه الفقرة تقدمت في علم العباس إذ أن هذه المقالة لا تصلح على مذهب أهل البيت إذ الأخ لا يرث مع الأُم فقول أبي حنيفة أثبت من قول الطبري وأقرب للحق.

وقال الشيخ المفيد «رحمه الله» في الإرشاد[٣]: فلما رأى العباس «عليه السلام» كثرة القتل في أهله قال لإخوته من أُمه وهم عبد الله وجعفر وعثمان: يابني أُمي! تقدموا حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم، فتقدم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً فأختلف هو وهاني بن ثبيت الحضرمي من ضربتين فقتله هاني.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في المقاتل بعد نسب أُمه المتقدم ما لفظه[٤]: عن الضحاك المشرقي قال: قال العباس بن علي «عليهما السلام» لأخيه من أبيه وأُمه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أراك وأحتسبك فإنه لا ولد لك، فتقدم بين يديه وشد عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقتله.

قال أبو الفرج عن عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن العباس قالا: قتل عبد الله بن علي آبن أبي طالب «عليه السلام» وهو آبن (٢٥) سنة ولا عقب له.

وقال آبن شهر آشوب في المناقب[٥] بعد شهادة أخيه جعفر: ثم برز أخوه عبد الله قائلاً:

أنا آبن ذي النجدة والأفضال ... ذاك علي الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذي النكال ... في كل يوم ظاهر الأهوال

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٥٧.
(٣) الإرشاد: ص٢٥٤.
(٤) مقاتل الطالبيين: ص٣٢.
(٥) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٩٧.

فقتله هاني بن ثبيت الحضرمي «لعنه الله» وكذلك ذكر المجلسي في البحار وملا عبد الله في مقتل العوالم والخوارزمي في مقتله وآخرون.

الثناء على عبد الله الأكبر

جاء في الزيارة المروية عن الإمام صاحب الزمان «عجل الله» فرجه التي رواها السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال وفيها يقول «عليه السلام»:

«السلام على عبد الله بن أمير المؤمنين، مبلي البلاء، والمناوي بالولاء في عرصة كربلاء، والمضروب مقبلاً ومدبراً، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي».

وفي هذه الفقرة شهادة من الإمام صاحب الزمان «عجل الله فرجه» لعبد الله الأكبر بثلاثة من الفضائل:

أحدهما: إنه جاهر بولاء الحسين «عليه السلام» وأعلنه بين صفوف الأعداء.

ثانيهما: إنه كان له بلاء محمود أكثر من غيره بالنسبة للمحاماة عن أخيه الحسين «عليه السلام» وإلا لما كان لذكر هذه اللفظة محل.

ثالثها: ثباته في ذلك الموقف الرهيب والمعترك الهائل وقف هدفاً للسلاح في وسط الحومة حتى أُصيب مقبلاً ومدبراً، يريد أنه أُحيط به من كل جانب واكتنفه الأعداء من كل جهة فقتل على هذه الصفة ولم يقتل محاطاً به إلا الحسين بن علي «عليه السلام» والعباس بن علي «عليهما السلام» وعلي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» ومسلم بن عقيل قتيل الكوفة أُحيط به وعبد الله بن علي شقيق العباس «عليه السلام» وقد تضمنت هذه الفقرة أنه ضرب مقبلاً ومدبراً ولا يتكاتف العسكر ويحمي بعضه بعضاً على كثرته إلا لشدة بأس البطل المهاجم له، والشجاع المنازل له، وهذه غاية الشجاعة ونهاية البطولة ولا غرو إن كان آية من آيات الفروسية والإقدام فأبوه أمير المؤمنين سيد أبطال العالم الذي كانت الملوك ترسم صورته على سيوفها كما فعل ذلك سليمان القانوني ملك الأتراك العثمانيين فقد كان له سيف عليه صورة علي بن أبي طالب «عليه السلام» وقد هتف به رضوان خازن الجنة وجبرئيل سفير الوحي في بدر وأُحد:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

وإخوته الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس الأكبر، والعمومة بنو

هاشم أفرس العرب، وهل تعد أُمه من الأُمم مثل أبي طالب والزبير بن عبد المطلب وحمزة وجعفر الطيار في أمثالهم، والخزلة بنو عامر وفيهم مثل فارس الضحيا وفارس قرزل وفارس العصا وفارس شحمة وملاعب الأسنة ومدرك الثار والرحال في أمثالهم فهو معم مخول معرق الشجاعة.

للمؤلف:

قد أنجبت أُم البنين فديتها ... فرسان حرب أصبحوا أمثالا
أُسداً ضراغمة بمعمعة الوغى ... سم العداة أماجداً أبطالا
لا تعجبن لبأسهم وثباتهم ... في موقف لو فيه رضوى زالا
الليث حيدرة وفاطم لبوة ... ولدا لوقعة كربلاء أشبالا
نفسي الفداء لواردين ظماً ... بحرِّ المنية طامياً آجالا

(٨) عبد الله الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(٨) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عبد الله الأصغر أحد الشهداء مع الحسين «عليه السلام».

وقد أرتبك الأمر على جماعة من الفطاحل وأرتج باب البيان في التمييز، وقاموا وقعدوا عند قول الشيخ المفيد في الإرشاد «عبيد الله بن النهشلية قُتل مع الحسين «عليه السلام»، وإن التاريخ يذكر قتل عبيد الله بالمذار تحت راية آبن الزبير وأعظم مقاوم لهذه المقالة الفقيه العظيم من أعيان فقهاءنا الإمامية محمد بن إدريس الحلي صاحب كتاب السرائر فإنه غلّط المفيد تغليطاً أساء فيه الأدب وتجاوز طور الإنسانية وحيث أن الرجل كان فقيهاً وعلم النسب والأخبار ليسا من صناعته لذلك يقع في الخطأ من حيث يظن أنه مصيب، والذي أوقعه في هذه الورطة هو ما سمعه من أهل التاريخ أنه قتل مع آبن الزبير في المذار على شط العمارة وقبره معروف هناك يزار، فظن وظن من وافقه أن الشيخ المفيد جهل مثل هذا الذي أشترك العوام في معرفته، والشيخ أبو عبد الله المفيد أجل من أن يجهل مثل هذا المشهور أو يخفي عليه ما أخرجه كل أحد.

ولم ينفرد الشيخ المفيد بهذه المقالة بل سبقه قوم ولحقه آخرون كالحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب وغلط من قال بخلاف قوله؛ فالصحيح إذاً أن عبد الله المقتول بكربلاء واسمه مكبر غير عبيد الله المقتول بالمذار واسمه مصغر؛ فلعلي «عليه السلام» من النهشلية عبد الله وعبيد الله وأبو بكر، نص على ذلك في

ناسخ التواريخ، من قال أن عبد الله إسم لأبي بكر يكون شاهداً أن للنهشلية ولداً يسمى عبد الله لكن تخيله المكنى بأبي بكر وكون المفيد لم يذكر عبيد الله المصغر فلعله سقط سهواً من قلمه الشريف أو سقط من نسخة الأصل من قلم الناسخ.

وكيف كان فقد قال في ناسخ التواريخ[١]: عبد الله الأصغر وكنيته أبو بكر، أُمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربعي التميمية، قُتل يوم الطف وهو حاضر في خدمة الإمام الحسين «عليه السلام»، قاتله رجل من همدان قيل إنه في بداية الأمر رؤي قتيلاً.

وقال ٱبن شهر آشوب «رحمه الله» في المناقب[٢] في الشهداء مع الحسين «عليه السلام» من إخوته: وعبد الله الأصغر، واعتمده الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة، والعلامة المجلسي في البحار وملا عبد الله في مقتل العوالم[٣].

وقال الحافظ الكنجي في كفاية الطالب: ذكر أبو الفرج في مقاتل الطالبيين الذين قتلوا من أبناء أمير المؤمنين مع أبي عبد الله الحسين «عليه السلام» جعفراً وعلياً وعثمان والعباس ومحمد الأصغر، وأسقط عبد الله، وما ذكره المفيد «رحمه الله» أشبه عندي.

وقال[٤]: ذكر من قتل مع الحسين بن علي «عليهما السلام» وهم أحد وعشرون نفساً من أهل بيته: ستة نفر من إخوته جعفر وعباس وعثمان وأبو بكر ومحمد الأصغر وعبد الله... الخ.

وقال ٱبن الصباغ في الفصول المهمة[٥]: ومحمد الأصغر المكنى بأبي بكر وعبد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين «عليه السلام» بكربلاء، أُمهما ليلى بنت مسعود الدرامية.

وقال الطبري في التاريخ[٦]: وتزوج «يعني أمير المؤمنين» ليلىٰ بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ٱبن مالك بن زيد مناة بن تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر، فزعم هشام بن محمد أنهما قُتلا مع الحسين بالطف، وأما محمد بن عمر فإنه زعم أن عبيد الله بن علي قتله المختار بن أبي عبيد بالمذار وزعم أنه لا بقية لعبيد الله ولا لأبي بكر ابني علي إنتهى.

---

(١) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٦.
(٢) المناقب لأبن شهر آشوب ٤/ ٩٩.
(٣) أسرار الشهادة: ص٤٧١؛ بحار الأنوار ١٠/ ٢٥٧؛ مقتل العوالم: ص١١٥.
(٤) كفاية الطالب: ص٢٩٨.
(٥) الفصول المهمة: ص١٥٥.
(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٩.

وحمل كلام المفيد على ما صرح به ٱبن شهر آشوب وغيره متعين ولو حمله على مذهب الكلبي كان أولى من تغليطه، وابن الكلي أوثق من الواقدي وأعلم وأضبط، أتفق العلماء على ضبطه واتقانه وضعفوا الواقدي ورموه بالتخليط.

قال في الحدائق الوردية المخطوطة: وعبد الله الأصغر بن علي «عليهما السلام» أُمه أُم ولد وقاتله غير قاتل أخيه عبد الله الأكبر وأُمه أُم البنين، ثم ذكر أبا بكر وأُمه النهشلية.

وفي كتاب لوامع الأنوار الفارسي لأبي الحسن المرندي[١] ذكر عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر.

وفي تاريخ أبي الفدا[٢]: وتزوج ـ يعني علياً «عليه السلام» ـ ليلى بنت مسعود النهشلية فولد له منها عبد الله وأبو بكر، قُتلا مع الحسين «عليه السلام»، إنتهى.

وبهذا تضع في تصويب المفيد وتغليط ناقده ٱبن إدريس، والخلاف في أُمه أهي النهشلية؟ أم أُم ولد؟ غير مخل في المقام.

(٩) عبيد الله قتيل المذار

(٩) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عبيد الله قتيل المذار

المعروف بأبن النهشلية، وكان قد نزع نفسه إلى طلب الخلافة فقصد المختار ليدعوا إليه فقال المختار: لست أقبل من لا يحمل توصية من محمد بن الحنفية فضلاً عن أن أدعو إليه، فغضب ولحق بمصعب بن الزبير وسار معه إلى حرب المختار فأصبح مقتولاً لا يُدرى من قتله، فزعمت الزبيرية أن الكيسانية قتلوه، وزعمت الكيسانية أن الزبيرية قتلوه، فصحت فيه دعوة أبيه ولكن التحقيق أن الزبيرية قتلوه لأنهم يبغضون علياً وولده.

قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[٣] بعد أن نسب أُمه كما نسبها الطبري: وأُم ليلى بنت مسعود عميرة بنت قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر سيد أهل الوبر ٱبن عبيد بن الحارث بن مقاعس، وأُمها عناق ابنة عصام بن سنان بن خالد بن منقر، وأُمها بنت عبيد بن أسعد بن منقر، وأُمها بنت سفيان بن

---

(١) لوامع الأنوار: ص٣٣٣.
(٢) تاريخ أبي الفدا ١/ ١٨١.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٣٤.

خالد بن عبيد بن مقاعس عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولسلم يقول الشاعر:

يسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد الميمون سلم بن جندل

ثم ذكر يحيى بن الحسن أن أبا بكر بن عبيد الله الطليحي حدث عن أبيه أن عبيد الله بن علي قتل مع الحسين «عليه السلام» وهذا خطأ إنما قتل عبيد الله يوم المذار، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة وقد رأيته بالمذار.

وقال[1]: وعبيد بن علي بن أبي طالب وأُمه ليلى بنت مسعود، قتله أصحاب المختار آبن أبي عبيد يوم المذار، وكان صار إلى المختار فسأله أن يدعوا إليه ويجعل الأمر له فلم يفعل فخرج ولحق بمصعب بن الزبير فقتل في الوقعة وهو لا يعرف، إنتهى.

القدح في عبيد الله بن النهشلية

روى قطب الدين الراوندي «رحمه الله» في الخرايج[2] عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» قال: جمع أمير المؤمنين «عليه السلام» بنيه وهم إثنى عشر ذكراً فقال لهم: إن النبي يعقوب «عليه السلام» كان له من البنين إثنى عشر ذكراً، فلما حضره الموت جمعهم وقال لهم: إني أُوصي إلى يوسف فأسمعوا له وأطيعوا، وأنا أُوصي إلى الحسن والحسين فإسمعوا له وأطيعوا.

فقال له عبيد الله ابنه: دون محمد بن علي ـ يعني آبن الحنفية ـ؟ فقال له: أجرأة علي في حياتي، كأني بك قد وجدت مذبوحاً في فسطاطك لا يُدري من قتلك، فلما كان في زمان المختار أتاه فقال له: لست هناك فغضب وذهب إلى مصعب بن الزبير فالتقوا بحرورا فلما حجر بينهم الليل أصبحوا فوجدوه مذبوحاً في فسطاطه لا يُدرى من قتله، إنتهى.

وقد استراب بعض الخطباء بهذه الرواية ومن المؤسف جداً أن واجهني بالإنكار المجرد والدعوى التخمينية بأن علياً «عليه السلام» تزوج ليلى بعد وقعة الجمل فيكون عبيد الله صغير السن وهذا وهم لم يذكر من يوثق بقوله أو يعول عليه ذلك، وهذا عندنا نص خرجه القطب الراوندي معتمد وحجة وفيه معجزة لأمير المؤمنين «عليه السلام» جاءت كما أخبر به بأتفاق المؤرخين، ولا ترفع اليد عن النص إلا بنص مثله أو أقوى منه.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٥٠.

(٢) الخرايج والجرايح: ص١٩٠.

وقتل عبيد الله في حروراء وحروراء قرية قرب الكوفة وبها أجتمع الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» ولذلك سموا بالحرورية، قال الطبري المؤرخ في تاريخه[١]: قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله أن عبد الله بن نوف ـ يعني البكالي ـ خرج من بيت هند بنت المتكلفة ـ يعني أمرأة تجتمع عندها الشيعة ـ حين خرج الناس إلى حروراء وهو يقول: يوم الأربعاء ترفع السماء وننزل القضاء بهزيمة الأعداء فأخرجوا على أسم الله إلى حروراء، فلما خرج والتقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي وقد سمع ما قال، فقال: أتزعم لنا يا أبن نوف أنا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٢].

قال: فلما أصبح مصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب: يا له فتحاً ما أهنؤه لو لم يكن محمد بن الأشعث قد قتل، قال: صدقت ثم سار غير بعيد فقال: يامهلب! قال: لبيك أيها الأمير، قال: هل علمت أن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال لمصعب: أما إنه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه، منه أتدري من قتله؟ قال: لا، قال قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة، أما إنهم قتلوه وهم يعرفونه، ثم مضى حتى نزل السبخة وقطع عنهم الماء والمادة... الخ.

وهذا كلام ظاهر في أن الزبيرية قتلوه لقوله «ثم لا نجعل أنفسنا»، وقوله «قتله من يزعم»... إلخ تمويه يخدع به السخفاء من أهل البصرة الذين خدعتهم المرأة المتآمرة عليهم.

ويذهب أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال أن المقتول عمر بن علي وهو خطأ قطعاً وسنذكره في ترجمته، والمشهور المتداول أن المقتول هو عبيد الله وقتل بالمذار، نص عليه المحب الطبري في ذخائر العقبى والرياض النظرة، وابن قتيبة في المعارف وغيرهم، وقبره معروف على ضفة دجلة الشرقية بين قلعة صالح والعزير يعرف عند أهل تلك البلاد بعبد الله بن علي ـ بكسر العين ـ من علي.

قال الحموي في معجم البلدان[٣]: المذار في ميسان بين واسط والبصرة

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٥٣.
(٢) الرعد: ٣٩.
(٣) معجم البلدان ٧/ ٤٣٣.

وهي قصبة ميسان وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد أُنفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق إليه النذور وهو قبر عبيد الله بن علي بن أبي طالب، إنتهى.

وللداودي في عمدة الطالب كلام يصف هذا المشهد والمصحف الذي فيه بخط أمير المؤمنين وانه أحترق بحريق المشهد.

نقد الفاضل آبن إدريس «قده» للشيخ المفيد «قده»

لفظه في السرائر في فصل المزار من كتاب الحج: ذهب شيخنا المفيد في إرشاده إلى أن عبيد الله بن النهشلية قتل بكربلاء مع أخيه الحسين «عليه السلام» وهذا خطأ محض بلا مراء لأن عبيد الله آبن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير ومن جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار آبن أبي عبيدة بالمذار وقبره هناك مشهور، والخبر بذلك متواتر، وقد ذكره شيخنا أبو جعفر في الحائريات لما سأله السائل عما ذكره المفيد في الإرشاد فأجاب بأن عبيد الله بن النهشلية قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة بالمذار وقبره معروف عند أهل تلك البلاد، إنتهى كلامه «رحمه الله».

وكيف يظن الظان أو يتخيل المتخيل جهل الشيخ المفيد بما له شهرة فضلاً عن التواتر فنسبه مثل ذلك إليه جسارة عظيمة وتهور شديد وجرأة لا تحتمل، فالمغلط له غالط مهما كان إلا بتوقير واحتشام فمخالفته عند أستبانة الصواب للك في خلاف قوله أن تحفظ له إمامته ولا تغلطه تغليطاً صريحاً بل نقول: قد اتضح لي خلاف ما ذهب إليه أو قوي عندي رأي غير رأيه وما شاكل ذلك، وعلم المفيد بالأنساب والأخبار فوق علم العلماء، والذي في الإرشاد عبد الله ولم يصرح بالمصغر، والتصغير جاء من الناسخ، وكونه لم يذكر المصغر فمحتمل للغفلة والنسيان الذين لم يخلوا منها إنسان غير المعصوم.

ولو سلمنا لأبن إدريس ما قاله فلم ينفرد المفيد بهذا القول بل سبقه أعيان النسابين مثل الكلبي والطليحي وغيرهما، ودعوى آبن إدريس التواتر فمباهته محضة ومكابرة صرفة، كيف يقع التواتر وقد سمعت الطبري يذكر أنه قتل بحروراء وكذلك القطب الرواندي رواه عن الإمام الباقر «عليه السلام» وقوله الحجة، وذهب أبو حنيفة الدنيوري أن المقتول بالمذار هو عمر الأطرف، وابن العماد في شذرات الذهب[1] وزعم أنه قتل تحت راية المختار وقيل أخوه عبيد الله تحت راية مصعب.

---

(١) أُنظر: شذرات الذهب ١/ ٧٥.

وقد سبق المفيد هشام الكلبي وعبيد الله الطليحي وغيرهما، ولحقه آخرون كما عرفت سابقاً فأين التواتر في محل الخلاف؟ وإن أراد تواتر سخفاء العوام والأوباش من الجهلاء فتواتراهم كنسيج العناكب فكم تواتر عندهم من مشهد باطل عند جميع العلماء وخاصة أرض البصرة مملوءة من هذه المتواترات الباطلة عند أهل العلم وما أحتج به على الشيخ المفيد من نقل كلام الشيخ الطوسي «رحمه الله» في المقام مما كنت أظن صدور مثله من محصل فضلاً عن إمام من أئمة الفقهاء كابن إدريس وهو حيف وعدم إنصاف ومجانبة لجادة الصواب.

الشيخ الطوسي «قده» مهما بلغ من الفضل والجلالة لا يكون حجة على الشيخ المفيد بل الشيخ المفيد حجة عليه لأنه شيخه وأُستاذه، وشيخ شيخه السيد المرتضى، ومن بحر معارفه اغترفا، ومن رشحات فضله رويا، وقد اعترفا له بالفضيلة وعلوا المكانة وعولا على أقواله في سائر الأحتجاجات المسطورة في الكتب الكلامية فلا يصح من قول آبن إدريس إلا قوله: «كان قبره بالمذار مشهور» وهو كذلك في قبة عالية بين نهر الكسارة وقلعة صالح في لواء العمارة، له كرامات.

ظهور الكرامات على قبر عبيد الله ورأي المصنف فيه

يحف بقبر عبيد الله بن علي قبيلة الشدة قطاع الطريق مخيفي السبل وخاصة النوافل شر خلق الله وقد جاء في الحديث: إن المؤمن ليحفظ في ولده إلى سبعة أظهر، فما ظنك بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أفلا يحفظ في ولده لصلبه ولولا ظهور تلك الكرامات «الشارة» لتجاسروا على قبره بما يكون جسارة وجرأة على أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»؛ فحفظ أمير المؤمنين «عليه السلام» في ولده عبيد الله كرامة لأمير المؤمنين «عليه السلام» وتشريفاً لقدره، فهذه الكرامات صارت سداً منيعاً بينه وبين بطون الشدة من النوافل والبو غنام وبيت نخش وغيرهم من قطاع الطريق ومخيفي السبل ومستحلي حرمات الله في عباده فهو في الدنيا محروس بشرف أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وفي الآخرة أمره لغيرنا فإن ولي الحساب هو الله تعالى، والمرء القادم عليه بين السخط والرضا والعفو والمؤاخذة، والله تعالى إلى الرحمة أقرب وبالعفو أولى لأنه موصوف بهما، والعلوي مهما أرتكب واجترم فإنه يلاقي آبائه أهل الرقة والرأفة والحنان والعطف، ولهم الوجاهة والمنزلة عند الله تعالى فإن شاؤوا عفوا عنه وسامحوه فأين نقع نحن وما مقامنا.

أيضاً فإنا كثيراً ما تصدر منا الإساءة إلى آباءنا ونقابلهم بما يوجب السخط

علينا فنجدهم يقابلوننا بالمسامحة بدل الانتقام الذي نستحقه ونكون أهلاً له ولم يرضهم العفو عنا وحده دون أن يصل إلينا برهم بنا كانا قد أحسنا إليهم وما أسأنا، فلعل العلوي المسيء يقبله آباؤه و أهله هناك ويقابلوه فالعفو ويكون حظ القادح فيه البعد من أهله ونصيب المزري عليه الإعراض عنه، ولعل هذا هو المشار إليه في الشايع على الألسنة: صالحهم لكم وطالحهم لنا؛ فالواجب علينا عند ذكر العلويين بيان ما صدر منهم من الأعمال على سبيل الحكاية غير حاكمين عليهم بشيء بل نكل أمرهم إلى آباءهم وننزه ألسنتنا وأقلامنا عن ثلبهم فإن لهم آباء كراماً لهم الشفاعة المقبولة عند الله، ونحن وغيرنا نأمل الدخول في شفاعتهم ونتطلب الرضا منهم فكيف يقصر فضلهم عن أبنائهم ويفوتهم ما رجاه البعداء وطمع فيه الغرباء، والله أولى بنا وبهم وهو أرحم الراحمين.

(١٠) العباس الأصغر أحد الشهداء بكربلاء

(١٠) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» العباس الأصغر أحد الشهداء بكربلاء.

لم يذكره الشيخ المفيد ولا الطبري وأهمل ذكره فريق غيرهم وأثبته آخرون، ويدل عليه مضافاً إلى النصوص الأتية أن أكثر النسابين إذا ذكروا العباس «عليه السلام» الذي أُمه أُم البنين قيدوه بالأكبر وكذلك أهل التاريخ، والتقييد بالأكبر يستدعي وجود الأصغر وإنه لا بد أن يكون مع الأكبر أصغر منه يدل عليه اللفظ بدلالة الألتزام وبقاعدة أفعل التفضيل.

وممن نعت قمر بني هاشم بالعباس الأكبر الدياربكري في تاريخ الخميس[١] ولفظه: والعباس الأكبر ويدعى السقاء ويكنى أبا قربة، وكان صاحب راية الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء... الخ، وكذلك في شهداء الطف قيده بالعباس الأكبر[٢].

واليافعي المؤرخ الشافعي عبر عنه بالكبير ولفظه في مرآة الجنان[٣]: وقتل معه ولداه علي الأكبر وعبد الله وإخوته جعفر ومحمد وعتيق والعباس الأكبر... إلخ[٤].

---

(١) تاريخ الخميس ٢/ ٣١٧.
(٢) نفسه ٢/ ٣٣٣.
(٣) مرآة الجنان ١/ ١٣١ طبع حيدرآباد.
(٤) وعبر عنه بالعباس الأكبر مالك الأشرف في طرفه الأصحاب ص٧١.

أما النصوص فقال صاحب ناسخ التواريخ[١]: الخامس عشر من ولد علي «عليه السلام» العباس الأصغر... الخ، وذكره في الشهداء وسيأتي.

وقال أبو الحجاج البلوي الشافعي في كتاب ألف با[٢]: ذكر أبو إبراهيم عبيد الله بن محمد الخجندي أن علي بن أبي طالب «عليه السلام» قبض عن تسعة عشر ولداً: أربعة عشر ذكراً وخمسة عشر أُنثى: الحسن والحسين وزينب وأُم كلثوم من فاطمة «عليها السلام»، ومحمد الأكبر وعباس الأكبر وعمر وأبو بكر وعبد الله وعثمان وجعفر ومحمد الأصغر وعباس ويحيى... الخ.

وقال الحافظ تقي الدين المقريزي الشافعي في اتعاظ الحنفاء[٣]: العباس الأكبر وعبد الله وعثمان الأكبر وجعفر الأكبر أُمهم أُم البنين بنت أبي المحل ابن الديان بن حزام الكلابي، قتل هؤلاء الأربعة مع الحسين بن علي «عليهما السلام»، ثم يقول[٤]: ومحمد الأوسط وعباس الأصغر أُمهما أُم ولد، الخ.

وذكره صاحب الحدائق الوردية وقال: إن أُمه أُم ولد.

وذكره السيد العمري النسابة العلوي في المجدي وجعله شقيقاً لعمر الأطرف ورقية وأن أُمهم جميعاً الصهباء التغلبية.

وقال أبو الحسن المرندي في لوامع الأنوار الفارسي[٥] ولفظه بالفارسية: «بسر بود يكى عباس الأكبر المكنى بأبي الفضل صاحب رأيت در روز عاشورا وديكر عباس الأصغر تواند بود كه عباس الأصغر در شب عاشورا بدرجهء رفيعه فائز شد وعباس الأكبر در روز عاشورا، وعباس الأصغر نيز در شب عاشورا بطلب آب شتافت وسعادت شهادت يافت، الخ».

وصاحب ناسخ التواريخ في شهداء ليلة العاشر من المحرم، وسنذكر كلامه بتعريب الفاضل المعاصر السيد جعفر بحر العلوم الطباطبائي النجفي وهذا نصه في تحفة العالم[٦]: الثاني عشر: عباس الأصغر ذكره غير واحد من أرباب التواريخ، قال صاحب الناسخ: إن بعض العلماء زعم أن العباس الأكبر بن علي «عليهما السلام» أُستشهد ليلة العاشر مع أن أكثر أهل السير يذكرون شهادته يوم عاشوراء، وذلك لأن في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عباسين: الأصغر والأكبر، والذي قتل في الليلة العاشرة هو الأصغر سبق إلى طلب الماء فنال سعادة الشهادة

---

(١) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٧.
(٢) ألف با ١/ ٩١.
(٣) اتعاظ الخلفاء: ص٥.
(٤) نفسه: ص٧.
(٥) لوامع الأنوار: ص٣٦٤.
(٦) تحفة العالم ١/ ٢٣٢.

في تلك الليلة. . . الخ، ثم استدل السيد صاحب التحفة بنحو ما ذكرنا من تعبير أهل العلم بالأكبر وإنه يستدعي وجود الأصغر ولكنه ما ساق الشواهد كما سقناها.

ثم قال السيد: ومن هذا يظهر ضعف من وصف أبا الفضل بأنه شاب أمرد بين عينيه أثر السجود كما في الدمعة الساكبة مع تصريحهم بأن عمره (٣٤) سنة فمن المحقق أنه وصف العباس الأصغر، إنتهى.

ولنا مع هذا السيد نقاش علمي تقدم فأطلبه ولم يختص الدمعة بهذا لأن أبو الفرج الأصفهاني والصدوق القمي وغيرهما قد رووا في العباس الأكبر أنه شاب أمرد بين عينيه أثر السجود.

ونلفت نظر القاري هنا قبل إتيان محل المناقشة إلى غفلة وذهول من هذا السيد الفقيه، أما علم أن أهل الجنة جرد مرد والشهيد بمجرد مفارقة روحه الدنيا يدخل الجنة، وقد روى كثير من العلماء أن رسول الله ﷺ نظر إلى بعض الشهداء من أصاحبه ثم صرف نظره عنه معرضاً، فسأله أصحابه عن ذلك فأخبرهم أنه رأى عنده زوجتيه من الحور العين يلاعبانه وإنهما أستحييا منه فصرف نظره عنهما فلا يظن أحد أن الشهداء يدخلون الجنان باللحى، كلا وأين قول النبي ﷺ: «الحسن والحسين «عليهما السلام» سيدا شباب أهل الجنة»، وأين قوله: «أهل الجنة جرد مرد ما فيهم إلا أربعة من الأنبياء مشائخ» فالعباس الأكبر لما أستشهد دخل الجنة فكان أمرداً وبقي وسم السجود تمييزاً له كما يبقى وسم الوضوء تمييزاً لأُمه محمد ﷺ حتى قيل فيهم غر محجلون، وتقدم الجواب في باب الكرامات مفصلاً.

(١١) جعفر الأكبر شقيق العباس الأكبر «عليهما السلام»

(١١) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» أبو عبد الله جعفر الأكبر شقيق العباس الأكبر أحد الشهداء مع الحسين «عليه السلام».

كان يلقب بجعفر الأكبر ويكنى بأبي عبد الله، أُمه أُم البنين الصغرى الكلابية، تقدم نسبه في الجزء الأول وأتفق النسابون والمؤرخون على شهادته إلا أبن قتيبة في المعارف فإنه سكت عن التنصيص ولكنه نص عليها في تاريخه الإمامة والسياسة، ونص على شهادته الطبري المؤرخ وابن الأثير وابن كثير والمحب الطبري في كتابيه الذخائر والرياض، وابن عبد ربه في العقد الفريد، وابن الصباغ

في الفصول المهمة وقال[١]: وقتل جعفر بن علي أُمه أُم البنين رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم فقتله.

ونص عليه الكنجي والشبلنجي والمسعودي وأبو جنيفة الدينوري في الأخبار الطوال وقال[٢]: وحمل هاني بن ثبيت الحضرمي على جعفر بن علي «عليهما السلام» فقتله.

ونص عليه سبط ٱبن الجوزي والفاضل الدربندي وملا عبد الله في مقتل العوالم والعلامة المجلسي والشيخ المفيد.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين وجعفر بن علي بن أبي طالب أُمه أُم البنين.

قال يحيى بن الحسن عن علي بن إبراهيم بالإسناد الذي في خبر عبد الله: قتل جعفر بن علي وهو ٱبن (١٩) سنة.

قال أبو مخنف في حديث الضحاك المشرقي: إن العباس بن علي قدم أخاه جعفراً بين يديه لأنه لم يكن له ولد ليحوز العباس ٱبن علي ميراثه فشد عليه هاني ٱبن ثبيت الحضرمي الذي قتل أخاه فقتله، هكذا قال الضحاك.

وقال نصر بن مزاحم: حدثني عمرو بن بشير، عن أبي جعفر محمد بن علي «عليه السلام» أن خولي بن يزيد الأصبحي «لعنه الله» قتل جعفر بن علي «عليهما السلام».

قال في ناسخ التواريخ[٣]: جعفر الأكبر يكنى أبا عبد الله وأُمه أُم البنين أُم العباس، وعمره (٢٣) سنة، الخ، وعند أبي الفرج الأصبهاني إن عمره (١٩) سنة، وما أعرف عمن أخذ السماوي في إبصار العين حيث قدر عمره (٢١) سنة وقسمها على إمامة أبيه وأخويه الحسن والحسين.

وذكر صاحب الدر النظيم بما حكاه عنه في ذخيرة الدارين أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سماه بأسم أخيه جعفر الطيار وهذا قريب لأنا ذكرنا في ترجمة جعفر الطيار أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان شديد المحبة له.

---

(١) الفصول المهمة: ص٢٠٩.
(٢) الأخبار الطوال: ص٢٥٥.
(٣) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٦.

شهادته

في قول الخوارزمي وابن شهر آشوب ولفظ الأخير في المناقب[١]: ثم برز أخوه جعفر منشأاً يقول:

إني أنا جعفر ذو المعالي ابن علي الخير ذي النوال
ذاك الوصي ذو السنا والوالي حسبي بعمي شرفاً وخالي

فرماه خولي الأصبحي فأصاب شقيقته أو عينيه.

مدح جعفر الأكبر:

قال الإمام «عجل الله فرجه» في زيارة الناحية المشهورة: «السلام على جعفر بن أمير المؤمنين الصابر بنفسه محتسباً، والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي»، إنتهى.

هذه الفقرات الشريفة

هذه الفقرات الشريفة لو حللت تحليلاً حقيقياً لظهر فيها من الفضائل لجعفر ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ما يميزه عن غيره من الشهداء، فقوله «عليه السلام» «الصابر» وبأي معنى أُخذ الصبر سواء كان الصبر على مكابدة الأهوال ومكافحة الأبطال ففي ذلك غاية المدح بالفروسية، وإن كان الصبر على محبته لإمامه الحسين «عليه السلام» وموالاته له وثباته وعزمه أن يفيده بنفسه ويقيه بمهجته ففي ذلك غاية المدح من الوجهتين البصيرة والمعرفة بحق الإمام المفترض الطاعة، وهذا دليل العلم والفقاهة ومن حب المواسات له بالنفس والتأسي به في جميع الحالات فهذا دليل أنه في غاية الكمال ونهاية الأدب، وإن أُريد بالصبر الصبر على معانات الأُمور الشاقة من الجوع والعطش لأنهم حصروا في فلاة جرداء قاحلة وباديه قفراء قاحلة قد ملك عليهم الأعداء شريعة الفرات وقطعوا عليهم طريق الميرة وصدوا القوافل التي تحمل الأقوات إليهم فعطشوا وجاعوا، وفي تخصيص جعفر بالصبر على هذا لا يخفى ما فيه من مزيد الفضل.

وأما قوله «عليه السلام» «النائي عن الأوطان» مع أن كل من كان مع الحسين

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٩٧.

«عليه السلام» كان نائياً عن الأوطان وجميعهم قد أغتربوا فما معنى تخصيص جعفر؟ فالظاهر وأستغفر الله من الزلل أن هذا الشاب المترف صاحب النضارة والرونق الجميل قد تربى في الحضارة وذاق نعومة العيش ولم يقوى على لفحات السموم ومعانات شعل الهجير لأنه أصغر إخوته ومن المعلوم أن صغير الأولاد في الموضوع الأتم من الشفقة في نظر الأم الشقيقة فإنها تبره كثيراً وتتعاهده بالنظافة والتعطير ولذيذ المطعم وشهي المشرب فإذا كان نائياً عن الأوطان والحال هذه فإنه يلاقي عنتاً ويجابه شدة شديدة ويعاني صعوبة صعبة ومشقة شاقة، لا لأنه فارق الوطن فقط الذي شاركه في فرقه غيره بل لأنه فارق لذه العيش والرفاهية ونعومة الحضارة والترف، وفقد بر الوالدة المشفقة وعطفها وحدبها عليه وألطافها.

ومن هنا يعرف أن ولد أمير المؤمنين «عليه السلام» أشجع العرب لأنهم ما شاهدوا حروباً ولا خاضوا المعارك ولا وقفوا في صف قبال الأعداء سوى الحسنين «عليهما السلام» وابن الحنفية والعباس الأكبر وهم جميعاً شباب في ريعان الشبيبة ونضرة الصبا، بين من أدرك البلوغ وبين من تجاوزه بيسير، وقد شبوا ونشأوا في أحضان ترف وحجور نعومة ورفاهية عيش ونعمة حتى إذا كشفت حرب كربلاء عن ساقها وبرزت كالحة عابسة شوهاء المنظر كريهة المخبر شمروا السواعد وشحذوا المرهفات القواطع، وساقوا تلك الأبطال المحنكة والفرسان المجربة سوق الأغنام، وفرت أمامهم كاليعافير أو الحمر المستنفرة، وطاروا بين أيديهم طيران القطا والنعام المشرد، ولولا غلبة الأقدار ما كثرتهم تلك الجماهير ولا غلبتهم كثرة الجموع، وقد علم حملة التاريخ والأثر وعلماء الأخبار والسير أنهم أفنوا جماهير أهل الكوفة وقد تركوا في كل حي من أحيائها نائحة وفي كل بيت من بيوتها صارخة.

للمؤلف:

آل علي يوم طف كربلا ... قد تركوا في كل دار نائحه
من دخل الكوفة لم يسمع بها ... في سائر الأحياء إلا صائحه
قد خلد التاريخ للحشر لهم ... أعمال مجد وفعالاً صالحه
فيا لها فادحة خالدة ... قد أنست الشيعة كل فادحه

أولئك الشبان المترفون والفتيان المنعمون من أهل البيت النبوي أظهروا من البسالة والشجاعة ما أدهش الأبطال المجربة والشجعان الخبراء بفن البطولة، وهذا

يريك أن الشجاعة سجايا وأعراق وأشجة.

لزهير:

وإن يك من فضل أتوه فإنما ... توارثه آباء آباءهم قبل

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة ... وتغرس إلا في منابتها النخل

وبقية الفقرة تصف ثبات جعفر الأكبر في المعمعة، وتذكر أنهم ما قتلوه إلا بالكثرة لأن معنا المكثور بالرجال أنهم تكاثروا عليه واحتوشوه من كل مكان، والكثرة مهما كانت فإن لها الغلبة، وفي أمثال العوام «الكثرة تأخذ البصرة».

للمؤلف:

حكى جعفر في كربلاء بأس جعفر ... كما قد حكى بالضرب والده الفرما

وأدى حقوق المجد والفخر من حكى ... بأفعاله الغر الأب القرم والعما

(١٢) جعفر الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٢) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» جعفر الأصغر.

أهمله أكثر النسابين وأثبته السيد العمري النسابة العلوي في المجدي، والحافظ المقريزي في اتعاظ الحنفاء وذكر الأصغر والأكبر معاً، وقال في الأصغر[١]: وجعفر الأصغر من أُم ولد.

وقال صاحب الناسخ[٢]: السادس عشر من أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» جعفر الأصغر، إنتهى.

شهادة جعفر الأصغر:

لم أجد من نص على شهادته والظن يقوى بأنه من الشهداء لأن أهل العلم نصوا على من لم يحضر كربلاء من ولد علي «عليه السلام» كالحسن السبط والمحسن السقط وابن الحنفية وابن النهشلية والأطرف ويحيى، وتنصيصهم على هؤلاء بالموت لا بالقتل دليل على قتل من سواهم يوم كربلاء.

وذكره صاحب الحدائق الوردية وقال: أُمه أُم ولد ولم يذكر شهادته أيضاً، وأنا إن ترجح عندي أنه من الشهداء لكن لم أجزم به ولم أذكره في كتابيّ «المستدرك على مقاتل الطالبيين» ولا في كتابي «أعلام النهضة الحسينية» لأني لم أجد نصاً على شهادته.

---

(١) إتعاظ الحنفا: ص٧.

(٢) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٧.

(١٣) عمر الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٣) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» عمر الأكبر عند أكثر النسابين.

في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» من يسمى بعمر إثنان: الأكبر وهو هذا، والأصغر الآتي ذكره، وعلى قول صاحب الحدائق الودرية هم ثلاثة: عمر الأكبر وعمر الأوسط وعمر الأصغر.

كنية عمر ولقبه:

يكنى بأبي القاسم وقيل أبو حفص ويلقب بالأطرف، قيل: لقب بالأطرف تمييزاً بينه وبين عمر الأشرف بن زين العابدين، وذكرنا في كتابنا «الميزان الراجح» أن هذا القول غير سديد، لقب عمر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» قبل أن يولد عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين «عليه السلام» والصواب أنه لقب بالأطرف لأن شرفه من طرف واحد وهو نسبه من أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» ويريدون الغض منه لأُمه السبية وإن كانت من العرب من ربيعة.

أُم عمر الأطرف:

هي الملقبة بالصهباء والمكناة بأُم حبيب من بني تغلب بن وائل من ربيعة وهي سبية سباها خالد الوليد من عين التمر (شفاثة) وكانوا نصارى.

قال الطبري في التاريخ في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»: وله من الصهباء وهي أُم حبيب ابنة ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل وهي أُم ولد من السبي الذين أصابهم خالد بن الوليد حين أغار على عين التمر على بني تغلب بها ـ عمر بن علي ورقية بنت علي ـ.

وقال ابن قتيبة في المعارف[1]: وعمر ورقية وأُمهما تغلبية وكان خالد بن الوليد سباها في الردة فاشتراها علي «عليه السلام»، إنتهى.

أخطأ ابن قتيبة لم تكن تغلب إلا نصارى يسكنون شمال العراق فأغار عليهم خالد بن الوليد لما غزى العراق في خلافة أبي بكر فأصاب سبياً كثيراً منه التغلبية أُم عمر الأطرف ووالد الحسن البصري وسيرين والد محمد بن سيرين وأبان والد

---

(١) المعارف: ص٩٢.

حمران مولى المسيب في آخرين، فغرض ٱبن قتيبة في هذا تصحيح خلافة أبي بكر بجعل علي «عليه السلام» قد تزوج من سبايا من خالف أبا بكر، إن علياً وعمراً وأجلاء الصحابة أنكروا على أبي بكر سبي تلك النساء.

عمر الأطرف ومقدار سنه:

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ: فعمر عمر بن علي حتى بلغ (٨٥) سنة فحاز نصف ميرات علي «عليه السلام» في زعمهم ومات بينبع.

وقال السيد الداوودي في عمدة الطالب: مات عمر بينبع وهو ٱبن (٧٧) سنة وقيل (٧٥) سنة، وقال أيضاً[١]: وقال ٱبن جذاع: يكنى أبا حفص وولد تؤما لأُخته رقية وكان آخر من ولد من بني علي الذكور، وأُمه الصهباء التغلبية وهي أُم حبيب بنت عبادة بن ربيعة بن يحيى بن العبد بن علقمة من سبي اليمامة وقيل من سبي خالد ٱبن الوليد من عين التمر أشتراها أمير المؤمنين.

فضيلة الأطرف النفسية:

كان شجاعاً وسخياً وفصيحاً ومحدثاً وفقيهاً، يختار الطريقة السنية في حديثه وفقهه، وينحرف عن الطريقة الشيعية في الفقة لينال الحظ الدنياوي من الميراث والمنصب في الولاية على الأوقاف، ولم ينل ذلك إلا بموافقة مذهب أهل السنة والجماعة.

قال ٱبن قتيبة في المعارف[٢]: وأما عمر بن علي فقد حمل عنه الحديث، إنتهى.

وقال الحافظ الخزرجي الشافعي في خلاصة تهذيب الكمال[٣]: عمر بن علي بن أبي طالب الأكبر عن أبيه وعنه بنوه محمد وعبيد الله وعلي، وثقه العجلي الخ، وذكره الحافظ العسقلاني الشافعي في تهذيب التهذيب ووثقة أيضاً.

تنبيه وإيقاظ:

لا تحسب أن موافقته لمذاهب العامة كانت عقيدة له إنما هي لغاية يقصدها ومذهبه مذهب أهل البيت ثم ترك المذهب السني رأساً وصحب الإمام زين العابدين «عليه السلام» ولذا عده أصحابنا في أصحابه وسنشير إليه قريباً.

---

(١) عمدة الطالب: ص٢٢٨.
(٢) المعارف: ص٩٥.
(٣) خلاصة تهذيب الكمال: ص٢٤٢.

وفاة الأطرف

يختلف العلماء في ذلك اختلافاً جعلهم ثلاثة فرق: فرقة تزعم أنه أستشهد بكربلاء وهو قول سببه الأشتباه بأخيه عمر الأصغر الشهيد الأتي ذكره، وفرقة زعمت أنه قتل مع مصعب بن الزبير وسبب هذا القول الأشتباه بأخيه عبيد الله، وفرقة قالت: إنه مات حتف أنفه بينبع ولعل الصواب مع هذ الفرقة فإن فيهم الشيخ المفيد والطبري وابن الأثير والداودي وجماعة تثق النفس بضبطهم وإتقانهم.

قال الداوودي في عمدة الطالب: كان ذا لسن وفصاحة وجود وعفة، حكى العمري قال: اجتاز عمر بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» في سفر كان له في بيوت من بني عدي فنزل عليهم وكانت سنة قحط، فجائه شيوخ الحي وحادثوه وأعرض عن رجل منهم له شارة فقال: من هذا؟ فقالوا: سالم بن رقية وله أنحراف عن بني هاشم، فأستدعاه وسأله عن أخيه سليمان بن رقية وكان سليمان من الشيعة فخبره أنه غائب فلم يزل عمر يلطف له في القول ويشرح له في الأدلة حتى رجع عن انحرافه عن بني هاشم وفرق عمر أكثر زاده ونفقته وكسوته عليهم فلم يرحل عنهم بعد يوم وليلة حتى غبوا وأخصبوا، فقالوا: هذا أبرك الناس محلاً ومرتحلاً، وكانت هداياه تصل إلى سالم بن رقية، فلما مات عمر قال سالم يرثيه:

صلى الإلٰه على قبر تضمن من ... نسل الوصي على خير من سئلا
قد كنت أكرمهم كفاً وأكثرهم ... علماً وأبركهم حِلاً ومرتحلا

... إلخ، وتقدم قول الطبري ونصوص القول بموته كثيرة، قول القائلين بقتله في العراق أيضا جماعة منهم الحافظ الخزرجي في خلاصة تهذيب الكمال[1] ونصه: قتل بالعراق مع مصعب سنة (٦٧)... الخ.

وفي تهذيب التهذيب للحافظ العسقلاني[2] حكاية هذا القول عن العجلي وخليفة ولكنه ذكر عن الزبير بن بكار أنه عاش إلى زمن الوليد بن عبد الملك وذكر أن أهل التاريخ ذكروا أن المقتول مع مصعب هو عبيد الله بن علي... الخ.

وقال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في الأخبار الطوال: وإن مصعباً سار بالجيوش نحو الكوفة فعبر دجلة وخرج إلى أرض كسكر ثم أخذ على حديثه

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال: ص٢٤٢.
(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٤٨٥.

الفجار ثم أخذ على النجرانية حتى قارب الكوفة وبلغ المختار مقتل أصحابه فنادى في بقية من كان معه من جنودهم فقوائهم بالأموال والسلاح وسار بهم من الكوفة مستقبلاً لمصعب بن الزبير فالتقوا بنهر البصريين فأقتتلوا فقتل من أصحاب المختار مقتلة عظيمة، وقتل محمد بن الأشعث، وقتل عمر بن علي بن أبي طالب، وذلك أنه قدم من الحجاز على المختار فقال له المختار: هل معك كتاب محمد بن الحنفية؟ فقال عمر بن علي: لا ما معي كتابه، فقال له المختار: انطلق حيث شئت فلا خير لك عندي، فخرج من عنده وسار إلى مصعب فأستقبله في بعض الطريق فوصله بمائة ألف درهم وأقبل مع مصعب حتى حضر الوقعة فقتل فيمن قتل من الناس، إنتهى، والصحيح أن المقتول عبيد الله لا عمر كما قدمنا.

القدح في عمر الأطرف

يعاب الأطرف بثلاثة أُمور:

أحدهما: تخلفه عن أخيه الحسين «عليه السلام».

ثانيهما: منازعته في ميراث أخوه العباس الأكبر «عليه السلام».

ثالثها: طلبه الولاية على أوقاف أمير المؤمنين «عليه السلام».

وكل هذه الأُمور لا تجوز له وتحرم المنازعة فيها لأي رجل كان: أما نصرة الحسين «عليه السلام» فواجبة ولا رخصة في تركها لغير عذر، وأما الميراث فلأُم البنين لا تجوز المنازعة فيه، وأما الوقف فقد خصه أمير المؤمنين «عليه السلام» للحسن والحسين «عليهما السلام» دون غيرهما من أولاده.

قال السيد الداوودي في عمدة الطالب: وتخلف عمر عن أخيه الحسين «عليه السلام» ولم يسر معه إلى الكوفة وكان قد دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج، يقال: إنه لما بلغه قتل أخيه الحسين «عليه السلام» خرج في معصفرات له وجلس بفناء داره وقال: أنا الغلام الحازم ولو خرجت معهم لذهبت في المعركة وقتلت، ولا تصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء، وكان أول من بايع عبد الله بن الزبير ثم بايع بعده الحجاج، وأراد الحجاج إدخاله مع الحسن بن الحسن في تولية صدقات أمير المؤمنين «عليه السلام» فلم يتيسر له ذلك... الخ.

أما الملا حسن القزويني في رياض الأحزان فقد حرر المطاعن التي طعن بها على الأطرف في انحرافه عن أهل البيت وميله إلى الجائرين في الأحكام رغبته عن فقه أبيه طالباً للعاجل في أُمور ثلاثة:

أحدهما: منازعة لأبن أخيه عبد الله بن العباس الأكبر في ميراث عمومته المقتولين بكربلاء وحيث أن مذهب أهل البيت «عليهم السلام» حجب الأخ مع وجود الأُم وإن آبن الأخ للأبوين يحجب الأخ لواحد منها فعدل الأطرف عن هذا المذهب تاركاً مذهب الإمام زين العابدين «عليه السلام» طالباً مذاهب قضاة أهل السنة.

ثانيهما: ما رواه الفريقان السنة والشيعة أنه نازع علي بن الحسين «عليهما السلام» والحسن آبن الحسن تولية أوقاف أمير المؤمنين «عليه السلام» وتوصل إلى ذلك بالحجاج الجبار مستعيناً به لكن عبد الملك رفض شفاعة الحجاج ورد طلب الأطرف.

ثالثها: إنه أظهر الأبتهاج والسرور بقتل الحسين «عليه السلام» وعد نفسه حازماً.

قال في رياض الأحزان: قد رمزنا سابقاً أن المنازعة في ذلك من عمر بن علي غير مسموعة إلا على بعض مذاهب العامة وأما علي قواعد الإمامية فلا فإن الإخوة لا يرثون مع وجود الأُم، وأُم البنين أُم العباس وإخوته كانت حية حينئذٍ ولا شك أن مرتبتها وابن العباس مقدمة على مرتبة عمر بن علي وكذلك تقديمها على العباس «عليه السلام» في حيازة ميراث سائر الإخوة، والحاصل أن عمر بن علي لم يرجع في ذلك إلى ما كان زين العابدين «عليه السلام» يذهب إليه وأنشأ المنازعة مع عبيد الله ودعاه إلى التحاكم عند القاضي المتولي للقضاء لتولية السلطان الطاغية وهذا مما يقضي من مثله العجب فإنه مع تخلفه عن أخيه الحسين «عليه السلام» وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة بأعتقاد الأُمة وعدم رجوعه إلى ما ثبت من مذهب أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وتصديق الإمام زين العابدين «عليه السلام» وكان يتوقع تصديق الناس له بالمنازعة بسبب كونه أكبر سناً من عبيد الله واحوج إلى المال، وكان الناس يلومونه على ذلك ويراعون جانب آبن العباس ثم بعد ذلك بسنين أنشأ الخصومة مع آبن أخيه الآخر الحسن بن الحسن، وساق القصة المطولة في منازعة الأطرف للمثنى.

ثم قال[1]: وسمعت عن بعض مشائخي من أهل الأثر والسير أن عمر بن علي يخرج من بيته في غالب الأيام ويجلس على دكة باب داره متلبساً بثوب جديد له معصفر وينظر في مقاديم أكتافه وأعطافه مظهراً للسرور والانبساط قائلاً: إن

(١) رياض الأحزان: ص١٦٩.

المرأ ينبغي أن يكون سديداً في أحواله واقواله، رشيداً في أفعاله، بصيراً بعواقب أُموره، ناظراً في مختتمه ومآله، وإني لو كنت خرجت مع إخوتي صحبة الحسين إلى العراق لدهاني ما دهاهم ولكنت مقتولاً بسيف الشقاق بين أهل النفاق، بعيداً عن الوطن، مدفوناً بغير غسل وكفن، ولكني سددت الرأي ونظرت في العاقبة فأخترت العافية فصرت معها وصارت معي فهذا لبسي وهذه سلامتي وتلك داري لا مبعد ولا مشرد ولا مجدل ولا مجرد.

وكان الناس يسمعون أمثال هذه المزخرفات منه وغير الملائمات من أفعاله فيتنافرون عنه ويتضجرون منه قلباً، ويستكرهون صحبته ولا يستأنسون إليه ولا يعينونه في أمر ولا يوازونه بقبضة تمر، فما لبث فيهم إلا وضاق صدراً ونقص قدراً فخرج إلى العراق طالباً لرعاية المختار وهو حينئذٍ رئيس شيعة أبيه، فقصده من دون أتكال على كتابة أو علامة أُخرى من محمد بن علي فكان من أمره ما كان، إنتهى، يشير إلى قتله تحت راية آبن الزبير كما سبق.

منازعة الأطرف للإمام زين العابدين «عليه السلام»

قال الشيخ المفيد «رحمه الله» في الإرشاد[1]: عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: لما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة رد إلى علي بن الحسين «عليهما السلام» صدقات رسول الله ﷺ وصدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وكانتا مضمومتين.

فخرج عمر بن علي إلى عبد الملك يتظلم إليه من نفسه، فقال عبد الملك: أقول كما قال آبن أبي الحقيق:

إني إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامع للقائل
واصطرع الناس بألبابهم ... نقضي بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا ... نلط دون الحق بالباطل

إنتهى، زاد فيها الفاضل المجلسي[2]: إن عمر بن علي قال لعبد الملك: أنا آبن المصدق وهذا آبن بن، وأنا أولى منه، ثم ذكر جواب عبد الملك كما تقدم.

رأي الرجاليين من الشيعة في الأطرف:

عده الشيخ الطوسي (قده) من أصحاب زين العابدين ونقله عنه الأسترآبادي

---

(١) الإرشاد: ص٢٧٦.
(٢) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٥.

والتفريشي وحكى الوحيد البهبهاني في التعليقة اعتماد العلامة عليه.

رأي المصنف في الأطرف:

رأيي فيه الوقف وعدم الجزم بذمه ومدحه وإرجاع أمره إلى آبائه، واعتماد العلامة عليه لا يدلنا على أستقامته إنما يدلنا على صدق حديثه وصدق الحديث أمر والعقيدة أمر آخر لا ملازمة بينها كما أنه لو صح عنه هذا المقال المنقول عنه بعد شهادة أخيه الحسين «عليه السلام» فلا يدل على عقيدته لجواز أن يكون أظهره تقية وحقناً لدمه فإن فراعنة أُمية تود أن لا تبقي لعلي «عليه السلام» نسلاً، أما المنازعة في الوقف والميراث فلا يدل على أنحراف وإنما يدل على قلة الفقه والعلم بالأحكام وجمودة أدمغة أهل الحجاز معروفة لا تحوجنا إلى برهان.

أولاد عمر الأطرف

قال أبن قتيبة في المعارف[1]: فأما عمر بن علي فولد محمداً وأُم موسى أُمهم أسماء بنت عقيل بن أبي طالب، فأما محمد فولد عمراً وعبيد الله وعبد الله أُمهم خديجة بنت علي بن الحسين «عليهما السلام»، وجعفراً أُمه أُم هاشم بنت جعفر بن جعدة بن هبيرة المخزومي، ولعمر عقب بالمدينة، إنتهى.

وقال السيد الداوودي في العمدة[2]: أعقب من رجل واحد وهو محمد أبنه... الخ.

ومن أعقابه العمري النسابة صاحب كتاب المجدي في أنساب العلويين.

(١٤) عمر الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٤) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عمر الأصغر أحد الشهداء بكربلاء

وقد أختلف النسابون فيه وفي الأطرف أيهما الأكبر، وقدم تقدم نقل صاحب العمدة أن الأطرف أصغر ولد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأثبت صاحب الحدائق الوردية ثلاثة فجعل الأكبر هو الأطرف، والأوسط هو أبن المصطلقية، وعمر الأصغر، ثم قال: وفي النسابين من لم يذكر عمر الأوسط ومنم من لم يذكر إلا عمر المعقب... الخ.

---

(١) المعارف: ص٩٥.
(٢) العمدة: ص٣٣٩.

وذكر الحافظ المقريزي في أتعاظ الحنفاء[١]: عمر الأكبر وعمر الأصغر.

ولصاحب العمدة قول بأن الأطراف هو الأكبر.

ورأي صاحب ناسخ التواريخ الفارسي[٢] فذكر عمر الأكبر وقال: عمر الأصغر أُمه أُم حبيب وأكثر النسابين أن الأكبر هو الأطرف وهو الذي أُمه أُم حبيب وعمر الشهيد هو الأصغر وأُمه أُم ولد.

شهادة عمر الأصغر:

قال محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني في المناقب[٣] في الشهداء مع الحسين «عليه السلام» من إخوته: عمر بن علي، وقال في صفة القتال: ثم برز من بعده أخوه عمر بن علي وهو يرتجز:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر ... خلوا عن الليث الهصور المكفهر

يضربكم بسيفه ولا مفر ... يا زحر يا زحر تدانى من عمر

وقتل زحراً قاتل أخيه، إنتهى.

وقال ملا عبد الله في مقتل العوالم[٤]: ثم برز أخوه عمر بن علي وهو يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر ... ذاك الشقي بالنبي قد كفر

يا زحر يازحر تدانى من عمر ... لعلك اليوم تبوء من سقر

شر مكان من حريق وسعر ... لأنك الجاحد ياشر البشر

ثم حمل على زحر قاتل أخيه فقتله ثم أستقبل القوم وجعل يضرب فيهم بسيفه ضرباً منكراً وهو يقول:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر ... خلوا عن الليث العبوس المكفهر

يضربكم بسيفه ولا مفر ... وليس فيها بالجبان المنحجر

فلم يزل يقاتل حتى قتل، إنتهى.

وذكرها بهذا اللفظ أخطب خوارزم في مقتله، والفاضل المجلسي في بحاره[٥]، وذكره في شهداء ولد علي «عليه السلام»[٦]، والفاضل الدربندي في

---

(١) أتعاظ الحنفاء: ص٧.
(٢) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٦.
(٣) المناقب لأبن شهر آشوب ٤/ ٩٦.
(٤) مقتل العوالم: ص٩٣.
(٥) بحار الأنوار ١٠/ ٢٠٠.
(٦) ٢٥٧/ ٢١٧.

أسرار الشهادة[١] فيمن أُستشهد مع الحسين «عليه السلام» من إخوته، وأبو إسحاق الإسفرايني في نور العين[٢] في الشهداء مع الحسين «عليه السلام».

وقال في رياض الأحزان[٣]: لم يكن بقي يومئذٍ من أولاد علي «عليه السلام» إخوة الحسين «عليه السلام» إلا محمد بن علي بن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن أياس الحنفية وعمر بن علي أُمه أُم حبيب بنت ربيعة يقال إنه كان من أُخته رقية بنت علي «عليهما السلام» توامان وهو غير عمر الأصغر الشهيد مع أخيه الحسين «عليه السلام» بالطف قبل العباس وإخوته «رضي الله عنهم»، إنتهى، ولم نفرد عمر الثالث بترجمة لأني لم أجد من ذكره غير صاحب الحدائق الوردية في أئمة الزيدية لذلك اكتفيت بإدراجه هنا.

(١٥) أبو بكر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٥) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أبو بكر بن علي بن النهشلية أحد الشهداء أتفاقاً.

وهو شقيق عبيد الله قتيل المذار، أتفق المؤرخون على شهادته وأختلفوا في إسمه، والصواب أن إسمه كنيته، نص على ذلك أبو الفرج الأصبهاني وغيره، ومن زعم أن أسمه محمداً أو عبد الله فقد توهم أن المكنى لابد أن يسمى وليس ذلك بلازم، أما أُمه النهشلية فقد مضى ذكرها.

شهادته والنصوص عليها:

نص عليه الشيخ المفيد في الإرشاد والحافظ الكنجي في كفاية الطالب، وابن قتيبة في كتابيه المعارف والإمامة والسياسة، والمحب الطبري في كتابيه ذخائر العقبى والرياض النظرة، والشبلنجي في نور الأبصار، وأبو الفدا المؤرخ وغيرهم مما يطول تعدادهم.

قال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين[٤]: أبو بكر بن علي بن أبي طالب لم يعرف إسمه، أُمه ليلى، وذكر نسبها كما تقدم، وقال: ذكر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين «عليه السلام» في الإسناد الذي تقدم أن رجلاً من همدان قتله، وذكر المدائني أنه وجد في ساقية مقتولا لا يدري من قتله... الخ.

---

(١) أسرار الشهادة: ص٤٧١.
(٢) نور العين: ص٣٣.
(٣) رياض الأحزان: ص١٦٣.
(٤) مقاتل الطالبيين: ص٣٤.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب[١] بعد مقتل القاسم بن الحسين «عليهما السلام»: ثم برز أبو بكر بن علي قائلاً:

شيخي علي ذو الفخار الأطول من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل تفديه نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتى قتله زحر بن بدر ويقال عقبة الغنوي، إنتهى، ومثله في مقتل العوالم والبحار[٢]، وفي ناسخ التواريخ: إنه وجد في ساقية مقتولاً، وسماه المقريزي في أتعاظ الحنفاء عبد الرحمٰن وكناه بأبي بكر.

(١٦) إبراهيم بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٦) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إبراهيم أحد الشهداء بكربلاء

رغم إنكار أبي الفرج له، وأُم إبراهيم أُم ولد، ومعنى أُم ولد عند العرب هي التي ملكت قهراً بالسيف، قال شاعرهم:

وكم ذات بعل أنكحتها سيوفنا حلالاً إلى خطابها لم تطلق

وعند الفقهاء هي المملوكة يتزوجها المالك فيجعل عتقها صداقها أو يطأها بملك اليمين فتحمل منه فإذا مات المالك وقد ولدت له أُعتقت من نصيب ولدها وتسميها العرب فتاة وجارية وأمة وسرية ومملوكة وذات ولد.

شهادة إبراهيم وإنكار الأصبهاني:

قال أبو الفرج في المقاتل[٣]: قد ذكر محمد بن علي بن حمزة أنه قتل يومئذ إبراهيم بن علي بن أبي طالب وأُمه أُم ولد وما سمعت بهذا عن غيره ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً... الخ.

إن كان أبو الفرج لم يرى فقد رأينا، وإن كان لم يسمع فقد سمعنا.

قال ابن عبد ربه المالكي في القعد الفريد[٤]: قتل الحسين بن علي وقتل معه عثمان بن علي وأبو بكر بن علي وجعفر بن علي والعباس بن علي أُمهم أُم البنين بنت حزام الكلابية، وإبراهيم بن علي لأُم ولد، ومثله قال ابن قتيبة في تاريخه

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٤/ ٩٢.
(٢) مقتل العوالم: ص٩٣؛ بحار الأنوار ١٠/ ٢٠٠.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٣٤.
(٤) العقد الفريد ٣/ ١٤٣.

الإمامة والسياسة[١].

وذكره آبن شهر آشوب في شهداء كربلاء من أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» في كتاب المناقب والعلامة المجلسي في البحار والفاضل الدربندي في أسرار الشهادة وملا عبد الله في مقتل العوالم وأخطب خوارزم في مقتله[٢].

(١٧) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» يحيى:

أُمه الخثعمية أسماء بنت عميس، ولما حصل الأتفاق على موته صغيراً في حياة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» تركنا النقل خوف الملل بكثرة النقل.

(١٨) عون الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١٨) من إخوة العباس الأكبر ولد أمير المؤمنين «عليه السلام» عون الأصغر شقيق يحيى، أُمه الخثعمية وهو أحد الشهداء، ويختلف العلماء في عون هذا من ثلاث جهات:

أحدها: هل لأمير المؤمنين «عليه السلام» آبن يسمى عوناً أم لا؟

ثانيها: هل أستشهد بكربلاء مع أخيه الحسين «عليه السلام» أم لا؟ والثاني مرتب على الأول.

ثالثها: هل أُمه أسماء بنت عميس أم غيرها؟

فمن الذين لم يذكروا عوناً في أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» الشيخ الأجل أبو عبد الله المفيد فإنه لم يذكره في الإرشاد.

قال الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٣]: وأسقط أبو عبد الله المفيد العون من الخثعمية وجعل أبا بكر كنية لمحمد الأصغر ولم يذكر محمد الأوسط، إنتهى.

ولم يذكره آبن قتيبة أيضاً فأسقطه في كتاب المعارف وذكر يحيى خاصة.

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه[٤]: وتزوج «عليه السلام» أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له فيما حدثت عن هشام بن محمد، يحيى ومحمد الأصغر

---

(١) الإمامة والسياسة ٢/ ٦.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٩٩؛ بحار الأنوار ١٠/ ٢١٧؛ أسرار الشهادة: ص٤٧٨؛ مقتل الخوارزمي ٢/ ٤٦.

(٣) كفاية الطالب: ص٢٦٦.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٨٩.

وقال: لا عقب لهما، وأما الواقدي فإنه قال فيما أخبرني الحارث قال: حدثني ابن سعد قال: أخبرنا الواقدي أن أسماء ولدت لعلي «عليه السلام» يحيى وعونا ابني علي.. الخ.

وقال الحافظ ابن عبد البر المالكي في الأستيعاب أن ابن الكلبي يزعم أن عوناً أمه أسماء وهذا لفظه في ترجمة أسماء بعد ذكر تزويجها لجعفر وأبي بكر: ثم تزوجها علي بن أبي طالب «عليه السلام» فولدت له يحيى بن علي لا خلاف في ذلك، ويزعم ابن الكلبي أن عون بن علي بن أبي طالب أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولم يقل هذا أحد غيره فيما علمت... الخ.

وقال الحافظ العسقلاني في الإصابة: تزوجها بعد أبي بكر علي بن أبي طالب فولدت له أبنه عوناً، قال أبو عمر: تفرد بذلك ابن الكلبي، كذا قال، وقد ذكر ابن سعد عن الواقدي أنها ولدت لعلي «عليه السلام» عوناً ويحيى الخ.

وهذا هو الثابت المحقق، نص على كون أمه أسماء جماعة من أهل التحقيق غير هؤلاء منهم كما الدين ابن طلحة الشافعي في مطالب السئول، ونور الدين ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والشبلنجي الشافعي في نور الأبصار، والمحب الطبري الشافعي في كتابيه ذخائر العقبى والرياض النضرة، وسبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة خواص الأُمة[١] وقال: تزوجها بعد أُم البنين، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار[٢].

وفي ناسخ التواريخ[٣]: الخامس عشر: عون ابن أمير المؤمنين «عليه السلام»، أمه اسماء بنت عميس، يكنى بأبي الحسين وكان صغيراً في حياة أمير المؤمنين، وكانت وفاته في حياة أمير المؤمنين «عليه السلام» الخ، وقد أشتبه عليه أمر أخيه يحيى فخلط ترجمته بترجمته ثم ذكره في الشهداء.

شهادة عون الأصغر بكربلاء:

ذكرها صاحب الناسخ وصاحب لوامع الأنوار الشيخ المرندي[٤] وقال: تفرد به صاحب روضة الأحباب من علماء السنة وتعريبه من معالي السبطين فإنه أعرف منا بالفارسية ونصه[٥]: ومن أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» الذين قتلوا بيوم

---

(١) مطالب السؤول: ص٦٣؛ الفصول المهمة: ص١٤٤؛ نور الأبصار: ص٩٢؛ ذخائر العقبى: ص١١٧؛ الرياض النظرة ٢/ ٢٤٩؛ تذكرة الخواص: ص٣٣.
(٢) بحار الأنور ٩/ ٧٠٠.
(٣) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٧
(٤) لوامع الأنوار: ص٢٨٦.
(٥) معالي السبطين ٢/ ٢٦٣.

الطف «على ما رواه الناسخ» عون بن علي أُمه أسماء بنت عميس.

وقال[١]: قال صاحب الناسخ: وما رأيت في كتب المقاتل ذكر شهادة عون بيوم الطف إلا في كتاب روضة الأحباب وبحر اللئالي تأليف العامة وأنا أقتفي أثرهما في الجملة: كان عون صبيحاً مليحاً شجاعاً فاستأذن أخاه الحسين «عليه السلام» فقال له: كيف تقاتل هذا الجمع الكثير والجم الغفير؟ فقال: من كان باذلا فيك مهجته لم يبالي بالكثرة، فبكى الحسين «عليه السلام»، فحمل عون القوم فقتل منهم مقتلة عظيمة فأحتوشه ألفان منهم ففرقهم يميناً وشمالاً وفل الصفوف مقبلاً إلى الحسين «عليه السلام» وفي رأسه ووجهه جراحات، فقبله الحسين «عليه السلام» فقال له: أحسنت فقد أُصبت بجراحات كثيرة فأصبر هنيئة.

قال عون: سيدي! أردت أن أحضى منك وأتزود من رؤيتك مرة أُخرى ولا ينبغي أن أعرض دونك وقد أجهدني العطش فأذن لي حتى أرجع وأفديك بروحي، فأذن له ورجع، وأمره الحسين «عليه السلام» أن يركب جواداً غير الذي كان تحته، فركب وحمل على القوم فأعترضه صالح بن سيار وكان قد شرب خمراً في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» فأجرى عليه عون الحد بأمر أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد أكن حقداً لعون في قلبه فأنتهز الفرصة فرآه ظمئآناً جريحاً وحمل على عون وشتمه، فأجابه عون وحمل عليه وطعنه برمحه فأورده جهنم فأقبل إليه أخوه بدر بن سيار فألحقه عون بأخيه، فحمل هاني بن طلة بالسيف على عون وقد كمن اللعين منه فضربه بالسيف فخر عون صريعاً قائلاً: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وقضى نحبه، إنتهى.

الشهداء بالطف ممن يسمى عوناً من آل أبي طالب أربعة: عون الأكبر بن جعفر الطيار، وعون الأكبر بن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار، وعون الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعون بن عقيل بن أبي طالب.

تحقيق المشهد المنسوب لعون بين سدة الهندية وكربلاء رفعناه من هذا الموضع حيث طال الكتاب وأودعناه كتابنا «أعلام النهظة الحسينية» في ترجمة عون الأكبر بن الطيار لأنه له في ما يقوى عندنا فراجعه.

(١٩) و(٢٠) عون الأكبر ومعين من شهداء النهروان

(١٩) و(٢٠) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»

---

(١) نفسه.

عون الأكبر وأخوه معين من الشهداء بالنهروان مع أبيهما «عليهم السلام».

عون الأكبر وأخوه معين، أُمهما لم تعرف، جرحا بالنهروان وماتا ببغداد ولهما مشهد معروف ومزار إلى اليوم.

وقال ٱبن جبير المالكي القرطبي الرحالة الشهير في رحلته[١]: في مدينة بغداد في العراق وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان، داخله قبر متسع، عليه مكتوب: هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»... الخ.

ويذكر ياقوت الحموي الجغرافي المعروف في معجم الأُدباء[٢]: إن مشهدهما في الجانب الغربي في الجهة السلجوقية المعروفة بالأخلاطية الخ.

وقال المعاصر السيد جعفر بحر العلوم الطباطبائي في تحفة العالم بعد نقل كلام ٱبن جبير[٣]: قلت: أُصيبا في النهروان... الخ.

(٢١) و(٢٢) و(٢٣) عمران وعتيق وعبد الرحمٰن أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام»

(٢١) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» عمران بن علي «عليه السلام».

له مشهد معروف في نواحي الحلة مشهور بمشهد عمران بن علي «عليهما السلام»، لم أجد من ذكره غير المعاصر السيد جعفر بحر العلوم في تحفة العالم ونصه[٤]: عمران بن علي «عليهما السلام» أُصيب جريحاً في النهروان وقبره في بابل معلوم، إنتهى.

(٢٢) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» عتيق بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» من الشهداء بكربلاء، أُمه لم تعرف، نص على شهادته مع الحسين «عليه السلام» ٱبن العماد الحنبلي المؤرخ في شذرات الذهب والديار بكري الشافعي المؤرخ في تاريخ الخميس، كلاهما ذكره في ترجمة الحسين «عليه السلام».

(٢٣) من إخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» عبد الرحمٰن بن علي «عليه السلام»، أُمه أُم ولد، ذكره النسابة العمري في المجدي،

---

(١) رحلة ابن جبير المالكي: ص١٨٠.
(٢) معجم الأدباء ١٧/ ٥٧.
(٣) تحفة العالم ١/ ٢٣٨.
(٤) تحفة العالم ١/ ٢٣٨.

والحافظ المقريزي في اتعاظ الحنفاء وكناه بأبي بكر وينبغي أن يعد في الشهداء بكربلاء لما قاله صاحب رياض الأحزان ونص عليه بأنه لم يبق من إخوة الحسين «عليه السلام» غير محمد بن الحنفية وعمر الأطرف وعبيد الله بن النهشلية والباقون كلهم أستشهدوا معه، وهذا القول موافق للأُصول محفوف بالصحة لأنه لم يتخلف عنه من إخوته الأحياء الذين أدركوا كربلاء غير هؤلاء الثلاثة فكل من ثبت أنه من أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» فهو من الشهداء بلا ارتياب، والله أعلم.

كلمة الختام

تاريخ طبع الجزء الأول من كتاب بطل العلقمي أهداه إلينا الخطيب الفنان الأستاذ الماهر الشاعر المعاصر الشيخ علي البازي، وشكراً له:

الواحد الفذ حليف الحجى ... المجد منه وله ينتمي
جاء بسفر للملأ آية ... مضمونها في سيرة الهاشمي
ساقي عطاشى كربلاء ليثها ... من فيه إن خطبٌ عرى نحتمي
من رام أن يعرف ما فضله ... وكيف أضحى مفردا عالمي
فلينظر السفر وتاريخه ... «سار فهذا بطل العلقمي»

١٣٦٩هـ

تم الجزء الأول من كتاب بطل العلقمي والحمد لله أولاً وآخراً

مصادر ومراجع كتاب
«بطل العلقمي»

- القرآن الكريم.
- تاريخ الكامل لابن الأثير.
- الميزان الراجح/ الشيخ عبد الواحد المظفر - مخطوط -.
- سفير الحسين/ الشيخ عبد الواحد المظفر.
- أعلام النهضة الحسينية/ الشيخ عبد الواحد المظفر - مخطوط -.
- المستدرك على مقاتل الطالبيين/ الشيخ عبد الواحد المظفر - مخطوط -.
- الرياض النظرة في فضائل العشرة/ حمد بن عبد الله المحب الطبري.
- الصواعق المحرقة/ أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي المكي.
- سيرة الحلبي/ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.
- التذكرة/ يوسف أبو المظفر شمس الدين سبط ابن الجوزي.
- القاموس المحيط/ مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي.
- وقعة صفين/ نصر ابن مزاحم المنقري.
- تاريخ الطبري/ أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري.
- تاريخ ابن الأثير/ علي ابن محمد الجزري الملقب بابن الأثير.
- شرح نهج البلاغة/ عبد الحميد ابن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي.
- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي.
- مروج الذهب/ أبو الحسين علي ابن الحسين ابن علي المسعودي الشافعي.
- الإصابة في معرفة الصحابة/ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن علي المعروف بابن حجر العسقلاني.
- تهذيب التهذيب/ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن علي المعروف بابن حجر العسقلاني.
- خلاصة تهذيب الكمال/ الحافظ صفي الدين الخزرجي.
- حياة الحيوان/ كمال الدين أبو البقاء محمد ابن موسى ابن عيسى ابن علي

الدنميري.
ـ الأعلام/ خير الدين الزركلي.
ـ سنن النسائي/ أحمد ابن شعيب ابن علي النسائي.
ـ الخطط المقريزية/ تفي الدين أبي العباس أحمد ابن علي المقريزي.
ـ رحلة ابن جبير/ أبو الحسن محمد ابن أحمد ابن جبير الكناني.
ـ رحلة ابن بطوطة/ أبو عبد الله ياقوت ابن علي ابن عبد الله الحموي.
ـ تاريخ سينا/ نعوم بك الشقير.
ـ فتوح الشام/ أبي عبد الله ابن عمر الواقدي.
ـ تاريخ اليعقوبي/ أحمد ابن إسحاق ابن جعفر ابن وهب ابن واضح اليعقوبي.
ـ أسرار الشهادة/ آغا بن عابدين رمضان بن زاهد الدربندي.
ـ روضات الجنات/ محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخونساري.
ـ أمل الآمل/ الحسن ابن علي ابن محمد ابن علي ابن الحسن المازندراني الآملي.
ـ المحبر/ محمد ابن حبيب البغدادي.
ـ الأعلاق النفسية/ أحمد ابن عمر ابن رسته.
ـ المعارف/ أبي محمد عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري.
ـ رجال النجاشي/ أبو العباس أحمد النجاشي.
ـ السياسة العلوية/ الشيخ عبد الواحد المظفر ـ مخطوط ـ.
ـ رجال الكشي/ محمد ابن عبد العزيز المعروف بالكشي.
ـ مرآة الجنان/ عبد الله ابن أسعد اليافعي الشافعي.
ـ سر الفصاحة/ عبد الله ابن محمد الخفاجي الحلبي.
ـ البيان والتبيين/ أبو عثمان عمر الجاحظ.
ـ الطراز/ الإمام يحيى ابن حمزة إمام الزيدية.
ـ أساس البلاغة/ الزمخشري.
ـ المفتاح/ أبو يعقوب يوسف السكاكي.
ـ المطول/ سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازاني.
ـ المختلف والمؤتلف/ الحسن ابن شبير الآمدي.
ـ الآمالي/ أبو علي إسماعيل القالي.

- ميزان الاعتدال/ الذهبي.
- المناقب/ الخوارزمي.
- كتاب الجمل/ الشيخ المفيد.
- الفتنة الكبرى/ الدكتور طٰه حسين.
- الغارات/ أبي سعيد الثقفي.
- تاريخ دمشق/ أبو القاسم علي ابن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر.
- العقد الفريد/ أحمد ابن محمد المالكي.
- المستطرف/ شهاب الدين الأبشيهي.
- نزهة المجالس/ عبد الرحمٰن الصفوري.
- فتوح البلدان/ البلاذري.
- حروب الإسلام/ الحائري.
- الأخبار الطوال/ الدينوري.
- معاهد التنصيص/ علي ابن محمد العباسي.
- مجمع البحرين/ الطريحي.
- نهج البلاغة/ الشريف الرضي.
- تفسير القمة/ علي ابن إبراهيم القمي.
- الخصائص الكبرى/ السيوطي.
- الإرشاد/ الشيخ المفيد.
- وسائل الشيعة/ الحر العاملي.
- مستدرك الوسائل/
- خلاصة الأقوال/ العلامة الحلي.
- الوجيزة/ محمد باقر المجلسي.
- فهرست الشيخ الطوسي - مخطوط في مكتبة المؤلف -.
- جامع الرواة/ عمر ابن علي الأردبيلي.
- معجم الشعراء/ محمد ابن عمران المرزباني.
- الأنباه/ جمال الدين الشيباني.
- طرفة الأصحاب - مخطوط في مكتبة المؤلف -.

ـ سبائك الذهب/ محمد البغدادي.
ـ كامل المبرد/ أبي العباس محمد ابن يزيد المبرد.
ـ الأغاني/ أبي الفرج الأصفهاني.
ـ نسب عدنان وقحطان ـ مخطوط في مكتبة المؤلف ـ.
ـ النهاية/ الشيخ الطوسي.
ـ مجالس ابن الشيخ ـ مخطوط في مكتبة المؤلف ـ.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر/ علي ابن محمد الجزري الملقب بابن الأثير.
ـ تاريخ ابن خلدون/ عبد الرحمٰن ابن محمد ابن خلدون.
ـ تاريخ نجد/ أبو عبد الله الظاهري.
ـ مجمع الأمثال/ الميداني النيسابوري.
ـ تاريخ بغداد.
ـ تحفة العالم.
ـ تذكرة الصفدي.
ـ تذكرة داوود الأنطاكي.
ـ التعريفات/ الزمخشري.
ـ التلخيص.
ـ الجامع الصغير.
ـ جمهرة أنساب العرب.
ـ الحائريات.
ـ الحدائق الناظرة.
ـ الخرائج والجرائح.
ـ خلاصة السياسة في علم الفراسة.
ـ خواطر في الصحة والأدب.
ـ الدر النظيم.
ـ الدمعة الساكبة.
ـ ذخائر العقبى.
ـ ذيل أمالي القالي.
ـ رسائل الجاحظ.
ـ الروض الآنف.
ـ روضة الأحباب.
ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر.
ـ تاريخ أبي الفدا.
ـ تبصرة المتعلمين/ العلامة الحلي.
ـ تذكرة خواص الأمة.
ـ تذكرة الحفّاظ.
ـ تطهير الجنان.
ـ تعليقة النزاع والتخاصم.
ـ ثمار القلوب.
ـ جمهرة الأمثال.
ـ جوهرة الكلام.
ـ الحدائق الوردية.
ـ حلية الأولياء.
ـ الخصال/ الشيخ الصدوق.
ـ خلاصة تهذيب الكمال.
ـ الدر المنثور/ السيوطي.
ـ دلائل النبوَّة.
ـ ديوان ضبيعة.
ـ ذخيرة الدارين.
ـ رسائل البلاغة.
ـ رغبة الآمل في شرح الكامل.
ـ الروض الباسم.
ـ رياض الأحزان.
ـ السرائر/ ابن إدريس الحلي.

ـ السراج المنير.
ـ سيرة ابن هشام.
ـ السيرة الدحلانية.
ـ السيرة الهشامية.
ـ شذرات الذهب.
ـ الشرح الجلي.
ـ شرح السير الكبير.
ـ شرح رسالة ابن زيدون.
ـ شرح مجاني الأدب.
ـ الشعر والشعراء.
ـ صحيح مسلم.
ـ صفوة الصفوة.
ـ طبقات الشعراء.
ـ عمدة القاري.
ـ الغرر والدرر.
ـ فروع الكافي.
ـ كامل الزيارة.
ـ كتاب بني شيبان.
ـ الكشاف/ الزمخشري.
ـ كنز الفوائد.
ـ الكنى والألقاب.
ـ مجاني الأدب.
ـ المحاسن والمساوىء.
ـ محاضرات الأوائل والأواخر.
ـ مشارق الأنوار.
ـ معالم العترة الطاهرة.
ـ معجم الأدباء.
ـ معجم الصحابة.
ـ المضمرين.
ـ الملهوف/ ابن طاووس.
ـ المنتقى.
ـ الموافقة.
ـ المواهب اللدنية.
ـ سنن الترمذي.
ـ السيرة الحلبية.
ـ السيرة النبويَّة.
ـ الشجرة المحمديَّة.
ـ شرح التقريب.
ـ شرح الدرية.
ـ شرح أدب الكاتب.
ـ شرح لامية العجم.
ـ شرف النبوَّة.
ـ شفاء الغرام.
ـ صحيح البخاري.
ـ الطبقات الكبرى.
ـ علل الشرائع/ الشيخ الصدوق.
ـ غرر الخصائص الواضحة.
ـ الفتوح/ ابن أعثم الكوفي.
ـ الفصول المهمة.
ـ كتاب العين.
ـ كتاب بني هشام.
ـ كفاية الطالب.
ـ الكنى والأسماء.
ـ لوامع الأنوار.
ـ المحاسن والأضداد.
ـ المحاضرات.
ـ مسند أحمد بن حنبل.
ـ مطالب السؤول.
ـ معالي السبطين.
ـ معجم الشعراء.
ـ المغازي.
ـ مفتاح الأفكار.
ـ مناهج الألباب.
ـ من لا يحضره الفقيه.
ـ مواليد أهل البيت.
ـ ناسخ التواريخ.

ـ النزاع والتخاصم .
ـ نور الأبصار/ الشبلنجي .
ـ وفاء الوفا .
ـ إبصار العين .
ـ إثبات الوصية .
ـ الاستيعاب/ ابن عبد البر المالكي .
ـ إسعاف الراغبين .
ـ أصول الكافي .
ـ الإكتفاء .
ـ الآمالي/ الصدوق .
ـ الإمتاع والمؤانسة .
ـ الأنباه على أسماء الرواة .
ـ أخبار الأُول .
ـ أسنى المطالب .
ـ الآمالي/ الشيخ الطوسي .
ـ البداية والنهاية .
ـ بلوغ الأرب .
ـ تاريخ الخميس .
ـ تاريخ العرب وتمدن الإسلام .
ـ الدرجات الرفيعة .
ـ الفلسفة الطبيعية .
ـ مناهج الألباب المصرية .
ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية .
ـ نزهة الخواطر .
ـ خلاصة الرجال .
ـ تاريخ الكوفة/ البراقي .

ـ الوزراء .
ـ شفاء الغليل .
ـ نور العين في أنصار الحسين .
ـ شرح التجريد/ الطوسي .
ـ الدعاة .
ـ سر العالمين .

ـ نزهة الجليس .
ـ الوسيط .
ـ الوفيات .
ـ إتعاظ الحنفاء .
ـ إحياء علوم الدين/ الغزالي .
ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة .
ـ الأصنام .
ـ الإقبال/ ابن طاووس .
ـ إكمال الدين .
ـ الآمالي/ المرتضى .
ـ الإنجيل .
ـ إنسان العيون .
ـ أربعون حديثاً في المهدي .
ـ ألف باء .
ـ بحر الأنساب .
ـ بغية الطالب .
ـ التاج .
ـ تاريخ العرب .
ـ الجواهر السنية .
ـ ثمار القلوب .
ـ القاموس المحيط .
ـ مقتل الخوارزمي .
ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية .
ـ موجز تاريخ البلدان العراقية .
ـ رجال الأسترآبادي .
ـ نيل الوطر في أعيان اليمن في القرن الثالث عشر .
ـ مجلة الأزهر .
ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار .
ـ رياض الجنان .
ـ الإسلام والطب الحديث .
ـ مقدمة ابن خلدون .
ـ المصباح المنير/ الفيومي .

ـ شرح واجب الاعتقاد.
ـ نهضة الحسين.
ـ معجم ما استعجم.
ـ الاستيعاب بهامش الإصابة.
ـ تحرير الأحكام.
ـ أعيان الشيعة.
ـ العدل الشاهد.
ـ روضة الواعظين.
ـ أعلام الورى.

ـ مختصر تذكرة القرطبي.
ـ فرحة الغري.
ـ تحفة الأحباب.
ـ روض الأخبار.
ـ المسالك إلى الممالك.
ـ منجم العمران.
ـ إعجاز القرآن/ الشيخ المظفر.

ـ قائد القوات العلوية/ الشيخ المظفر.

ـ تاريخ العرب.
ـ المعرّب من الكلام الأعجمي.
ـ تاريخ الإسحاقي.

ـ حقوق الدول.
ـ عوالم العلوم.
ـ فارس ذي الخمار/ الشيخ المظفر.

ـ الإتقان.
ـ الآداب السلطانية.
ـ التنبيه والأشراف.
ـ فرق الشيعة.
ـ الخصائص الكبرى.
ـ مصائب المعصومين.
ـ أبو الشهداء/ طٰه حسين.
ـ مثير الأحزان.
ـ عجائب المخلوقات على هامش حياة الحيوان.
ـ الإتحاف بحب الأشراف.
ـ تاريخ القرماني.
ـ الخطط التوفيقية.
ـ مسالك الأبصار.
ـ الدليل العراقي.
ـ حقيقة الإسلام وأصول الحكم.
ـ الآمالي المنتخبة في العترة المنتجبة/ الشيخ عبد الواحد المظفر.
ـ كشف المستور عن مخازي الجمهور/ الشيخ عبد الواحد المظفر.
ـ فرجة الهموم والحزن.
ـ تلبيس إبليس.
ـ ردع الناكب عن فضيلة المواكب/ الشيخ عبد الواحد المظفر.
ـ مفتاح الأفكار.
ـ الرياض الخزعلية.
ـ المفضليات.

فهرس محتويات الجزء الأول

الأهداء ٣
مقدمة الناشر ٥
نبذة عن الكتاب ٩
نبذة عن المؤلف «قده» ١٣
نسبه الشريف وألقابه ١٣
ولادته ونشأته العلمية ١٣
أساتذته ١٤
الثناء عليه ١٤
زهده وورعه وتقواه ١٥
إجازاته ١٥
مؤلفاته ١٦
مؤلفاته المطبوعة ١٦
من مؤلفاته المخطوطة ١٧
من مؤلفاته المطبوعة بعد وفاته ١٧
مختارات من شعره ١٨
النبأ المفجع الذي هزّ العالم الإسلامي إلى جنَّة المأوى ٢٠
مقدِّمة المؤلف ٢٢
الفصل الأول في نسب العباس الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» ٢٧
سلسلة آبائه الكرام إلى عدنان ٢٧
(١) عدنان بن أد ٢٨
ولد عدنان معد وعك ٣٠
(٢) معد بن عدنان ٣٠
(٣) نزار بن معد بن عدنان ٣٤
(٤) مضر بن نزار الملقب بمضر الحمراء ٣٥
أولاد مضـــــر ٤٠
(٥) إلياس بن مضر ٤٠
(٦) مدركة بن إلياس بن مضر ٤٢
(٧) خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ٤٤
(٩) كنانة بن خزيمة بن مدركة ٤٦
(٩) النضر بن كنانة ٤٨

أولاد النضر بن كنانة ٥٠
(١٠) مالك بن النضر بن كنانة ٥٠
(١١) فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ٥١
أولاد فهـــر ٥٣
(١٢) غالب بن فهر بن مالك ٥٣
(١٣) لؤي بن غالب بن فهر ٥٤
أولاد لؤي بن غالب ٥٥
١٤- كعب بن لؤي بن غالب ٥٦
أولاد كعب بن لؤي ٥٨
(١٥) مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ٥٨
أولاد مرة ٥٩
(١٦) كلاب بن مرة ٦٠
(١٧) قصي بن كلاب ٦١
(١٨) عبد مناف بن قصي ٦٣
(١٩)هاشم بن عبد مناف ٦٥
(٢٠) عبد المطلب بن هاشم ٦٩
(٢١) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ٧٢
(٢٣) أمير المؤمنين ويعسوب الدين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر
المحجلين أبو الحسن علي بن أبي طالب «عليه السلام» ٧٩
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ٧٩
(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم ٩٣
نبذة من فضائلها ٩٥
(٢) من أمهات العباس «عليه السلام» فاطمة الكلابية ٩٩
استطرادٌ إلى ذكر فرسان بني عامر ومشاهير قوّادهم على سبيل الإجمال ١١٨
(١) ربيعة المقترين ١٢١
(٢) معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب ١٢٢
(٣) الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب فارس قرزل ١٢٣
(٤) سلمى نزال المضيق ١٢٤
(٥) أبو براء ملاعب الأسنة ١٢٦
(٦) براء بن أبي براء ١٣١
(٧) ربيعة بن أبي براء ١٣٢
(٨) نهشل بن عبيدة نزال المضيق ١٣٤
(٩) مدرك الثار خالد بن جعفر بن كلاب ١٣٤
مقتل خالد بن جعفر الكلابي ١٣٧
(١٠) الأحوص بن جعفر بن كلاب ١٤١
(١١) عمرو بن الأحوص ١٤٧
(١٢) عوف بن الأحوص ١٤٨

(١٣) شريح بن عوف بن الأحوص ١٥١
(١٤) الصعق واسمه خويلد ١٥٤
(١٥) يزيد بن الصعق الكلابي ١٥٥
(١٦) عمرو بن الصعق ١٥٨
(١٧) أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك ١٥٩
(١٨) أبو عقيل لبيد بن ربيعة ١٦٤
أول ما ظهرت فيه نباهة لبيد ١٦٦
(١٩) أربد الحتوف الجعفري الكلابي ١٦٨
مهلك أربد انتقاماً من الله له ١٦٩
(٢٠) جبار بن سلمى ١٧٢
(٢١) علقمة بن علاثة ١٧٣
المنافرة بين علقمة وعامر ١٧٤
(٢٢) أشعث بن عبد الحجر ١٧٦
(٢٣) عروة الرحال الكلابي ١٧٧
مقتل عروة الرحال وحروب الفجار ١٧٨
شعر عروة الرحال ١٧٩
(٢٤) بشر بن عامر الكلابي ١٨٠
(٢٥) بشر بن ملاعب الأسنة ١٨٠
(٢٦) جعيد بن عبيدة الكلابي الجعفري ١٨١
(٢٧) الضحاك بن سفيان الكلابي ١٨١
(٢٨) الحارث الكلابي ١٨٣
(٢٩) الحارث بن مرة ١٨٣
(١) طالب بن أبي طالب ٢١٠
محبة أبي طالب لطالب وعقيل ٢١٣
شعر طالب ٢١٣
(٢) عقيل بن أبي طالب ٢١٤
صفة عقيل وبعض حكاياته ٢٢٠
أولاد عقيل ٢٢٣
أولاده الذكور ٢٢٣
شهداء آل عقيل ٢٢٥
(٣) من أعمام العباس الأكبر «عليه السلام» جعفر الطيار مع الملائكة في الجنة ٢٢٥
كنيته بأبنه وفعله ٢٢٦
سرور النبي رسول الله ﷺ بقدوم جعفر ٢٢٦
الخصال التي شكرها الله لجعفر وهي تدل على وفور عقله ٢٢٧
شبه جعفر برسول الله ﷺ وشبهه فيه بالخَلْق والخُلُق ٢٢٨
كمية الجراحات التي أصابت جعفر يوم شهادته ٢٢٩
نعي جعفر والنياحة عليه ٢٢٩

تسليم جعفر على النبي ﷺ بعد شهادته ورد النبي ﷺ عليه سلامه ٢٣٠
مكانة جعفر ومنزلته عند أمير المؤمنين «عليه السلام» ٢٣٠
الأفتخار بجعفر الطيار ٢٣١
مقدار سن جعفر حين قُتل وتأبينه وبعد الأتفاق على إنه قُتل سنة (٨) للهجرة .. ٢٣٣
كلمة وجيزة لأحد الآباء اليسوعيين في ذكر جعفر ٢٣٣
تأبين جعفر ٢٣٤
أولاد جعفر الطيار ٢٣٥
أعمام العباس الأكبر «عليه السلام» الذين هم أعلم أبيه وهم ولد عبد المطلب ٢٣٧
أعمام العباس الأكبر «عليه السلام» ٢٣٧
قول من قال إنهم ثلاثة عشر ٢٣٨
القائلون بالأقل ٢٣٩
شرفهم على الإجمال ٢٤٠
(١) ضرار بن عبد المطلب ٢٤١
(٢) المقوم بن عبد المطلب شقيق حمزة ٢٤١
(٣) جحل بن عبد المطلب ٢٤٢
(٤) عبد الكعبة بن عبد المطلب ٢٤٣
(٥) قثم بن عبد المطلب ٢٤٤
(٦) الغيداق بن عبد المطلب ٢٤٤
القسم الثاني من مشاهير ولد عبد المطلب ٢٤٥
(٧) الحارث بن عبد المطلب ٢٤٥
أولاد الحارث بن عبدالمطلب ٢٤٦
أبو لهب عبد العزى ٢٤٩
مهلك أبي لهب ٢٥٠
أولاد أبي لهب ٢٥١
(٩) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ٢٥٣
قيادة الزبير بن عبد المطلب لقريش وكنانة في حرب الفجار ٢٥٥
هرب حرب بن أميّة من الزبير بن عبد المطلب ٢٥٦
شاعرية الزبير بن عبد المطلب ٢٦٠
أولاد الزبير بن عبد المطلب ٢٦١
(١٠) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم والد رسول الله ﷺ ٢٦٢
تحيُّل اليهود على الفتك بعبد الله ومحق الله لهم وظهور شجاعة عبد الله وثباته
الباهر ٢٦٣
نذر عبد المطلب والعزم على ذبح ابنه عبد الله ففداه الله بمائة من الإبل ٢٦٦
عفة عبد الله وصيانته ٢٦٨
جمال عبد الله المعجب ٢٧٠
وفاة عبد الله ٢٧١
تأبين عبد الله ٢٧٢

أولاد عبد الله ٢٧٢
أولاد رسول الله ﷺ ٢٧٢
(١١) أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ٢٧٤
حلم حمزة وشرفه ٢٧٥
إباء حمزة وأنفته من الهوان ٢٧٦
شجاعة حمزة وثباته في الحروب ٢٧٨
محل حمزة عند الأئمة «عليهم السلام» ٢٨٠
مكانة الحمزة عند النبي ﷺ ٢٨١
شهادة حمزة وصفة مقتله وتلهف رسول الله ﷺ ٢٨٢
شاعرية حمزة ٢٨٣
أولاد حمزة ٢٨٥
(١٢) أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم ٢٨٦
إسلام العباس بن عبد المطلب ٢٨٦
ولادة العباس بن عبد المطلب ٢٨٦
صفة العباس عم النبي ﷺ ٢٨٧
جهارة صوته ٢٨٧
أخلاق العباس عم النبي ﷺ ٢٨٧
أما شجاعته ٢٨٨
وظائف العباس عم النبي ﷺ في العصر الجاهلي ٢٨٨
تألم النبي ﷺ لأسر العباس وأنينه ٢٨٩
من الخلافة الإسلامية ٢٩٠
شاعرية العباس بن عبد المطلب ٢٩١
وفاة العباس ٢٩٣
تسلية وتعزية على فقدان العباس ٢٩٣
أولاد العباس بن عبد المطلب ٢٩٣
إخوة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٢٩٤
سياسة الحسين بن علي «عليهما السلام» ٣٠٨
صفته «عليه السلام» ٣٣٠
نبذة يسيرة من أخلاقه وشمائله، التي لا يصل إليها الطالب ٣٣٠
حلمه «عليه السلام» ٣٣٠
نزاهته عن البذائة والفحش ٣٣١
تواضع الحسن «عليه السلام» ٣٣٢
علمه وحكمه وأجوبته الشافية ٣٣٢
شفقة الحسن وسخاؤه ٣٣٤
عبادة الحسن «عليه السلام» وصلاحه ٣٣٦
زهد الحسن «عليه السلام» وورعه ٣٣٦
فصاحة الحسن «عليه السلام» وبلاغته ٣٣٧

شعر الحسن بن علي «عليهما السلام» ٣٣٩
شهادة الحسن الزكي «عليه السلام» ٣٣٩
تعطيل الأسواق لموت الحسن بن علي «عليهما السلام» ٣٤٠
أولاد الحسن بن علي «عليهما السلام» ٣٤١
الشهداء من أولاد الحسن «عليه السلام» ٣٤٣
(٢) الحسين السبط «عليه السلام» شهيد كربلاء ٣٤٣
نبذة من مزاياه وسجاياه ٣٤٩
علم سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» ٣٥٠
شجاعة الحسين «عليه السلام» ٣٥٣
أنفة الحسين «عليه السلام» من الرضوخ للمذلة ورفضه للهوان ٣٥٥
سخاء الحسين بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٣٦٠
عبادة الحسين «عليه السلام» وتقواه ٣٦١
زهد الحسين «عليه السلام» ونسكه ٣٦١
فصاحة الحسين «عليه السلام» وبلاغته ٣٦٢
أشعار الحسين «عليه السلام» ٣٦٨
دعوات الحسين «عليه السلام» المستجابة ٣٧٠
الإنذارات بقتل الحسين «عليه السلام» ٣٧٢
إنذار الحسين «عليه السلام» عن نفسه بقتله ٣٧٥
الدلالات على مقتل الإمام الحسين «عليه السلام» ٣٧٩
الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة ٣٨٣
ما أحل الله بقتلة الحسين «عليه السلام» ٣٨٦
ما أحل الله بقتلة الحسين «عليه السلام» من المذلة والهوان وعاجلهم به من العقوبة والانتقام ٣٨٧
الكمية التي أوعد الله تعالى أن يقتلها بالحسين «عليه السلام» انتقاماً منه لقاتليه ٣٨٩
تأثير الفاجعة الحسينية في النفوس ٣٩٠
أولاد سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» ٣٩١
الشهداء من ولد الإمام الحسين «عليه السلام» ٣٩٤
بقيّة تراجم أخوة العباس الأكبر أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» ٣٩٥
(٣) محسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ٣٩٥
أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ٣٩٨
محمد الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٣٩٩
شجاعة محمد بن الحنفية ٤٠١
علم محمد بن الحنفية ٤٠١
فصاحة محمد بن الحنفية ٤٠٢
قدرة محمد الأكبر على إيراد الحجة ٤٠٥
ما لاقاه محمد بن الحنفية من جور أُمراء زمانه ٤٠٦
ولادة محمد بن الحنفية ووفاته وموضع قبره ٤٠٨

أولاد محمد بن الحنفية ٤٠٨
(٥) محمد الأوسط ابن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤١٠
(٦) محمد الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤١١
(٧) عبد الله الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤١٣
حديث شهادة عبد الله الأكبر ٤١٤
الثناء على عبد الله الأكبر ٤١٦
(٨) عبد الله الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤١٧
(٩) عبيد الله قتيل المذار ٤١٩
القدح في عبيد الله بن النهشلية ٤٢٠
نقد الفاضل ابن إدريس «قده» للشيخ المفيد «قده» ٤٢٢
ظهور الكرامات على قبر عبيد الله ورأي المصنف فيه ٤٢٣
(١٠) العباس الأصغر أحد الشهداء بكربلاء ٤٢٤
(١١) جعفر الأكبر شقيق العباس الأكبر «عليهما السلام» ٤٢٦
شهادته ٤٢٨
مدح جعفر الأكبر ٤٢٨
هذه الفقرات الشريفة ٤٢٨
(١٢) جعفر الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٣٠
شهادة جعفر الأصغر ٤٣٠
(١٣) عمر الأكبر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٣٠
كنية عمر ولقبه ٤٣١
أم عمر الأطرف ٤٣١
عمر الأطرف ومقدار سنه ٤٣٢
فضيلة الأطرف النفسية ٤٣٢
تنبيه وإيقاظ ٤٣٢
وفاة الأطرف ٤٣٢
القدح في عمر الأطرف ٤٣٤
منازعة الأطرف للإمام زين العابدين «عليه السلام» ٤٣٦
رأي الرجاليين من الشيعة في الأطرف ٤٣٦
رأي المصنف في الأطرف ٤٣٧
أولاد عمر الأطرف ٤٣٧
(١٤) عمر الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٣٧
شهادة عمر الأصغر ٤٣٨
(١٥) أبو بكر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٣٩
شهادته والنصوص عليها ٤٣٩
(١٦) إبراهيم بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٤٠
شهادة إبراهيم وإنكار الأصبهاني ٤٤٠
(١٨) عون الأصغر بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٤٤١